

البرهان في علوم القرآن

للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المؤلف

قال الشيخ الإمام العالم العلامة ، وحيد الدهر ، وفريد العصر ، جامع أشتات الفضائل ، وناصر الحق بالبرهان من الدلائل ، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي الشافعي ، بلفه الله منه ما يرجوه :

الحمد لله الذي نور بكتابه القلوب ، وأنزله في أوجز لفظ وأعجز أسلوب ، فأعيت بلاغته البلغاء ، وأعجزت حكته الحكماء ، وأبكت فصاحته الخطباء .

أحمد أن جعل الحمد فاتحة أسرارهِ ، وخاتمة تصاريفهِ وأقداره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله المصطفى ، ونبية المرتضى ، الظافر من المحامد بالتحصل^(١) ، الظاهر بفضله على ذوى الفضل . معلم الحكمة ، وهادى الأمة ، أرسله بالنور الساطع ، والضياء اللامع ، صلى الله عليه وعلى آله الأبرار ، وصحبه الأخيار .

أما بعد ؛ فإن أولى ما أعملت فيه القرائح ، وعَلَقْتُ به الأفكار اللواقح ، الفحصُ عن أسرار التنزيل ، والكشفُ عن حقائق التأويل ، الذي تقوم به العالم ، وتثبت الدعائم . فهو العصمة الواقية ، والنعمة الباقية ، والحجة البالغة ، والدلالة الدامغة ، وهو شفاء الصدور ، والحكم العدل عند مشبهات الأمور ؛ وهو الكلام الجزل ، وهو الفصل الذي ليس بالهزل ؛ سراج لا يخبو ضياؤه ، وشهاب لا يخبث نوره وسناؤه ، وبحر لا يذرك غوره .

(١) الحصل هنا : السبق والغلبة .

بهرت بلاغته العقول ، وظهرت فصاحته على كل مقول ، وتظافر إيجازه وإعجازه ، وتظاهرت حقيقته ومجازه ، وتقارن في الحسن مطالعه ومقاطعه ، وحوث كل البيان جوامعه وبدائعه ، قد أحكم الحكيم صيغته ومبناه ، وقسم لفظه ومعناه ، إلى ما ينشط السامع ، ويقرط السامع ، من تجنيس أنيس ، وتطبيق لبيق ، وتشبيه نبيه ، وتقسيم وسيم ، وتفصيل أصيل ، وتبليغ بليغ ، وتصدير بالحسن جدير ، وترديد ماله مزيد ؛ إلى غير ذلك مما أجرى ^(١) من الصياغة البدعية ، والصناعة الرفيعة ، فالآذان بأقراطه حالية ، والأذهان من أسماطه غير خالية ؛ فهو من تناسب ألفاظه ، وتناسق أغراضه ، قلادة ذات انساق ؛ ومن تبسم زهره ، وتنشم نشره ، حديقة مبهجة للنفوس والأسماع والأحداق ؛ كل كلمة منه لها من نفسها طرب ، ومن ذاتها عجب ، ومن طلعتها غرّة ، ومن بهجتها دُرّة ، لاحت عليه بهجة القدره ، ونزل ^(٢) « من له الأمر » ، فله على كل كلام سلطان وإمره ، بهر تمكن فواصله ، وحسن ارتباط أواخره وأوائله ، وبديع إشاراته ، وعجيب انتقالاته ؛ من قصص باهرة ، إلى مواظ زاجرة ، وأمثال سائرة ، وحكم زاهرة ، وأدلة على التوحيد ظاهرة ، وأمثال بالتنزيه والتحميد سائرة ، ومواقع تعجب واعتبار ، ومواطن تنزيه واستغفار ؛ إن كان سياق الكلام ترجية بسط ، وإن كان تخويفا قبض ، وإن كان وعداً أبهج ، وإن كان وعيداً أزعج ، وإن كان دعوة حذب ، وإن كان زجرة أربع ، وإن كان موعظة أقلق ، وإن كان ترغيباً شوق .

هذا ، وكـم فيه من مزايا وفي زواياه من خبايا
ويطعم الخبر في التقاضي فيكشف الخبر عن قضايا
فسبحان من سلكه يتابع في القلوب ، وصرفه بأبدع معنى وأغرب أسلوب ،

(١) كذا في ط . وفي حاشيتها : « كذا بخط المصنف ، ولعله : احتوى » . وفي ت ، م : « احتوى » .
(٢) (٢ - ٢) ط : « ونزل بأمر من له الأمر » .

لا يستقصى معانيه فَنَهْمُ الْخَلْقِ ، ولا يحيط بوصفه على الإطلاق ذو اللسان الطُّلُقُ ، فالسعيد من صرف همته إليه ، ووقف فكره وعزمه عليه ، والموفق من وفقه الله لتدبره ، واصطفاه للتذكير به وتذكّره ، فهو يرتع منه في رياض ، ويكرع منه في حياض .

أَنْدَى عَلَى الْأَكْبَادِ مِنْ قَطَرِ النَّدَى وَأَلَذَّ فِي الْأَجْفَانِ مِنْ سِنَةِ الْكَرَى

يَمَلَأُ الْقُلُوبَ بِشْرًا^(١) ، وَيَبِيعُ الْقَرَائِحَ عَيْرًا وَنَشْرًا ، يَحْيِي الْقُلُوبَ بِأَوْرَادِهِ ، وَلِهَذَا سَمَّاهُ اللَّهُ رُوحًا ؛ قَالَ : ﴿ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾^(٢) ، فَسَمَّاهُ رُوحًا لِأَنَّهُ يُوْدِي إِلَى حَيَاةِ الْأَبَدِ ، وَلَوْلَا الرُّوحُ لَمَاتَ الْجَسَدُ ، فَجَمَلَ هَذَا الرُّوحَ سَبِيحًا لِلْإِقْتِدَارِ ، وَعَلَّمَاهُ عَلَى الْإِعْتِبَارِ .

يَزِيدُ عَلَى طَوْلِ التَّأَمُّلِ بَهْجَةً كَأَنَّ الْعَيُونَ النَّاضِرَاتِ صَيَاقِلُ

وَأِنَّمَا يَفْهَمُ بَعْضَ مَعَانِيهِ ، وَيَطْلَعُ عَلَى أَسْرَارِهِ وَمَبَانِيهِ ؛ مَنْ قَوَّى نَظْرُهُ ، وَاتَّسَعَ مَجَالُهُ فِي الْفِكْرِ وَتَدَبَّرَهُ ؛ وَامْتَدَّ بَاعُهُ ، وَرَقَّتْ طِبَاعُهُ ؛ وَامْتَدَّتْ فِي فُنُونِ الْأَدَبِ ، وَأَحَاطَتْ بِلُغَةِ الْعَرَبِ .

قَالَ الْحَرَالِيُّ^(٣) فِي جُزْءِ سَمَاءَ : « مِفْتَاحُ الْبَابِ الْمَقْفَلِ ، لِفَهْمِ الْكِتَابِ الْمَنْزَلِ » :
لِلَّهِ تَعَالَى مَوَاهِبٌ ، جَعَلَهَا أَصُولًا لِلْمَكَاسِبِ ، فَمَنْ وَهَبَهُ عَقْلًا يَسَّرَ عَلَيْهِ السَّبِيلَ ، وَمَنْ رَكَّبَ فِيهِ خُرْقًا نَقَصَ ضَبْطُهُ مِنَ التَّحْصِيلِ ، وَمَنْ أَيْدَهُ بِتَقْوَى الْإِسْتِنَادِ إِلَيْهِ فِي جَمِيعِ

(١) م : « بِشْرَى »

(٢) سُورَةُ غَافِرٍ ١٥

(٣) الْحَرَالِيُّ ؛ بَفَتْحِ الْحَاءِ وَالرَّاءِ الْمَهْمَلَتَيْنِ وَبَعْدَ الْأَلْفِ لَامٌ مُشَدَّدَةٌ مَكْسُورَةٌ ، نَسَبَةٌ إِلَى حِرَاقَةٍ ؛ قَرْيَةٍ مِنْ أَعْمَالِ مَرْسِيَةٍ ؛ وَهُوَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ التَّجِييِّ ، صَاحِبُ التَّفْسِيرِ الْعَظِيمِ ؛ اعْتَمَدَ عَلَيْهِ الْبَقَايُ فِي تَفْسِيرِهِ . وَلَهُ أَيْضًا شَرْحُ الْمَوْطَأِ وَالشِّفَاءِ وَفَتْحُ الْبَابِ الْمَقْفَلِ وَغَيْرُهَا . تَوَفَّى سَنَةَ ٦٣٧ . (شُرُوحُ التَّهَذُّبِ ٥ : ١٨٩ ، النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ٦ : ٣١٧ ، تَاجُ الْعُرُوسِ - حَرْلُ) .

أموره علمه وفهمه . قال : وأكمل العلماء من وهبه الله تعالى فهما في كلامه ، ووعيا
عن كتابه ، وتبصرة في الفرقان ، وإحاطة بما شاء من علوم القرآن ، فقيه تمام شهود
ما كتب الله لخلوقاته من ذكره الحكيم ، بما يزيل بكريم عنايته من خطأ اللاعبين ؛
إذ فيه كل العلوم .

وقال الشافعي رضي الله عنه : جميع ما تقوله الأمة شرح للسنة ، وجميع السنة شرح
للقرآن . وجميع القرآن شرح أسماء الله الحسنى ، وصفاته العليا - زاد غيره : وجميع الأسماء
الحسنى شرح لاسمه الأعظم - وكما أنه أفضل من كل كلام سواه ، فعلموه أفضل من كل
علم عداه ؛ قال تعالى : ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى ﴾ ^(١) .
وقال تعالى : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ ^(٢) .
قال مجاهد ^(٣) : الفهم والإصابة في القرآن . وقال مقاتل ^(٤) : يعني علم القرآن .

وقال سفيان بن عيينة ^(٥) في قوله تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ
فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ ^(٦) ، قال : أحرمهم فهم القرآن .
وقال سفيان الثوري ^(٧) : لا يجتمع فهم القرآن والاشتغال بالخطام في قلب
مؤمن أبداً .

(١) سورة الرعد ١٥

(٢) سورة البقرة ٢٦٩

(٣) هو مجاهد بن جبر المكي ، مولى السائب ، أحد التابعين الثقات ، وأحد العلماء في القراءة والتفسير .
توفي سنة ١٠٠ في إحدى الروايات . (تهذيب التهذيب ١٠ : ٤٤) .

(٤) هو مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي ، صاحب التفسير . توفي سنة ١٥٠ . (خلاصة تذهيب
الكمال ٣٣١) .

(٥) هو سفيان بن عيينة الهلالي الكوفي ، وشيخ أهل الحجاز في الحديث والفقه والتفسير . توفي سنة ١٩٨
(تذكرة الحفاظ ١ : ٢٤٢) .

(٦) سورة الأعراف ١٤٦ .

(٧) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي ، السمي أمير المؤمنين في الحديث ؛ قالوا : كتب عنه
ألف ومائة شيخ ، وتوفي سنة ١٦١ . (تذكرة الحفاظ ١ : ١٩٠ ، صفة الصفوة ٣ : ٨٢) .

وقال عبد العزيز بن يحيى الكنانى^(١) : مثل علم القرآن مثل الأسد لا يمكن من غيله سواء .

وقال ذو النون المصرى^(٢) : أبى الله عز وجل [إلا]^(٣) أن يحرم قلوب الباطلين مكنون حكمة القرآن .

وقال عز وجل : ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾^(٤) . وقال : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾^(٥) .

وقال عبد الله بن مسعود فى قوله تعالى : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾^(٦) قال : القرآن ، يقول : أرشدنا إلى علمه .

وقال الحسن البصرى^(٧) : علم^(٨) القرآن ذكر لا يعلمه إلا الذكور من الرجال . وقال الله جل ذكره : ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾^(٩) . وقال تعالى : ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾^(١٠) ؛ يقول : إلى كتاب الله .

(١) عبد العزيز بن يحيى الكنانى ، تفقه بالشافعى ، وروى عن سفيان بن عيينة . توفى بعد سنة ٢٣٠ . (تهذيب التهذيب ٦ : ٣٦٣ ، خلاصة تذهيب الكمال ٢٠٤) .

(٢) هو أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم المعروف بذى النون المصرى . أحد المعروفين بالزهيد والورع . وقد بأخيم ؛ وروى عنه الجنيد وغيره ، توفى سنة ٢٤٥ . (طبقات الصوفية لىلى ١٥ ، حسن المحاضرة ٢١٨ : ١) .

(٣) زيادة يقتضها السياق ، وفى م : « أبى الله عز وجل أن يكرم قلوب الباطلين مكنون القرآن » (٤) سورة الأنعام ٣٨

(٥) سورة النساء ٨٢ ، محمد ٢٤

(٦) سورة الفاتحة ٦

(٧) هو الحسن بن أبى الحسن البصرى ؛ أحد سادات التابعين وكبرائهم ، توفى سنة ١١٠ (واظن ترجمته وأخباره فى ابن خلكان ١ : ١٢٨ ، وأمالى المرتضى ١ : ١٥٢) .

(٨) كلمة « علم » ساقطة من م

(٩) سورة النساء ٥٩

(١٠) سورة الشورى ١٠٠ .

وكلّ علم من العلوم منتزع من القرآن ، وإلا فليس له برهان . قال ابن مسعود :
من أراد العلم فليثور^(١) القرآن ، فإن فيه علم الأولين والآخرين .^(٢) رواه البيهقي في
المدخل وقال : أراد به أصول العلم^(٣) .

وقد كانت الصحابة رضى الله عنهم علماء ؛ كل منهم مخصوص بنوع من العلم
كعلّى رضى الله تعالى عنه بالقضاء ، وزيد بالفرائض ، ومعاذ بالحلل والحرام ، وأبى بالقراءة ،
فلم يسمّ أحد منهم بحراً^(٤) إلا عبد الله بن عباس لاختصاصه دونهم بالتفسير وعلم التأويل ؛ وقال
فيه على بن أبى طالب : كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق . وقال فيه عبد الله بن مسعود :
نعم ترجمان القرآن عبد الله بن عباس ؛ وقد مات ابن مسعود في سنة ثنتين وثلاثين ؛ وعمر بعده
ابن عباس ستا وثلاثين سنة ؛ فما ظنك بما كسبه من العلوم بعد ابن مسعود ! نعم ؛ كان لعلّى
فيه اليد السابقة قبل ابن عباس ؛ وهو القائل : لو أردت أن أُملى وقر بعير على
الفاحشة لفعلت .

وقال ابن عطية^(٥) : فأما^(٥) صدر المفسرين والمؤيد فيهم فعلى بن أبى طالب ،
ويتلوه ابن عباس رضى الله عنهما ؛ وهو تجرد للأمر [وكمّله]^(٦) ، وتتبعه العلماء عليه ؛
كمجاهد وسعيد بن جبير وغيرهما .

وكان جلة من السلف كسعيد بن المسيّب الشعبي وغيرهما يعظمون تفسير القرآن ،
ويتوقفون عنه تورعا واحتياطاً لأنفسهم ، مع ادراكهم وتقدمهم .

(١) قال ابن الأثير في النهاية (١ : ١٣٨) : « أى لينقر عنه ، ويفكر في معانيه وتفسيره وقراءته » .

(٢ - ٢) « ليس في نسخة المصنف » - حاشية ط

(٣) كان يقال لابن عباس : « البحر ، والبحر » لعلّه . (تاج العروس - حبر) .

(٤) هو الإمام عبد الحق بن غالب بن عبد الرؤوف المعروف بابن عطية ؛ وتفسيره هو المعروف بالحرر الوجيز
توفي بمدينة لوزقة سنة ٥٤٦ هـ (الديباج الذهب ١٧٤ - ١٧٥) .

(٥) الحرر الوجيز ١ : ٨ - ٩ (مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ١٦٨ تفسير) .

(٦) من كتاب الحرر الوجيز .

ثم جاء بعدهم طبقة فطبعة : فجدوا واجتهدوا ؛ وكلٌ ينفق مما رزق الله ؛ ولهذا كان ^(١) سهل بن عبد الله يقول : لو أعطى العبد بكل حرف من القرآن ألف فهم لم يبلغ نهاية ما أودعه الله في آية من كتابه ؛ لأنه كلام الله ، وكلامه صفة . وكما أنه ليس لله نهاية ، فكذلك لا نهاية لفهم كلامه ؛ وإنما يفهم كلٌ بمقدار ما يفتح الله عليه . وكلام الله غير مخلوق ، ولا تبلغ إلى نهاية فهمه في يوم محدثة مخلوقة .

ولما كانت علوم القرآن لا تنحصر ، ومعانيه لا تستقصى ، وجبت العناية بالقدر ^(٢) الممكن . ومما فات المتقدمين وضع كتاب يشتمل على أنواع علومه ، كما وضع الناس ذلك بالنسبة إلى علم الحديث ؛ فاستخرت الله تعالى - وله الحمد - في وضع كتاب في ذلك جامع لما تكلم الناس في فنونه ، وخاضوا في نكته وعميونه ، وضمتته من المعاني الأنيقة ، والحكم الرشيق ، ما يهز القلوب طربا ، ويبهز العقول عجباً ؛ ليكون مفتاحاً لأبوابه ، عنواناً على كتابه ؛ معينا للمفسر على حقائقه ، ومطلعا على بعض أسرارهِ ودقائقهِ ؛ والله المخلص والمعين ، وعليه أتوكل ، وبه أستعين ، وسميته : « البرهان في علوم القرآن » . وهذه فهرست أنواعه :

الأول	: معرفة سبب النزول .
الثاني	: معرفة المناسبات بين الآيات .
الثالث	: معرفة الفواصل .
الرابع	: معرفة الوجوه والنظائر .
الخامس	: علم المتشابه .

(١) كلمة « كان » ساقطة من ط ، م وأثبتها عن ت .

(٢) ت : « المقدور »

السادس	: علم المبهات .
السابع	: في أسرار القوارج .
الثامن	: في خواتم السور .
التاسع	: في معرفة المكي والمدني .
العاشر	: معرفة أول منازل .
الحادي عشر	: معرفة على كم لغة نزل .
الثاني عشر	: في كيفية إنزاله .
الثالث عشر	: في بيان جمعه ومن حفظه من الصحابة .
الرابع عشر	: معرفة تقسيمه .
الخامس عشر	: معرفة أسمائه .
السادس عشر	: معرفة ما وقع فيه من غير لغة الحجاز .
السابع عشر	: معرفة ما فيه من لغة العرب .
الثامن عشر	: معرفة غريبه .
التاسع عشر	: معرفة التصريف .
العشرون	: معرفة الأحكام .
الحادي والعشرون	: معرفة كون اللفظ أو التركيب أحسن وأفصح .
الثاني والعشرون	: معرفة اختلاف الألفاظ بزيادة أو نقص .
الثالث والعشرون	: معرفة توجيه القراءات .
الرابع والعشرون	: معرفة الوقف والابتداء .
الخامس والعشرون	: علم مرسوم الخط .
السادس والعشرون	: معرفة فضائله .

- السابع والعشرون : معرفة خواصه .
- الثامن والعشرون : هل في القرآن شيء أفضل من شيء .
- التاسع والعشرون : في آداب تلاوته .
- الثلاثون : في أنه هل يجوز في التصانيف والرسائل والخطب استعمال بعض آيات القرآن .
- الحادى والثلاثون : معرفة الأمثال الكائنة فيه .
- الثانى والثلاثون : معرفة أحكامه .
- الثالث والثلاثون : في معرفة جدله .
- الرابع والثلاثون : معرفة ناسخه ومنسوخه .
- الخامس والثلاثون : معرفة توهم المختلف .
- السادس والثلاثون : في معرفة المحكم من المتشابه .
- السابع والثلاثون : في حكم الآيات المتشابهات الواردة في الصفات .
- الثامن والثلاثون : معرفة إيجازه .
- التاسع والثلاثون : معرفة وجوب تواتره .
- الأربعون : في بيان معاضدة السنة للكتاب .
- الحادى والأربعون : معرفة تفسيره .
- الثانى والأربعون : معرفة وجوب مخاطبات .
- الثالث والأربعون : بيان حقيقته ومجازه .
- الرابع والأربعون : في الكناية والتعريض .
- الخامس والأربعون : في أقسام معنى الكلام .

السادس والأربعون : في ذكر ما يتيسر من أساليب القرآن .

السابع والأربعون : في معرفة الأدوات .

واعلم أنه ما من نوع من هذه الأنواع إلا ولو أراد الإنسان استقصاءه ، لاستفرغ عمره ،
ثم لم يُحكَمْ أمره ؛ ولكن اقتصرنا من كل نوع على أصوله ، والتمز إلى بعض
فصوله ؛ ^(١) فإن الصناعة طويلة والعمر قصير ؛ وماذا عسى أن يبلغ لسان التقصير !

قالوا خذ العين من كل فقلت لهم

في العين فضل ولكن ناظر العين

فصل

[في علم التفسير]

التفسير علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وبيان معانيه ، واستخراج أحكامه وحكمه . واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات . ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ . وقد أكثر الناس فيه من الموضوعات ؛ ما بين مختصر ومبسط ، وكلهم يقتصر على الفن الذي يغلب عليه ؛ فالزجاج^(١) والواحدى^(٢) في « البسيط » يغلب عليهما الغريب ، والثعلبي^(٣) يغلب عليه القصص ، والزنجشري^(٤) علم البيان ، والإمام^(٥) فخر الدين علم الكلام وما في معناه من العلوم العقلية .

(١) هو إبراهيم بن السري أبو إسحاق الزجاج صاحب كتاب معاني القرآن ؛ قال باقوت : « قرأت على ظهر كتاب المعاني : ابتداءً أبو إسحاق ياملأ كتابه الموسوم بمعاني القرآن في صفر سنة خمس وثمانين ومائتين ، وأتمه في شهر ربيع الأول سنة إحدى وثلاثمائة » . وتوفي الزجاج سنة ٣١١ . (واقظر إنباه الرواة وحواشيه ١ : ١٦٣) .

(٢) هو علي بن أحمد الواحدى أبو الحسين . الإمام المصنف المفسر النحوى . قال القفطى : « وصنف التفسير الكبير وسماه البسيط ، وأكثر فيه من الإعراب والشواهد واللغة ، ومن رآه علم مقدار ما عنده من علم العربية . وصنف الوسيط في التفسير ؛ وهو مختار من البسيط أيضاً ؛ غاية في بابه ، والوجيز وهو عجيب . مات بتيمايور سنة ٤٦٨ . (إنباه الرواة ٢ : ٢٢٤) .

(٣) هو أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ، صاحب التفسير الكبير المسمى الكشف والبيان ، والعرائس في قصص الأنبياء . توفي سنة ٤٢٧ . (إنباه الرواة ١ : ١١٩) .

(٤) هو محمود بن عمر بن محمد الزنجشري ، صاحب القدم في الأدب واللغة والنحو والتفسير ؛ وتفسيره الكشاف من أشهر الكتب . توفي سنة ٥٣٨ . (واقظر ترجمته وأخباره في إنباه الرواة وحواشيه ٣ : ٢٦٥) .

(٥) هو الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازى صاحب التفسير المسمى مقاتيح القيب ، توفي سنة ٦٠٦ . (ابن خلكان ١ : ٤٧٤) .

واعلم أن من المعلوم أن الله تعالى إنما خاطب خلقه بما يفهمونه ؛ ولذلك أرسل كل رسول بلسان قومه ، وأنزل كتابه على لغتهم ؛ وإنما احتيج إلى التفسير لما سذكّر ، بعد تقرير قاعدة ؛ وهي أن كل من وضع من البشر كتاباً فإنما وضعه ليفهم بذاته من غير شرح ؛ وإنما احتيج إلى الشروح لأمر ثلاثة :

أحدها : كمال فضيلة المصنّف ؛ فإنه لقوته العلمية يجمع المعاني الدقيقة في اللفظ الوجيز ، فربما عسر فهم مراده ، فقصد بالشرح ظهور تلك المعاني الخفية ؛ ومن هنا كان شرح بعض الأئمة تصنيفه أدلّ على المراد من شرح غيره له .

وثانيها : [قد يكون] ^(١) حذف بعض مقدمات الأقيسة أو أغفل فيها شروطاً ^(٢) اعتماداً على وضوحها ، أو لأنها من علم آخر ؛ فيحتاج الشارح لبيان المحذوف ومراتبه .
وثالثها : احتمال اللفظ لمعان ثلاثة ؛ كما في الجاز والاشتراك ^(٣) ودلالة الالتزام ؛ فيحتاج الشارح إلى بيان غرض المصنّف وترجيحه . وقد يقع في التصانيف ما لا يخلو منه بشر من السهو والغلط وتكرار الشيء ، وحذف المهم ؛ وغير ذلك ؛ فيحتاج الشارح للتنبيه على ذلك .

* * *

وإذا علم هذا فنقول : إن القرآن إنما أنزل بلسان عربي مبين في زمن أفصح العرب ؛ وكانوا يعلمون ظواهره وأحكامها ^{وأحكامه} ؛ أما دقائق باطنه فإنما كان يظهر لهم بعد البحث والنظر ، مع سؤالهم النبي صلى الله عليه وسلم في الأكثر ؛ كسؤالهم لما نزل : ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ ^(٤) ، فقالوا : أينا لم يظلم نفسه ! ففسره النبي صلى الله عليه وسلم بالشرك ؛ واستدل

(١) زيادة يقتضيها السياق .

(٢) كذا في ت ، م . وفي ط : « شرطاً » وفوقها واو ، وكلمة « لعل » لترجيحها .

(٣) حاشية ط : « س : المشترك »

(٤) سورة الأنعام ٨٢ .

عليه بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ ^(١) . وكسؤال عائشة - رضي الله عنها - عن الحساب اليسير فقال : « ذَلِكَ الْعَرْضُ ، وَمَنْ نَوَقَشَ الْحَسَابَ عَذَبَ » . وكقصّة عدى ابن حاتم في الخيط الذي وضعه تحت رأسه ^(٢) . وغير ذلك مما سألوا عن آحاد منه .

ولم ينقل إلينا عنهم تفسير القرآن وتأويله بجملة ؛ فنحن نحتاج إلى ما كانوا يحتاجون إليه ، وزيادة على ما لم يكونوا محتاجين إليه من أحكام الظواهر ، لقصورنا عن مدارك أحكام اللغة بغير تعلم ؛ فنحن أشدّ الناس احتياجا إلى التفسير .

ومعلوم أن تفسيره يكون بعضه من قبيل بسط الألفاظ الوجيزة وكشف معانيها ، وبعضه من قبيل ترجيح بعض الاحتمالات على بعض لبلاغته ولطف معانيه ؛ ولهذا لا يستغنى عن قانون عام يعول في تفسيره عليه ، ويرجع في تفسيره إليه ؛ من معرفة مفردات ألفاظه ومركباتها . وسياقه ، وظاهره وباطنه ، وغير ذلك مما لا يدخل تحت الوهم ، ويدقّ عنه الفهم .

بين أقداحهم حديث قصيرٌ هو سحرٌ ، وما سواه كلامٌ

وفي هذا تفاوت الأذهان ، وتتسابق في النظر إليه مسابقة الرّهان ، فمن سابق بفهمه ،

وراشق كبد الرميّة بسهمه ، وآخر رمى فأشوى ^(٣) ، وخبط في النظر خبط ^(٤) عشوا - كما قيل : وأين الدّقيق من الرّكيك ، وأين الزلال من الزعاق !

* * *

(١) سورة لقمان ١٣

(٢) يشير إلى ما رواه مسلم في كتاب الصوم عن عدى بن حاتم : « لما قلت : ﴿ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ قال له عدى : يا رسول الله ، إنّي أجهل تحت وسادتي عقابين : عقالا أبيض وعقالا أسود ، أعرف الليل من النهار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن سادك لعريش ؛ إنما هو سواد الليل وياض النهار » .

(٣) أشوى : أصاب شواه ، والشوى هنا : قصف الرأس .

(٤) كلمة « خبط » ساقطة من ط .

وقال القاضي شمس الدين الخوئي^(١) رحمه الله : علم التفسير عسير يسير ؛ أما محشره فظاهر من وجوه ؛ أظهرها أنه كلام متكلم لم يصل الناس إلى مراده بالتباعد منه ، ولا إمكان للوصول إليه ، بخلاف الأمثال والأشعار ؛ فإن الإنسان يمكن علمه بمراد المتكلم بأن يسمع منه ، أو يسمع ممن سمع منه ، أما القرآن فتفسيره على وجه القطع لا يعلم إلا بأن يسمع من الرسول عليه السلام ، وذلك متمدّر إلا في آيات قلائل . فالعلم بالمراد يستنبط بآمارات ودلائل ، والحكمة فيه أن الله تعالى أراد أن يتفكر عباده في كتابه ؛ فلم يأمر نبيه بالتنصيص على المراد ؛ وإنما هو عليه السلام صوّب رأى جماعة من المفسرين ، فصار ذلك دليلاً قاطعاً على جواز التفسير من غير سماع من الله ورسوله^(٢) .

قال : واعلم أن بعض الناس يفتخر ويقول : كتبتُ هذا وما طالعت شيئاً من الكتب ، ويظن أنه فخر ؛ ولا يعلم أن ذلك غاية النقص ؛ فإنه لا يعلم مزية ما قاله على ما قيل ، ولا مزية ما قيل على ما قاله فبماذا يفتخر ! ومع هذا ما كتبتُ شيئاً إلا خائفاً من الله مستعيناً به ، معتدداً عليه ؛ فما كان حسناً فمن الله وفضله^(٣) بوسيلة مطالعة كلام عباد الله الصالحين^(٤) ، وما كان ضعيفاً فمن النفس الأمارة بالسوء .

فصل

[في علوم القرآن]

ذكر القاضي أبو بكر بن العربي^(٥) في كتاب « قانون التأويل » : إن علوم القرآن

(١) الخوئي ، بضم الحاء وفتح الواو وتشديد الباء ، هو شمس الدين أحمد بن خليل بن سعادة الخوئي الشافعي صاحب الإلمام بغير الدين الرزاي . كان قصباً منظرأً وأستاذاً في الطب والحكمة . توفي سنة ٦٣٧ هـ ، ونسبته إلى خوي مدينة بأذربيجان . (شذرات الذهب : ١٨٣ ، النجوم الزاهرة ٦ : ٣١٦ ، تاج العروس - خوي) .
(٢) قتلة السيوطي في الإقنان في الباب السابع والسبعين .

(٣ - ٢) ساقط من م

(٤) هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله الماعري ، المعروف بابن العربي ؛ أحد فقهاء إشبيلية وعلمائها ؛ وفي سبيل العلم رحل إلى المشرق ثم عاد إلى المغرب وتوفي سنة ٥٤٤ هـ . (الصلة لابن بشكوال ٥٩٩) .

خمسون علما وأربعمائة وسبعة آلاف علم وسبعون ألف علم ، على عدد كلم القرآن ، مضروبة في أربعة . قال بعض السلف : إذ لكل كلمة ظاهر وباطن ، وحدّ ومقطع^(١) ؛ وهذا مطلق دون اعتبار تركيبه وما بينها من روابط . وهذا ما لا يحصى ولا يعلمه إلا الله عز وجل .

قال : وأمّ علوم القرآن ثلاثة أقسام : توحيد وتذكير وأحكام ؛ فالتوحيد تدخل فيه معرفة المخلوقات ومعرفة الخالق بأسمائه وصفاته وأفعاله . والتذكير ، ومنه الوعد والوعيد والجنة والنار ، وتصفية الظاهر والباطن . والأحكام ؛ ومنها التكاليف كلها وتبيين المنافع والمضار ، والأمر والنهي والندب .

فالأول : ﴿وَالْهُكْمُ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾^(٢) ، فيه التوحيد كلمة في الذات والصفات والأفعال . والثاني : ﴿وَدَّ كَرَّ فَإِنَ الَّذِي كَرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣) . والثالث : ﴿وَأَن أَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾^(٤) ؛ ولذلك قيل في معنى قوله صلى الله عليه وسلم : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(٥) تعدل ثلث القرآن . . يعني في الأجر ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

وقيل ثلثه في المعنى ؛ لأن القرآن ثلاثة أقسام كما ذكرنا . وهذه السورة اشتملت على التوحيد .

ولهذا المعنى صارت فاتحة الكتاب أم الكتاب ؛ لأن فيها الأقسام الثلاثة : فأما التوحيد فمن أولها إلى قوله : ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾^(٦) . وأما الأحكام فـ ﴿إِنَّا نَعْبُدُ وَإِنَّا نَسْتَعِينُ﴾^(٧) ، وأما التذكير فمن قوله : ﴿اهْدِنَا﴾^(٨) إلى آخرها ؛ فصارت بهذا أمّا ؛ لأنه يتفرع عنها كل بنت .

(١) كذا في الأصول . وفي الإتيان وحاشية ط : «مطلع» .

(٢) سورة البقرة ١٦٣

(٣) سورة الذاريات ٥٥

(٤) سورة المائدة ٤٩

(٥) سورة الإخلاص ١

(٦) سورة الفاتحة ٤

(٧) سورة الفاتحة ٦

وقيل : صارت أمثا لأنها مقدمة على القرآن بالقبلية، والأم قبل البنت .

وقيل : سميت فاتحة لأنها تفتح أبواب الجنة على وجوه مذكورة في مواضعها .

وقال أبو الحكم بن بَرَّجان^(١) في كتاب ” الإرشاد “،^(٢) : وجلة القرآن تشتملُ على ثلاثة علوم : علم أسماء الله تعالى وصفاته ، ثم علم النبوة وبراهينها ، ثم علم التكليف والحنّة . قال : وهو أعسر لإغرابه^(٣) وقلة انصراف الهمم إلى تطلبه من مكانه .

وقال غيره : القرآن يشتمل على أربعة أنواع من العلوم : أمر ، ونهى ، وخبر واستخبار . وقيل : ستة - وزاد الوعد ، والوعيد .

وقال محمد بن جرير الطبري^(٤) : يشتمل على ثلاثة أشياء : التوحيد ، والأخبار والديانات ؛ ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ » تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ . وهذه السورة تشمل التوحيد كله .

وقال علي بن عيسى^(٥) : القرآن يشتمل على ثلاثين شيئاً : الإعلام ، والتنبيه ، والأمر ، والنهى ، والوعد ، والوعيد ، ووصف الجنة ، والنار ، وتعليم الإقرار باسم الله ، وصفاته [وأفعاله]^(٦) ، وتعليم الاعتراف بإنعامه ، والاحتجاج على المخالفين ، والردّ على الملحدّين ، والبيان عن الرغبة ، والرغبة ، والخير ، والشر ، والحسن ، والقيبح ، ونعت الحكمة ، وفضل المعرفة ،

(١) هو أبو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن المعروف بابن برجان اللخمي الإشبيلي ؛ حامل لواء اللغة بالأندلس في عصره . توفي سنة ٦٢٧ . (بغية الوعاة ٣٠٦ ، شذرات الذهب ٥ : ١٢٤) .

(٢) كتابه الإرشاد في تفسير القرآن ، ذكره صاحب كشف الظنون وقال : « وهو تفسير كبير في مجلدات ؛ ذكر فيه من الأسرار والخواص ما هو مشهور فيما بين أهل هذا الشأن » .

(٣) ت : « لاغترابه » .

(٤) هو أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ؛ صاحب التفسير والتاريخ ، توفي سنة ٣١٠ . (وانظر ترجمته وأخباره في إنباه الرواة وحواشيه ٣ : ٨٩) .

(٥) هو علي بن عيسى بن علي الرماني ؛ صاحب التصانيف المشهورة في التفسير والتجو واللغة . توفي سنة ٣٨٤ . (إنباه الرواة ٢ : ٢٩٤) . (٦) تكمله من الإقنان فيما نقله عن الرماني

ومدح الأبرار ، وذمّ الفجار ، والتسليم ، والتحسين ، والتوكيد ، والتفريع ، والبيان عن ذم الإخلاف ، وشرف الأداء .

قال القاضي أبو المعالي عزيّزى^(١) : وعلى التحقيق أن تلك الثلاثة التي قالها محمد بن جرير تشمل هذه كلها بل أضعافها ؛ فإن القرآن لا يُستدرَك ولا تُحصَى غرائبُه وعجائبُه ؛ قال تعالى : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾^(٢) .

وقال غيره : علوم ألفاظ القرآن أربعة :

الإعراب ؛ وهو في الخبر .

والنظم ؛ وهو القصد ؛ نحو ﴿ وَاللَّائِي لَمْ يَحْضَنْ ﴾^(٣) ، معنى باطن نُظِمَ بمعنى ظاهر . وقوله : ﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ﴾^(٤) ؛ كأنه قيل : قالوا : ومن يبدأ الخلق ثم يعيده ؟ فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول : ﴿ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ﴾ ؛ لفظ ظاهر نُظِمَ بمعنى باطن .

والتصريف في الكلمة ؛ كأقسط : عدل ، وقسط : جار . وبُعد : ضد قرب ، وبُعد : هلك .

والاعتبار ؛ وهو معيار الأنحاء الثلاث ؛ وبه يكون الاستنباط والاستدلال ؛ وهو كثير ، منه ما يعرف بفحوى الكلام . ومعنى اعتبرت الشيء طلبت بيانه ، عبّرت الرؤيا بينتها ؛ قال الله تعالى : ﴿ فَاعْتَبِرُوا ﴾^(٥) بعد : ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ

(١) هو أبو المعالي عزيّزى بن عبد الملك الفقيه الشافعي المعروف بشيذلة ؛ وصاحب كتاب البرهان في مشكلات القرآن . توفي سنة ٤٩٤ . (وانظر ابن خلكان ١ : ٣١٨ ، شذرات الذهب ٣ : ٤٠١ ، وكشف الظنون ٢٤١) .

(٢) سورة الطلاق ٤ .

(٣) سورة الأنعام ٥٩ .

(٤) سورة الحشر ٢ .

(٥) سورة يونس ٣٤ .

الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ ﴿١﴾ دلّ على أن انتقامه بالخروج من الدار من أعظم الوجوه ،
و﴿أَوَّلَ الْخُسْرِ﴾ ﴿١﴾ دلّ ﴿٢﴾ على أن لها ﴿٣﴾ توابع ؛ لأن «أول» لا يكون إلا مع «آخر» ؛
وكان هذا في بني النضير ثم أهل نَجْرَان . ﴿مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا﴾ ﴿١﴾ إلا ﴿٢﴾ بنبا ، وأنهم
يستقلون عدد مَنْ كان مع النبي صلى الله عليه وسلم . ﴿وَلَوْ لَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ
الْجَلَاءَ﴾ ﴿٥﴾ فيه دليل على أن الإخراج مثل العذاب في الشدة ؛ إذ جعل بدله .

وقد يتعدد الاعتبار ؛ نحو أتاني غير ﴿٦﴾ زيد ، أى أتياه ، أو أتاه غير زيد ، لا هو . لو شئت
أنت لم أفعل ، أى أنت أمرتني أو نهيتني ؛ قال الله تعالى : ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبْدْنَا﴾ ﴿٧﴾ ردّ
عليهم بأن الله لا يأمر بالفحشاء ؛ بدليل قوله : ﴿وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ ﴿٨﴾ . ﴿وَإِذَا
حَلَلْتُمْ فَاطْطَافُوا﴾ ﴿٩﴾ ، فالاعتبار بإباحة .

ومن الاعتبار ما يظهر بآى آخر ؛ كقوله : ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ
بَصِيرًا﴾ ﴿١٠﴾ ، فهذه تعتبر بآخر ﴿١١﴾ الواقعة ؛ من أن الناس على ثلاثة منازل ؛ أى أحلّ كل فريق
في منزلة له ، والله بصير بمنزلهم .

(١) سورة الحشرة ٢

(٢) ت : « دال »

(٣) ت : « له » .

(٤ - ٤) كذا وردت العبارة في جميع الأصول ، وفيها غموض .

(٥) سورة الحشر ٣ (٦) ت : « عين » تحريف

(٧) سورة النحل ٣٥ (٨) سورة الأعراف ٢٨

(٩) سورة المائدة ٢ (١٠) سورة فاطر ٤٥

(١١) إشارة إلى قوله تعالى في آخر سورة الواقعة : ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ . فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ
وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ . وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ . فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ .
وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمَكْدُوبِينَ الضَّالِّينَ . فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ . وَتَصْلِيَةٌ جَعِيمَةٍ .

ومنه ما يظهر بالخبر كقوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ ﴾ ^(١) ،
بمعنى الحديث ^(٢) : إن اليهود قالوا : لو جاء به ميكائيل لاتبعناك ، لأنه يأتي بالخبر ، وجبريل
لم يأت بالخبر قط ، وأي خير أجل من القرآن !

ومن ضروب النظم قوله تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يَرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ﴾ ^(٣) ، إن حمل على أن
يعتبر أن العزة له لم ينتظم به ما بعده ، وإن حمل على معنى أن يعلم لمن العزة انتظم .

(١) سورة البقرة ٩٧ .

(٢) روى الطبري في تفسير هذه الآية عن ابن أبي ليلى : « قالت اليهود للمسلمين : لو أن ميكائيل كان
الذي ينزل عليكم لتبعناكم ؟ فإنه ينزل بالرحمة والغيث ، وإن جبريل ينزل بالعذاب والنقمة ، وهو لناعدو ،
قال : فنزلت هذه الآية : ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ ﴾ . وانظر الجزء الأول ص ٣٧٧ وما بعدها .

(٣) سورة فاطر ١٠ .

النوع الأول معرفة أسباب النزول



وقد اعتنى بذلك المفسرون في كتبهم ، وأفردوا فيه تصانيف ^(١) ؛ منهم علي بن
الدينى ^(٢) شيخ البخارى ، ومن أشهرها تصنيف ^(٣) الواحدى فى ذلك . وأخطأ من زعم
أنه لا طائل تحته ، لجريانه بحرى التاريخ ، وليس كذلك ، بل له فوائد :
منها وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم .

ومنها تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب .

ومنها الوقوف على المعنى ، قال الشيخ أبو الفتح القشبرى : بيان سبب النزول
طريق قوى فى فهم معانى الكتاب العزيز ؛ وهو أمر تحصل للصحابة بقرائن تحف
بالقضايا .

ومنها أنه قد يكون اللفظ عاما ، ويقوم الدليل على التخصيص ؛ فإن محل السبب لا يجوز

(١) حاشية ط : « س : مصنفات » .

(٢) هو أبو الحسن على بن عبد الله بن جعفر السعدى ، مولاه . توفى سنة ٢٣٤ . (وانظر ترجمته فى
تذكرة الحفاظ ٢ : ١٥ - ١٦)

(٣) طبع بمصر سنة ١٣١٥ هـ ، وعلى هامشه « كتاب النسخ والنسخ » ، لأبى القاسم بن هبة الله بن سلامة
البغدادى التوفى سنة ٤١٠ . وذكر السيوطى فى الإقتان ١ : ٢٨ أن الجعبرى اختصره ، لحذف أسانيده
ولم يزد عليه شيئا ، ثم قال : « وألف فيه شيخ الإسلام أبو الفضل بن حجر كتابا يلمع عنه مسودا فلم تقف
عليه كاملا . وقد ألفت فيه كتابا حافلا موجزا محررا لم يؤلف مثله فى هذا النوع ، سميته : لباب النقول فى
أسباب النزول » .

وقد طبع كتاب السيوطى بهامش تفسير الجلالين فى بولاق سنة ١٢٨٠ هـ .

إخراجه بالاجتهاد والإجماع ؛ كما حكاه القاضي ^(١) أبو بكر في " مختصر التقريب " ؛ لأن دخول السبب قطعي . ونقل بعضهم الاتفاق على أن لتقدم السبب على ورود العموم أثر . ولا التفات إلى ما نقل عن بعضهم من تجويز إخراج محل السبب بالتخصيص لأمرين : أحدهما أنه يلزم منه تأخير البيان عن وقت الحاجة ، ولا يجوز . والثاني أن فيه عدولاً عن محل السؤال ؛ وذلك لا يجوز في حق الشارع ؛ لئلا يلتبس على البائل . واتفقوا على أنه تعتبر النصوصية في السبب من جهة استحالة تأخير البيان عن وقت الحاجة ؛ وتؤثر أيضاً فيما وراء محل السبب ؛ وهو إبطال الدلالة على قول ، والضعف على قول .

ومن الفوائد أيضاً دفع توهم الحضر ؛ قال الشافعي ما معناه في معنى قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا ... ﴾ ^(٢) الآية : إِنَّ الْكُفَّارَ لَمَّا حَرَّمُوا مَا أَحَلَّ اللَّهُ ، وَأَحَلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ ، وكانوا على المضادة والحادة جاءت الآية مناقضة لغرضهم ؛ فكانه قال : لا حلال إلا ما حرّمتموه ؛ ولا حرام إلا ما أحلّتموه ؛ نازلاً منزلة من يقول : لا تأكل اليوم حلاوة ؛ فتقول : لا آكل اليوم إلا الحلاوة ؛ والغرض المضادة لا النفي والإثبات على الحقيقة ؛ فكانه قال : لا حرام إلا ما حلّتموه من الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهلّ لغير الله به ، ولم يقصد حلّ ما وراءه ؛ إذ القصد إثبات التحريم لا إثبات الحل .

قال إمام الحرمين ^(٣) : « وهذا في غاية الحسن ؛ ولولا سبق الشافعي إلى ذلك لما كنا

(١) هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني المتكلم المشهور ؛ وصاحب كتاب إيجاز القرآن وكتاب التقريب والإرشاد في أصول الفقه . وقد عمل مختصره له ، توفي سنة ٤٠٣ (ابن خلكان ١ : ٤٨١ ، الديباج المذهب ٢٧٦ ، شذرات الذهب ٢ : ٥٧) . وانظر مقدمة الأستاذ السيد أحمد صقر لكتاب إيجاز القرآن ص ٥٣ ، ٥٤ — طبعة دار المعارف .

(٢) سورة الأنعام ١٤٥

(٣) هو أبو المعالي عبد الملك بن أبي عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني الشافعي العراقي ، شيخ الإمام الفزائي ، وأعلم المتأخرين من أصحاب الشافعي ، توفي سنة ٤٧٨ . (وانظر ترجمته في ابن خلكان ١ : ٢٨٧) .

نستجيز مخالفة مالك في حصر المحرمات فيما ذكرته الآية . وهذا قد يكون من الشافعي أجراه مجرى التأويل . ومن قال بمراعاة اللفظ دون سببه لا يمنع من التأويل .

وقد جاءت [آيات] ^(١) في مواضع اتفقوا على تعديتها إلى غير أسبابها ؛ كنزول آية ^(٢) الظهار في سلمة بن صخر ، وآية اللعان في شأن هلال بن أمية ^(٣) ، ونزول حد القذف في رمة عائشة رضي الله عنها ، ثم تعدى إلى غيرهم ، وإن كان قد قال سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ﴾ ^(٤) ، فجمعها مع غيرها ؛ إما تعظيماً لها إذ أنها أم المؤمنين —

(١) زيادة يقتضيها السياق ، وانظر الإتيان ١ : ٢٩ .

(٢) سورة المجادلة ١ — ٤ ، والخبر رواه ابن ماجة بسنده في كتاب الطلاق باب الظهار عن سلمة بن صخر قال : « كنت امرأة أستكثر من النساء ؛ لأرى رجلاً كان يصيب من ذلك ما أصيب ، فلما دخل رمضان ظهرت من امرأتى حتى ينسلخ رمضان ؛ فينماى تحدثنى ذات ليلة انكشفتى منها شيء ، فوثبت عليها فواقعتها ؛ فلما أصبحت غدوت على قومي فأخبرتهم خبرى وقلت لهم : سلوا لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : ما كنا نعلم ؛ إذا ينزل الله فينا كتاباً أو يكون فينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قول فيبقى علينا عاره ، ولكن سوف نملك مجرى ربك ، اذهب أنت فاذكر شأنك لرسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فخرجت حتى جئت فأنخبرته الخبر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنت بذلك ؟ فقلت : أنا بذلك ؛ وهأنا يا رسول الله صابر لحكم الله على . قال : فأعترق رقبة ؛ قال : قلت : والذي بعثك بالحق ، ما أصبحت أملك إلا رقبتي هذه ؛ قال : فسم شهرين متتابعين ، قال : قلت : يا رسول الله ؛ وهل دخل على ما دخل من البلاء إلا بالصوم ؛ قال : فتصدق أو أطعم ستين ممسكينا ، قال : قلت : والذي بعثك بالحق ، لقد بتنا ليلتنا هذه ما لنا عشاء ؛ قال : فاذهب إلى صاحب صدقة بنى زريق فقل له : فليدفعها إليك ؛ وأطعم ستين مسكيناً وانتفع بيقيتها . قال ابن كثير : إن الذى نزلت فيه آية الظهار هو أوس بن الصامت ؛ وأما حديث سلمة بن صخر فليس فيه أنه سبب النزول ؛ ولكن أمر بما أنزل الله في هذه السورة من العتق أو الصيام أو الإطعام . (وانظر تفسير ابن كثير ٤ : ٣١٨ — ٣٢٢)

(٣) هو هلال بن أمية الخزاعي ؛ أحد الثلاثة الذين خلفوا ثم تاب الله عليهم ؛ نزل فيه قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شَهَادَةٌ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ﴾ ، [سورة النور ٦] . وانظر تفصيل الخبر في تفسير ابن كثير ٣ : ٢٦٥ وما بعدها ..

(٤) سورة النور ٤

ومن رمى أمّ قوم فقد رماه - وإما للإشارة إلى التعميم ؛ ولكن الرماة لها كانوا
معلومين ، فتعدّى الحكم إلى مَنْ سواهم ؛ فمن يقول ببراءة حكم اللفظ كانت الاتفاق
ها هنا هو مقتضى الأصل ، ومن قال بالقصر على الأصل خرج عن الأصل في هذه
الآية بدليل . ونظير هذا تخصيص الاستعاذة بالإناث في قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ
فِي الْعُقَدِ ﴾ ^(١) ، لخروجه على السبب ؛ وهو أن بنات كبيد سحرن رسول الله صلى الله
عليه وسلم .

كذا قال أبو عبيد ؛ وفيه نظر ؛ فإن الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم هو لبيد ^(٢)
ابن الأعصم كما جاء في الصحيح ^(٣) .

وقد تنزل الآيات على الأسباب خاصة ، وتوضع كل واحدة منها مع ما يناسبها من
الآي رعاية لنظم القرآن وحسن السياق ؛ فذلك الذي وضعت معه الآية نازلة على سبب
خاص للمناسبة ؛ إذا كان مسوقاً لما نزل في معنى يدخل تحت ذلك اللفظ العام ؛ أو كان
من جملة الأفراد الداخلة وضما تحت اللفظ العام ؛ فدلالة اللفظ عليه ؛ هل هي كالسبب
فلا يخرج ويكون مراداً من الآيات قطعاً ؟ أو لا ينتهي في القوة إلى ذلك ؛ لأنه قد يُراد
غيره ، وتكون المناسبة مشبهة به ؟ فيه احتمال .

(١) سورة القلق ٣

(٢) حاشية ط : « وجه الجمع ظاهر إذ قد يكون هو الأمر ؛ ومن الفاعلات ، والله أعلم » .

(٣) صحيح البخارى ، كتاب بدء الخلق (٢ : ٢٢٠) ولفظه فيه : « عن عائشة رضي الله عنها قالت : سحر النبي صلى
الله عليه وسلم حتى كان يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله ؛ حتى كان ذات يوم دعا ودعا ، ثم قال :
أشعرت أن الله أفناني فيما فيه شفائي ، أتاني رجلان ، فقعده أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي ؛ فقال
أحدهما للآخر : ما وجه الرجل ؟ قال : مطبوب ، قال : ومن طبه ؟ قال : لبيد بن الأعصم ، قال : فيما ذا ؟
قال : في مشط ومشاقة وجف طلعة ذكر ؛ قال : فأين هو ؟ قال : في بئر ذروان ؛ فخرج إليها النبي صلى
الله عليه وسلم ثم رجع فقال لعائشة حين رجع : نخلها كأنه رموس الشياطين ، فقالت : استخرجته ؟ قال : لا ،
أما أنا فقد شفاني الله ؛ وخشيت أن يشير ذلك على الناس شراً ؛ ثم دفنت البئر » .

واختار بعضهم أنه رتبة متوسطة دون السبب وفوق العموم المجرد ؛ ومثاله قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ ^(١) ؛ فإن مناسبتها للآية التي قبلها ، وهي قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَنَبَتِ وَالطَّافُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴾ ^(٢) أن ذلك إشارة إلى كعب بن الأشرف ، كان قدِم إلى مكة وشاهد قتلى بدر وحرّض الكفار على الأخذ بثأرهم ، وغزو النبي صلى الله عليه وسلم ، فسأله : مَنْ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ؟ النبي صلى الله عليه وسلم ، أَوْهَمْ ؟ فقال : أَنْتُمْ - كذباً منه وضلالة - لعنه الله ! فتلك الآية في حقه وحق مَنْ شارَكَه في تلك المقالة ؛ وهم أهلُ كتابٍ يَجِدُونَ عِندَهُمْ في كتابهم بعثَ النبي صلى الله عليه وسلم وصفته ، وقد أخذت عليهم الموائيقُ ألا يَكْتُمُوا ذلك وأن ينصروه ؛ وكان ذلك أمانة لازمة لهم فلم يؤدوها وخانوا فيها ؛ وذلك مناسب لقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ . قال ابن العربي ^(٣) في تفسيره : وجه النظم أنه أخبر عن كتمان أهل الكتاب صفة محمد صلى الله عليه وسلم ، وقولهم : إن المشركين أَهْدَىٰ سَبِيلًا . فكان ذلك خِيَانَةً منهم ؛ فأنجز الكلام إلى ذكر جميع الأمانات . انتهى .

ولا يرد على هذا أن قصة كعب بن الأشرف كانت عَقِبَ بدر ، ونزول ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ ﴾ في الفتح أَوْ قَرِيباً منها ؛ وبينهما ست سنين ؛ لأن الزمان إنما يشترط في سبب النزول ، ولا يشترط في المناسبة ؛ لأن المقصود منها وضع آية في موضع يناسبها ؛ والآيات كانت تنزل على أسبابها ، ويأمر النبي صلى الله عليه وسلم بوضعها في المواضع التي علم من الله تعالى أنها مواضعها .

(١) سورة النساء ٨٨

(٢) سورة النساء ٥١

(٣) حاشية ط : « لعنه الإمام أبو بكر المالكى العالم الحجة الجليل » .

ومن فوائد هذا العلم إزالة الإشكال ؛ ففي الصحيح^(١) عن مروان بن الحكم أنه بعث إلى ابن عباس يسأله : لئن كان كل امرئ فرح بما أوتي وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا لتعذب بن أجمعون ! فقال ابن عباس : هذه الآية نزلت في أهل الكتاب ؛ ثم تلا : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾^(٢) إلى قوله : ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُوتُوا وَيُحِيطُونَ أَنَّ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ﴾^(٣) . قال ابن عباس : سألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء فكتموه وأخبروه بغيره ؛ فخرجوا وقد أرووه أن قد أخبروه بما سألهم عنه ؛ فاستحمدوا بذلك إليه ؛ وفرحوا بما أوتوا من كتابهم ما سألهم عنه . انتهى

قال^(٤) بعضهم : وما أجاب به ابن عباس عن سؤال مروان لا يكفي ؛ لأن اللفظ أعم من السبب ؛ ويشهد له قوله صلى الله عليه وسلم : « المتشبع بما لم يُعط كالابس ثوبين »

(١) صحيح البخارى في باب التفسير ٣ : ١١٥ بسنده عن علقمة بن وقاص : « أن مروان قال ليوأبه : اذهب يارافع إلى ابن عباس فقل : لئن كان كل امرئ فرح بما أوتي وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا لتعذب بن أجمعون ! فقال ابن عباس : وما لكم ولهنه ! إنما دعا النبي صلى الله عليه وسلم يهود ، فسألهم شيء عن فكتموه إياه وأخبروه بغيره ، فأرووه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم ، وفرحوا بما أوتوا من كتابهم . ثم قرأ ابن عباس : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ ﴾ حتى قوله : ﴿ يَفْرَحُونَ بِمَا أُوتُوا وَيُحِيطُونَ أَنَّ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ﴾ ، (وانظر تفسير ابن كثير ١ : ٢٦ ؛ وما بعدها) .

(٢) سورة آل عمران ١٨٧

(٣) سورة آل عمران ١٨٨

(٤) - ٤ : حاشية ط . « من قوله : قال .. إلى .. لا يكفي ، غير ثابت في النسخة التي بخط المصنف ، وفيها

بدله ، وهذا الجواب مشكل » .

زُور^(١)»، وإنما الجواب أن الوعيد مرتبٌ على أثر الأمرين المذكورين؛ وهما الفرح وحبُّ الحمد؛ لا عليهما أنفسهما؛ إذ هما من الأمور الطبيعية التي لا يتعلق بها التكليف أمراً ولا نهياً.

قلت: لا يخفى عن ابن عباس رضى الله عنه أن اللفظ أعمُّ من السبب؛ لكنه بين أن المراد باللفظ خاص؛ ونظيره تفسير النبي صلى الله عليه وسلم الظلم بالشُّرك فيما سبق.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعُمُوا﴾^(٢) الآية؛ فحكى عن عثمان بن مظعون وعمر بن معديكرب أنها كانا يقولان: الحمر مباحة، ويحتجَّان بهذه الآية، وخفى عليهما سبب نزولها؛ فإنه يمنع من ذلك؛ وهو ما قاله الحسن وغيره^(٣): لما نزل تحريمُ الحمر، قالوا: كيف ياخواننا الذين ماتوا وهم في بطونهم، وقد أخبر الله أنها رجس! فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ﴾.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَاللَّائِي يَكْسِنُ مِنْ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرَبْتُمْ...﴾^(٤) الآية، قد أشكل معنى هذا الشرط على بعض الأئمة؛ وقد بينه سبب النزول^(٥)؛ رُوى (١) رواه البخارى فى كتاب النكاح (٣ : ٢٦٣) بسنده عن هشام : « حدثنى فاطمة عن أسماء أن امرأة قالت : يا رسول الله ، إن لى ضرة فهل على جناح إن تشبعت من زوجى غير الذى يعطينى ؟ فقال رسول الله صلى الله وسلم : المنتبج بما لم يعط كلايس ثوبى زور » .

(٢) سورة المائدة ٩٣

(٣) نقله ابن كثير فى التفسير (١ : ٩٧) عن أحمد بسنده عن ابن عباس قال : لما حرمت الحمر قال ناس : يا رسول الله ، أصحابنا الذين ماتوا وهم يشربونها ! فأنزل الله : ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعُمُوا﴾ إلى آخر الآية . وانظر أسباب النزول للواحدي ١٩٦ .

(٤) سورة الطلاق ٤

(٥) نقله ابن كثير فى التفسير (٤ : ٣٨١) عن ابن جرير بسنده عن عمرو بن سالم قال : « قال أبو ابن كعب : يا رسول الله ، إن عددا من عدد النساء لم تذكر فى الكتاب : الصغار والكبار وأولات الأحمال ، قال : فأنزل الله عز وجل : ﴿وَاللَّائِي يَكْسِنُ مِنْ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرَبْتُمْ فَعَذَابُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحْضَنْ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ » .

أن ناساً قالوا : يا رسول الله ؛ قد عرفنا عدة ذواتِ الأقراء ؛ فما عدةُ اللاتي لم يحضنَ من الصغار والكبار ؟ فنزلت ؛ فهذا يبين معنى : ﴿ إِنِ ارْتَبْتُمْ ۙ أَىٰ إِنَّ أَشْكَالَ عَلَيْكُمْ حُكْمُهُنَّ ، وَجَهِلْتُمْ كَيْفَ يَعْتَدْنَ ۚ فَهَذَا حُكْمُهُنَّ .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَهُوَ وَجْهُ اللَّهِ ۙ ﴾ (١) ؛ فإننا لو تركنا مدلول اللفظ لاقضى أن المصلى لا يجب عليه استقبال القبلة سفراً ولا حضراً ؛ وهو خلاف الإجماع ؛ فلا يفهم مراد الآية حتى يعلم سببها ؛ وذلك أنها نزلت لما صلى النبي صلى الله عليه وسلم على راحته ؛ وهو مستقبل من مكة إلى المدينة ؛ حيث توجهت به ؛ فعلم أن هذا هو المراد .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إِن مِّنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ ۙ ﴾ (٢) ؛ فإن سبب نزولها أن قوماً أرادوا الخروج للجهاد ؛ فمنعهم أزواجهم وأولادهم ؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية ؛ ثم أنزل في بقيتها ما يدل على الرحمة وترك المؤاخذه ؛ فقال : ﴿ وَإِن تَعَفَّوْا وَتَصَنَّفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۙ ﴾ (٣) .

فصل

[فيما نزل مكرراً]

وقد يُنزل الشيء مرتين تعظيماً لشأنه ، وتذكيراً به عند حدوث سببه خوف نسيانه ؛ وهذا كما قيل في الفاتحة نزلت مرتين : مرة بمكة ، وأخرى بالمدينة ؛ وكما ثبت في

(١) سورة البقرة ١١٥

(٢) سورة التغابن ١٤

الصحيحين عن أبي عثمان التَّهْدِيُّ عن ابن مسعود^(١) : أن رجلاً أصاب من امرأة قبله ،
فأتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخبره ؛ فأنزل الله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ
وَزُلْفَا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾^(٢) ، فقال الرجل : إلى هذا ؟ فقال :
بل لجميع أمتي . فهذا كان في المدينة ؛ والرجل قد ذكر الترمذى أو غيره أنه أبو اليسر .
وسورة هود مكية بالاتفاق ؛ ولهذا أشكل على بعضهم هذا الحديث مع ما ذكرنا ، ولا
إشكال ، لأنها نزلت مرة بعد مرة .

ومثله ما في الصحيحين^(٣) عن ابن مسعود في قوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ﴾^(٤)
أنها نزلت لما سأل اليهود عن الروح وهو في المدينة ، ومعلوم أن هذه في سورة
﴿ سُبْحَانَ ﴾ ؛ وهي مكية بالاتفاق ؛ فإن المشركين لما سألوه عن ذى القرنين وعن أهل
الكهف قيل ذلك بمكة وأن اليهود أمروهم أن يسألوه عن ذلك ؛ فأنزل الله الجواب كما
قد بسط في موضعه .

وكذلك ما ورد في ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ ﴾^(٥) أحدٌ ؛ أنها جواب للمشركين بمكة ، وأنها جواب
لأهل الكتاب بالمدينة .

(١) نقله ابن كثير في التفسير (٢ . ٤٢٦) .

(٢) سورة هود ١١٤ . قال ابن كثير : « طرفا النهار : الصبح في أول النهار والظهر والعصر مرة
أخرى ، وزلفا من الليل ؛ يعنى المغرب والعشاء » .

(٣) رواه البخارى ومسلم من حديث الأعمش به ، ولفظ البخارى في كتاب التفسير (٣ : ١٥١ - ١٥٢)
عن عبد الله بن مسعود : « بينا أنا أمتشى مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرث ، وهو متكئ على عسيب
إذ مر اليهود فقال بعضهم لبعض : سلوه عن الروح ، فقال : ما رايبكم إليه ، وقال بعضهم : لا يستقبلنكم
بشيء ، تكرهونه ، فقالوا : سلوه ؛ فسألوه عن الروح فأمسك النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم
شيئا ، فعلمت أنه يوحى إليه ، فقمت مقامى ، فلما نزل الوحي قال : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ
قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ، ونقله ابن كثير أيضا في التفسير
(٣ : ٦٠) عن أحمد بسنده عن ابن مسعود .

(٤) سورة الإسراء ٨٥ . (٥) الإخلاص !

وكذلك ماورد في الصحيحين من حديث المسيب^(١) لما حضرت أبا طالب الوفاة؛ وتلكاً عن الشهادة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والله لأستغفرنَّ لك ما لم أُنَّه»، فانزل الله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ﴾^(٢)، وانزل الله في أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾^(٣)، وهذه الآية نزلت في آخر الأمر بالاتفاق؛ وموت أبي طالب كان بمكة؛ فيمكن أنها نزلت مرة بعد أخرى، وجعلت أخيراً في «براءة».

والحكمة في هذا كله أنه قد يحدث سبب من سؤال أو حادثه تقتضي نزول آية؛ وقد نزل قبل ذلك ما يتضمنها، فتؤدي تلك الآية بعينها إلى النبي صلى الله عليه وسلم تذكرياً لهم بها، وبأنها تتضمن هذه؛ والعالم قد يحدث له حوادث، فيتذكر أحاديث وآيات تتضمن الحكم في تلك الواقعة وإن لم تكن خطرت له تلك الحادثة قبل؛ مع حفظه لذلك النص.

وما يذكره المفسرون من أسباب متعددة لنزول الآية قد يكون من هذا الباب؛ لا سيما وقد عرف من عادة الصحابة والتابعين أن أحدهم إذا قال: نزلت هذه الآية

(١) ونقله ابن كثير في التفسير (٢: ٣٩٣) أيضاً عن أحمد بسنده عن المسيب . ولفظ البخاري: «لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أي عم، قل: لا إله إلا الله أحج لك بها عند الله، فقال أبو جهل وعبد الله بن أمية: يا أبا طالب، أرغب عن ملة عبد المطلب! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لأستغفرنَّ لك ما لم أُنَّه عنك؛ فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ...﴾ إلى ﴿إِنَّهُمْ رِجِيمٌ﴾، ورواه البخاري أيضاً في باب التفسير.

(٢) (١٧٣: ٣) عن المسيب .

(٣) سورة التوبة ١١٣ .

(٤) سورة القصص ٥٦ .

في كذا فإنه يريد بذلك أن هذه الآية تتضمن هذا الحكم ؛ لأنّ هذا كان السبب في نزولها . وجماعة من المحدثين يجعلون هذا من المرفوع المسند ؛ كما في قول ابن عمر في قوله تعالى : ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثُكُمْ ﴾^(١) ؛ وأما الإمام أحمد^(٢) فلم يُدخله في المسند ؛ وكذلك مسلم^(٣) وغيره ، وجعلوا هذا مما يقال بالاستدلال وبالتأويل ؛ فهو من جنس الاستدلال على الحكم بالآية ؛ لا من جنس النقل لما وقع .

فصل

[خصوص السبب وعموم الصيغة]

وقد يكون السبب خاصاً والصيغة عامة ؛ لينبّه على أن العبرة بعموم اللفظ . وقال الزمخشري في نفس سورة الهمزة : يجوز أن يكون السبب خاصاً والوعيد عاماً ؛ ليتناول كلّ مَنْ باشر ذلك القبيح ؛ وليكون جارياً مجرى التعريض بالوارد فيه ؛ فإنّ ذلك أزجر له ، وأنكى فيه .

[تقدّم نزول الآية على الحكم]

واعلم أنه قد يكون النزول سابقاً على الحكم ؛ وهذا كقوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴾^(٤) ؛ فإنه يُستدلّ بها على زكاة الفطر ؛ رَوَى البيهقي بسنده إلى ابن عمر

(١) سورة البقرة ٢٢٣

(٢) هو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل ، صاحب كتاب المسند ؛ ولد سنة ١٦٤ وتوفي سنة ٢٤١ . (وانظر ترجمته وأخباره في تاريخ الإسلام للذهبي - وفیات ٢٤١) .

(٣) هو أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري ، صاحب الصحيح ، وأحد الأئمة الحفاظ وأعلام المحدثين ، توفي سنة ٢٦١ . (وانظر ترجمته في ابن خلكان ٢ : ٩١)

(٤) سورة الأعلى ١٤

أنها نزلت في زكاة رمضان ؛ ثم أسند مرفوعاً نحوه . وقال بعضهم : لا أدرى ما وجه هذا التأويل ! لأن هذه السورة مكّية ؛ ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة .

وأجاب البغوي^(١) في تفسيره بأنه يجوز أن يكون النزول سابقاً على الحكم ؛ كما قال : ﴿ لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ . وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾^(٢) ؛ فالسورة مكّية ، وظهر أثر الحلة يوم فتح مكة ؛ حتى قال عليه السلام : « أُحِلَّتْ لِي سَاعَةٌ مِنْ نَهَارٍ » .

وكذلك نزل بمكة : ﴿ سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُؤْتُونَ الدُّبْرَ ﴾^(٣) ، قال عمر بن الخطاب : كنت لا أدرى أيّ الجمع يهزم ؛ فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ﴿ سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُؤْتُونَ الدُّبْرَ ﴾ .

فائدة

روى البخاري^(٤) في كتاب " الأدب المفرد " ، في برِّ الوالدين عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : نزلت في أربع آيات من كتاب الله عز وجل : كانت أمي حلفت ألا تأكل ولا تشرب ، حتى أفارق^(٥) محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فأنزل الله تعالى : ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾^(٦) ، والثانية أني كنت أخذت سيفاً فأعجبني ، فقلت : يا رسول الله ، هب لي هذا ؛

(١) هو أبو محمد الحسن بن مسعود بن محمد البغوي الفقيه الشافعي ، صاحب كتاب مصابيح السنة في الحديث ، ومعام التنزيل في التفسير . توفي سنة ٥١٠ هـ . (ابن خلكان ١ : ١٤٦) .

(٢) سورة البلد ١ ، ٢ .

(٣) سورة القمر ٤٥ .

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري ، الإمام ، عالم الحديث وصاحب الجامع الصحيح ، توفي سنة ٢٥٦ هـ . (ابن خلكان ١ : ٢٥٦ - ٢٥٧) .

(٥) في الأصول : « تفارق » ، وما أثبتته عن كتاب الأدب المفرد .

(٦) سورة لقمان ١٥ .

فنزلت : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ ﴾ ^(١) ، والثالثة أنى كنت مرضت ، فأتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله ، إنى أريد أن أقسم مالى [أفأوصى] ^(٢) بالنصف ؟ فقال : لا ، فقلت : الثالث ؟ فسكت ؛ فكان الثالث بعد جائزاً ^(٣) . والرابعة أنى شربت الخمر مع قوم من الأنصار ، فضرَبَ رجلٌ منهم أُنثى [بلحَى جمل] ^(٤) ؛ فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله [عز وجل] ^(٥) تحريمَ الخمر ^(٦) .

وأعلم أنه جرت عادةُ المفسرين أن يبدؤوا بذكر سبب النزول ، ووقع البحث : أيتما أولى البداءةُ به : بتقدُّم السبب على السبب ؛ أو بالمناسبة ، لأنها المصححة لنظم الكلام ؛ وهى سابقةٌ على النزول ؟

والتحقيق التفصيل ؛ بين أن يكون وجهُ المناسبة متوقفاً على سبب النزول كآلية السابقة فى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ ^(٥) ، فهذا ينبغى فيه تقديم ذكر السبب ؛ لأنه حينئذٍ من باب تقديم الوسائل على المقاصد ؛ وإن لم يتوقف على ذلك فالأولى تقديم وجهِ المناسبة .

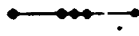
(٣) فى الوصية نزل قوله تعالى فى سورة البقرة ٢٨ : ﴿ كَتَبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ

الْمَوْتُ أَنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْأَقْرَبِينَ ﴾ .

(٤) سورة المائدة ٩٠ ، وانظر ص ٢٦ . (٥) سورة النساء ٥٨

النوع الثاني

معرفة المناسبات بين الآيات



وقد أفرد بالتصنيف الأستاذ أبو جعفر بن الزبير^(١)؛ شيخ الشيخ أبي حيان. وتفسير الإمام فخر الدين فيه شيء كثير من ذلك^(٢).

واعلم أن المناسبة علم شريف، تحزّر به العقول، ويعرف به قدر القائل فيما يقول. والمناسبة في اللغة: المقاربة، وفلان يناسب فلانا، أى يقرب منه ويشاكله، ومنه النسيب الذى هو القريب المتصل، كالأخوين وابن العم^(٣) ونحوه؛ وإن كانا متناسين بمعنى رابط بينهما، وهو القرابة. ومنه المناسبة فى العلة فى باب^(٤) القياس: الوصف المقارب للحكم؛ لأنه إذا حصلت مقاربتة له ظن عند وجود ذلك الوصف وجود الحكم؛ ولهذا قيل: المناسبة أمر معقول؛ إذا عرض على العقول تلقته بالقبول. وكذلك المناسبة فى فواتح الآى وخواتمها؛ ومرجعها - والله أعلم - إلى معنى ما رابط بينهما: عام أو خاص، عقلى أو حتى أو خيالى؛ وغير ذلك من أنواع العلاقات. أو التلازم الذهنى؛ كالسبب والسبب، والعلة والمعلول، والنظيرين، والضدين، ونحوه. أو التلازم الخارجى؛ كالترتب على ترتيب

الوجود الواحد فى نفس الخبر.

(١) الشيخ أبو جعفر بن الزبير، المتوفى سنة ٨٠٧. (وأصل ترجمته فى الدرر الكامنة ٣: ٨٤ - ٨٦).

(٢) ومن ألف فى هذا الموضوع أيضاً الشيخ برهان الدين البقاعي فى كتاب سماه: "نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور"، ومنه نسخ خطية بدار الكتب المصرية.

(٣ - ٣) ساقط من م.

وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض ، فيقوى بذلك الارتباط ،
وبصير التأليف حاله حال البناء المحكم ، المتلائم الأجزاء .

وقد قلّ اعتناء المفسرين بهذا النوع لدقته ؛ ومن أكثر منه الإمام فخر الدين الرازي
وقال في تفسيره : أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط .

وقال بعض الأئمة : من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض ، لئلا يكون منقطعاً .

وهذا^(١) النوع مهمله بعض المفسرين ، أو كثير منهم ، وفوائده غزيرة . قال القاضي أبو
بكر بن العربي في : "سراج المريدين" : ارتباط آي القرآن بعضها ببعض^(٢) حتى تكون
كالكلمة الواحدة ، متسقة المعاني ، منتظمة المباني علم ، عظيم ، لم يتعرض له إلا عالم واحد
عمل فيه سورة البقرة ، ثم فتح الله عز وجل لنا فيه ؛ فلما^(٣) لم نجد له حكمة ، ورأينا الخلق
بأوصاف البطلة ختمنا عليه ، وجعلناه بيننا وبين الله ، ورددناه إليه .

وقال الشيخ أبو الحسن الشهرستاني^(٤) : أول من أظهر ببغداد علم المناسبة ولم تكن
سمعناه من غيره هو الشيخ الإمام أبو بكر النيسابوري^(٥) ؛ وكان غزير العلم في الشريعة
والأدب ، وكان يقول على الكرسي إذا قرئ عليه الآية : لم جعلت هذه الآية إلى جنب
هذه ؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة ؟ وكان يُزري على علماء
بغداد لعدم علمهم بالمناسبة . انتهى .

(١-١) ساقط من ت ، م .

(٢) في الأصول : « أنا » ، وصوابه من كتاب الإقتان (٢ : ١٠٨) ، فيما نقل عن ابن العربي .

(٣) منسوب إلى شهرابان ؛ قرية شرقي بغداد ينسب إليها كثير من العلماء .

(٤) هو أبو بكر عبد الله بن محمد زياد النيسابوري الفقيه الشافعي الحافظ ، رحل في طلب العلم إلى العراق
والشام ومصر ، وقرأ على المزني ، ثم سكن بغداد ، وصار إماماً لشافعية بالعراق ، وتوفي سنة ٣٢٤ . (الباب

٣ : ٢٥٢ ، طبقات القراء ١ : ٤٤٩ ، شذرات الذهب ٢ : ٣٠٢) .

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام^(١) : المناسبة علم حسن ؛ ولكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره ، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر .

قال : ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك يصاب عنه حسن الحديث فضلاً عن أحسنه ؛ فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة ولأسباب مختلفة ؛ وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض ؛ إذ لا يحسن أن يرتبط تصرف الإله في خلقه وأحكامه بعضها ببعض ؛ مع اختلاف العلل والأسباب ؛ كتصرف الملوك والحكام والمتقين ، وتصرف الإنسان نفسه بأمور متوافقة ومتخالفة ومتضادة . وليس لأحد أن يطلب ربط بعض تلك التصرفات مع بعض ، مع اختلافها في نفسها واختلاف أوقاتها . انتهى .

قال بعض مشايخنا المحققين : قد وهم من قال : لا يُطلب للآي الكريمة مناسبة ؛ لأنها على حسب الوقائع المتفرقة . وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلاً ، وعلى حسب الحكمة ترتيباً ؛ فالمصحف كالصحف الكريمة على وفق ما في الكتاب المكنون ، مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف . وحافظ القرآن العظيم^(٢) لو استفتى في أحكام متعددة ، أو ناظر فيها ، أو أملاها لذكر آية كل حكم على ما سئل ، وإذا رجع إلى التلاوة لم يَنلُ كما أفنى ، ولا كما نزل مفرقاً ؛ بل كما أنزل جملة إلى بيت العزة . ومن المعجز البين أسلوبه ، ونظمه الباهر ؛ فإنه ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ، ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾^(٣) . قال : والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها ، أو مستقلة . ثم المستقلة ؛ ما وجه مناسبتها لما قبلها ؟ ففي ذلك علم جم ؛ وهكذا في السور يُطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سبقت له .

(١) هو الإمام عبد العزيز بن عبد السلام المشهور بالعزيز ، ولد سنة ٥٧٧ هـ وتوفي سنة ٦٦٠ هـ . (وانظر ترجمته في طبقات الشافعية ٥ : ٨٠ - ١٠٧) .

(٢) ت : « المجيد » . (٣) سورة هود ١ .

قلت : وهو مبنى على أن ترتيب السور توقيفي ؛ وهذا الراجح كما سيأتى ، وإذا
اعتبرت افتتاح كل سورة وجدته فى غاية المناسبة لما ختم به السورة قبلها ؛ ثم هو يخفى
تارة ويظهر أخرى ؛ كافتتاح سورة الأنعام بالحمد ، فإنه مناسب لختم سورة المائدة من
فصل القضاء ؛ كما قال سبحانه : ﴿ وَقَضَىٰ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴾ ^(١) . وكافتتاح سورة فاطر بـ ﴿ الْحَمْدُ ﴾ أيضاً ؛ فإنه مناسب لختم ما قبلها
من قوله : ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ ﴾ ^(٢) ؛
وكما قال تعالى : ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٣) . وكافتتاح
سورة الحديد بالتسبيح ، فإنه مناسب لختم سورة الواقعة ، من الأمر به ^(٤) . وكافتتاح سورة
البقرة بقوله : ﴿ أَلَمْ يَكُنْ لَكَ كِتَابٌ لَّا رَيْبَ فِيهِ ﴾ ^(٥) إشارة إلى ﴿ الصِّرَاطِ ﴾ فى قوله :
﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ ^(٦) ؛ كأنهم لما سألوا الهداية إلى الصراط المستقيم قيل لهم :
ذلك الصِّرَاطُ الذى سألتم الهداية إليه هو الكتاب .

وهذا معنى حسن يظهر فيه ارتباط سورة البقرة بالفاتحة ؛ وهو يرد سؤال الزمخشري
فى ذلك .

وتأمل ارتباط سورة ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴾ ^(٧) بسورة الفيل ؛ حتى قال الأخفش :
اتصالها بها من باب قوله : ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لَئِيْكَوْنَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ ^(٨) .

(٢) سورة سبأ : ٥٠

(١) سورة الزمر ٧٥

(٣) سورة الأنعام ٤٥

(٤) إشارة إلى ختم سورة الواقعة بقوله تعالى : ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ . وافتتاح سورة الحديد

بقوله سبحانه : ﴿ سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ .

(٦) سورة الفاتحة ٦

(٥) سورة البقرة ١

(٨) سورة القصص ٨

(٧) سورة قريش ١

ومن لطائف سورة الكوثر أنها كالمقابلة للتي قبلها ؛ لأن السابقة قد وصف الله فيها المنافق بأمور أربعة : البخل ، وترك الصلاة ، والرياء فيها ، ومنع الزكاة ؛ فذكر هنا في مقابلة البخل : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ ^(١) أى الكثير . وفي مقابلة ترك الصلاة « فَصَلِّ » أى دُم عليها ؛ وفي مقابلة الرياء ﴿ لِرَبِّكَ ﴾ ، أى لرضاه لا للناس ، وفي مقابلة منع الماعون : ﴿ وَانْحَرْ ﴾ ؛ وأراد به التصديق بلحم الأضاحى ؛ فاعتبر هذه المناسبة العجيبة .

وكذلك مناسبة فاتحة سورة الإسراء بالتسبيح ، وسورة الكهف بالتحميد ؛ لأن التسبيح حيث جاء مقدّم على التحميد ؛ يقال : سبحان الله ، والحمد لله .

وذكر الشيخ كال الدين الزمكاني ^(٢) في بعض دروسه مناسبة أُستفادها بذلك ما ملخصه : إن سورة بنى إسرائيل أفتتحت بحديث الإسراء ؛ وهو من الخوارق الدائمة على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه رسول من عند الله ، والمشركون كذّبو ذلك وقالوا : كيف يسير في ليلة من مكة إلى بيت المقدس ! وعادوا وتعنتوا وقالوا : صِف لنا بيت المقدس ؛ فرفع له حتى وصفه لهم . والسبب في الإسراء أولاً لبيت المقدس ، ليكون ذلك دليلاً على صحة قوله بصعود السموات ؛ فافتتحت بالتسبيح تصديقاً لنبية فيما ادّعاه ؛ لأن تكذيبهم له تكذيب عناد ، فنزّه نفسه قبل الإخبار بهذا الذى كذّبوه . وأما الكهف فإنه لما احتبس الوحي ، وأرجف الكفار بسبب ذلك ، أنزلها الله ردّاً عليهم ، وأنه لم يقطع نعمه عن نبيه صلى الله عليه وسلم ، بل أتمّ عليه بإزالة الكتاب ، فناسب افتتاحها بالحمد على هذه النعمة . وإذا ثبت هذا بالنسبة إلى الشور ، فما ظنك بالآيات وتعلق بعضها ببعض ! بل عند التأمل يظهر أن القرآن كله كالكلمة الواحدة .

(١) سورة الكوثر ١

(٢) هو كمال الدين محمد بن عبد الواحد الزمكاني الشافعي صاحب كتاب البرهان في إيجاز القرآن ، توفي سنة ٧٢٧ . (وانظر ترجمته في الدرر الكامنة ٤ : ٧٤ - ٧٦ ، شذرات الذهب ٣ : ٣٦٦) .

[أنواع ارتباط الآي بعضها ببعض]

عُدنا إلى ذكر ارتباط الآي بعضها ببعض ؛ فنقول :
 ذكر الآية بعد الأخرى ؛ إما أن يظهر الارتباط بينهما لتعلق الكلام بعينه ببعض
 وعدم تمامه بالأولى فواضح ، وكذلك إذا كانت الثانية للأولى على جهة التأكيد والتفسير ،
 أو الاعتراض والتشديد ؛ وهذا القسم لا كلام فيه .
 وإما ألا يظهر الارتباط ؛ بل يظهر أن كل جملة مستقلة عن الأخرى ، وأنها خلاف
 النوع المبدوء به . فإما أن تكون معطوفة على ما قبلها بحرف من حروف العطف المشترك في
 الحكم ، أولا :

القسم الأول أن تكون معطوفة ؛ ولا بد أن تكون بينهما جهة جامعة على ما سبق
 تقسيمه ؛ كقوله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلْجِ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ، وَمَا يَنْزِلُ مِنَ
 السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ﴾ ^(١) . وقوله : ﴿ وَاللَّهُ يَفْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ^(٢) .
 وفائدة العطف جعلهما كالنظيرين والشركيين .

وقد تكون العلاقة بينهما المضادة ؛ وهذا كمناسبة ذكر الرحمة بعد ذكر العذاب ،
 والرغبة بعد الرهبة . وعادة القرآن العظيم إذا ذكر أحكاما ذكر بعدها وعدا ووعيدا ؛
 ليكون ذلك باعنا على العمل بما سبق ؛ ثم يذكر آيات التوحيد والتنزيه ؛ ليُعظم عظم الأمر
 والنهي . وتأمل سورة البقرة والنساء والمائدة وغيرها تجده كذلك .

وقد تأتي الجملة معطوفة على ما قبلها وبشكل وجه الارتباط ؛ فتحتاج إلى شرح ؛
 ونذكر من ذلك صوراً يلتحق بها ما هو في معناها :

فمنها قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ، وَلَيْسَ
 الْأَبَرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا . . . ﴾ ^(٣) الآية ؛ فقد يقال : أي رابط بين أحكام
 الأهلة وبين حكم إتيان البيوت ؛ والجواب من وجوه :

أحدها كأنه قيل لهم عند سؤالهم عن الحكمة في تمام الأهلّة ونقصانها : معلوم أن كل ما يفعله الله فيه حكمة ظاهرة ، ومصلحة لعباده ، فدعوا السؤال عنه ، وانظروا في واحدة تفعلونها أنتم ؛ مما ليس من البرّ في شيء وأنتم تحسبونها برّاً .

الثاني أنه من باب الاستطراد ؛ لما ذكر أنها مواقيت للحج ؛ وكان هذا من أفعالهم في الحج ؛ ففي الحديث : أن ناساً من الأنصار كانوا إذا أحرموا لم يدخل أحد منهم حائطا ولا داراً ولا فسطاطاً من باب ؛ فإن كان من أهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته ؛ منه يدخل ويخرج ، أو يتخذ سلماً يصعد به . وإن كان من أهل الوبر خرج من خلف الخباء ؛ فقبل لهم : ليس البرّ بتخرجكم من دخول الباب ؛ لكن البرّ برّ من اتقى ما حرّم الله ؛ وكان من حقهم السؤال عن هذا وتركهم السؤال عن الأهلّة . ونظيره في الزيادة على الجواب قوله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن المتوضّئ بماء البحر فقال : « هو الطهور ماؤه ، الحل ميتته » ^(١) .

الثالث أنه من قبيل التمثيل لما هم عليه ؛ من تعكيسهم في سؤالهم ؛ وأن مثلهم كمثل من يترك باباً ويدخل من ظهر البيت ؛ فقبل لهم : ليس البرّ ما أنتم عليه من تعكيس الأسئلة ؛ ولكن البرّ من اتقى ذلك ، ثم قال الله سبحانه : ﴿ وَأَتُوا الْبَيْتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾ ، أى باشروا الأمور من وجوهها التي يجب أن تباشر عليها ، ولا تعكسوا . والمراد أن يصمّ القلب على أن جميع أفعال الله حكمة منه ؛ وأنه ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ ^(٢) فإن في السؤال اتهاماً .

ومنها قوله سبحانه وتعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ

(١) رواه ابن ماجه في كتاب الطهارة (١ : ١٣٦) بسنده عن أبي هريرة ؛ يقول : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، إنا نركب البحر ، ونحمل معنا القليل من الماء ، فإن توضأنا به عطشنا ؛ أفئتوضأ من ماء البحر ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هو الطهور ماؤه الحل ميتته » .

(٢) سورة الأنبياء ٢٣ .

الْحَرَامَ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ... ﴿١﴾ إِلَى أَنْ قَالَ : ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ ^(٢) ؛ فَإِنَّهُ قَدْ يُقَالُ : أَيْ رَابِطٌ بَيْنَ الْإِسْرَاءِ ، وَ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ ؛ وَوُجْهُ اتِّصَالِهَا بِمَا قَبْلُهَا أَنَّ التَّقْدِيرَ : أَطْلَعْنَاهُ عَلَى الْغَيْبِ عَيْنَانَا ، وَأَخْبَرْنَاهُ بِوَقَائِعِ مَنْ سَلَفَ بَيْنَانَا ، لَتَقُومَ أَخْبَارُهُ عَلَى مَعْجَزَتِهِ بِرَهَانَانَا ؛ أَيْ سُبْحَانَ الَّذِي أَطْلَعَكَ عَلَى بَعْضِ آيَاتِهِ لَتَقْضُهَا ذِكْرًا ، وَأَخْبَرَكَ بِمَا جَرَى لِمُوسَى وَقَوْمِهِ فِي الْكَرْتَيْنِ ؛ لَتَكُونَ قِصَّتُهُمَا آيَةً أُخْرَى . أَوْ أَنَّهُ أُسْرِى بِمُحَمَّدٍ إِلَى رَبِّهِ كَمَا أُسْرِىَ بِمُوسَى مِنْ مِصْرَ حِينَ خَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ . ثُمَّ ذَكَرَ بَعْدَهُ : ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ ^(٣) لِيَتَذَكَّرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ قَدِيمًا ؛ حَيْثُ نَجَّاهُمْ مِنَ الْفِرْقِ ؛ إِذْ لَوْ لَمْ يَنْجِ آبَاؤُهُمْ مِنْ أَبْنَاءِ نُوحٍ لَمَا وَجَدُوا . وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ نُوحًا كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ؛ وَهُوَ ذُرِّيَّتُهُ ، وَالْوَلَدُ سِرَّ أَبِيهِ ؛ فَيَجِبُ أَنْ يَكُونُوا شَاكِرِينَ كَأَبِيهِمْ ؛ لِأَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَسِيرُوا سِيرَتَهُ فَيَشْكُرُوا .

وَتَأْمَلْ كَيْفَ أَتَيْنِي عَلَيْهِ ، وَكَيْفَ تَلِيقَ صِفَتِهِ بِالْفَاصِلَةِ ، وَتَمَّ النِّظْمُ بِهَا ، مَعَ خُرُوجِهَا مَخْرَجَ الرُّورِ مِنَ الْكَلَامِ الْأَوَّلِ إِلَى ذِكْرِهِ وَمَدْحِهِ بِشُكْرِهِ ، وَأَنْ يَعْتَقِدُوا تَعْظِيمَ تَخْلِيصِهِ إِيَّاهُمْ مِنَ الطُّوفَانِ بِمَا حَمَلَهُمْ عَلَيْهِ ، وَنَجَّاهُمْ مِنْهُ ؛ حِينَ أَهْلَكَ مَنْ عَدَاهُمْ . وَقَدْ عَرَفْتَهُمْ أَنَّهُ إِنَّمَا يُوَاخِذُهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَفَسَادِهِمْ فِيمَا سَلَطَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَتْلِهِمْ . ثُمَّ عَادَ عَلَيْهِمْ بِالْإِحْسَانِ وَالْإِفْضَالِ ؛ كَيْ يَتَذَكَّرُوا وَيَعْرِفُوا قَدْرَ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَعَلَى نُوحٍ الَّذِي وَلَدَهُمْ وَهُمْ ذُرِّيَّتُهُ ؛ فَلَمَّا صَارُوا إِلَى جِهَاتِهِمْ وَتَمَرَّدُوا عَادَ عَلَيْهِمُ التَّعْذِيبُ .

ثُمَّ ذَكَرَ تَعَالَى فِي ثَلَاثِ آيَاتٍ بَعْدَ ذَلِكَ مَعْنَى هَذِهِ الْقِصَّةِ ، بِكَلِمَاتٍ قَلِيلَةٍ الْعَدَدِ ، كَثِيرَةٍ الْفَوَائِدِ ؛ لَا يُمْكِنُ شَرْحُهَا إِلَّا بِالتَّفْصِيلِ الْكَثِيرِ وَالْكَلَامِ الطَّوِيلِ ، مَعَ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنَ التَّنْذِيرِ الْعَجِيبِ ، وَالْمَوْعِظَةِ الْعَظِيمَةِ بِقَوْلِهِ : ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أُحْسَنْتُمْ وَأَخْسَنْتُمْ لَأُخْسِنَنَّكُمْ وَإِنْ أَسَاءْتُمْ لَأُسَاءَنَّكُمْ﴾

(٢) سورة الإسراء ٢ .

(١) سورة الإسراء ١ .

(٣) سورة الإسراء ٣ .

فَلَهَا^(١)، ولم ينقطع بذلك نظام الكلام ، إلى أن خرج إلى قوله : ﴿ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عُدتْنَا ﴾^(٢) ، يعنى إن عدتم إلى الطاعة عدنا إلى العفو . ثم خرج خروجاً آخر إلى حكمة القرآن ؛ لأنه الآية الكبرى . وعلى هذا قس الانتقال من مقام إلى مقام ؛ حتى ينقطع الكلام .

وبهذا يظهر لك اشتمال القرآن العظيم على النوع المسمى بالتخلص^(٣) . وقد أنكره أبو العلاء محمد بن غانم المعروف بالغامى^(٤) وقال : ليس فى القرآن الكريم منه شئ ، لما فيه من التكلف . وليس كما قال .

ومن أحسن أمثله قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ... ﴾^(٥) الآية ، فإن فيها خمسَ تخلصات : وذلك أنه جاء بصفة النور وتمثيله ، ثم تخلص منه إلى ذكر الزجاجة وصفاتها ، ثم رجع إلى ذكر النور والزيتُ يَسْتَمِدُّ منه ، ثم تخلص منه إلى ذكر الشجرة ، ثم تخلص من ذكرها إلى صفة الزيت ، ثم تخلص من صفة الزيت إلى صفة النور وتضاعفه ، ثم تخلص منه إلى نعم الله بالهدى على من يشاء .

ومنه قوله تعالى : ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ... ﴾^(٥) الآية ؛ فإنه سبحانه ذكر أولاً عذاب الكفار وأن لا دافع له من الله ؛ ثم تخلص إلى قوله : ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾^(٦) بوصف ﴿ الله ذى المارج ﴾ .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ . إِذْ قَالَ لِأَيُّهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴾^(٧) ،

(١) سورة الإسراء ٧ (٢) سورة الإسراء ٨

(٣) ذكره ابن الأثير فى الباب (٣ : ٢٦٦) ، وقال : « كان من فضلاء عصره ، وشعره مشهور ؛ وهو من شعراء نظام الملك » .

(٤) انظر الكلام عليه فى كتاب النبل السائر لابن الأثير ٢ : ٢٦٦ وما بعدها .

(٥) سورة النور ٣٥ (٥) سورة المارج ١

(٦) سورة المارج ٤ (٧) سورة الشعراء ٦٩ ، ٧٠

إلى قوله : ﴿ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(١) ، فهذا تخلص من قصة إبراهيم وقومه إلى قوله هكذا ؛ وتمنى الكفار في الدار الآخرة الرجوع إلى الدنيا ليؤمنوا بالرسول ؛ وهذا تخلص عجيب .

وقوله : ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ . أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ . قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ . قَالَ أَفَأَنتُمْ أَفْرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ . أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ . فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ . الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾ ^(٢) . وذلك أنه لما أراد الانتقال من أحوال أصنامهم إلى ذكر صفات الله قال : إن أولئك لي أعداء إلا الله ، فانتقل بطريق الاستثناء المنفصل .

وقوله تعالى : ﴿ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ . وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالُهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ . أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ . اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ ^(٣) . وقوله تعالى في سورة الصافات ^(٤) : ﴿ أَذَلِكَ خَيْرٌ نَزَّلَا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴾ ؛ وهذا من بديع التخلص ؛ فإنه سبحانه خلص من وصف المخلصين وما أعد لهم ، إلى وصف الظالمين وما أعد لهم .

ومنه أنه تعالى في سورة الأعراف ذكر الأمم الخالية والأنبياء الماضين من آدم عليه السلام إلى أن انتهى إلى قصة موسى عليه السلام ، فقال في آخرها : ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا أَلِيْقَانِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ .. ﴾ ^(٥) إلى ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴾ ، وهو من بديع التخلص .

(١) سورة الشعراء ١٠٢ (٢) سورة الشعراء ٧٢ - ٧٨

(٣) سورة النمل ٢٣ - ٢٦

(٤) آية ٦٢

(٥) سورة الأعراف ١٥٥ .

واعلم أنه حيث قصد التخلص فلا بدّ من التوطئة له ؛ ومن بديعه قوله تعالى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ ^(١) يشير إلى قصة يوسف عليه السلام . فوطأ بهذه الجملة إلى ذكر القصة ؛ يشير إليها بهذه النكته من باب الوحي والرمز . وكقوله سبحانه موطننا للتخلص إلى ذكر مبتدأ خلق المبيح عليه السلام : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا ... ﴾ ^(٢) الآية .

ومنها قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَمُتَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ ^(٣) ؛ فإنه قد يقال : ما وجه اتصاله بما قبله ، وهو قوله : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا ﴾ ^(٤) الآية ؟ قال الشيخ أبو محمد الجويني في تفسيره : سمعت أبا الحسين الدهان يقول : وجه اتصالها هو أن ذكر تخريب بيت المقدس قد سبق ، أي فلا يجرمنكم ذلك واستقبلوها ، فإن لله المشرق والمغرب .

ومنها قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ . وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ... ﴾ ^(٥) الآية ؛ فإنه يقال : ما وجه الجمع بين الإبل والسما والجال والأرض في هذه الآية ؟ والجواب أنه جمع بينها على مجرى الإلف والعادة بالنسبة إلى أهل الوبر ؛ فإن كل انتفاعهم في معاشهم من الإبل ، فتكون عنايتهم مصروفة إليها ؛ ولا يحصل إلا بأن ترعى وتشرب ؛ وذلك بنزول المطر ؛ وهو سبب تقلب وجوههم في السماء ؛ ثم لا بدّ لهم من مأوى يؤويهم ، وحصن يتحصنون [به] ؛ ولا شيء في ذلك كالجال ؛ ثم لا غنى لهم - لتعذر طول مكثهم في منزل - عن التنقل من أرض إلى سواها ؛ فإذا نظر البدوي في خياله وجد صورة هذه الأشياء حاضرة ^(٦) فيه على الترتيب المذكور .

(١) سورة يوسف ٣ . (٢) سورة آل عمران ٣٣ .

(٣) سورة البقرة ١١٥ . (٤) سورة البقرة ١١٤ .

(٥) سورة النازية ١٧ ، ١٨ . (٦) في الأصول : « خاص » تحريف .

ومنها قوله تعالى : ﴿ أَفَنَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ ﴾ ^(١) ، فيقال : أى ارتباط بينهما ؟ وجوابه أن المبتدأ وهو ﴿ مَنْ ﴾ خبره محذوف ، أى أفن هو قائم على كل نفس تترك عبادته ؟ أو معادل الهمزة تقديره : أفن هو قائم على كل نفس كمن ليس بقائم ؟ ووجه العطف على التقديرين واضح . أما الأول فالمعنى : أتترك عبادة من هو قائم على كل نفس ، ولم يكف الترك حتى جعلوا له شركاء ! وأما على الثانى فالمعنى : إذا انتفت المساواة بينهما فكيف تجعلون لغير المساوى حكم المساوى ! .

ومنها قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ ... ﴾ إلى قوله : ﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ ﴾ ^(٢) عطف قصة على قصة ؛ مع أن شرط العطف المشاكلة ، فلا يحسن فى نظير الآية : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ ﴾ ﴿ أَوْ كَالَّذِي ﴾ . ووجه ما بينهما من المشابهة أن ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ بمنزلة : هل رأيت كالذى حاج إبراهيم ؟ وإنما كانت بمنزلة لأن ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي ولذلك يحجب بى ، والاستفهام يعطى النفي ، إذ حقيقة المستفهم عنه غير ثابتة عند المستفهم ؛ ومن ثم جاء حرف الاستفهام مكان حرف النفي ، ونفى النفي إيجاب ، فصار بمثابة « رأيت » غير أنه مقصود به الاستفهام ، ولم يمكن أن يؤتى بحرفه لوجوده فى اللفظ ؛ فلذلك أعطى معنى : هل رأيت .

فإن قلت : من أين جازيتهم إلى ؟ ورأيت يتصدى بنفسه ؟ أوجب لتضمنه معنى : « تنظر » .

القسم الثانى ألا تكون

قرائن معنوية مؤذنة بالربط ؛ والاول مزج معنى : « وهو من معنوى » ؛ والى الثانى معنى : الأولى منزلة جزئها الثانى ، وله أسباب .

أحدها التنظير؛ فإن إلحاق النظير بالنظير من دأب العقلاء؛ ومن أمثلته قوله تعالى : ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ ﴾ ^(١) عقب قوله : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ ^(٢) فإن الله سبحانه أمر رسوله أن يمضى لأمره في الغنائم على كره من أصحابه كما مضى لأمره في خروجه من بيته لطلب العير وهم كارهون؛ وذلك أنهم اختلفوا في القتال يوم بدر في الأنفال، وحاجوا النبي صلى الله عليه وسلم وجادلوه؛ فكره كثير منهم ما كان من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في النفل، فأنزل الله هذه الآية، وأنفذ أمره بها، وأمرهم أن يتقوا الله ويطيعوه، ولا يعترضوا عليه فيما يفعله من شيء ما، بعد أن كانوا مؤمنين. ووصف المؤمنين؛ ثم قال : ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ﴾، يريد أن كراهتهم لما فعلته من الغنائم ككراهتهم للخروج معك.

وقيل : معناه أولئك هم المؤمنون حقا؛ كما أخرجك ربك من بيتك بالحق؛ كقوله تعالى : ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴾ ^(٣).

وقيل : الكاف صفة لفعل مضمر؛ وتأويله : أفعَل في الأنفال كما فعلت في الخروج إلى بدر، وإن كره القوم ذلك؛ ونظيره قوله تعالى : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ ﴾ ^(٤) معناه : كما أنعمنا عليكم بإرسال رسول من أنفسكم فكذلك أتم نعمتي عليكم؛ فنبههم ككراهتهم لما أمرهم به من الأنفال وقسمها بالكرامة في خروجه من بيته.

والكلام في قوله تعالى : ﴿ وَقُلْ إِنِّي أَنَا

(١) سورة الأنفال ٥ (٢) سورة الأنفال ٤

(٣) سورة الداريت ٢٣ (٤) سورة البقرة ١٥١

(٥) سورة الحجر ٩٠

النَّذِيرُ الْمُبِينُ^(١) فَإِنْ فِيهِ مُحَذِّفٌ؛ كَأَنَّهُ قَالَ: قل أنا النذير المبين، عقوبة أو عذاباً، مثل ما أنزلنا على المقتسمين.

وأما قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾^(٢) وقد اكتنفه من جانبيه قوله: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ. وَلَوْ أَن لَّاتِي مَعَاذِيرُهُ﴾^(٣). وقوله: ﴿كَلَّا بَلْ يُبْذَرُ الْغَاجِلَةُ. وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾^(٤)؛ فهذا من باب قولك للرجل، وأنت تحدثه بحديث فينتقل عنك ويقبل على شيء آخر: أقبل على واسمع ما أقول، وافهم عني، ونحو هذا الكلام؛ ثم تصل حديثك؛ فلا يكون بذلك خارجاً عن الكلام الأول؛ فاطعاً له؛ وإنما يكون به مشوقاً للكلام. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمياً لا يقرأ ولا يكتب؛ وكان إذا نزل عليه الوحي وسمع القرآن حرك لسانه بذكر الله، فقيل له: تدبر ما يوحى إليك، ولا تتلفه بلسانك؛ فأنما نجمه لك ونحفظه عليك.

ونظيره قوله في سورة المائدة: ﴿الْيَوْمَ يَنْسَى الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ﴾^(٥) إلى قوله: ﴿الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٥)، فإن الكلام بعد ذلك متصل بقوله أولاً: ﴿ذَلِكُمْ فَسَقٌ﴾^(٥)، ووسط هذه الجملة بين الكلامين ترغيباً في قبول هذه الأحكام، والعمل بها، والحث على مخالفة الكفار وموت كلمهم وإكمال الدين. ويدل على اتصال ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ﴾^(٥) بقوله: ﴿ذَلِكُمْ فَسَقٌ﴾ آية الأنعام ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أَمَلًا لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ﴾^(٦).

- | | |
|-------------------------|-------------------------|
| (١) سورة الحجر ٨٩ | (٢) سورة القيامة ١٦ |
| (٣) سورة القيامة ١٤، ١٥ | (٤) سورة القيامة ٢٠، ٢١ |
| (٥) سورة المائدة ٣ | (٦) سورة الأنعام ١٤٥. |

الثانى المضادة ؛ ومن أمثلته قوله تعالى فى سورة البقرة : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ﴾ ^(١) الآية ، فإنه أول السورة كان حديثاً عن القرآن الكريم ، وأن من شأنه كَيْتَ وَكَيْتَ ، وأنه لا يهْدَى القوم الذين من صفاتهم كَيْتَ وَكَيْتَ . فرجع إلى الحديث عن المؤمنين ، فلما أكمله عَقَّبَ بما هو حديث عن الكفار ؛ فبينهما جامع وهى بالتضاد من هذا الوجه ، وحكمته التشويق والثبوت على الأول ، كما قيل :

* وَبِضِدِّهَا تَبَيَّنُ الْأَشْيَاءُ *

فإن قيل : هذا جامع بعيد ، لأن كونه حديثاً عن المؤمنين ، بالعرض لا بالذات ، والمقصود بالذات الذى هو مساق الكلام إنما هو الحديث عن الكتاب ، لأنه مفتتح القول . قلنا : لا يشترط فى الجامع ذلك ، بل يكفى التعلق على أى وجه كان ، ويكفى فى وجه الرِّبْط ما ذكرنا ، لأن القصد تأكيد أمر القرآن والعمل به ، والحث على الإيمان به ، ولهذا لما فرغ من ذلك قال : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا ﴾ ^(٢) الآية . فرجع إلى الأول .

الثالث : الاستطراد ؛ كقوله تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُورِي سَوَاءَ اتِّكُمُ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ يَذَكَّرُونَ ﴾ ^(٣) . قال الزمخشري : هذه الآية واردة على سبيل الاستطراد ، عَقَّبَ ذكر بُدْؤِ السَّوَاءَاتِ وَخَصَفَ الورق عليها ؛ إظهاراً للنعنة فيما خلق الله من اللباس ، ولما فى العُرْيِ وكشفِ العورة من المهانة والفضيحة ، وإشعاراً بأن الستر بابٌ عظيم من أبواب التقوى . وجعل القاضى أبو بكر فى كتاب ” إيجاز القرآن “ من الاستطراد قوله تعالى : ﴿ أَوْ لَمْ

(٢) سورة البقرة ٢٣

(١) سورة البقرة ٦

(٣) سورة الأعراف ٢٦ .

يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَتَّحُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ .
وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُسْتَكْبَرُونَ ﴿١﴾ .
وقال : « كأن المراد أن يجرى بالقول الأول إلى الإخبار عن أن كل شيء يسجد لله عز وجل ، وإن كان ابتداء الكلام في أمر خاص » (٢) . انتهى ، وفيه نظر .

ومنه الانتقال من حديث إلى آخر تنشيطا للسامع كقوله تعالى في سورة ص بعد ذكر الأنبياء : ﴿ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّا لِلْمُتَّقِينَ لِحُسْنِ مَآبٍ ﴾ (٣) ، فإن هذا القرآن نوع من الذِّكْرِ ، لما انتهى ذكر الأنبياء ، وهو نوع من التنزيل ، أراد أن يذكر نوعا آخر ، وهو ذكر الجنة وأهلها ، فقال : ﴿ هَذَا ذِكْرٌ ﴾ ؛ فأكد تلك الإخبارات باسم الإشارة ، تقول : أشير عليك بكذا ، ثم تقول بعده : هذا الذي عندي والأمر إليك . وقال : ﴿ وَإِنَّا لِلْمُتَّقِينَ لِحُسْنِ مَآبٍ ﴾ ، كما يقول المصنف : هذا باب يشرع في باب آخر . ولذلك لما فرغ من ذكر أهل الجنة قال : ﴿ هَذَا وَإِنَّا لِلطَّاغِينَ لَشَرِّ مَآبٍ ﴾ (٤) .

فصل

[في اتصال اللفظ والمعنى على خلافه]

وقد يكون اللفظ متصلا بالآخر والمعنى على خلافه ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ ﴾ (٥) ؛ فقوله : ﴿ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ ﴾ منظوم بقوله : ﴿ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ ﴾ (٦) ؛ لأنه موضع الشماتة .
وقوله : ﴿ كَأَنَّمَا بِسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ (٧) ؛ فإنه متصل بقوله : ﴿ وَإِنَّا ﴾

(٢) ص ١٥٩ (طبعة المعارف)

(٤) سورة ص ٥٥

(٦) سورة النساء ٧٢

(١) سورة النحل ٤٨ ، ٤٩

(٣) سورة ص ٤٩

(٥) سورة النساء ٧٣

(٧) سورة الأنفال ٦

فريقاً من المؤمنين لكارهون . كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ ^(١) .

وقوله : ﴿ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ ﴾ ^(٢) جواب الشرط قوله تعالى : ﴿ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ ﴾ ^(٣) ، وقوله : ﴿ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أُحْمِلِكُمْ عَلَيْهِ ﴾ ^(٤) داخل في الشرط .

وقوله : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ﴾ ^(٥) إلى قوله : ﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ^(٦) . فقوله : ﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ متصل بقوله : ﴿ لَعَلَّهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ ^(٧) . ومثّل بقوله : ﴿ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ﴾ ^(٨) . على تأويل : ولولا فضل الله عليكم ورحمته إلا قليلاً ممن لم يدخله في رحمته ، واتبعوا الشيطان ، لاتبعتم الشيطان .

ومما يحتمل الاتصال والاقطاع قوله تعالى : ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذْنُ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾ ^(٩) ؛ يحتمل أن يكون متصلاً بقوله : ﴿ فِيهَا مَصْبَاحٌ ﴾ ^(١٠) ، أى المصباح في بيوت ، ويكون تامه على قوله : ﴿ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾ ^(١١) و ﴿ يَسْبَحُ لَهُ فِيهَا رِجَالٌ ﴾ صفة للبيوت . ويحتمل أن يكون منقطعاً ، واقماً خبراً لقوله : ﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيمُهُمْ ﴾ ^(١٢) .

ومما يتعين أن يكون منقطعاً قوله : ﴿ وَلَا أَصْفَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ ^(١٣) مستأنف ، لأنه لو جُعِلَ متصلاً « بيعزب » لاختل المعنى ، إذ يصير على حدة قولك : ما يعزب عن ذهنى إلا فى كتاب ، أى استدراكه .

وقوله : ﴿ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ ^(١٤) ، منهم من قضى باستثنائه على أنه مبتدأ وخبر ، ومنهم من قضى بجعل ﴿ فِيهِ ﴾ خبر ﴿ لَا ﴾ ، و ﴿ هُدًى ﴾ نصب على الحال فى تقدير « هادياً » .

(١) سورة الأنفال ٥ ، ٦ (٢) سورة التوبة ٩٢

(٣) سورة النساء ٨٣ (٤) سورة النور ٣٦

(٥) سورة النور ٣٥ (٦) سورة النور ٣٧

(٧) سورة يونس ٦١ (٨) سورة البقرة ٢

ولا يخفى انقطاع ﴿الذين يحملون العرش﴾^(١) عن قوله : ﴿أنتهم أصحاب النار﴾^(٢).

وكذا ﴿فلا تحزنك قولهم﴾^(٣) عن قوله سبحانه : ﴿إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون﴾^(٤).

وكذلك قوله : ﴿فأصبح من النادمين﴾^(٥) عن قوله : ﴿من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس﴾^(٥).

(٢) سورة غافر ٦

(٤) سورة المائدة ٣١

(١) سورة غافر ٧

(٣) سورة يس ٧٦

(٥) سورة المائدة ٣٢

النوع الثالث معرفة الفواصل ورؤوس الآي



وهي كلمة آخر الآية، كقافية الشعر وقرينة السجع .

وقال الداني^(١) : كلمة آخر الجملة .

قال الجعبري^(٢) : وهو خلاف المصطلح ، ولا دليل له في تمثيل سيويه^(٣) بـ ﴿يوم يأت﴾^(٤) ، و ﴿مَا كُنَّا نَبْغِ﴾^(٥) ، وليساً رأس آي ؛ لأن مراده الفواصل الغوية لا الصناعية ؛ ويلزم أبا عمرو^(٦) إمالة ﴿مَنْ أَعْطَى﴾^(٧) لأبي عمرو .

وقال القاضي أبو بكر : الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع ، يقع بها إفهام المعاني . انتهى .

وفرق الإمام أبو عمرو الداني بين الفواصل ورؤوس الآي ، قال : أما الفاصلة فهي الكلام المنفصل مما بعده . والكلام المنفصل قد يكون رأس آية وغير رأس ، وكذلك

(١) هو الإمام عثمان بن سعيد أبو عمرو الداني ؛ أحد الأئمة في القرآن الكريم وروايته ، وصاحب كتاب التيسير في مذاهب القراء السبعة ، والمقنن في الرسم ، والاكتفاء في الوقف والابتداء ؛ وغيرها من الكتب التي تتعلق بالقراءة والقرآن . توفي سنة ٤٤٤ . (وانظر ترجمته ومراجعتها في إنباه الرواة ٢ : ٣٤١ - ٣٤٢) .
(٢) هو العلامة إبراهيم بن عمر بن إبراهيم الجعري ؛ الملقب ببرهان الدين ؛ صاحب شرح الشاطبية المسمى كنز المعاني ، وكتاب عقود الجمان ، وروضة الضرائف في رسم المصاحف ، وغيرها . توفي سنة ٧٣٢ . (الدرر الكامنة ١ : ٥٠)

(٣) الكتاب ٢ : ٢٨٩ (٤) سورة هود ١٠٥

(٥) سورة الكهف ٦٤

(٦) يريد أبا عمرو الداني المذكور . (٧) سورة الليل ٧ . ويريد أبا عمرو بن العلاء صاحب القراءة المنسوبة إليه .

الفواصل يَكُنْ رءوس آيٍ وغيرها . وكلّ رأس آية فاصلة ، وليس كلّ فاصلة رأس آية ؛ فالفاصلة تعمّ النوعين ، وتجمع الضربين ؛ ولأجل كون معنى الفاصلة هذا ذكر سيبويه في تمثيل القوافي ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ و ﴿مَا كُنَّا نَبْعُ﴾ - وهما غير رأس آيتين بإجماع - مع ﴿إِذَا يَسْرُ﴾ ^(١) ؛ وهو رأس آية باتفاق . انتهى .

وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها ؛ وهى الطريقة التى يبين القرآن بها سائر الكلام . وتسمّى فواصل ؛ لأنه ينفصل عندها الكلامان ؛ وذلك أن آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها ، ولم يسمّوها أسجعا .

فأما مناسبة فواصل ، فلقوله تعالى : ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ ^(٢) . وأما تجنب أسجاع ، فلأن أصله من سجّع الطير ، فشرّف القرآن الكريم أن يستعار لشيء فيه لفظ هو أصل ^(٣) في صوت الطائر ، ولأجل تشريفه عن مشاركة غيره من الكلام الحادث في اسم السجّع الواقع في كلام آحاد الناس ، ولأن القرآن من صفات الله عز وجل فلا يجوز وصفه بصفة لم يرد الإذن بها وإن صح المعنى ؛ ثم فرقوا بينهما فقالوا : السجّع هو الذى يُقصد في نفسه ثم يحيل المعنى عليه ، والفواصل التى تتبّع المعانى ، ولا تكون مقصودة في نفسها . قاله الزمانيّ في كتاب " إعجاز القرآن " ، ^(٤) وبنى عليه أن الفواصل بلاغة والسجع عيب ، وتبعه القاضى أبو بكر الباقلانى في كتاب " إعجاز القرآن " ، ^(٥) ونقل عن الأشعرية امتناع كون في القرآن سجّعا . قال : ^(٥) « ونصّ عليه الشيخ أبو الحسن الأشعرى ^(٦) في غير موضع من كتبه » .

(١) سورة الفجر ٤

(٢) سورة فصلت ٣ . (٣) ت : « لصوت »

(٤ - ٤) ساقط من م

(٥) ص ٨٦ وما بعدها (٦) الإعجاز : « وذكره الشيخ أبو الحسن » .

قال : « وذهب كثير من مخالفينهم إلى إثبات السجع في القرآن ، وزعموا أن ذلك مما تبين فيه فضل الكلام ، وأنه من الأجناس التي يقع بها التفاضل في البيان والفصاحة ، كالجنس ، والالتفات ونحوها » ^(١) . قال : « وأقوى ^(٢) ما استدلوا به الاتفاق ^(٣) على أن موسى أفضل من هارون عليهما السلام ، ولما كان ^(٤) السجع قيل في موضع : ﴿ هَارُونَ وَمُوسَى ﴾ ^(٥) ولما كانت الفواصل في موضع آخر بالواو والنون قيل : ﴿ موسى وهارون ﴾ ^(٥) . قالوا : وهذا يفارق أمر الشعر لأنه لا يجوز أن يقع في الخطاب إلا مقصوداً إليه ، وإذا وقع غير مقصود إليه كان دون القدر الذي نسميه شعراً ، وذلك القدر يتفق وجوده من المقصود ^(٦) كما يتفق وجوده في الشعر . وأما ما جاء في القرآن من السجع فهو كثير لا يصح أن يتفق كله غير مقصود إليه . »

قال : « وبنوا ^(٧) الأمر في ذلك على تحديد معنى السجع ؛ قال أهل اللغة : هو موالاة الكلام على وزن ^(٨) واحد . قال : ابن دريد : « سجت الحماة : رددت صوته » ^(٩) .

قال القاضي : وهذا [الذي يزعمونه] ^(١٠) غير صحيح ؛ ولو كان القرآن سجعاً لكان غير خارج عن أساليب كلامهم ؛ ولو كان داخلياً فيها لم يقع بذلك إعجاز ، ولو جاز أن يقال ^(١١) : هو سجع معجز ، لجاز لهم أن يقولوا : شعر معجز . وكيف ! والسجع مما كانت

(١) الإعجاز : « وما أشبه ذلك من الوجوه التي تعرف بها الفصاحة » .

(٢ - ٢) الإعجاز : « وأقوى ما يستدلون به عليه اتفاق الكل » .

(٣) في الإعجاز : « ولكن » (٤) سورة طه ٧٠

(٥) سورة الشعراء ٤٨

(٦) كذا في إعجاز القرآن ، وفي الأصول : « العجم » .

(٧) الإعجاز : « وبينون الأمر » . (٨) م : « على روى » .

(٩) جهرة اللغة ٢ : ٩٣ (١٠) تكملة من إعجاز القرآن

(١١) الإعجاز : « أن يقولوا »

كُتِبَ أن العرب تألفه ؛ ونفيه من القرآن أجدر بأن يكون حجة من نفي الشعر ؛ لأن الكهانة تخالف النبوات ؛ بخلاف الشعر^(١) .

وما توهموا^(٢) أنه سجع باطل ؛ لأن مجيئه على صورته لا يقتضى كونه هو^(٣) ؛ لأن السجع [من الكلام] يتبع المعنى فيه اللفظ الذى يؤدى السجع ؛ وإيس كذلك ما اتفق مما هو فى معنى^(٤) السجع من القرآن ؛ لأن اللفظ وقع فيه تابعا للمعنى . وفرق^(٥) بين أن ينتظم الكلام فى نفسه بألفاظه التى تؤدى المعنى المقصود فيه ، وبين أن يكون المعنى منتظما دون اللفظ ؛ ومتى ارتبط المعنى بالسجع كان إفادة السجع كإفادة غيره . ومتى انتظم^(٦) المعنى بنفسه دون السجع كان مستجلبا لتحسين الكلام دون تصحيح المعنى . قال : و [أما]^(٧) ما ذكره فى تقديم موسى على هارون فى موضع وتأخيره عنه فى موضع لأجل^(٨) السجع ، ولتساوى مقاطع الكلام فردود^(٩) ، بل الفائدة فيه إعادة القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدى معنى واحدا^(١٠) ، وذلك من الأمر الصعب الذى تظهر فيه الفصاحة ، وتقوى البلاغة ، ولهذا أعيدت كثير من القصص [فى مواضع كثيرة مختلفة]^(١١) على ترتيبات متفاوتة ؛ تنبيها^(١٢) بذلك على عجزهم عن الإتيان بمثله ، مبتدأ به ومكررا .

(١) الإعجاز : « وليس كذلك الشعر » .

(٢ - ٢) الإعجاز : « والذى يقدرونه أنه سجع فهو وهم ؛ لأنه قد يكون الكلام على مقال السجع وإن لم يكن سجعا ؛ لأن ما يكون به الكلام سجعا يختص ببعض الوجوه دون بعض » .

(٣) من إعجاز القرآن . (٤) الإعجاز : « فى تدوير السجع » .

(٥) الإعجاز : « وفصل » . (٦) كذا فى الإعجاز وفى الأصول : « ارتبط » .

(٧) تكملة من كتاب إعجاز القرآن .

(٨) الإعجاز : « لمكان »

(٩) الإعجاز : « فليس بصحيح » .

(١٠) ت : « إلى معنى واحد » . (١١) الإعجاز : « ونهبوا بذلك » .

ولو أمكنهم^(١) المعارضة لقصدوا تلك القصة وعبروا عنها بألفاظ لم تؤدي إلى تلك المعاني ونحوها [وجعلوها يازاء ما جاء به ، وتوصلوا بذلك إلى تكذيبه وإلى مساواته فيما حكي وجاء به . وكيف وقد قال لهم : ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾^(٢)] فعلى هذا يكون المقصد - بتقديم بعض الكلمات على بعض وتأخيرها - إظهار الإعجاز [على الطريقين جميعا]^(٣) دون السجع [الذي توهموه]^(٤) .

إلى أن قال : « فبان [بما قلنا]^(٥) أن الحروف الواقعة^(٦) في الفواصل مناسبة موقع النظائر التي تقع في الأسجاع ، لا يُخرجها عن حدها ، ولا يدخلها في باب السجع . وقد بينا أنهم يذمون كل سجع خرج عن اعتدال الأجزاء ؛ فكان بعض مصاربه كلتين ، وبعضها يبلغ^(٧) كلمات ، ولا يروون ذلك فصاحة ، بل يروونه عجزاً ،^(٨) فلو فهموا اشتمال القرآن على السجع^(٩) لقالوا : نحن نعارضه بسجع معتدل ، فزيد في الفصاحة على طريق القرآن ، [وتتجاوز حدة في البراعة والحسن]^(١٠) . انتهى ما ذكره القاضي والرماني .

رد عليهما الخفاجي^(١١) في كتاب سر الفصاحة ، قال : « وأما قول الرماني إن السجع عيب ، والفواصل [على الإطلاق]^(١٢) بلاغة فغلط ، فإنه إن أراد بالسجع ما يتبع المعنى ، وكأنه غير مقصود فذلك بلاغة ، والفواصل مثله . وإن أراد^(١٣) به ما تقع المعاني تابعة له ، وهو مقصود متكلف ، فذلك عيب ، والفواصل مثله » .

(١) الإعجاز : « ولو كان فيهم » .

(٢) ما بين العلامتين تكملة من كتاب إعجاز القرآن .

(٣) سورة الطور ٣٤ . (٤) الإعجاز : « التي وقعت » .

(٥) الإعجاز : « يبلغ أربع كلمات » .

(٦ - ٦) الإعجاز : « فلو رأوا أن ما تلى عليهم من القرآن سجعاً .. »

(٧) من إعجاز القرآن .

(٨) هو الأمير عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الأديب الشاعر . توفي سنة ٤٦٦ هـ .

(٩) وانظر ترجمته في فوات الوفيات ١ : ٨٩ ، والنجوم الزاهرة ٥ : ٩٦ .

(١٠) سر الفصاحة ١٦٦ وما بعدها (١٠) من سر الفصاحة .

(١١) سر الفصاحة : « وإن كان يريد بالسجع ... » .

قال : « وأظن أن الذى دعاهم^(١) إلى تسمية كل ما فى القرآن فواصل ، ولم يسموا ما تماثلت حروفه سجعاً رغبتهم فى تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروى عن الكهنة وغيرهم ، وهذا غرض فى التسمية قريب ، والحقيقة ما قلناه^(٢) » .

ثم قال : «^(٣) والتحرير أن الأسجاع حروف متماثلة فى مقاطع الفواصل^(٤) » .

فإن قيل^(٥) : إذا كان عندكم أن السجع محمود فهلاً ورد القرآن كله مسجوعاً ! وما الوجه فى ورود بعضه مسجوعاً وبعضه غير مسجوع ؟ قلنا^(٥) : إن القرآن نزل بلغة العرب وعلى عرفهم وعاداتهم ، وكان^(٦) الفصيح منهم لا يكون كلامه كله مسجوعاً^(٦) لما فيه من أمارات التكلف والاستكراه والتصنع ، لاسيما فيما بطول من الكلام ، فلم يرد كله مسجوعاً جرئاً منه على عرفهم فى اللطيفة^(٧) العالية من كلامهم ، ولم يخل من السجع ؛ لأنه يحسن فى بعض الكلام على الصفة السابقة^(٨) ، [وعليها ورد فى فصيح كلامهم ، فلم يحز أن يكون عالياً فى الفصاحة وقد أخل فيه بشرط من شروطها]^(٩) . فهذا هو السبب فى ورود بعضه كذلك وبعضه بخلافه » .

وخصت فواصل الشعر باسم القوافى لأن الشاعر يقفوها أى يتبعها فى شعره ، لا يخرج عنها ، وهى فى الحقيقة فاصلة ، لأنها تفصل آخر الكلام ، فالقافية أخص فى الاصطلاح ، إذ كل قافية فاصلة ، ولا عكس .

ويمتنع استعمال القافية فى كلام الله تعالى ، لأن الشرع لما سلب عنه اسم الشعر وجب

(١) سر الفصاحة : « دعا أصحابنا » . (٢) سر الفصاحة : « وأما الحقيقة فما ذكرناه » .

(٣ - ٣) لم ترد هذه العبارة فى النسخة التى بين أيدينا من كتاب سر الفصاحة .

(٤) سر الفصاحة : « فإن قال قائل » . (٥) سر الفصاحة : « قيل » .

(٦ - ٦) سر الفصاحة : « وكان الفصيح من كلامهم لا يكون كله مسجوعاً » .

(٧) سر الفصاحة : « الطيقة » .

(٨) سر الفصاحة : « على الصفة التى قدمناها » . (٩) من سر الفصاحة .

سلبُ القافية أيضاً عنه لأنها منه ، وخاصةً به في الاصطلاح . وكما يمتنع استعمال القافية في القرآن ، لا تطلق الفاصلة في الشعر ، لأنها صفة لكتاب الله ، فلا تتعداه .

قيل : وقد يقع في القرآن الإبطاء^(١) ، وهو ليس بقبيح فيه ، إنما يقبح في الشعر ، كقوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ كَانَتْهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(٢) . ثم قال في آخرين : ﴿ لو كانوا يَعْلَمُونَ ﴾^(٣) ، ثلاث فواصل متوالية « يعلمون » يعلمون ، [يعلمون] ، فهذا لا يقبح في القرآن قولاً واحداً .

قيل : ويقع فيه التضمين^(٤) ، وليس بقبيح ، إنما يقبح في الشعر ، ومنه سورتان الفيل وقريش ، فإن اللام في ﴿ لَا يَلَا فِ قُرَيْشٍ ﴾^(٥) قيل : إنها متعلقة بـ ﴿ جَعَلَهُمْ ﴾^(٦) في آخر الفيل .

وحكى حازم^(٧) في " منهاج البلغاء " خلافاً غريباً فقال : وللناس في الكلام المنشور من جهة تقطيعه إلى مقادير تتقارب في السكينة ، وتناسب مقاطعها على ضرب منها ، أو بالنقلة من ضرب واقع في ضربين أو أكثر ، إلى ضرب آخر مزدوج ، في كل ضرب

(١) الإبطاء في الشعر أن يبقى بكلمة ، ثم يفتقها في بيت آخر ، كتكرار كلمة « لنا » في قول ابن مقبل :
أَوْ كَاهْتِزَّازٍ رُدِّيْنِي تَدَاوَلَهُ أَيْدِي التَّجَارِ فَرَادُوا مَتْنَهُ لِينَا
ثم قال في موضع آخر :

نَازِعَ أَلْبَابَهَا لُبِّي بِمَعْتَصِرٍ مِنَ الْأَحَادِيثِ حَتَّى زِدْتَنِي لَيْتَا

(٢) سورة البقرة ١٠١ - ١٠٣ وانظر الموشح للرزباني ١٥
(٣) التضمين في الشعر هو بيت يبنى على كلام يكون معناه في بيت يتلوّه من بعده مقتضياً له ؛ كقول القائل :

وَسَعْدٌ فَسَائِلُهُمُ وَالرَّيَّابُ وَسَائِلُ هَوَازِنَ عَنَّا إِذَا مَا
لَقِينَاهُمْ كَيْفَ نَعْلُومُ بَوَاتَرَ يَفْرِينُ بَيْضًا وَهَامًا

وانظر (الموشح ٢٥)

(٥) سورة الفيل ٥

(٤) سورة قریش ١

(٦) هو أبو الحسن حازم بن محمد القرطاجي ، الأنصاري القرطبي ، شيخ البلاغة والأدب ، وأوحد زمانه في النظم والنثر والنحو واللغة والعروض والبيان ، توفي سنة ٦٨٤ (بغيعة الوعاة ٢١٤)

ضربٌ منها أو يزيد على الازدواج ، ومن جهة ما يكون غير مقطع ، إلى مقادير بقصد تناسب أطرافها ، وتقارب ما بينها في كمية الألفاظ والحروف ثلاثة مذاهب :

منهم من يكره تقطيع الكلام إلى مقادير متناسبة الأطراف ، غير متقاربة في الطول والقصر لما فيه من التكلف ، إلا ما يقع به الإلمام في النادر من الكلام .

والثاني أن التناسب الواقع بإفراغ الكلام في قوالب التقفية وتحليتها بمناسبات المقاطع أكدٌ جدا .

والثالث - وهو الوسط - أن السَّجْع لما كان زينةً للكلام ، فقد يدعو إلى التكلف ، فرئى ألا يستعمل في جملة الكلام ، وأن لا يُخَلَّى الكلام بالجملة منه أيضا ، ولكن يقبل من الخاطر فيه ما اجتلبه عفوا ، بخلاف التكلف ، وهذا رأى أبي الفرج قدامة^(١) .

قال حازم : وكيف يعاب السَّجْع على الإطلاق ! وإنما نَزَلَ القرآن على أساليب الفصيح من كلام العرب ، فوردت الفواصل فيه بإزاء ورود الأسجاع في كلام العرب ، وإنما لم يحىء على أسلوب واحد ، لأنه لا يحسن في الكلام جميعا أن يكون مستمرا على نمط واحد ، لما فيه من التكلف ، ولما في الطابع من الملل عليه . ولأن الافتنان في ضروب الفصاحة أعلى من الاستمرار على ضرب واحد ، فلهذا وردت بعض آي القرآن متماثلة المقاطع ، وبعضها غير متماثل .

[إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل]

واعلم أن إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل حيث تطرد متأكدا جدا ، وهو أثر في اعتدال نسق الكلام وحسن موقعه من النفس تأثيرا عظيما ، ولذلك خرج عن نظم الكلام لأجلها في مواضع :

(١) هو أبو الفرج قدامة بن جعفر صاحب كتاب نقد الشعر ، ذكر ابن الجوزي أنه توفي سنة ٣٣٧ (وانظر ترجمته في معجم الأدباء ١٧ : ١٢) .

أحدها زيادة حرفٍ لأجلها ، ولهذا ألحقت الألف بـ « الظنون » في قوله تعالى : ﴿ وَتَظُنُّونَ بِاللّٰهِ الظُّنُونَا ۝ ﴾ ^(١) ، لأن مقاطعَ فواصل هذه السورة أَلِفَاتٌ منقلبة عن تنوين في الوقف ، فزيد على النون أَلِفٌ لتساوي المقاطع ، وتناسب نهايات الفواصل ، ومثله : ﴿ فَأَظْلَمْنَا السَّبِيلَا ۝ ﴾ ^(٢) ، ﴿ وَأَطْمَأْنَنَّا الرُّسُلَا ۝ ﴾ ^(٣) .

وأنكر بعض المقاربة ذلك وقال : لم تُزد الألفُ لتتناسب رموس الآي كما قال قوم ، لأن في سورة الأحزاب : ﴿ وَاللّٰهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ۝ ﴾ ^(٤) وفيها : ﴿ فَأَظْلَمْنَا السَّبِيلَا ۝ ﴾ ^(٥) ، وكل واحد منها رأسُ آية ، وثبتت الألف بالنسبة إلى حالةٍ أخرى غير تلك في الثاني دون الأول ، فلو كان لتتناسب رموس الآي لثبت من الجميع .

قال : وإنما زيدت الألف في مثل ذلك لبيان القسمين ، واستواء الظاهر والباطن بالنسبة إلى حالةٍ أخرى غير تلك . وكذلك لحاق هاء السكت في قوله : ﴿ مَا هِيَ ۝ ﴾ ^(٦) في سورة القارعة ، هذه الهاء عدلت مقاطعَ الفواصل في هذه السورة ، وكان للحاقها في هذا الموضع تأثيرٌ عظيم في الفصاحة .

وعلى هذا - والله أعلم - ينبغي أن يُحمل لحاق النون في المواضع التي قد تكلم في لحاق النون بإياها ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝ ﴾ ^(٧) ، وقوله تعالى : ﴿ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِثِينَ ۝ ﴾ ^(٨) فإن من مآخذ الفصاحة ومذاهيبها أن يكون ورود هذه النون في مقاطع هذه الأنحاء للآي راجح الأصالة في الفصاحة ، لتكون فواصلُ السور الوارد فيها ذلك قد استوتق فيما قبل حروفها المتطرفة ، وقوع حرفي المد واللين .

(٢) سورة الأحزاب ٦٧

(٤) سورة الأحزاب ٤

(٦) سورة يس ٤٠

(١) سورة الأحزاب ١٠

(٣) سورة الأحزاب ٦٦

(٥) سورة القارعة ١٠

(٧) سورة البقرة ٦٥

وقوله تعالى : ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾ ^(١) وهو طورُ سَيْنَاءَ ؛ لقوله : ﴿ وَشَجَرَةَ تَحْرُجٍ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ ﴾ ^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ^(٣) كرر «لعلّ» مراعاة لفواصل الآي ، إذ لو جاء على الأصل لقال : لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ فَيَعْلَمُوا ؛ بحذف النون على الجواب .

الثاني حذف همزة أو حرفٍ اطراداً ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾ ^(٤) .

الثالث الجمع بين المجزورات ؛ وبذلك يُجَابِ عن سؤال في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لَا تَجْدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴾ ^(٥) فإنه قد توالى المجزورات بالأحرف الثلاثة ، وهي اللام في ﴿ لَكُمْ ﴾ والباء في ﴿ بِهِ ﴾ و « على » في ﴿ عَلَيْنَا ﴾ وكان الأحسن الفصل .
وجوابه أن تأخر ﴿ تَبِيعًا ﴾ وترك الفصل أرجح من أن يفصل به بين بعض الروابط ، وكذلك الآيات التي تتصل بقوله : ﴿ ثُمَّ لَا تَجْدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴾ ، فإن فواصلها كلها منصوبة منوثة ، فلم يكن بدٌّ من تأخير قوله : ﴿ تَبِيعًا ﴾ لتكون نهاية هذه الآية مناسبةً لنهايات ما قبلها حتى تتناسق على صورة واحدة .

الرابع تأخير ما أصله أن يقدم ، كقوله تعالى : ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴾ ^(٦) ، لأن أصل الكلام أن يتصل الفعلُ بفاعله ويؤخرَ المفعول ، لكن آخرَ الفاعل ، وهو « موسى » لأجل رعاية الفاصلة .

قلت : للتأخير حكمةً أخرى ، وهي أن النفس تتشوق لفاعل ﴿ فَأَوْجَسَ ﴾ ، فإذا جاء بعد أن أخرَّ وقعَ بموقع .

(١) سورة التين ٢ (٢) سورة « المؤمنون » ٢٠ (٣) سورة يوسف ٤٦
(٤) سورة الفجر ٤ (٥) سورة الإسراء ٦٩ (٦) سورة طه ٦٧

وكقوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى ﴾^(١)
فإن قوله : ﴿ وَأَجَلٌ مُسَمًّى ﴾ معطوف على ﴿ كَلِمَةٌ ﴾ ولهذا رفع . والمعنى : ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ ﴾ في التأخير ﴿ وَأَجَلٌ مُسَمًّى ﴾ لكان العذاب لازما . لكنه قدم
وأخر لتشتبك رءوس الآي . قاله ابن عطية .

وجوز الزمخشري عطفه على الضمير في ﴿ لَكَانَ ﴾ ، أي لكان الأجل العاجلُ وأجل
مسمى لازمين له كما كانا لازمين لعادٍ وثمودَ ، ولم ينفرد الأجل المسمى دون الأجل
العاجل .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذْرُ ﴾^(٢) ، فأخر الفاعل لأجل الفاصلة .
وقوله : ﴿ وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾^(٣) أخر الفعل عن المفعول فيها وقدمه فيما قبلها في
قوله : ﴿ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾^(٤) لتوافق [رءوس]^(٥) الآي . قاله
أبو البقاء ، وهو أجود من قول الزمخشري : قدم المفعول للاختصاص .

ومنه تأخير الاستعانة عن العبادة في قوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾^(٥)
وهي قبل العبادة ، وإنما أخرجت لأجل فواصل السورة في أحد الأجوبة .

الخامس أفراد ما أصله أن يجمع كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴾^(٦)
قال القراء^(٧) : الأصل « الأنهار » ؛ وإنما وُحِدَ لأنه رأس آية ، فقابل بالتوحيد رءوس

(١) سورة طه ١٢٩

(٢) سورة القمر ٤١ (٣) سورة البقرة ٣

(٤) تكملة من كتاب " أملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن ، لأبي البقاء

عبد الله بن الحسين العكبري . توفي سنة ٦١٦ . (وانظر ترجمته في بنية الوعاة ٢٨١) .

(٥) سورة الفاتحة ٥ (٦) سورة القمر ٥٤

(٨) هو يحيى بن زياد القراء ؛ إمام الكوفة في النحو واللغة وصاحب كتاب معاني القرآن . توفي سنة ٢٠٧ .

(وانظر ترجمته في ابن خلكان ٢ : ٢٢٨)

الآى . ويقال النهر الضياء والسعة ، فيخرج من هذا الباب ^(١) .

وقوله : ﴿ وَمَا كُنْتُ مَتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾ ^(٢) قال ابن سيدة ^(٣) فى المحكم : أى أعضاداً ، وإنما أفرد ليعدل رءوس الآى بالإفراد . والعضد : المعين ^(٤) .

السادس جمع ما أصله أن يفرد ، كقوله تعالى : ﴿ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴾ ^(٥) فإن المراد « ولا خلة » بدليل الآية الأخرى ، لكن جمعه لأجل مناسبة رءوس الآى .

السابع تثنية ما أصله أن يفرد ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾ ^(٦) .

قال القراء : هذا باب مذهب العرب فى تثنية البقعة الواحدة وجمعها كقوله : « ديار لها بالرقمتين » ^(٧) وقوله : « بطن المسكتين » ^(٨) وأشير بذلك إلى نواحيها ، أو للإشعار بأن لها وجهين ، وأنتك إذا أوصلتها ونظرت إليها يمينا وشمالا رأيت فى كلتا الناحيتين ما يملأ عينك قرة ، وصدرك مسرة .

(١) العبارة فى كتاب معانى القرآن : « وقوله : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴾ معناه أنهار ؛ وهو فى مذهبه كقوله : ﴿ سَيُهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ ﴾ ، وزعم الكسانى أنه سمع العرب يقولون : أتينا فلانا ، فكنا فى لحمه ونبيذه ، فوجد ؛ ومعناه الكثير . ويقال : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴾ ، فى ضياء وسعة .

(٢) سورة الكهف ٥١ .

(٣) هو على بن إسماعيل أبو الحسن الضرير ، المعروف بابن سيدة ، العالم الأندلسى ، صاحب المحكم والمختص . توفى سنة ٤٤٨ . (إنباه الرواة ٢ : ٢٢٥)

(٤) اللسان (عضد) (٥) سورة إبراهيم ٣١

(٦) سورة الرحمن ٤٦ (٧) قطعة من بيت زهير ؛ والبيت بتمامه :

ديار لها بالرقمتين كأنها مراجيع وشم فى نواشير معظم

(٨) البيت بتمامه فى أمالى المرتضى ٢ ، ١٤٨ :

فقولا لأهل المسكتين تحاشدوا وسيروا إلى أطام يثرب والمخل

قال : وإنما ثنّاهما هنا لأجل الفاصلة ؛ رعايةً للتي قبلها والتي بعدها على هذا الوزن .
والقوا في تحملُ في الزيادة والنقصان ما لا يحتمله سائر الكلام .

وأنكر ذلك ابنُ قتيبة ^(١) عليه وأغلظ وقال : إنما يجوز في رهوس الآي زيادةُ هاء
السكت أو الألف ، أو حذف همزة أو حرف . فأما أن يكون الله وَعَدَ جنتين فتجعلهما جنة
واحدة من أجل رهوس الآي فعاذ الله . وكيف هذا وهو يصفها بصفات الاثنين ، قال :
﴿ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴾ ^(٢) ، ثم قال فيها : ﴿ فِيهِمَا ﴾ ^(٣) . ولو أن قائلًا قال في خزنة النار : إنهم
عشرون ، وإنما جعلهم الله تسعةَ عشرَ لرأس الآية ، ^(٤) ما كان هذا القول إلا كقول القراء .
قلت : وكأنَّ الملجئَ للقراء إلى ذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى
النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ . فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ ^(٥) ، وعكس ذلك قوله تعالى : ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمْ
مِنَ الْجَنَّةِ قَتَشَقَى ﴾ ^(٦) ؛ على أن هذا قابلٌ للتأويل ؛ فإن الألف واللام للعموم ، خصوصاً أنه
يرد على القراء قوله : ﴿ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴾ ^(٧) .

الثامن : تأنيثُ ما أصله أن يذكر ، كقوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ ﴾ ^(٨) ؛ وإنما
عدل إليها للفاصلة .

التاسع كقوله : ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ ^(٩) ، وقال في العلقى : ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ

(١) هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ؛ صاحب عيون الأخبار ومشكل القرآن وغيرهما .
توفي سنة ٢٧٠ . (وانظر ترجمته في إنباء الرواة ٢ : ١٤٣)
(٢) سورة الرحمن ٤٨ .

(٣) سورة الرحمن ٥٠ ، والآية بتمامها : ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴾ .

(٤) إشارة إلى قوله تعالى في سورة المدثر ٢٧ - ٣٠ : ﴿ وَمَا أَذْرَاكَ مَا سَقَرٌ . لَا تُبْقِي وَلَا

تَذَرُ . لَوْ أَهْلَةٌ لِلْبَشَرِ . عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ .

(٥) سورة النازعات ٤٠ ، ٤١ (٦) سورة طه ١١٧

(٧) سورة المدثر ٥٤ (٨) سورة الأعلى ١

ربك الَّذِي خَلَقَ ﴿^(١)﴾ ، فزاد في الأولى ﴿الأعلى﴾ ، وزاد في الثانية : ﴿خلق﴾ ، مراعاةً للفواصل في السورتين ، وهي في «سبح» ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ ^(٢) وفي «العلق» ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ ^(٣) .

العاشر: صرف ما أصله ألا ينصرف ؛ كقوله تعالى : ﴿قَوَارِيرًا . قَوَارِيرًا﴾ ^(٤) صرف الأول لأنه آخر الآية ، وآخر الثاني بالألف ، فَحَسُنْ جَعَلُهُ مُنَوَّنًا لِيُقْلَبَ تَنْوِينُهُ أَلْفًا ، فيتناسب مع بقية الآي ، كقوله تعالى : ﴿سَلَسِلًا وَأَغْلَالًا﴾ ^(٥) فَإِنْ ﴿سَلَسِلًا﴾ لما نظم إلى ﴿أَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾ ^(٦) صُرِفَ وَنُوِّنَ لِلتَّنَاسُبِ ، وبقي «قواريرا» الثاني ؛ فإنه وإن لم يكن آخر الآية جاز صرفه ، لأنه لما نون «قواريرا» الأول ناسب ، أن ينون «قواريرا» الثاني ليتناسبًا ، ولأجل هذا لم ينون «قواريرا» الثاني إلا من ينون «قواريرا» الأول . وزعم إمام الحرمين في «البرهان» ، أن من ذلك صُرِفَ ما كان جمعًا في القرآن ليناسب رموس الآي ؛ كقوله تعالى : ﴿سَلَسِلًا وَأَغْلَالًا﴾ .

وهذا مردود ، لأن «سلاسلا» ليس رأس آية ، ولا «قواريرا» الثاني ، وإنما صُرِفَ للتناسب ، واجتماعه مع غيره من المنصرفات ، فيرد إلى الأصل ليتناسب معها .

ونظيره في مراعاة المناسبة أن الأفصح أن يقال : «بدأ» ثلاثي ؛ قال الله تعالى : ﴿كَمَا يَبْدَأُكُمْ تَعْوِدُونَ﴾ ^(٧) . وقال تعالى : ﴿كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ ^(٨) ثم قال : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ ^(٩) ، فجاء به رباعيًا فصيحًا لما حسنه من التناسب بغيره وهو قوله : ﴿يُعِيدُهُ﴾ .

(٢) سورة الأعلى ٢

(١) سورة العلق ١

(٤) سورة الإنسان ١٥ ، ١٦

(٣) سورة العلق ٢

(٥) هي قراءة نافع وأبو بكر والكسائي وأبو جعفر ، (وانظر إتخاف فضلاء البشر ص ٤٢٩) .

(٧) سورة الأعراف ٢٩

(٦) سورة الإنسان ٤

(٩) سورة النكبات ١٩

(٨) سورة النكبات ٢٠

الحادى عشر : إمالة ما أصله ألا يُمال ؛ كما إمالة ألف ﴿ والضحي . والليل إذا سَجى ﴾^(١) ،
ليشاكل التلفظ بهما التلفظ بما بعدها .

والإمالة أن تنحو بالألف نحو الياء ، والغرض الأصل منها هو التناسب ، وعبر عنه
بعضهم بقوله : الإمالة للإمالة . وقد يمال لكونها آخر مجاور ما أميل آخره ؛ كألف « تلا »
فى قوله تعالى : ﴿ والقمر إذا تلاها ﴾^(٢) ، فأميلت ألف ﴿ تلاها ﴾ ليشاكل التلفظ بها اللفظ
الذى بعدها ، بما ألفه غير ياء ؛ نحو ﴿ جلاها ﴾ ، و ﴿ غشاها ﴾ .

فإن قيل : هلا جعلت إمالة ﴿ تلاها ﴾ لمناسبة ما قبلها ، أغنى ﴿ ضحاها ﴾ ؟ قيل : لأن ألف
﴿ ضحاها ﴾ عن واو ، وإنما أميل لمناسبة ما بعده .

الثانى عشر : العدول عن صيغة المضى إلى الاستقبال ، كقوله تعالى : ﴿ ففريقاً
كذبتم وفريقاً تقتلون ﴾^(٣) ؛ حيث لم يقل « وفريقاً قتلتم » كما سوى بينهما فى سورة
الأحزاب فقال : ﴿ فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً ﴾^(٤) ؛ وذلك لأجل أنها هنا رأس آية .

(٢) الشمس ٢

(١) سورة الضحى ١ ، ٢

(٤) سورة الأحزاب ٢٦

(٣) سورة البقرة ٨٧

تفريعات

[ختم مقاطع الفواصل بحروف المدّ واللين]

ثم هنا تفريعات :

الأول : قد كثرت في القرآن الكريم ختمُ كلمةٍ للمقطع من الفاصلة بحروف المدّ واللين وإلحاق النون ؛ وحكمته وجودُ التمكن من التطريب بذلك .
قال سيبويه رحمه الله : « أما ^(١) إذا ترنّموا فإنهم يُلحقون الألفَ والواو والياء ؛ [ما ينون وما لا ينون] ^(٢) ؛ لأنهم أرادوا مدّة الصوت ^(٣) .

(١) الكتاب ٢ : ٢٩٨-٢٩٩ ، باب وجوه القوافي في الإنشاد .

(٢) تكملة من الكتاب .

(٣) بقية الكلام كما في الكتاب : « وذلك قوله :

* قفا نيك من ذكري حبيب ومنزل *

وقال في النصب ليزيد بن الطرية :

فَبِنَا تَحِيدُ الْوَحْشُ عَنَا كَأَنَّا قَتِيلَانِ لَمْ يَعْلَمْ لَنَا النَّاسُ مُصْرَعَا

وقال في الرفع للأعشى :

* هُريرة ودّعها وإن لآمٍ لآئمو *

هذا ما ينون فيه . وما لم ينون فيه قولهم ، لجرير :

* أَقَلِّي اللَّوْمَ عَاذِلَ وَالْعِتَابَا *

وقال في الرفع لجرير :

مَتَى كَانَ الْخِيَامُ بِذِي طُلُوحٍ سَقَيْتِ النِّعْثَ أَيُّهَا الْخِيَامُ!

وقال في الجر لجرير أيضاً :

أَيُّهَاتَ مَنْزِلُنَا بِنَعْفِ سُوَيْقَةٍ كَانَتْ مَبَارَكَةً مِنَ الْأَيَّامِ

وإنما ألحقوا هذه المدة في حروف الروي ، لأنّ الشعر وضع للفناء والترنم ، فألحقوا كل حرف الذي حركته منه «

١١) وإذا أنشدوا ولم يترنموا: فأهلُ الحجاز يدعون القوافي على حالها في الترنم؛ وناسٌ من بني تميم يبدلون مكان المدة النون «^(١)». انتهى .
وجاء القرآن على أعذب مقطع، وأسهل موقف .

[مبنى الفواصل على الوقف]

الثاني : إن مبنى الفواصل على الوقف؛ ولهذا شاع مقابلة المرفوع بالمجرور وبالعكس ، وكذا المفتوح والمنصوب غير المنون ؛ ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينِ

(١ - ١) النص كما في الكتاب : « فإذا أنشدوا ولم يترنموا فعلى ثلاثة أوجه : أما أهل الحجاز فيدعون هذه القوافي — ما نون منها وما لم ينون — على حالها في الترنم ، ليفرقوا بينه وبين الكلام الذي لم يوضع للقناء . وأما ناس كثير من بني تميم فإنهم يبدلون مكان المدة النون فيما ينون ؛ وما لم ينون لما لم يريدوا الترنم ؛ بدلوا مكان المدة نونا ولفظوا بهام البناء وما هو منه . كما فعل أهل الحجاز ذلك بحروف المد ؛ سمعناهم يقولون :

* يَا أَبَتَا عَلَّكَ أَوْعَسَا كُنْ *

وللعجاج :

* ياصباح ماهاج العيون الذرّاقن *

وقال العجاج :

* مِنْ طَلَلٍ كَالْأَنْحَمَى أَنْهَجَنَ *

وكذلك الجر والرفع، والمكسور والمفتوح والمضموم في جميع هذا كالمجرور والمنصوب والمرفوع . وأما الثالث فإن يجزوا القوافي مجراها لو كانت في الكلام ولم تكن قوافي شعر؛ جلوه كالقوافي حيث لم يترنموا ، وتركوا المدة لهمم أنها في أصل البناء ؛ سمعناهم يقولون لجرير :

* أَقَلِّي اللَّوْمَ عَاذِلَ وَالْعِتَابَ *

ولالأخطل :

* وَأَسْأَلُ بِمِصْقَلَةِ الْبَكْرِى مَا فَعَلَ *

وكان هذا أخف عليهم . ويقولون :

* قَدْ رَأَيْتُ حَفْصَ فَرَكَ حَفْصًا *

ينبتون الألف لأنها كذلك في الكلام .

لازب^(١)؛ مع تقدم قوله : ﴿عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾^(٢) ، و ﴿شَهَابٌ ثاقِبٌ﴾^(٣) . وكذا ﴿بِئَاءَ مُنْهَرٍ﴾^(٤) ، و ﴿قَدْ قُدِرَ﴾^(٥) . وكذا : ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾^(٦) مع ﴿وَيَنْشِئُ السَّحَابَ الثَّقَالَ﴾^(٧) .

وعبارة السكاكي^(٨) قد تعطى اشتراط كون السجع يشترط فيه الموافقة في الإعراب لما قبله ؛ على تقدير عدم الوقوف عليه ؛ كما يشترط ذلك في الشعر . وبه صرح ابن الخشاب^(٩) معترضاً على قول الحريري^(١٠) في المقامة التاسعة والعشرين :

يا صارفاً عني المودة والزمان له صُروفٌ
ومعني في فصح من جاوزتُ تعنيف العسوف^(١١)
لا تلحني فيما أتيتُ فإتني بهم عروف
ولقد نزلتُ بهم فلم أرهم يراعون الضيوف
وبلوتهم فوجدتهم لما سبكتهم زيوف

ألا ترى أنها إذا أُطِقت ظهر الأول والثالث مرفوعين ، والرابع والخامس منصوبين ،

(١) سورة الصافات ١١ (٢) سورة الصافات ٩

(٣) سورة الصافات ١٠ (٤) سورة القمر ١١

(٥) سورة القمر ١٢ (٦) سورة الرعد ١١

(٧) سورة الرعد ١٢

(٨) هو أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد الخوارزمي المعروف بالسكاكي ، صاحب كتاب مفتاح العلوم ، توفي سنة ٤٢٥ هـ (بنيّة الوعاة ٤٢٥) .

(٩) هو أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد الخشاب ؛ النحوي البغدادي ؛ وله رسالة نقد فيها مقامات الحريري ورد عليه ابن بري ؛ طبعت كلتاهما في ذيل المقامات ، توفي سنة ٥٦٧ هـ (وانظر ترجمته في إنباه الرواة ٢ : ٩٩) .

(١٠) هو أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري ، صاحب المقامات ، وأحد أئمة الأدب واللغة والنحو في عصره ، توفي سنة ٥١٦ هـ . (وانظر ترجمته في إنباه الرواة ٣ : ٢٣) .

(١١) العسوف : الآخذ بقوة .

والثاني مجرورا ، وكذا باقى القصيدة ^(١) .

والصواب أن ذلك ليس بشرط لما سبق ؛ ولا شك أن كلمة الأسجاع موضوعة على أن تكون ساكنة الأعجاز ، موقوفا عليها ؛ لأن الغرض المجانسة ^(٢) بين القرائن والمزاوجة ؛ ولا يتم ذلك إلا بالوقف ^(٣) ، ولو وصلت لم يكن بدّ من إجراء كلّ القرائن على ما يقتضيه حكم الإعراب فعطّلت عمل الساجع وفوتّ غرضهم .

وإذا رأيتهم يُخرجون الكلم عن أوضاعها لغرض الازدواج ؛ فيقولون : « آتيك بالغدايا والعشايا » ^(٤) مع أن فيه ارتكابا لما يخالف اللغة ، فما ظنك بهم في ذلك !

(١) قال ابن برى في رده : « الذى ذكره ابن الحريرى صحيح ؛ ولا يلزم أن يكون إعراب المقيد كإعرابه لو أطلق ؛ لأنرى إلى قول امرئ القيس :

إذا ذقت فاهأ قلت طعم مدامة معتقة مما تنجى به التجرُّ

ثم قال بعده : « جاءت بريح من القطر » فالقطر في موضع خفض ، والتجرُّ في موضع رفع ، وقال ضرفة :
* ومن الحبّ جنونٌ مُستعيرٌ *

ثم قال :

* ليس هذا منك مأوى محرّ *

فستر في موضع رفع ، و « حر » في موضع خفض ، وقال الأعشى :

أتبكر غانية أم تلم أم الخبل وإيه بها منجذم

فمنجذم في موضع رفع ، ثم قال بعده :

ونظرة عين على غرة محلّ الخليط بصحراء زمّ

زمّ في موضع جر ؛ ومى اسم بئر ؛ وهذا النحو كثير جدا في شعر العرب . (وانظر ص ٢٤ من رسالة نقد ابن الحشاش ، ورد ابن برى عليها في ذيل القامات) .

(٢) م : « المجاوزة » .

(٣) م : « الوقوف » .

(٤) قال الليث : « العدو : جمع ، مثل العدوات والعدى . وقالوا : إني لا آتية بالغدايا والعشايا ، والغدا لا تجمع على الغدايا ؛ ولكنهم كسروه على ذلك إجابة بين لفظه ولفظ العشايا ؛ فإذا أفردوه لم يكسروه . وانظر اللسان - غدا .

[المحافظة على الفواصل لحسن النظم والتشامه]

الثالث : ذكر الزمخشري في كشفه القديم أنه لا تحسن المحافظة على الفواصل لمجردها إلا مع بقاء المعاني على سدادها، على النهج الذي يقتضيه حسن النظم والتشامه . كما لا يحسن تخير الألفاظ المورقة في السمع ، السليسة على اللسان ؛ إلا مع مجيئها متقادة للمعاني الصحيحة المنتظمة ؛ فأما أن سهّل المعاني، ويُسَمَّ بتحسين اللفظ وحده ، غير منظوريه إلى مؤاده على بال ، فليس من البلاغة في قتيل أو نقير . ومع ذلك يكون قوله : ﴿ وبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ ^(١) وقوله : ﴿ وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ ^(٢) لا يُتَأَنَّى فيه ترك رعاية التناسب في العطف بين الجمل الفعلية إشاراً للفاصلة - لأن ذلك أمرٌ لفظيٌّ لا طائل تحته - وإنما عُذِلَ إلى هذا لقصد الاختصاص .

[تقسيم الفواصل باعتبار المتماثل والمتقارب في الحروف]

الرابع : أن الفواصل تنقسم إلى ما تماثلت حروفه في المقاطع - وهذا يكون في السَّجْع - وإلى ما تقاربت حروفه في المقاطع ولم تتماثل ؛ وهذا لا يكون سجعاً . ولا يخلو كل واحد من هذين القسمين ^(٣) : - أعنى المتماثل والمتقارب - من أن يأتي طوعاً سهلاً تابعا للمعاني ، أو متكلفاً يتبعه المعنى .

فالتقسيم الأول هو الحمود الدال على الثقافة وحسن البيان ، والثاني هو المذموم . فأما القرآن فلم يرد فيه إلا القسم الأول لعلوه في الفصاحة . وقد وردت فواصله متماثلة ومتقاربة .

(١) سورة البقرة ٤ (٢) سورة البقرة ٣

(٣) ت ، م : « المذهمين » .

مثال المائلة قوله تعالى : ﴿ وَالطُّورِ . وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ . فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ . وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ . وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴾ ^(١) .

وقوله تعالى : ﴿ طه . مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى . إِلَّا تَذَكُّرَةً لِمَنْ يَخْشَى . تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى . الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ ^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا . فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا . فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا . فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا . فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴾ ^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿ وَالْقَجْرِ . وَلَيَالٍ عَشْرٍ . وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ . وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ... ﴾ ^(٤) . إلى آخره . وحذفت الياء من ﴿ يَسْرِ ﴾ طلباً للموافقة في الفواصل .

وقوله تعالى : ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ ^(٥) ؛ وجميع هذه السورة على الازدواج .

وقوله تعالى : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ . الْجَوَارِي الْكُنَّسِ . وَاللَّيْلِ إِذَا عَنَسَ . وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ ^(٦) .

(١) سورة الطور ١ - ٥ . طور سينين : جبل بمدين ، سمع فيه موسى كلام الله . مسطور : مكتوب . والرق المنشور : ما يكتب عليه . والبيت المعمور : الكعبة ، والسقف المرفوع هنا : السماء .

(٢) سورة طه ١ - ٥

(٣) سورة العاديات ١ - ٥ . العاديات : الخيل التي تجري . والضبح : صوت أُنَاسِها عند الجري . الموريات : من الإبراء ؛ وهو إخراج الغبار بنحو الزناد . والقدرح : الضرب لإخراج النار . والمغيرات : الخيل التي تغير على العدو . والنقع : الغبار . ووسطن : توسطن .

(٤) سورة القجر ١ - ٤ .

(٥) سورة القمر ١ .

(٦) سورة التكوير ١٥ - ١٨ . الخنس الجوارى الكنس : قيل هي الدارى الخسة ؛ وهي عطاريد ، والزهرة والريخ ، والمشتى ، وزحل ؛ وذلك لأنها تجري مع الشمس ؛ ثم ترى راجعة حتى تختفي في ضوء الشمس ؛ فرجوعها في رأى العين هو خنوسها ، واختفاؤها هو كنوسها . وعمن الليل : أدير .

وقوله تعالى : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ . وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ . وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ . لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ﴾ ^(١) .

وقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ . وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ ^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ أَمْرٌ نَأْمُرُ فِيهَا ، فَفَسَقُوا فِيهَا ﴾ ^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ . وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾ ^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ . وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾ ^(٥) .

وقوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ . وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ... ﴾ ^(٦) الآية

وقوله تعالى : ﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا ، أَوْ لَنَعْمُدَنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ ^(٧) .

ومثال المتقارب في الحروف قوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ . مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ ^(٨) .

وقوله تعالى : ﴿ ق . وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ . بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ

(١) سورة الانشقاق ١٦ - ١٩ . الشفق : ما يبق في الأفق من الحمرة ؛ وقيل من البياض ، ووسق : جمع . واتساق القمر : تمامه . ولتركن طبقا عن طبق ؛ قال الزجاج : لتركبن حالا بعد حال حتى تصيروا إلى الله .

(٢) سورة الضحى ٥ ، ٦

(٣) سورة الإسراء ١٦

(٤) سورة ن ٣ ، ٤

(٥) سورة الأعراف ٢٠١ ، ٢٠٢ .

(٦) سورة القيامة ٢٦ ، ٢٧ . التراقى : جمع ترقوة . والترقوتان : عظمتان تمتدان يمينا وشمالا من ثغرة النحر إلى العاتق . والراقى : اسم فاعل ، من رفاه يرقيه ، ؛ إذا أجرى له الرقية .

(٧) سورة الأعراف ٨٨ (٨) سورة الفاتحة ٣ ، ٤

الكافرون هذا شيء عجيب^(١) .

وهذا لا يسمى سجعاً قطعاً عند القائلين بإطلاق السجع في القرآن، لأن السجع ما تماثلت حروفه .

إذا علمت هذا^(٢) ، فاعلم أن فواصل القرآن الكريم لا تخرج عن هذين القسمين ؛ بل تنحصر في المماثلة والمتقاربة ، وبهذا يترجح مذهب الشافعي على مذهب أبي حنيفة في عدّ الفاتحة سبع آيات مع البسلة ؛ وذلك لأن الشافعي أثبت لها في القرآن قال : ﴿ صراط الذين ﴾ ، الخ سورة آية واحدة ، وأبو حنيفة لما أسقط البسلة من الفاتحة قال : ﴿ صراط الذين أنعمت عليهم ﴾^(٣) آية ، و ﴿ غير المغضوب عليهم ﴾^(٤) آية . ومذهب الشافعي أولى ، لأن فاصلة قوله : ﴿ صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ لا تشابه فاصلة الآيات المتقدمة ، ورعاية التشابه في الفواصل لازم . وقوله : ﴿ أنعمت عليهم ﴾ ليس من القسمين فامتنع جعله من المقاطع ؛ وقد اتفق الجميع على أن الفاتحة سبع آيات ؛ لكن الخلاف في كيفية العدد .

[تقسيم الفواصل باعتبار المتوازي والمتوازن والمطرف]

الخامس : قسم البديعون السجع والفواصل أيضاً إلى متوازي ، ومطرف ، [ومتوازن]^(٥) . وأشرفها المتوازي ، وهو أن تتفق الكلمتان في الوزن وحروف السجع ؛ كقوله تعالى : ﴿ فيها سرور مرفوعة . وأكواب موضوعة ﴾^(٦) ، وقوله ﴿ والتوراة والإنجيل . ورسولاً إلى بني إسرائيل ﴾^(٧) .

(١) سورة ق ١ - ٢ (٢) ت : « ذلك » .

(٣) سورة الفاتحة ٧ .

(٤) زيادة يقتضيها السياق ؛ وانظر الإتيان (٢ : ١٠٤) .

(٥) سورة العاشية ١٣ ، ١٤ .

(٦) سورة آل عمران ٤٨ ، ٤٩ .

والمطرف أن يتفقا في حروف السجع لافي الوزن ؛ كقوله تعالى : ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ
لِلَّهِ وَقَاراً . وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً ﴾ ^(١) .

والموازن ^(٢) أن يُراعى في مقاطع الكلام الوزن فقط ، كقوله تعالى : ﴿ وَنَمَارِقُ
مَصْفُوفَةً . وَزُرَابِيٌّ مَبْثُوثَةٌ ﴾ ^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ . وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ ^(٤) . فلفظ
« الكتاب » و « الصراط » متوازنان ^(٥) . ولفظ « المستبين » و « المستقيم » متوازنان .
وقوله : ﴿ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا . إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا . وَرَأَاهُ قَرِيبًا . يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ
كَالْمُهْلِ . وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴾ ^(٦) .

وقوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّهَا لَأَطَى . نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى . تَدْعُو مَنَ أَذْبَرَ وَتَوَلَّى . وَجَمَعَ
فَأَوْعَى ﴾ ^(٧) .

وقوله : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى . وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ... ﴾ ^(٨) إلى آخرها .

وقوله : ﴿ وَالضُّحَى . وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى . مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ... ﴾ ^(٩) إلى آخرها .

وقد تكرر في سورة « جمعسق » في قوله : تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يِمْنَادُونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ

(١) سورة نوح ١٢ ، ١٣ .

(٢) في الأصول : « المتوازي » تحريف .

(٣) سورة الغاشية ١٥ ، ١٦ . والنمارق : الوسائد . والزرابي : البسط . والمبثوثة : المبسوطة .

(٤) سورة الصافات ١١٧ ، ١١٨ .

(٥) في الأصول : « متوازنان » تحريف .

(٦) المعارج ٥ - ٩ . والمهل : مائع الزيت ، أو مائع الفلز المذاب كالنحاس والحديد والفضة . والعهن :
الصوف المصبوغ ألواناً من أصفر وأحمر وأخضر .

(٧) المعارج ١٥ - ١٨ . الأطى : اسم للنار ذات اللهب . والشوى : كل ما لم يكن مقتلاً من الأعضاء
كالأيدين والرجلين والأطراف .

(٨) سورة الليل ١ ، ٢ (٩) سورة الضحى ١ - ٣ .

مَا اسْتَجِيبَ لَهُ ﴿١﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ السَّبْعِ ؛ فُجِعَ فِي فَوَاصِلِهَا بَيْنَ « شَدِيدٍ » وَ « قَرِيبٍ » وَ « بَعِيدٍ » وَ « عَزِيزٍ » وَ « نَصِيبٍ » وَ « أَلِيمٍ » وَ « كَبِيرٍ » عَلَى هَذَا التَّرْتِيبِ ؛ وَهُوَ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ ، وَفِي الْمَفْصَلِ خَاصَّةً فِي قِصَارِهِ .

وَمِنْهُمْ مَنْ يَذْكُرُ بَدْلَهُ التَّرْصِيعَ ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْمُتَقَدِّمُ مِنَ الْفَقْرَتَيْنِ مُؤَلِّفًا مِنْ كَلِمَاتٍ مُخْتَلَفَةٍ ، وَالثَّانِي مُؤَلِّفًا مِنْ مِثْلِهَا فِي ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ : وَهِيَ الْوِزْنُ وَالتَّقْفِيَةُ وَتَقَابُلُ الْقِرَاءَتَيْنِ ، قِيلَ : وَلَمْ يَجِءْ هَذَا الْقِسْمُ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ لِمَا فِيهِ مِنَ التَّكَلُّفِ .

وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ . وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ . (٢) وَلَيْسَ كَذَلِكَ ، لَوُرُودُ لَفْظَةِ « إِنَّ » وَ « لَفِي » فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الشَّطْرَيْنِ ، وَهُوَ مُخَالَفٌ لَشَرَطِ التَّرْصِيعِ ؛ إِذْ شَرْطُهُ اخْتِلَافُ الْكَلِمَاتِ فِي الشَّطْرَيْنِ جَمِيعًا .

وَقَالَ بَعْضُ الْمَغَارِبَةِ : سُورَةُ الْوَاقِعَةِ مِنْ نَوْعِ التَّرْصِيعِ ، وَتَبَعُ آخِرَ آيَاتِهَا يَدْلُ عَلَى أَنَّ فِيهَا مُوَازَنَةً .

قَالُوا : وَأَحْسَنُ السَّبْعِ مَا تَسَاوَتْ قِرَائَتُهُ ، لِيَكُونَ شَبِيهَا بِالشَّعْرِ ، فَإِنَّ آيَاتِهِ مُتَسَاوِيَةٌ ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ . وَطَلْحٍ مَنضُودٍ . وَظُلِّ مَمْدُودٍ ﴾ (٣) ؛ وَعَلَتْهُ أَنْ السَّمْعُ أَلِفَ الْإِنْتِهَاءِ إِلَى غَايَةِ فِي الْخَلْفَةِ بِالْأَوَّلَى ، فَإِذَا زِيدَ عَلَيْهَا ثَقُلَ عَنْهُ الزَّائِدُ ، لِأَنَّهُ يَكُونُ عِنْدَ وَصُولِهَا إِلَى مَقْدَارِ الْأَوَّلِ كَمَنْ تَوَقَّعَ الظَّفَرَ بِمَقْصُودِهِ .

ثُمَّ مَا طَالَتْ قَرِينَتُهُ الثَّانِيَةِ ، كَقَوْلِهِ : ﴿ وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ : مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ (٤) ، أَوِ الثَّلَاثَةِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ خُذُوهُ فَعَلَّوْهُ . ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلَّوْهُ . ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ

(١) سُورَةُ الشُّورَى ١٦ - ٢٢ (٢) سُورَةُ الْأَنْفَاطِ ١٣ ، ١٤

(٣) سُورَةُ الْوَاقِعَةِ ٢٨ - ٣٠ . السِّدْرُ الْمَخْضُودُ : الَّذِي لَا شَوْكَ فِيهِ . وَالطَّلْحُ : شَجَرٌ عِظَامٌ يَكُونُ بِأَرْضِ الْحِجَازِ مِنْ شَجَرِ الْعِضَاهِ . وَالنَّضُودُ : التَّرَاكُمُ الثَّمَرِ .

(٤) سُورَةُ النَّجْمِ ١ ، ٢

ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه ﴿١﴾ .

وهو إما قصير كقوله : ﴿ والمرسلات عرفاً . فالعاصفات عصفاً ﴾ ﴿٢﴾ .

أو طويل كقوله : ﴿ إذ يريكهم الله في منامك قليلاً ولو أراهم كثيراً لقشتم ولتنازعتم في الأمر ، ولكن الله سلم إنه عليم بذات الصدور . وإذا يريكموهم إذ التفتيم في أعينكم قليلاً ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمراً كان مفعولاً وإلى الله ترجع الأمور ﴾ ﴿٣﴾ .

أو متوسط كقوله : ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر . وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ﴾ ﴿٤﴾ .

[اختلاف الفواصل مع ما يدل عليه الكلام]

السادس : اعلم أن من المواضع التي يتأكد فيها إيقاع المناسبة مقاطع الكلام وأواخره ، وإيقاع الشيء فيها بما يشاكله . فلا بد أن تكون مناسبة للمعنى المذكور ؛ أولاً وإلا خرج بعض الكلام عن بعض .

وفواصل القرآن العظيم لا تخرج عن ذلك ؛ لكن منه ما يظهر ، ومنه ما يستخرج بالتأمل لليب .

وهي منحصرة في أربعة أشياء : التمكين ، والتوشيح والإيغال والتصدير .

والفرق بينها ؛ أنه إن كان تقدم لفظها بعينه في أول الآية سمي تصديراً . وإن كان في

(١) سورة الحاقة ٣٠ - ٣٢ . وغلوه : صنعوا في يديه ورجليه الغل . وصلوه : من التصلية ؛ وهي حرق الشيء على النار .

(٢) سورة المرسلات ١ ، ٢ . والمرسلات عرفاً : الرياح التي أرسلت متتابعة .

(٣) سورة الأنفال ٤٣ ، ٤٤ .

(٤) سورة القمر ١ ، ٢ .

أثناء الصَّدْر سَمَّى تَوْشِيحاً . وإن أفادت معنى زائداً بعد تمام معنى الكلام سَمَّى إيفالاً ؛ وربما اختلط التوشيح بالتصدير لكون كل منهما صدره يدلُّ على عجزه . والفرق بينهما أن دلالة التصدير لفظية ، ودلالة التوشيح معنوية .

الأول : التمسكين ؛ وهو أن يُمهد قبلها ، تمهيداً تاتى به الفاصلة ممكنة في مكانها ، مستقرة في قرارها ، مطمئنة في موضعها ، غير نافذة ولا قلقة ، متعلقاً معناها بمعنى الكلام كله تعلقاً تاماً ؛ بحيث لو طُرِحَتْ اختلَّ المعنى واضطرب الفهم .

وهذا الباب يُطالعك على سر عظيم من أسرار القرآن ، فاشدد يديك به .

ومن أمثلته قوله تعالى : ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ ^(١) ، فإن الكلام لو اقتصر فيه على قوله : ﴿ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ﴾ لأوهم ذلك بعض الضعفاء موافقة الكفار في اعتقادهم أن الريح التي حدثت كانت سبب رجوعهم ، ولم يبلغوا ما أرادوا ، وأن ذلك أمر اتفاقي ، فأخبر سبحانه في فاصلة الآية عن نفسه بالقوة والعزة ليعلم المؤمنين ، ويزيدهم يقيناً وإيماناً على أنه الغالب الممتنع ، وأن حربه كذلك ، وأن تلك الريح التي هبت ليست اتفاقاً ؛ بل هي من إرساله سبحانه على أعدائه كعادته ؛ وأنه ينوِّع النصر للمؤمنين ليزيدهم إيماناً وينصرهم مرة بالقتال كيوم بدر ، وتارة بالريح كيوم الأحزاب ، وتارة بالرُّعب كبنى النضير ، وطوراً ينصر عليهم كيوم أحد ، تعريفاً لهم أن الكثرة لا تغني شيئاً ، وأن النصر من عنده ، كيوم حُنَيْن .

ومنه قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَنْشُونَ فِي

مَسَاكِينِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ . أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرْزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ^(١) . فانظر إلى قوله في صدر الآية التي الموعظة فيها سمعية : ﴿ أَوْ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ ﴾ ولم يقل : « أَو لَمْ يَرَوْا » وقال بعد ذكر الموعظة : ﴿ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴾ ؛ لأنه تقدم ذكر الكتاب وهو مسموع أو أخبار القرون وهو كما يُسَمَّع . وكيف قال في صدر الآية التي موعظتها مرئية : ﴿ أَوْ لَمْ يَرَوْا ﴾ ، وقال بعدها : ﴿ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ لأن سوق الماء إلى الأرض الجُرْزِ مرئية .

ومنه قوله تعالى : ﴿ قَالُوا : يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ ^(٢) ، فإنه لما تقدم ذكر العبادة والتصرف في الأموال كان ذلك تمهيداً تاماً لذكر الحلم والرشد ، لأن الحلم الذي يصح به التكليف والرشد حسن التصرف في الأموال ، فكان آخر الآية مناسبة لأولها مناسبة معنوية ، ويسميه بعضهم ملازمة .

ومنه قوله تعالى : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ ؛ فإنه سبحانه لما قدم تنقي إدراك الأبصار له عطف على ذلك قوله : ﴿ وَهُوَ اللَّطِيفُ ﴾ خطاباً للسامع بما يفهم ؛ إذ العادة أن كل لطيف لا تدركه الأبصار ، ألا ترى أن حاسة البصر إنما تدرك اللون من كل متلون والكون من كل متكون ، فإذا كها إنما هو للمركبات دون المفردات ، ولذلك لما قال : ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴾ عطف عليه قوله : ﴿ الْخَبِيرُ ﴾ ، مخصصاً لذاته سبحانه بصفة الكمال ؛ لأنه ليس كل من أدرك شيئاً كان خبيراً بذلك الشيء ، لأن المدرك للشيء قد يدركه ليخبره ، ولما كان الأمر كذلك أخبر سبحانه وتعالى

أنه يدرك كل شيء مع الخبرة به ؛ وإنما خص الأبصار بإدراكه ليزيد في الكلام ضرباً من المحاسن يسمى التعطف ؛ ولو كان الكلام : لا تبصره الأبصار ، وهو يبصر الأبصار لم تكن لفظاً لطيف الخبير ﴿ مناسبتين لما قبلهما .

(١) ومنه قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتَصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ . لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ ، إلى قوله : ﴿ رءوفٌ رحيم ﴾ (٢) إنما فصل الأولى بـ « لطيف خبير » لأن ذلك في موضع الرحمة لخلقه بإزالة الغيث وإخراج النبات من الأرض ، ولأنه خير بنفعهم . وإنما فصل الثانية بـ « غني حميد » لأنه قال : ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ ، أي لا حاجة ؛ بل هو غني عنهما ، جواد بهما ؛ لأنه ليس غني نافعاً غناه إلا إذا جاد به ، وإذا جاد وأنعم حمده المنعم عليه ، واستحق عليه الحمد ؛ فذكر « الحمد » على أنه الغني "رفع عنه خلقه . وإنما فصل الثالثة بـ « رءوف رحيم » ، لأنه لما عدد للناس ما أنعم به عليهم من تسخير ما في الأرض لهم ، وإجراء الفلك في البحر لهم ، وتسييرهم في ذلك الهول العظيم ، وجعله السماء فوقهم وإمساكه إياها عن الوقوع ، حسن ختامه بالرأفة والرحمة . ونظير هذه الثلاث فواصل مع اختلافها قوله تعالى في سورة الأنعام (٣) : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ ... ﴾ ، الآيات (١) .

وقوله تعالى : ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (٤) . قال : « الغني الحميد » لينبه على أن ماله ليس بحاجة بل هو غني عنه ، جواد به ، وإذا جاد به حمده المنعم عليه . إذ « حميد » كثير المحامد الموجبة تنزيهه عن الحاجة والبخل وسائر النقائص ، فيكون « غنياً » مفسراً بالغنى المطلق ، لا يحتاج فيه لتقدير « غني عنه » .

(٢) سورة الحج ٦٣ - ٦٥

(٤) سورة الحج ٦٤

(١ - ١) ساقط من م

(٣) سورة الأنعام ٩٧

ومنه قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ ^(١) . لما كان سبحانه هو الجاعل الأشياء على الحقيقة ، وأضاف إلى نفسه جَعَلَ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إلى يوم القيامة صار الليل كأنه سرمد بهذا التقدير ، وظرفَ الليل ظرفٌ مظلم لا ينفذ فيه البصر ، لا سيما وقد أضاف الإتيان بالضياء الذي تنفذ فيه الأبصارُ إلى غيره ، وغيره ليس بفاعل على الحقيقة ؛ فصار النهارُ كأنه معدوم ؛ إذ نسب وجوده إلى غير موجود ؛ والليل كأنه لا موجود سواه ؛ إذ جُعِلَ سرمدًا منسوبًا إليه سبحانه ، فاقتضت البلاغة أن يقول : ﴿ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ لمناسبة ما بين السماع والظرف الليلي الذي يصلح للاستماع ، ولا يصلح للإبصار .

وكذلك قال في الآية التي تليها : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ ^(٢) ، لأنه لما أضاف جَعَلَ النَّهَارَ سَرْمَدًا إليه صار النهارُ كأنه سرمد ، وهو ظرف مضى تنور فيه الأبصار ، وأضاف الإتيان بالليل إلى غيره ، وغيره ليس بفاعل على الحقيقة ، فصار الليل كأنه معدوم ؛ إذ نسب وجوده إلى غير موجود ، والنهار كأنه لا موجود سواه ، إذ جَعَلَ وجوده سرمدًا منسوبًا إليه ، فاقتضت البلاغة أن يقول : ﴿ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ ؛ إذ الظرف مضى ، صالح للإبصار ، وهذا من دقيق المناسبة المعنوية .

ومنه قوله تعالى في أول سورة الجاثية : ﴿ إِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ . وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ . وَأَخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَمَا أُنَزَّلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ ^(٣) . فإن البلاغة تقتضي أن تكون فاصلة الآية الأولى : ﴿ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، لأنه

سبحانه ذكر العالم بجملة حيث قال : ﴿ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ومعرفة الصانع من الآيات الدالة على أنَّ المخترع له قادر عليم حكيم ، وإنَّ دلَّ على وجود صانع مختار لدالاتها على صفاته مرتبة على دالاتها على ذاته ، فلا بدَّ أولاً من التصديق بذاته ؛ حتى تكون هذه الآيات دالة على صفاته ، لتقدم الموصوف وجوداً واعتقاداً على الصفات .

وكذلك قوله في الآية الثانية : ﴿ لِقَوْمٍ يوقِنُونَ ﴾ ، فإنَّ سرَّ الإنسان وتدبر خلقه الحيوان أقربُ إليه من الأول ، وتفكره في ذلك مما يزيد يقيناً في معتقده الأول . وكذلك معرفة جزئيات العالم ؛ من اختلاف الليل والنهار ، وإنزال الرزق من السماء ، وإحياء الأرض بعد موتها ، وتصريف الرياح يقتضى رجاحة العقل ورصانته ؛ لنعلم أنَّ مَنْ صنع هذه الجزئيات هو الذى صنع العالم الكلى التى هى أجرامه وعوارض عنه . ولا يجوز أن يكون بعضها صنع بعضاً ، فقد قام البرهان على أنَّ للعالم الكلى صانعاً مختاراً ، فلذلك اقتضت البلاغة أن تكون فاصلة الآية الثالثة : ﴿ لِقَوْمٍ يَقُولُونَ ﴾ ، وإن احتيج إلى العقل فى الجميع ؛ إلا أن ذكره هاهنا أنسبُ بالمعنى الأول ؛ إذ بعض من يعتقد صانع العالم ربما قال : إنَّ بعض هذه الآثار يصنع بعضاً ، فلا بدَّ إذاً من التدبر بدقيق الفكر وراجع العقل .

ومنه قوله تعالى حكاية عن لقمان : ﴿ يَا بُنَيَّ إِنِّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ (١) .

ومنه قوله تعالى : ﴿ أَنحَدِّثُكَ عَنْهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ فَلَا تَعْقُلُونَ ﴾ (٢) . والمناسبة فيه قوَّة ؛ لأن من دلَّ عدوّه على عورة نفسه ، وأعطاه سلاحه

(١) سورة لقمان ١٦ .

(٢) سورة البقرة ٧٦ .

ليقتله به ، فهو جدير بأن يكون مقلوب العقل ؛ فلماذا ختمها بقوله : ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ .
وهذه الفاصله لاتقع إلا فى سياق إنكار فعل غير مناسب فى العقل ؛ نحو قوله تعالى :
﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ^(١) ؛
لأن فاعل غير المناسب ليس بعاقل .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴾ ^(٢) ، ختم
بصفة العلم إشارة الى الإحاطة بأحوالنا وأحوالكم ؛ وما نحن عليه من الحق ، وما أنتم عليه
من الباطل وإذا كان علماً بذلك ، فنسأله القضاء علينا وعليكم ، بما يعلم منا ومنكم .

فصل

وقد تجتمع فواصل فى موضع واحد ويخالف بينها ؛ وذلك فى مواضع :

منها فى أوائل النحل ، وذلك أنه سبحانه بدأ فيها بذكر الأفلاك فقال : ﴿ خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾ ^(٣) ، ثم ذكر خلق الإنسان فقال : ﴿ مِنْ نَظْفَةٍ ﴾ ^(٤) ، وأشار
إلى عجائب الحيوان فقال : ﴿ وَالْأَنْعَامِ ﴾ ^(٥) ، ثم عجائب النبات فقال : ﴿ هُوَ الَّذِي
أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ . يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ
وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ^(٦) .
فجعل مقطع هذه الآية التفكر ^(٦) ، لأنه استدلال بحدوث الأنواع المختلفة من النبات على
وجود الإله القادر المختار .

(٢) سورة سبأ ٢٦

(١) سورة البقرة ٤٤

(٤) سورة النحل ٤

(٣) سورة النحل ٣

(٦) م « التفكير »

(٥) سورة النحل ١٠ ، ١١

وفيه جواب عن سؤال مقدّر؛ وهو أنه: لِمَ لا يَجُوزُ أن يكون المؤثر فيه طبائع الفصول وحركات الشمس والقمر؟ ولما كان الدليل لا يتم إلا بالجواب عن هذا السؤال؛ لا جرم كان مجالُ التفكير والنظر والتأمل باقياً. إنه تعالى أجاب عن هذا السؤال من وجهين:

أحدهما أن تغيرات العالم الأسفل مربوطة بأحوال^(١) حركات الأفلاك، فتلك الحركات حيث حصلت؛ فإن كان حصولها بسبب أفلاك أخرى لزم التسلسل، وإن كان من الخالق الحكيم فذلك الإفراز بوجود الإله تعالى، وهذا هو المراد بقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنَّجْمِ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(٢)، فجعل مقطع هذه الآية العقل؛ والتقدير كأنه قيل: إن كنت عاقلاً فاعلم أن التسلسل باطل، فوجب انتهاء الحركات إلى حركة يكون موجدُها غير متحرك، وهو الإله القادر المختار.

والثاني أن نسبة الكواكب والطبائع إلى جميع أجزاء الورقة الواحدة والحبة الواحدة واحدة. ثم إنا نرى الورقة الواحدة من الورد أحد وجهيها في غاية الحمرة، والآخر في غاية السواد، فلو كان المؤثر موجباً بالذات لا تمتنع حصول هذا التفاوت في الآثار، فعلمنا أن المؤثر قادر مختار، وهذا هو المراد من قوله: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾^(٣)، كأنه قيل: قد ذكرنا ما يرسخ في عقلك أن الموجب بالذات والطبع لا يختلف تأثيره، فإذا نظرت إلى حصول هذا الاختلاف علمت أن المؤثر ليس هو الطبائع، بل الفاعل المختار، فلهذا جعل مقطع الآية التذكّر.

(١) م: « باختلاف أحوال ».

(٢) سورة النحل ٨.

(٣) سورة النحل ١٣.

تنبيه

من بديع هذا النوع اختلاف الفاصلتين في موضعين والحديث عنه واحد لنكتة لطيفة.
وذلك قوله تعالى في سورة إبراهيم: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾^(١)، ثم قال في سورة النحل: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٢).

قال القاضي ناصر الدين بن المنير^(٣) في تفسيره الكبير: كأنه يقول: إذا حصلت النعم الكثيرة فانت أخذها وأنا معطيها؛ فحصل لك عند أخذها وصفان: كونك ظلوماً، وكونك كفاراً، ولى عند إعطائها وصفان: وهما: أنى غفور رحيم، أقابل ظلمك بغفرانى وكفرك برحمتى، فلا أقابل تقصيرك إلا بالتوفير، ولا أجازى جفاءك إلا بالوفاء. انتهى.
وهو حسن، لكن بقي سؤال آخر، وهو: ما الحكمة في تخصيص آية النحل بوصف المنعم، وآية إبراهيم بوصف المنعم عليه؟ والجواب أن سياق الآية في سورة إبراهيم، في وصف الإنسان وما جُبِلَ عليه؛ فناسب ذكر ذلك عقيب أوصافه. وأما آية النحل فسبقت في وصف الله تعالى، وإثبات ألوهيته، وتحقيق صفاته، فناسب ذكر وصفه سبحانه. فتأمل هذه التراكيب، ما أرقاها في درجة البلاغة!

ونظيره قوله تعالى في سورة الجاثية: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا

(٢) سورة النحل ١٨

(١) سورة إبراهيم ٣٤

(٣) هو القاضي ناصر الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن منصور الجذائى، المعروف بابن المنير؛ له تفسير كبير سماه البحر الكبير في نخب التفسير، ومنه قطعة تشتمل على الجزء الثالث في دار الكتب المصرية برقم ٦١ تفسير؛ وله كتاب الاختصار من الكشاف. توفى سنة ٦٨٣. (وانظر ترجمته في الديباج المذهب لابن فرحون ٧١ - ٧٤)

مُحَمَّدٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تَرْجَعُونَ ﴿١﴾ . وفي فصلت : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ ﴿٢﴾ .

وحكمة فاصلة الأولى أن قبلها : ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿٣﴾ ، فناسب الختامُ بفاصلة البعث ؛ لأن قبله وصفهم بإنكاره ، وأما الأخرى فالتام بها مناسب ؛ أي لأنه لا يضيع عملا صالحا ، ولا يزيد على مَنْ عمل شيئا .

ونظيره قوله في سورة النساء : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ . ختم الآية مرة بقوله : ﴿قَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ ﴿٤﴾ ، ومرة بقوله : ﴿ضَالًّا لَا بَعِيدًا﴾ ﴿٥﴾ ؛ لأن الأول نزل في اليهود ، وهم الذين افترؤا على الله ما ليس في كتابه ، والثاني نزل في الكفار ، ولم يكن لهم كتاب ، وكان ضلالهم أشد .

وقوله في المائدة : ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ ﴿٦﴾ ، فذكرها ثلاث مرات ، وختم الأولى بالكافرين ، والثانية بالظالمين ، والثالثة بالفاسقين ؛ فقيل : لأن الأولى نزلت في أحكام المسلمين ، والثانية نزلت في أحكام اليهود ، والثالثة نزلت في أحكام النصارى .

وقيل : ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ ؛ إنكاراً له ، فهو كافر ، ومن لم يحكم بالحق مع اعتقاد الحق وحكم بضده فهو ظالم ، ومن لم يحكم بالحق جهلا وحكم بضده فهو فاسق .

وقيل : الكافر والظالم والفاسق كلها بمعنى واحد ، وهو الكفر ، عبر عنه بالفاظ مختلفة ، لزيادة الفائدة واجتناب صورة التكرار . وقيل غير ذلك .

(١) سورة الجاثية ١٥ (٢) سورة فصلت ٤٦ (٣) سورة الجاثية ١٤

(٤) سورة النساء ٤٨ (٥) سورة النساء ١١٦

(٦) سورة المائدة ٤٤ ، وبعبارة : ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ ، و٥٥ ، وبعبارة :

﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ، و٥٧ ، وبعبارة : ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ .

تنبيه

عكس هذا اتفاق الفاصلتين والحدث عنه مختلف ، كقوله تعالى في سورة النور : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾^(١) إلى قوله : ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾^(٢) . ثم قال : ﴿ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾^(٣) .

قال ابن عبد السلام في تفسيره في الأولى : « عليم » بمصالح عبادہ ، « حكيم » في بيان مراده . وقال في الثانية : « عليم » بمصالح الأنام ؛ « حكيم » ببيان الأحكام . ولم يتعرض للجواب عن حكمة التكرار .

تنبيه

حق الفاصلة في هذا القسم تمكين المعنى المسوق إليه كما بينا ، ومنه قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾^(٣) . ووجه مناسبتة أن بعث الرسول تولية ؛ والتولية لا تكون إلا من عزيزٍ غالبٍ على ما يريد ، وتعليمُ الرسول الحكمة لقومه إنما يكون مستندا إلى حكمة مُرسِله ؛ لأن الرسول واسطة بين المرسل والمرسل إليه ، فلا بد وأن يكون حكيما ، فلا جرم كان اقترانهما مناسبا .

(١) سورة النور ٥٨

(٢) سورة النور ٥٩

(٣) سورة البقرة ١٢٩ . وَيُزَكِّيهِمْ : يَطْهَرُهُمْ مِنْ وَضَرِ الشَّرِكِ . وَالزَّكَاةُ : التَّطَهُّرُ .

وقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^(١) . وجه المناسبة في الحكم محمول على قول مجاهد : إن من حضر الموصي فرأى منه جَنَفًا على الورثة في وصيته مع فقرهم ، فوعظه في ذلك وأصلح بينه وبينهم حتى رضوا ، فلا إثم عليه ، وهو غفور للموصي إذا ارتدع بقول مَنْ وعظه ، فرجع عما هم به وغفرانه لهذا برحمته لاخفاء به ، والإثم المرفوع عن القاتل ؛ يحتمل أن يكون إثم التبديل السابق في الآية قبلها في قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ ﴾^(٢) . يعني من الموصي ، أى لا يكون هذا المبدل داخلًا تحت وعيد مَنْ بَدَّلَ على العموم ؛ لأن تبديل هذا تضمن مصلحة راجحة فلا يكون كغيره . وقد أشكل على ذلك مواضع ؛ منها قوله تعالى : ﴿ إِنْ تَعَذَّبْتُمْ فَلَهُمْ عِبَادُكُمْ ، وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾^(٣) . فإن قوله : ﴿ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ يوم أن الفاصلة « الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » ، وكذا نقلت عن مصحف أبي رضى الله عنه ، وبها قرأ ابن شنبوذ . ولكن إذا أنعم النظر علم أنه يجب أن يكون ما عليه التلاوة ؛ لأنه لا يغفر لمن يستحق العذاب إلا من ليس فوقه أحد يردّ عليه حُكْمَهُ ، فهو العزيز ؛ لأن العزيز في صفات الله هو الغالب ؛ من قولهم : عزّه بعزّه عزّا إذا غلبه ؛ ووجب أن يوصف بالحكيم أيضاً ، لأن الحكيم من يَضَعُ الشَّيْءَ في محله ، فالله تعالى كذلك . إلا إنه قد يخفى وجه الحكمة في بعض أفعاله ، فيتوهم الضعفاء أنه خارج عن الحكمة ، فكان في الوصف بالحكيم احتراص حسن ؛ أى وإن تغفر لهم مع استحقاقهم العذاب فلا معترض عليك لأحد في ذلك ، والحكمة فيما فعلته . وقيل : لا يجوز « الغفور الرحيم » لأن الله تعالى قطع لهم بالعذاب في قوله تعالى : ﴿ إِنْ كَانَ اللَّهُ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾^(٤) . وقيل لأنه

(١) سورة البقرة ١٨٢ : والجنف : الميل والعدول عن الحق .

(٢) سورة البقرة ١٨١ (٣) سورة المائدة ١١٨

(٤) سورة النساء ٤٨ ، ١١٨ .

مقام تبرّ ، فلم يذكر الصفة المقتضية استمطارَ العفو لهم ، وذكر صفة العدل في ذلك بأنه العزيز الغالب . وقوله ﴿ الحكيم ﴾ الذي يضع الأشياء مواضعها فلا يُعترض عليه إن عفا عمن يستحق العقوبة .

وقيل : ليس هو على مسألة الغفران ، وإنما هو على معنى تسليم الأمر إلى مَنْ هو أملك لهم ، ولو قيل : « فإنك أنت الغفور الرحيم » لأوهم الدعاء بالمغفرة . ولا يسوغ الدعاء بالمغفرة لمن مات على شركه ، لا نبي ولا غيره . وأما قوله : ﴿ فإيهم عبادك ﴾ وهم عباده ؛ عذبهم أو لم يعذبهم ؛ فلأن المعنى إن تُعذبهم تعذب مَنْ العادة أن تحكم عليه . وذكر العبودية التي هي سبب القدرة كقول رؤبة :

يارب إن أخطأتُ أو نسيتُ فأنْتَ لا تَنْسَى ولا تموت ^(١)

والله لا يَضِلُّ ولا يَنْسى ولا يموت ، أخطأ رؤبة أو أصاب ، فكأنه قال : إن أخطأت تجاوزت لضعفي وقوتك ، ونقصي وكالك .

ونظير هذه الآية قوله تعالى في سورة براءة : ﴿ أولئك سَيَرَحُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عزيزٌ حكيمٌ ﴾ ^(٢) . والجواب ما ذكرناه .

ومثله قوله تعالى في سورة الممتحنة : ﴿ ربَّنَا لا تجعلنا فِتْنَةً للَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ العزيزُ الحكيمُ ﴾ ^(٣) .

ومثله في سورة غافر في قول السادة الملائكة : ﴿ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ العزيزُ الحكيمُ ﴾ ^(٤) .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ . وَلَوْ لَا

(١) ديوانه ٢٥ . مطلع أرجوزة يمدح فيها سليمان بن عبد الملك .

(٢) سورة التوبة ٧١

(٣) سورة الممتحنة .

(٤) سورة غافر ٨ .

فضلُ الله عليكم ورحمتهُ وَأَنَّ اللهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ^(١) ؛ فَإِنَّ الذي يظهر في أول النظر أَنَّ الفاصلة « تواب رحيم » ، لأنَّ الرَّحْمَةَ مناسبة للتوبة ، وخصوصاً من هذا الذنب العظيم ؛ ولكن هاهنا معنى دقيق من أجله قال : ﴿ حَكِيمٌ ﴾ ؛ وهو أَنَّ يُنْبَهَ على فائدة مشروعية اللعان^(٢) ، وهى الستر عن هذه الفاحشة العظيمة ؛ وذلك من عظيم الحِكم ، فلهذا كان ﴿ حَكِيمٌ ﴾ ، بليغا في هذا المقام دون « رَحِيمٌ » .

ومن خفيّ هذا الضرب قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ خَلَقَ لَكُمْ مَافِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾^(٣) .

وقوله في آل عمران : ﴿ قُلْ إِنْ تَحْفُوا مَافِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذَوْهُ يَعْلَمُهُ اللهُ وَيَعْلَمُ مَافِي السَّمَوَاتِ وَمَافِي الْأَرْضِ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾^(٤) ، فإنَّ المتبادر إلى الذهن في آية البقرة الختمُ بالقدرة ، وفي آية آل عمران الختمُ بالعلم ، لكن إذا أنعم النظر علم أَنَّهُ يجب أن يكون ما عليه التلاوة في الآيتين ؛ وكذلك قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ ﴾^(٥) ؛ مع أن ظاهر الخطاب « ذو عقوبة شديدة » ، وإنما قال ذلك نفياً للاغترار بسعة رحمة الله تعالى في الاجترار على معصيته ؛ وذلك أبلغ في التهديد ؛ ومعناه : لا تغترّوا بسعة رحمة الله تعالى في الاجترار على معصيته ؛ فإنه مع ذلك لا يردّ عذابه عنكم .

وقريب منه : ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُ مِنْهُ خِطَابًا ﴾^(٦) .

(١) سورة النور ، ٩ ، ١٠

(٢) اللعان ، من قولهم : لاعن الرجل امرأته لعانا إذا فذفها اورماها برجل أنه زنى بها .

(٣) سورة البقرة ٢٩ (٤) سورة آل عمران ٢٩

(٥) سورة الأنعام ١٤٧ (٦) سورة عم ٣٧

وأما قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ^(١) ؛ فناسبة الجزء للشرط أنه لما أقدم المؤمنون وهم - ثلاثمائة وبضعة عشر - على قتال المشركين - وهم زهاء ألف - متوكلين على الله تعالى ، وقال المناقون : ﴿ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ ﴾ حتى أقدموا على ثلاثة أمثالهم عدداً أو أكثر ؛ قال الله تعالى رداً على المناقين وثبिताً للمؤمنين : ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ^(١) في جميع أفعاله .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ ^(٢) . فإن قيل : ما وجه الختام بالحلم والمغفرة عقيب تسبيح الأشياء وتنزيهاها ؟ أجاب صاحب الفنون ^(٣) بثلاثة أوجه :

أحدها : إن فسرنا التسبيح على ما درج في الأشياء من العبر ، وأنها مسبّحات بمعنى مودعات من دلائل العبر ودقائق الإنعامات والحكم ما يوجب تسبيح المعتبر المتأمل ؛ فكأنه سبحانه يقول : إنه كان من كبير إغفالكم النظر في دلائل العبر مع امتلاء الأشياء بذلك . وموضع العتب قوله : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ ^(٤) ؛ كذلك موضع العتبة قوله : ﴿ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ ^(٢) . وقد كان ينبغي أن يعرفوا بالتأمل ما يوجب القربة لله ؛ مما أودع مخلوقاته بما يوجب تنزيهه ؛ فهذا موضع حلم وغفران عما جرى في ذلك من الإفراط والإهمال .

الثاني : إن جعلنا التسبيح حقيقة في الحيوانات بلغاتها فمعناه : الأشياء كلها تسبّحه

(١) سورة الأفعال ٤٩

(٢) سورة الإسراء ٤٤

(٣) في ١ : « العنوان » تحريف . وهو كتاب فنون الأفنان في علوم القرآن لابن الجوزي ؛ ذكره صاحب كشف الظنون ؛ ومنه نسخة خطية في دار الكتب المصرية برقم ٢٢٢ تفسير .

(٤) سورة يوسف ١٠٥

وتحمده ، ولا عصيانَ في حقها وأنتم تعصون ، فالحلم والغفران للتقدير في الآية ؛ وهو العصيان . وفي الحديث : « لَوْلَا بَهَائُكُمْ رُتِعَ ، وشيوخ ركع ، وأطفال رُضِعَ ، لَصَبَّ عليكم العذاب صبا » .

الثالث : أنه سبحانه قال في أولها : ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ ^(١) ؛ أى أنه كان لتساييح المسبحين حليما عن تفریطهم ؛ غفورا لذنوبهم ؛ ألا تراه قال في موضع آخر : ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ ^(٢) ؛ وكأنها اشتملت على ثلاثة معان : إما العفو عن ترك البحث المؤدى إلى الفهم ، لما فى الأشياء من العبر ، وأنتم على العصيان . أو يريد بها الأشياء كلها تسبحة ؛ ومنها ما يعصيه ويخالقه ، فيغفر عصيانهم بتساييحهم .

تنبيه

قد تكون الفاصلة لا نظير لها في القرآن ؛ كقوله تعالى عقب الأمر بالغض في سورة النور : ﴿ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ ^(٣) . وقوله عقب الأمر بطلب الدعاء والإجابة : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ ^(٤) . وقيل فيه تعريض بليلة القدر ؛ أى لعلمهم يرشدون إلى معرفتها .

(٢) سورة الشورى ٥ .

(١) سورة الإسراء ٤٤

(٣) سورة النور ٣٠ . والآية بتامها : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ .

(٤) سورة البقرة ١٨٦ . والآية بتامها : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ، فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ .

وإنما يحتاجون للإرشاد إلى ما لا يعلمون ؛ فإن هذه الآية الكريمة ذكرت عقب الأمر بالصوم وتعظيم رمضان وتعليمهم الدعاء فيه . وأن أرحى أوقات الإجابة فيه ليلة القدر .

الثاني التصدير ، كقوله تعالى : ﴿ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى ﴾ ^(١) .

وقوله : ﴿ فَضَلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ ^(٢) .

وقوله : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأَرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ ^(٣) .

وقوله : ﴿ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ﴾ ^(٤) .

وقوله : ﴿ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ ^(٥) .

وقوله : ﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ ^(٦) .

وقوله : ﴿ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ ^(٧) ، فجعل

الفاصلة ﴿ يَزِرُونَ ﴾ لجناس ﴿ أَوْزَارِهِمْ ﴾ ؛ وإنما قال : ﴿ عَلَى ظُهُورِهِمْ ﴾ ولم يقل « على رؤوسهم » لأن الظهر أقوى للحمل ؛ فأشار إلى ثقل الأوزار .

وقوله : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾ ^(٨) .

(١) سورة طه ٦١ . يستحقكم : يستأصلكم بالإهلاك .

(٢) سورة الإسراء ٢١ (٣) سورة الأنبياء ٣٧ . من محل : أى ركب على العجلة فكان مجولا .

(٤) سورة المائدة ٣٩

(٥) سورة التوبة ٧٠ (٦) سورة يونس ١٩

(٧) سورة الأنعام ٣١ (٨) سورة نوح ١٠

- وقوله : ﴿ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾ ^(١) .
 وقوله : ﴿ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً ﴾ ^(٢) .
 وقوله : ﴿ رَجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴾ ^(٣) .

الثالث التوشيح ، ويسمى به لكون نفس الكلام يدل على آخره ؛ نزل المعنى منزلة الوشاح ، ونزل أول الكلام وآخره منزلة العاتق والكشح ، اللذين يحول عليهما الوشاح ؛ ولهذا قيل فيه : إن الفاصلة تُعلم قبل ذكرها .

وسماه ابن وكيع ^(٤) المطمع ؛ لأن صدره مطمع في عجزه ؛ كقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَنْشَأَ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ ^(٥) .

وقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٦) ؛ فإن معنى اصطفاء المذكورين يُعلم منه الفاصلة ؛ إذ المذكورون نوع من جنس العالمين .
 وقوله : ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمُ مُظْلِمُونَ ﴾ ^(٧) فإنه من كان حافظاً لهذه السورة ، متيقظاً إلى أن مقاطع فواصلها النون المردفة ؛ وسمع في صدر هذه الآية : ﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ ﴾ عليم أن الفاصلة ﴿ مُظْلِمُونَ ﴾ ؛ فإن من انسلخ النهار عن ليله أظلم ما دامت تلك الحال .

(١) سورة الأحزاب ٣٧ (٢) سورة النساء ١٦٦

(٣) سورة التوبة ١٠٨

(٤) هو القاضي أبو بكر محمد بن خلف القاضي المعروف بوكيع ؛ من أهل القرآن والفقه والنحو والسير ؛ وله مصنفات في علوم القرآن وأخبار القضاة ، توفي سنة ٣٠٦ . (إنباء الرواة ٣ : ١٢٤) .

(٥) سورة « المؤمنون » ١٤ .

(٦) سورة آل عمران ٣٣ (٧) سورة يس ٢٧ . نسلخ منه النهار ؛ أي نخرج منه

النهار لإخراج الألبق معشى . من ضوء النهار .

وقوله : ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالُهُمْ﴾ . فمن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . ومن يعمل مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿١﴾ . فإن قوله : ﴿لِيُرَوْا أَعْمَالُهُمْ﴾ يدل على التقسيم .

وقوله : ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ . ألا يعلم من خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿٢﴾ .
وقوله : ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٣﴾ .

الرابع الإيغال ؛ وسُمِّيَ به ؛ لأن المتكلم قد تجاوز المعنى الذى هو آخذٌ فيه ؛ وبلغ إلى زيادة على الحد ؛ يقال : أوغل فى الأرض الفلانية ، إذا بلغ منتهىها ؛ فهكذا المتكلم إذا تم معناه ثم تعداه بزيادة فيه ، فقد أوغل ؛ كقوله تعالى : ﴿أَحْكُمِ الْجَاهِلِيَّةَ يَبْغُونَ . وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ ﴿٤﴾ ، فإن الكلام تم بقوله : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا﴾ . ثم احتاج إلى فاصلة تناسب القرينة الأولى ؛ فلما أتى بها أفاد معنى زائدا .

وكقوله تعالى : ﴿وَلَا تُسْمِعُ الضَّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ ﴿٥﴾ ؛ فإن المعنى قد تم بقوله : ﴿وَلَا تُسْمِعُ الضَّمُّ الدُّعَاءَ﴾ ، ثم أراد أن يعلم تمام الكلام بالفاصلة فقال : ﴿إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ .

(١) سورة الزلزلة ٦ - ٨ . يصدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا : أى يخرج النَّاسُ لابتعث على اختلافهم ؛ شقيهم وسعيدهم بحسبهم ومشيئهم .

(٢) سورة الملك ١٣ ، ١٤ . ذات الصدور : صاحبها .

(٣) سورة البقرة ٢٠

(٤) سورة النمل ٨٠

(٥) سورة المائدة ٥٠

فإن قيل : ما معنى ﴿مُذَبَّرِينَ﴾ وقد أغنى عنها ﴿وَأَوَّلًا﴾ ؟ قلت : لا ينفى عنها ﴿وَأَوَّلًا﴾ ؛ فإن التولّى قد يكون بجانب دون جانب ؛ بدليل قوله : ﴿أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾^(١) ؛ وإن كان ذكر الجانب هنا مجازاً . ولا شك أنه سبحانه لما أخبر عنهم أنهم صمّ لا يسمعون أراد تنعيم المعنى بذكر توليهم في حال الخطاب ، لينفى عنهم الفهم الذي يحصل من الإشارة ؛ فإن الأصمّ يفهم بالإشارة ، ما يفهم السميع بالعبارة . ثم إن التولّى قد يكون بجانب ، مع لحاظه بالجانب الآخر ؛ فيحصل له إدراك بعض الإشارة ؛ فجعل الفاصلة ﴿مُذَبَّرِينَ﴾ ليُعلم أن التولّى كان بجميع الجوانب ؛ بحيث صار ما كان مستقبلاً مستدبراً ، فاحتجب المخاطب عن المخاطب ، أو صار من ورائه ، فخفيت عن عينه الإشارة ، كما صمّ أذناه عن العبارة ؛ فحصلت المبالغة من عدم الإسماع بالكلية . وهذا الكلام وإن بولغ فيه بنفى الإسماع البتة ؛ فهو من إيغال الاحتياط ؛ الذي أدمجت فيه المبالغة في نفي الاستماع .

وقد يأتي الاحتياط في غير المقاطع من مجموع مجمل متفرقة في ضروب من الكلام شتى ، يحملها معنى واحد ، كقوله تعالى : ﴿قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ...﴾^(٢) الآية .

وقوله : ﴿فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾^(٣) .

وقوله : ﴿فَأَتُوا بِمِثْلِ سُورَةِ مِثْلِهِ﴾^(٤) ، كما يقول الرجل لمن يجمد : ما يستحقّ على درهما ولا دانقاً ولا حبة ، ولا كثيراً ولا قليلاً . ولو قال : «ما يستحقّ على شيئاً» لأغنى في الظاهر ؛ لكنّ التفصيل أدلّ على الاحتياط ، وعلى شدة الاستبعاد في الإنكار .

ومنه قوله تعالى : ﴿اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾^(٥) فإن المعنى تم

(١) سورة الإسراء ٨٣

(٢) سورة البقرة ٢٣

(٣) سورة الإسراء ٨٨

(٤) سورة يس ٢١

(٥) سورة هود ١٣

بقوله : ﴿أَجْزَأُ﴾ ، ثم زاد الفاصلة لمناسبة رموس الآي ؛ فأوغل بها كما ترى ؛ حتى أتى بها تفيد معنى زائداً على معنى الكلام .

فصل

في ضابط الفواصل

ذكره الجعبري ؛ ولمعرفة طريقان : توقيفي وقياسي :

الأول التوقيفي ، روى أبو داود^(١) عن أم سلمة : لما سئلت عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : « كان يقطع قراءته آية آية . وقرأت : ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ إلى ﴿الذين﴾ ، تقف على كل آية » . فمعنى « يقطع قراءته آية آية » ؛ أي يقف على كل آية ؛ وإنما كانت قراءته صلى الله عليه وسلم كذلك ليعلم رموس الآي .

قال : ووهم فيه من سماء وقف السنة ، لأن فعله عليه السلام إن كان تعبدا فهو مشروع لنا ، وإن كان لنيره فلا . فما وقف عليه السلام عليه دائماً تحققنا أنه فاصلة ، وما وصله دائماً تحققنا أنه ليس بفاصلة ، وما وقف عليه مرة ووصله أخرى احتمل الوقف أن يكون لتعريفهما ، أو لتعريف الوقف التام ، أو للاستراحة . والوصل أن يكون غير فاصلة ، أو فاصلة وصلها لتقدم تعريفها .

الثاني القياسي ؛ وهو ما ألحق من المحتمل غير المنصوص بالمنصوص ، لمناسب . ولا محذور في ذلك ؛ لأنه لازية فيه ولا نقصان ؛ وإنما غايته أنه محل فصل أو وصل . والوقف على كل كلمة جائز ، ووصل القرآن كله جائز ، فاحتاج القياسي إلى طريق تعرفه ؛ فأقول : فاصلة الآية كقرينة السجدة في النثر ، وقافية البيت في النظم ؛ وما يذكرون من عيوب القافية من

اختلاف الحنو^(١) والإشباع ، والتوجيه ، فليس بعيب في الفاصلة ، وجاز الانتقال في الفاصلة والقرينة وقافية الأرجوزة ؛ من نوع إلى آخر ؛ بخلاف قافية القصيد .

ومن ثم ترى ﴿ يرجعون ﴾ مع ﴿ عليم ﴾^(٢) ، و ﴿ الميعاد ﴾ مع ﴿ الثواب ﴾^(٣) ، و ﴿ الطارق ﴾ مع ﴿ الثاقب ﴾^(٤) .

والأصل في الفاصلة والقرينة المتجردة في الآية والسبعة المساواة ؛ ومن ثم أجمع العادون على ترك عدّة ﴿ وَيَأْتِ بِآخِرِينَ ﴾^(٥) و ﴿ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾^(٦) بالنساء ، و ﴿ كَذَّبَ بِهَا الْأُولُونَ ﴾^(٧) بسبحان ، و ﴿ لَنُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ ﴾^(٨) بمريم ، و ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾^(٩)

(١) في الإتيان : « اختلاف الحركة » . والحنو والإشباع والتوجيه من عيوب القافية ، التي تندرج تحت ما اصطالحوا على تسميته بالسناد ؛ وهو اختلاف ما قبل الروى ، (وهو الذى تبني عليه قافية القصيدة من الحروف) . وسناد الإشباع : هو اختلاف حركة الدخيل ، مثل كسرة الهاء وفتحة العين في قولك : « مجاهد وتباعد » . وسناد الحنو : اختلاف حركة الحرف الذى قبل الروى المطلق ، مثل فتحة النون وكسرة الكاف في قولك : « سند ، وكد » . وسناد التوجيه : اختلاف حركة الحرف الذى قبل الروى المقيد ، كفتحة اللام وضما في قولك : « حلم وحلم » . وانظر مفتاح العلوم ٣٠١ .

(٢) من قوله تعالى : ﴿ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ الْهَارِ وَأَكْفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ ، مع قوله : ﴿ قُلْ إِنْ أَلْفُ ضَلَّ بِبَيْدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [سورة آل عمران ٧٢ ، ٧٣] .

(٣) من قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْفُ الْمِعَادَ ﴾ ، مع قوله : ﴿ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾ [سورة آل عمران ١٩٤ ، ١٩٥] .

(٤) من قوله تعالى : ﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ . النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴾ ، [سورة الطارق ١ - ٣] .

(٦) سورة النساء ١٧٢

(٨) سورة مريم ٩٧

(٥) سورة النساء ١٣٣

(٧) سورة الإسراء ٥٩

(٩) سورة طه ١١٣

بطّه ، و ﴿ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ ^(١) و ﴿ أَنْ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ^(٢) بالطلاق حيث لم يشأ كل طرفيه .

وعلى ترك عدّة ﴿ أَفْتَرِ دِينَ اللَّهِ يَبْغُونَ ﴾ ^(٣) بآل عمران ، و ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ ^(٤) بالمائدة ، وعدوا نظائرهما للناسبة ، نحو ﴿ لِأَوَّلَى الْأَلْبَابِ ﴾ ^(٥) بآل عمران ، و ﴿ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ ^(٦) بالكهف ، و ﴿ وَالسَّوَّى ﴾ ^(٧) بطّه .

وقد يتوجه الأمران في كلمة فيختلف فيها ؛ ففيها البسمة وقد نزلت بعض آية في النمل ^(٨) ، وبعضها في أثناء الفاتحة ^(٩) في بعض الأحرف السبعة .

فنقرأ بحرف نزلت فيه عدّها آية ، ولم يحتج إلى إثباتها بالقياس للنصّ المتقدم ، خلافا للداني . ومن قرأ بحرف لم تنزل معه لم يعدّها ؛ ولزمه من الإجماع على أنها سبع آيات أن يعدّها عوضها . وهو بعد ﴿ اهْدُنَا ﴾ لقوله صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى : « قسمت الصلاة بيني وبين عبدتي نصفين » ^(١٠) .

- | | |
|-----------------------|---------------------|
| (١) سورة الطلاق ١١ | (٢) سورة الطلاق ١٢ |
| (٣) سورة آل عمران ٨٣ | (٤) سورة المائدة ٥٠ |
| (٥) سورة آل عمران ١٩٠ | (٦) سورة الكهف ١٥ |
| (٧) سورة طه ٨٠ | (٨) آية ٣٠ |
| (٩) آية ٢ | |

(١٠) الصلاة هنا : الفاتحة ؛ لأن الصلاة لا تصح إلا بها . والحديث كما رواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة عن أبي هريرة : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : قال الله تعالى : قسمت الصلاة بيني وبين عبدتي نصفين ولعبدتي ما سألت ؛ فإذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين ، قال الله تعالى : حمدني عبدتي ، وإذا قال : الرحمن الرحيم قال الله تعالى : أثنيت عليّ عبدتي ، وإذا قال : مالك يوم الدين قال : مجدّني عبدتي — وقال مرة فوض إليّ عبدتي — فإذا قال : إياك نعبد وإياك نستعين قال : هذا بيني وبين عبدتي ولعبدتي ما سألت ، فإذا قال : اهْدُنَا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ، قال : هذا لعبدتي ولعبدتي ما سألت » . صحيح مسلم (٣ : ١٠١) .

«أى قراءة الصلاة، تعد منها، ولا للعبد إلا هاتان، و﴿المستقيم﴾ محقق، فقسمتا بعدها قسمين؛ فكانت ﴿عليهم﴾ الأولى؛ وهى مماثلة فى الروى لما قبلها^(١).

ومنها حروف الفوائج؛ فوجهٌ عدّها استقلالها على الرفع والنصب ومناسبة الروى والردف. ووجه عدمه الاختلاف فى الكمية والتعلق على الجزء.

ومنها بالبقرة ﴿عَذَابُ أَلِيمٍ﴾^(٢) و﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾^(٣) فوجه عدّه مناسبة الروى، ووجه عدمه تعلقه بتاليه.

ومنها ﴿إِلَىٰ بَنِي إِسْرَٰئِيلَ﴾^(٤) بآل عمران؛ حملا على ما فى الأعراف^(٥) والشعراء^(٦) والسجدة^(٧) والزخرف^(٨).

ومنها ﴿فَبَشِّرْ عِبَادَ﴾^(٩) بالزمر؛^(١٠) لتقدير تاليه مفعولا ومبتدأ^(١١).

ومنها ﴿وَالطُّورِ﴾، و﴿الرَّحْمَنِ﴾، و﴿الْحَاقَّةِ﴾، و﴿القَارِعَةِ﴾، و﴿وَالْعَصْرِ﴾ حملا على ﴿وَالْفَجْرِ﴾ و﴿وَالضُّحَى﴾ للنسابة، لكن تفاوتت فى الكمية.

(١-١) كذا وردت العبارة غامضة فى جميع الأصول؛ وفى الجامع لأحكام القرآن ١ : ٩٤ ما يأتى، بعد أن أورد الحديث : « فقوله سبحانه : « قسمت الصلاة » يريد الفاتحة؛ وسماها صلاة لأن الصلاة لا تصح إلا بها، فجعل الثلاث الآيات الأول نفسه، واختص بها تبارك اسمه، ولم يختلف المسلمون فيها، ثم الآية الرابعة جعلها بينه وبين عبده؛ لأنها تضمنت تذلل العبد وطلب الاستعانة منه، وذلك يتضمن تعظيم الله تعالى، ثم ثلاث آيات، تنمى سبع آيات. وما يدل على أنها ثلاث قوله : « هؤلاء لعبدى »، أخرجه مالك، ولم يقل : « هاتان » فهذا يدل على أن أنعمت عليهم آية .

(٢) سورة البقرة ١٠ والآية : ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ (٣) سورة البقرة ١١

(٤) آل عمران ٩٠ : ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَٰئِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾

(٥) آية ١٠٥ ﴿ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَٰئِيلَ ﴾

(٦) الشعراء ١٧ ﴿ أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَٰئِيلَ ﴾

(٧) السجدة ٢٣ ﴿ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَٰئِيلَ ﴾

(٨) الزخرف ٥٩ ﴿ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَٰئِيلَ ﴾

(٩) الزمر ١٧ (١٠) ساقط من ت، م

النوع الرابع في جمع الوجوه والنظائر

وقد صنف فيه قديماً مقاتل بن سليمان ، وجمع فيه من المتأخرين ابنُ الزاغوني^(١)
وأبو الفرج^(٢) بن الجوزي ، والدامغانى^(٣) الواعظ ، وأبو الحسين بن فارس^(٤) ، وسمى كتابه
”الأفراد“^(٥) .

فالوجوه اللفظ المشترك الذى يستعمل في عدة معان ؛ كلفظ « الأمة » ،
والنظائر كالألفاظ المتواطئة .

وقيل : النظائر في اللفظ ، والوجوه في المعانى ؛ وضُفَّ ؛ لأنه لو أريد هذا لكان
الجمعُ في^(٦) الألفاظ المشتركة ؛ وهم يذكرون في تلك الكتب اللفظ الذى معناه واحد في
مواضع كثيرة ؛ فيجعلون الوجوه نوعاً لأقسام ، والنظائر نوعاً آخر ، كالأمثال .
وقد جعل بعضهم ذلك من أنواع معجزات القرآن ؛ حيث كانت الكلمة الواحدة
تنصرف إلى عشرين وجهاً أو أكثر أو أقل ؛ ولا يوجد ذلك في كلام البشر .

-
- (١) هو أبو الحسن علي بن عبد الله بن نصر الزاغوني الحنبلي البغدادي . منسوب إلى زاغوانى من أعمال
بغداد . كان شيخ الحنابلة وأعظم أعيانهم ، توفى سنة ٥٢٧ . (وانظر ترجمته في شذرات الذهب ٤ : ٨٠) .
(٢) هو أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي صاحب كتاب المتنظم في التاريخ .
توفى سنة ٥٩٧ . (وانظر ترجمته في ابن خلكان ١ : ٢٧٩) .
(٣) لهله قاضى القضاة أبو عبد الله الدامغانى محمد بن علي بن محمد الحنفى : توفى سنة ٤٧٨ . (شذرات
الذهب ٣ : ٣٦٢) .
(٤) هو أحمد بن فارس بن زكريا ؛ صاحب المجمل ومقاييس اللغة ، وفقه اللغة وغيرها . توفى سنة ٣٩٥ .
(وانظر ترجمته في إنباء الرواة ١ : ٩٣) .
(٥) زاد السيوطى في الإقتان (١ : ١٤١) محمد بن عبد الصمد المصرى . (٦) ت ، م : « بين » .

وذكر مقاتل في صدر كتابه حديثاً مرفوعاً^(١) : « لا يكون الرجل قبيهاً كلَّ الفقه^(٢) حتى يرى للقرآن وجوهاً كثيرة » .

فنه « الهدى » سبعة عشر حرفاً :

وبمعنى البيان ؛ كقوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ ﴾^(٣) .

وبمعنى الدين : ﴿ إِنَّ الْهُدَى هُدًى اللَّهِ ﴾^(٤) .

وبمعنى الإيمان : ﴿ وَزَيْدُ اللَّهِ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾^(٥) .

وبمعنى الداعي : ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾^(٦) . ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾^(٧) .

وبمعنى الرسل والكتب : ﴿ فَأَمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى ﴾^(٨) .

وبمعنى المعرفة : ﴿ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾^(٩) .

وبمعنى الرشاد : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾^(١٠) .

وبمعنى محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ

وَالْهُدًى ﴾^(١١) . ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدًى ﴾^(١٢) .

وبمعنى القرآن : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدًى ﴾^(١٣) .

(١) الحديث المرفوع : ما أضيف إلى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، خاصة من فعل أو تقرير ؛ سواء كان متصلاً أو متقطعاً ؛ لقوط الصحابي منه أو غيره . (قواعد التحديث ١٠٤) .

(٢) قال السيوطي : أخرجه ابن سعد وغيره عن أبي الدرداء موقوفاً ، ولفظه « لا يفقه الرجل كلَّ الفقه » ، وقد فسره بعضهم بأن المراد أن يرى اللفظ الواحد يحتمل معاني متعددة فيجمله عليها إذا كانت غير متضادة ولا يقتصر به على معنى واحد . وانظر الإتيان (١ : ١٤١) .

(٣) سورة البقرة ٥ (٤) سورة آل عمران ٧٣

(٥) سورة مريم ٧٦ (٦) سورة الرعد ٧

(٧) سورة الأنبياء ٧٣ (٨) سورة البقرة ٣٨

(٩) سورة النحل ١٦ (١٠) سورة الفاتحة ٦

(١١) سورة البقرة ١٥٩ (١٢) سورة محمد ٣٢

(١٣) سورة النجم ٢٣ .

وبمعنى التوراة : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى ﴾ ^(١) .
 وبمعنى الاسترجاع : ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ ^(٢) ؛ ونظيرها في التغابن : ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ ﴾ ^(٣) أى فى المصيبة أنها من عند الله ﴿ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ ^(٤) للاسترجاع .
 وبمعنى الحجة : ﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ ^(٥) بعد قوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ ﴾ ، أى لا يهديهم إلى الحجة .
 وبمعنى التوحيد : ﴿ إِنْ نَدْبِعِ الْهُدَى مَعَكَ ﴾ ^(٦) .
 وبمعنى السنة : ﴿ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ ﴾ ^(٧) .
 وبمعنى الإصلاح : ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴾ ^(٨) .
 وبمعنى الإلهام : ﴿ أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ ^(٩) ، هدى كلاً فى معيشتِهِ .
 وبمعنى التوبة : ﴿ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ﴾ ^(١٠) أى تبتنا .
 وهذا كثير الأنواع .

-
- (١) سورة غافر ٥٣
 (٢) سورة البقرة ١٥٧ ؛ وقبلها : ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ .
 أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ .
 (٣) سورة التغابن ١١ والآية بتمامها : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبُ اللَّهِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .
 (٤) سورة البقرة ٢٥٨
 (٥) سورة القصص ٥٧
 (٦) سورة الزخرف ٢٢ ، وزاد السيوطى فى الإقنان : ﴿ قَبِيضَهُمْ أَوْتَدَهُ ﴾ [الأنعام ٩٠]
 (٧) سورة يوسف ٥٢
 (٨) سورة طه ٥٠
 (٩) سورة الأعراف ١٥٦

وقال ابن فارس في كتاب "الأفراد" :

كل ما في كتاب الله من ذكر « الأسف » فعناه الحزن ؛ كقوله تعالى في قصة يعقوب عليه السلام : ﴿ يَا أَسْفَا عَلَى يَوْسَفَ ﴾ ^(١) إلا قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا ﴾ ^(٢) . فإن معناه « أغضبونا » ^(٣) ؛ وأما قوله في قصة موسى عليه السلام : ﴿ غَضِبَانَ آسَفَا ﴾ ^(٤) فقال ابن عباس : « مغتاظا » .

وكل ما في القرآن من ذكر « البروج » فإنها الكواكب ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴾ ^(٥) إلا التي في سورة النساء : ﴿ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ ﴾ ^(٦) ، فإنها القصور الطوال ، المرتفعة في السماء ، الحصينة .

وما في القرآن من ذكر « البر » و « البحر » فإنه يراد بالبحر الماء ، وبالبرّ التراب اليابس ، غير واحد في سورة الروم : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ ^(٧) فإنه بمعنى البرية وال عمران . وقال بعض علمائنا : ﴿ فِي الْبَرِّ ﴾ قتل ابن آدم أخاه ، وفي ﴿ الْبَحْرِ ﴾ أخذ الملك كل سفينة غصبا .

والبخس في القرآن النقص ؛ مثل قوله تعالى : ﴿ فَلَا يَخَافُ بُخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴾ ^(٨) إلا حرفاً واحداً في سورة يوسف : ﴿ وَشَرَّوْهُ بِمَنْ بَخْسٍ ﴾ ^(٩) ؛ فإن أهل التفسير قالوا : بخس : حرام .

وما في القرآن من ذكر البعل فهو الزوج ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَيُعَوِّلُهُنَّ أَحَقُّ

(١) سورة يوسف ٨٤

(٢) سورة الزخرف ٥٥

(٣) كذا في ت ، ط ، وفي م : « تغضبونا » .

(٤) سورة الأعراف ١٥٠ ، طه ٨٦ (٥) سورة البروج ١

(٦) سورة النساء ٧٨

(٧) سورة الروم ٤١ (٨) سورة الجن ١٣

(٩) سورة يوسف ٢٠

يَرَدُّ مِنْ^(١) ﴿١﴾ إِلَّا حَرْفًا وَاحِدًا فِي الصَّافَاتِ : ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾^(٢) ، فَإِنَّهُ أَرَادَ صَمًا .
 وَمَا فِي الْقُرْآنِ مِنْ ذِكْرِ الْبَيْكَمِ فَهُوَ الْخَرَسُ عَنِ الْكَلَامِ بِالْإِيمَانِ ؛ كَقَوْلِهِ : ﴿صُمُّ
 بُيُوتِكُمْ﴾^(٣) ؛ إِنَّمَا أَرَادَ ﴿بُيُوتِكُمْ﴾ عَنِ النَّطْقِ وَالتَّوْحِيدِ مَعَ صِحَّةِ أَلْسِنَتِهِمْ ؛ إِلَّا حَرْفَيْنِ :
 أَحَدُهُمَا فِي سُورَةِ بَنِي إِسْرَآءِلَ^(٤) : ﴿عُمِيًّا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ وَالثَّانِي فِي سُورَةِ النَّحْلِ : قَوْلُهُ
 عَزَّ وَجَلَّ : ﴿أَحَدُهُمَا أَبُكْمٌ﴾^(٥) فَإِنَّهُمَا فِي هَذَيْنِ الْمَوْضِعَيْنِ : اللَّذَانِ لَا يَقْدِرَانِ عَلَى الْكَلَامِ .
 وَكُلَّ شَيْءٍ فِي الْقُرْآنِ : ﴿جَنِيًّا﴾ فَعْنَاهُ « جَمِيعًا » إِلَّا الَّتِي فِي سُورَةِ الشَّرِيعَةِ^(٦) :
 ﴿وَرَى كُلُّ أُمَّةٍ جَانِيَةً﴾ فَإِنَّهُ أَرَادَ تَجَنُّوْا عَلَى رَكْبَتَيْهَا .

وَكُلَّ حَرْفٍ فِي الْقُرْآنِ « حُسْبَانٌ » فَهُوَ مِنَ الْعَدَدِ ، غَيْرُ حَرْفٍ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ :
 ﴿حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ﴾^(٧) فَإِنَّهُ بِمَعْنَى الْعَذَابِ .

وَكُلُّ مَا فِي الْقُرْآنِ : « حَسْرَةٌ » فَهُوَ النَّدَامَةُ ؛ كَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾^(٨)
 إِلَّا الَّتِي فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ : ﴿لِيَجْزِلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾^(٩) فَإِنَّهُ يَعْنِي
 بِهِ « حَزَنًا » .

وَكُلُّ شَيْءٍ فِي الْقُرْآنِ : « الدَّحَضُ » وَ « الدَّاحِضُ » فَعْنَاهُ الْبَاطِلُ ؛ كَقَوْلِهِ :
 ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾^(١٠) ، إِلَّا الَّتِي فِي سُورَةِ الصَّافَاتِ : ﴿فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾^(١١) .

وَكُلَّ حَرْفٍ فِي الْقُرْآنِ مِنْ « رَجَزٍ » فَهُوَ الْعَذَابُ ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي قِصَّةِ بَنِي إِسْرَآئِيلَ :

(١) سورة البقرة ٢٢٨

(٢) سورة الصافات ١٢٥

(٣) سورة البقرة ١٨

(٤) هي التي تسمى الإسراء ، آية ٩٧

(٥) سورة النحل ٧٦

(٦) هي التي تسمى الجانية ، آية ٢٨

(٧) سورة الكهف ٤٠

(٨) سورة يس ٣٠

(٩) سورة آل عمران ١٥٦

(١٠) سورة الشورى ١٦

(١١) سورة الصافات ١٤١ . وَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ : أَيْ مِنَ الْمَلْعُونِينَ .

﴿لَنْ نَكْشِفَ عَنْكَ الرَّجْزَ﴾^(١) إلا في سورة المدثر: ﴿وَالرَّجْزَ فَاهْجُرْ﴾^(٢) فإنه يعني: الصم، فاجتنبوا عبادته.

وكل شيء في القرآن من «ريب» فهو شك، غير حرف واحد؛ وهو قوله تعالى: ﴿نَتَرَبَّصُ بِهِ رَبُّنَا رَبِّبَ النَّوْنِ﴾^(٣) فإنه يعني حوادث الدهر.

وكل شيء في القرآن: «يرْجُوكُمْ» و«يرْجُوكُمْ» فهو القتل، غير التي في سورة مريم عليها السلام: ﴿لَا رُجُوكَ﴾^(٤) يعني لأشمتك.

قلت: وقوله: ﴿رَجَّأَ الْغَيْبَ﴾^(٥) أى ظنا. والرجم أيضاً: الطرد واللعن؛ ومنه قيل للشيطان: رجيم.

وكل شيء في القرآن من «زور» فهو الكذب؛ ويراد به الشرك؛ غير التي في المجادلة: ﴿مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾^(٦)، فإنه كذب غير شرك.

وكل شيء في القرآن من «زكاة» فهو المال، غير التي في سورة مريم: ﴿وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً﴾^(٧)؛ فإنه يعني «تمطفا».

وكل شيء في القرآن من «زاغوا» ولا «تُرْغ» فإنه من «مالوا» ولا «تمل» غير واحد في سورة الأحزاب: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾^(٨) بمعنى «شخصت».

وكل شيء في القرآن من «يسخرون» و«سخرنا» فإنه يراد به الاستهزاء، غير التي في سورة الزخرف: ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا﴾^(٩)، فإنه أراد «أعواناً وخداماً».

وكل سكينه في القرآن طمانينة في القلب، غير واحد في سورة البقرة: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ

(١) سورة الأعراف ١٣٤	(٢) سورة المدثر ٥
(٣) سورة الطور ٣٠	(٤) سورة مريم ٤٦
(٥) سورة الكهف ٢٢	(٦) سورة المجادلة ٢
(٧) آية ١٣	(٨) آية ١٠
	(٩) آية ٣٢ (١٠) ط «عونا»

من ربكم»^(١) ، فإنه يعني شيئاً كرأس الهرة لها جناحان كانت في التابوت .
 وكل شيء في القرآن من ذكر « السعير » فهو النار والوقود إلا قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ
 الْمَجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴾^(٢) ، فإنه العناد .
 وكل شيء في القرآن من ذكر « شيطان » فإنه إبليس وجنوده وذريته إلا قوله
 تعالى في سورة البقرة : ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ ﴾^(٣) ؛ فإنه يريد كهنتهم ؛ مثل كعب
 ابن الأشرف وحبي بن أخطب وأبي ياسر أخيه .
 وكل « شهيد » في القرآن غير القتلى في الغزو فهم الذين يشهدون على أمور الناس ، إلا
 التي في سورة البقرة قوله عز وجل : ﴿ وَأَدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ ﴾^(٤) ، فإنه يريد شركاءكم .
 وكل مافي القرآن من « أصحاب النار » فهم أهل النار إلا قوله : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ
 النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ﴾^(٥) فإنه يريد خزنتها .
 وكل « صلاة » في القرآن فهي عبادة ورحمة إلا قوله تعالى : ﴿ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ ﴾^(٦)
 فإنه يريد بيوت عباداتهم .
 وكل « صَم » في القرآن فهو عن الاستماع للإيمان ، غير واحد في بني اسرائيل ، قوله
 عز وجل : ﴿ عُمِّيًّا وَبُكْمًا وَصُمًّا ﴾^(٧) ، معناه لا يسمعون شيئاً .
 وكل « عذاب » في القرآن فهو التعذيب إلا قوله عز وجل : ﴿ وَلَيَشْهَدَنَّ عَذَابَهُمَا ﴾^(٨)
 فإنه يريد الضرب .

والقانتون : المطيعون ، لكن قوله عز وجل في البقرة : ﴿ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ ﴾^(٩)

(١) آية ٢٤٨

(٣) سورة البقرة ١٤

(٥) سورة المدثر ٣١

(٧) سورة الإسراء ٩٧

(٩) سورة البقرة ١١٦

(٢) سورة القمر ٤٧

(٤) سورة البقرة ٢٣

(٦) سورة الحج ٤٠

(٨) سورة النور ٢

معناه «مقرّون» ، وكذلك في سورة الروم : ﴿ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ ﴾ ^(١) ، يعني مقرّون بالعبودية .

وكل « كنز » في القرآن فهو المال إلا الذي في سورة الكهف : ﴿ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا ﴾ ^(٢) فإنه أراد صحفا وعلماء .

وكل « مصباح » في القرآن فهو الكوكب إلا الذي في سورة النور : ﴿ الْمَصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ﴾ ^(٣) ، فإنه السراج نفسه .

النكاح في القرآن الزوج ؛ إلا قوله جعل ثناؤه : ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ ﴾ ^(٤) فإنه يعني الحلم .

النبأ والأنباء في القرآن الأخبار ؛ إلا قوله تعالى : ﴿ فَعَمَّيْتُ عَلَيْهِمُ الْآبَاءَ ﴾ ^(٥) فإنه بمعنى الحجج .

الورود في القرآن الدخول ، إلا في القصص : ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ ﴾ ^(٦) ، يعني هجم عليه ولم يدخله .

وكل شيء في القرآن من ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ ^(٧) ، يعني عن العمل إلا التي في سورة النساء ^(٨) ﴿ إِلَّا مَا آتَاهَا ﴾ ^(٩) يعني النفقة .

وكل شيء في القرآن من بأس فهو القنوط ، إلا التي في الرعد ﴿ أَفَلَمْ يَيْئَسِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ^(١٠) أي ألم يعلموا . قال ابن فارس : أنشدني أبي ، فارس بن زكريا :

- | | |
|--|--|
| (١) سورة الروم ٢٦ | (٢) سورة الكهف ٨٢ |
| (٣) سورة النور ٣٥ | (٤) سورة النساء ٦ |
| (٥) سورة القصص ٦٦ | (٦) سورة القصص ٢٣ |
| (٧) سورة البقرة ٢٨٦ | (٨) حاشية ط : « يعني القصص » ، وهي سورة الطلاق . |
| (٩) آية ٧ ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ﴾ . | |
| (١٠) سورة الرعد ٣١ . | |

أقول لهم بالشَّعْبِ إِذْ يَنْسِرُونِي أَلَمْ تَيْتَسُوا أُنَى ابْنِ فَارَسٍ زَهْدَمَ^(١)
قال الصاغاني^(٢) : البيت لسحيم بن وثيل البربوعي .
وكل شيء في القرآن من ذكر « الصبر » محمود ، إلا قوله عز وجل : ﴿ لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا ﴾^(٣) ، و ﴿ وَاصْبِرُوا عَلَى آلِكُمْ ﴾^(٤) . انتهى ما ذكره ابن فارس .

وزاد غيره : كل شيء في القرآن : « لعلكم » فهو بمعنى « لكي » غير واحد في
الشعراء ﴿ لعلكم تَخْلُدُونَ ﴾^(٥) فإنه للتشبيه ؛ أي كأنكم .
وكل شيء في القرآن « أفسطوا » فهو بمعنى العدل ، إلا واحد في الجن : ﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾^(٦) . يعني العادلين الذين يعدلون به غيره ؛ هذا باعتبار صورة اللفظ ؛
وإلا فإفادة الرابعة تخالف مادة الثلاثي .
وكل « كسف » في القرآن يعني جانباً من السماء غير واحد في سورة الروم : ﴿ وَيَحْمِلُ نُفُوسَهُمْ عَلَى السَّحَابِ ﴾^(٧) يعني السحاب قطعاً .
وكل « ماء معين » فالمراد به الماء الجاري ؛ غير الذي في سورة تبارك^(٨) ؛ فإن
المراد به الماء الطاهر الذي تناله الدلاء ؛ وهي زمزم .

(١) زهدم : اسم فرس لسحيم بن وثيل ؛ وقيل إن هذا البيت لابنه جابر وليس له . وانظر اللسان -
يأس - زهدم .

(٢) هو الإمام رضى الدين حسن بن محمد الصغاني - وقال الصاغاني ؛ صاحب التكملة على المطح .
توفي سنة ٦٥٠ (بنية الوعاة ٢٢٧)

(٣) سورة الفرقان ٤٢ (٤) سورة ص ٦

(٥) سورة الشعراء ١٢٩ (٦) سورة الجن ١٥

(٧) سورة الروم ٤٨

(٨) قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴾ آية ٣٠ .

وكل شيء في القرآن « ثلثاً » فهو بمعنى « كيلاً » غير واحد في الحديد : ﴿ ثَلَاثًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ ﴾ ^(١) ؛ يعني لكى يعلم .

وكل شيء في القرآن « من الظلمات إلى النور » فهو بمعنى الكفر والإيمان ؛ غير واحد في أول الأنعام : ﴿ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾ ^(٢) يعني ظلمة الليل ونور النهار .

وكل « صوم » في القرآن فهو الصيام المعروف ، إلا الذي في سورة مريم : ﴿ إِنِّي نَزَرْتُ لِارْحَمَنُ صَوْمًا ﴾ ^(٣) يعني صمتاً .

وذكر أبو عمرو الداني في قوله تعالى : ﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ ﴾ ^(٤) أن المراد بالحضور هنا المشاهدة . قال : وهو بالطاء بمعنى المنع والتحويط ، قال : ولم يأت بهذا المعنى إلا في موضع واحد ؛ وهو قوله تعالى : ﴿ فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴾ ^(٥) .

قيل : وكل شيء في القرآن : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ ﴾ قد أخبرنا به ، وما فيه : ﴿ وَمَا يُذَرِّكَ ﴾ فلم يخبرنا به ؛ حكاه البخاري رحمه الله في تفسيره . واستدرك بعضهم عليه موصفاً ، وهو قوله : ﴿ وَمَا يُذَرِّكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾ ^(٦) .

وقيل : الإنفاق حيث وقع في القرآن فهو الصدقة ؛ إلا في قوله تعالى : - ﴿ فَاتَّوَا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا ﴾ ^(٧) فإن المراد به المهر ؛ وهو صدقة في الأصل ؛ تصدق الله بها على النساء .

- | | |
|----------------------|--------------------|
| (١) سورة الحديد ٢٩ | (٢) سورة الأنعام ١ |
| (٣) سورة مريم ٢٦ | (٥) سورة القدر ٣١ |
| (٤) سورة الأعراف ١٦٣ | (٦) سورة الشورى ١٧ |
| (٦) سورة الشورى ١٧ | (٧) سورة المتحة ١١ |

النوع الخامس علم المتشابه

وقد صنف فيه جماعة، ونظمه السخاوي^(١) وصنف في توجيهه الكرمانى^(٢) كتاب
"البرهان"، والرازي^(٣) كتاب "درة التأويل"، وأبو جعفر بن الزبير، وهو أبسطها في مجلدين.
وهو إيراد القصة الواحدة في صورٍ شتى وفواصل مختلفة. ويكثر في إيراد القصص
والأنباء، وحكته التصرف في الكلام وإتيانه على ضروب؛ ليعلمهم معجزهم عن جميع طرق
ذلك: مبتدأ به ومتكررا، وأكثر أحكامه ثبتت من وجهين، فلمذا جاء باعتبارين.
وفيه فصول:

الفصل الأول

[المتشابه باعتبار الأفراد]

الأول باعتبار الأفراد، وهو على أقسام:

- (١) هو علم الدين على بن محمد بن عبد الصمد السخاوي، صاحب كتاب هداية المراتب في المتشابه؛
وهي منظومة تعرف بالسخاوية: توفي سنة ٦٤٣. (وانظر ترجمته في ابن خلكان ١: ٣٤٥)
- (٢) هو أبو القاسم برهان الدين محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى الشافعى؛ الملقب تاج القراء: توفي
بعد سنة ٥٠٠، وكتابه هو البرهان في متشابه القرآن، منه نسخ خطية في المكتبة السيورية، ودار الكتب،
والأزهر. (وانظر ترجمته في بنية الوعاة ٣٨٧).
- (٣) ت «الدارى» تحريف، وهو الإمام غفر الدين الرازى - تقدمت ترجمته. واسم كتابه في كشف
الظنون: «درة التزويل وغرة التأويل». ومنه نسخ خطية بدار الكتب المصرية.

الأول أن يكون في موضعٍ على نظمٍ ، وفي آخرٍ على عكسه ، وهو يشبه ردَّ العَجَزِ على الصَّدْرِ ^(١) ؛ ووقع في القرآن منه كثير .

ففي البقرة : ﴿ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ ^(٢) ، وفي الأعراف : ﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا ﴾ ^(٣) .

في البقرة : ﴿ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ ﴾ ^(٤) ، وفي الحج : ﴿ وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى ﴾ ^(٥) .
في البقرة والأنعام : ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى ﴾ ^(٦) ، وفي آل عمران : ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُدَى اللَّهِ ﴾ ^(٧) .

في البقرة : ﴿ وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ ^(٨) ، وفي الحج : ﴿ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ ﴾ ^(٩) .
في البقرة : ﴿ وَمَا أَهْلٌ بِهِ لِنَعِيرِ اللَّهِ ﴾ ^(١٠) ، وباقي القرآن : ﴿ لِنَعِيرِ اللَّهِ بِهِ ﴾ ^(١١) .

(١) رد العجز على الصدر يكون في النثر ويكون في النظم ؛ ففي النثر أن يجعل أحد التفضين المكررين ؛ أى المتفقين في اللفظ والمعنى ، أو المتجانسين في اللفظ دون المعنى ، أو اللحقين بالتجانسين ؛ وهما اللذان يجمعهما الاشتقاق أو شبه الاشتقاق - في أول الفقرة والآخر في آخرها ؛ نحو قوله تعالى : ﴿ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَهَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾ . وفي النظم أن يكون أحدهما في آخر البيت والآخر ؛ إما في صدر المصراع الأول ، أو خاتمه أو آخره ، أو صدر المصراع الثاني ؛ كقوله .

سريعٌ إلى ابنِ العمِّ يَلْطُمُ وَجْهَهُ وليس إلى داعيِ الندى سريع

وانظر الصناعتين ٣٨٥ - ٣٨٨

(٢) سورة البقرة ٥٨ . وحطة : مصدر « حط » ، ومعناه عند الحسن وقفاة : « احطط عنا خطايانا » .
كذا ذكره الطبري .

- | | |
|---|--|
| (٣) سورة الأعراف ١٦١ | (٤) سورة البقرة ٦٢ |
| (٥) سورة الحج ١٧ | (٦) سورة البقرة ١٢٠ ، وسورة الأنعام ٧١ |
| (٧) سورة آل عمران ٧٣ | (٨) سورة البقرة ١٤٣ |
| (٩) سورة الحج ٧٨ | (١٠) سورة البقرة ١٧٣ |
| (١١) سورة المائدة ٣ ، سورة الأنعام ١٤٥ ، سورة النحل ١١٥ | |

في البقرة: ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾^(١)، وفي إبراهيم: ﴿مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ﴾^(٢).

في آل عمران: ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ﴾^(٣)، وفي الأنفال: ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾^(٤).

في النساء: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾^(٥)، وفي المائدة: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾^(٦).

في الأنعام: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(٧)، وفي حم المؤمن: ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾^(٨).

في الأنعام: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾^(٩)، وفي بني إسرائيل: ﴿نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾^(١٠).

في النحل: ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ﴾^(١١)، وفي فاطر: ﴿فِيهِ مَوَاجِرَ﴾^(١٢).
في بني إسرائيل: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾^(١٣)، وفي الكهف: ﴿فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ﴾^(١٤).

في بني إسرائيل: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾^(١٥)، وفي العنكبوت: ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيداً﴾^(١٦).

(١) سورة البقرة ٢٦٤	(٢) سورة إبراهيم ١٨
(٣) سورة آل عمران ١٢٦	(٤) سورة الأنفال ١٠
(٥) سورة النساء ١٣٥	(٦) سورة المائدة ٨
(٧) سورة الأنعام ١٠٢	(٨) سورة المؤمن ٦٢
(٩) سورة الأنعام ١٥١	(١٠) سورة الإسراء ٣١
(١١) سورة النحل ١٤	(١٢) سورة فاطر ١٢
(١٣) سورة الإسراء ٨٩	(١٤) سورة الكهف ٥٤
(١٥) سورة الإسراء ٩٦	(١٦) سورة العنكبوت ٥٢

في « المؤمنين » : ﴿ لَقَدْ وَعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ ﴾ ^(١) ، وفي النمل : ﴿ لَقَدْ وَعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ ^(٢) .

في القصص : ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى ﴾ ^(٣) . وفي يس : ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى ﴾ ^(٤) .

في آل عمران : ﴿ قَالَ رَبِّ أَتَى بِكَ غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتَ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾ ^(٥) .

الثاني ما يشبهه بالزيادة والنقصان : ففي البقرة : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْتَهُمْ ﴾ ^(٦) ، وفي يس : ﴿ وَسَوَاءٌ ﴾ ^(٧) بزيادة « واو » ، لأن ما في البقرة جملة هي خبر عن أسم « إن » ، وما في يس جملة عطف بالواو على جملة .

في البقرة : ﴿ فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ﴾ ^(٨) ، وفي غيرها بإسقاط « مِنْ » لأنها للتبويض ؛ ولما كانت سورة البقرة سنام القرآن وأوله بعد الفاتحة حسن دخول « مِنْ » فيها ؛ ليعلم أن التحدي واقع على جميع القرآن من أوله إلى آخره ، بخلاف غيرها من الشور ، فإنه لو دخلها « مِنْ » لكان التحدي واقعا على بعض الشور دون بعض ، ولم يكن ذلك بالسهل .

في البقرة : ﴿ فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ ﴾ ^(٩) ، وفي طه ^(١٠) : ﴿ فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ ﴾ ، لأجل قوله هناك : ﴿ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ ﴾ ^(١١) .

- | | |
|----------------------|---------------------|
| (١) سورة المؤمنون ٨٣ | (٢) سورة النمل ٦٨ |
| (٣) سورة القصص ٢٠ | (٤) سورة يس ٢٠ |
| (٥) سورة آل عمران ٤٠ | (٦) سورة مريم ٨ |
| (٧) سورة البقرة ٦ | (٨) سورة يس ١٠ |
| (٩) سورة البقرة ٢٣ | (١٠) سورة البقرة ٣٨ |
| (١١) سورة طه ١٢٣ | (١٢) سورة طه ١٠٨ |

في البقرة : ﴿ يُذَبِّحُونَ ﴾ ^(١) ، بغير « واو » على أنه بدلٌ من ﴿ يَسُومُونَكُمْ ﴾ ^(٢) ،
ومثله في الأعراف ﴿ يُقَتِّلُونَ ﴾ ^(٣) ، وفي إبراهيم : ﴿ وَيُذَبِّحُونَ ﴾ ^(٤) بالواو ، لأنه من كلام
موسى عليه السلام ، يعدّد الحن عليهم .

في البقرة : ﴿ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ ^(٥) ، وفي آل عمران : ﴿ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ
يَظْلِمُونَ ﴾ ^(٦) .

في البقرة : ﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا ﴾ ^(٧) ، ثم قال :
﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُم مَّرِيضًا ﴾ ^(٨) .

في البقرة : ﴿ وَيُكْفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ ^(٩) ، وسائر
ما في القرآن يأسقاط ﴿ مِنْ ﴾ .

وفيها : ﴿ وَلَا يَكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ ﴾ ^(١٠) ، وفي آل عمران :
﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ ﴾ ^(١١) .

قالوا : وجميع ما في القرآن من السؤال لم يقع عنه الجواب بالفاء ، إلا قوله تعالى في طه :
﴿ وَبَسَّأْتُونَا عَنْ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ... ﴾ ^(١٢) ، الآية ؛ لأن الأجوبة في الجميع
كانت بعد السؤال ، وفي طه كانت قبل السؤال . وكأنه قيل : إن سئلت عن الجواب فقل .
في الأعراف : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا ﴾ ^(١٣) ، بغير « واو » ، وليس في القرآن غيره .

- | | |
|-----------------------|-----------------------|
| (١) سورة البقرة ٤٩ | (٢) سورة الأعراف ١٤١ |
| (٣) سورة الأعراف ١٤١ | (٤) سورة إبراهيم ٦ |
| (٥) سورة البقرة ٥٧ | (٦) سورة آل عمران ١١٧ |
| (٧) سورة البقرة ١٨٥ | (٨) سورة البقرة ١٩٦ |
| (٩) سورة البقرة ٢٧١ | (١٠) سورة البقرة ١٧٤ |
| (١١) سورة آل عمران ٧٧ | (١٢) سورة طه ١٠٥ |
| (١٣) سورة الأعراف ٥٩ | |

في البقرة : ﴿ وَيَكُونُ الَّذِينَ لَكَ فِي الْآخِلَاءِ ﴾ ^(١) ، وفي الأنفال : ﴿ كُلُّهُ لَكَ ﴾ ^(٢) .
 في آل عمران : ﴿ أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ ^(٣) ، وفي المائدة : ﴿ بَأْتِنَا مُسْلِمُونَ ﴾ ^(٤) .
 في آل عمران : ﴿ جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَالزُّبُرُ وَالْكِتَابُ الْمُنِيرُ ﴾ ^(٥) بياض واحدة
 إلا في قراءة ابن عامر ، وفي فاطر : ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ ^(٦)
 بثلاث باءات .

في آل عمران : ﴿ هَآؤُنَا أَوْلَاءُ نَحْبُونَهُمْ وَلَا يَحِبُّونَكُمْ ﴾ ^(٧) وسائر ما في القرآن :
 ﴿ هَؤُلَاءِ ﴾ بإثبات الهاء .

في النساء : ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْقَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ ^(٨) بالواو ، وفي براءة : ﴿ بَرَاءَةٌ ﴾ ^(٩)
 ﴿ ذَلِكَ ﴾ بغير واو .

في النساء : ﴿ فَانْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ﴾ ^(١٠) ، وفي المائدة بزيادة ﴿ مِنْهُ ﴾ ^(١١) .
 في الأنعام : ﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ
 لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ﴾ ، فكرر ﴿ لَكُمْ ﴾ ، وقال في هود : ﴿ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ ﴾ ^(١٢) ؛ لأنه
 تكرر ﴿ لَكُمْ ﴾ في قصته أربع مرات فاكتفى بذلك .

في الأنعام : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَصِلُ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ ^(١٣) ،

-
- | | |
|--|-----------------------|
| (١) سورة البقرة ١٩٣ | (٢) سورة الأنفال ٣٥ |
| (٣) سورة آل عمران ٦٤ | (٤) سورة المائدة ١١١ |
| (٥) سورة آل عمران ١٨٤ ، قرأها ابن عامر ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ . | |
| واقظ اتحاد فضلاء البشر ص ١٨٣ | (٦) سورة فاطر ٢٥ |
| (٧) سورة آل عمران ١١٩ | (٨) سورة النساء ١٣ |
| (٩) سورة التوبة | (١٠) سورة النساء ٤٣ |
| (١١) سورة المائدة ٦ | (١٢) سورة الأنعام ٥٠ |
| (١٣) سورة هود ٣١ | (١٤) سورة الأنعام ١١٧ |

وفي القلم : ﴿ بَيْنَ ضَلٍّ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ ^(١) بزيادة الباء ولفظ الماضي ، وفي النجم : ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بَيْنَ ضَلٍّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بَيْنَ اهْتَدَى ﴾ ^(٢) .

في الأنعام : ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ ^(٣) ، وفي سورة المؤمنين ^(٤) بزيادة ﴿ نَمُوتُ ﴾ ، وفيها أيضاً : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ ^(٥) ليس فيها غيره .

وفيها : ﴿ جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ ﴾ ^(٦) ، وفي فاطر : ﴿ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ ﴾ ^(٧) ، يائبات ﴿ فِي ﴾ .

في الأعراف : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ ﴾ ^(٨) ، وفي ص : ﴿ أَنْ تَسْجُدَ ﴾ ^(٩) ، وفي الحجر : ﴿ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾ ^(١٠) فزاد ﴿ لَا ﴾ .

في الأعراف : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ ﴾ ^(١١) بالقاء ، وكذا حيث وقع ، إلا في يونس ^(١٢) .

في الأعراف : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ ﴾ ^(١٣) بغير واو ، وفي المؤمنين وهود : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا بِالْوَاوِ ﴾ ^(١٤) الحكيمة

في الأعراف : ﴿ كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ ﴾ ^(١٥) وفي يونس بزيادة ﴿ بِهِ ﴾ ^(١٦) .

في الأعراف : ﴿ يَرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ ﴾ ^(١٧) ، وفي الشعراء بزيادة ﴿ بِسَخْرِهِ ﴾ ^(١٨) .

(١) سورة القلم ٧	(٢) سورة النجم ٣٠
(٣) سورة الأنعام ٢٩	(٤) سورة المؤمنون ٢٧
(٥) سورة الأنعام ١٥٩	(٦) سورة الأنعام ١٦٥
(٧) سورة فاطر ٣٩	(٨) سورة الأعراف ١٢
(٩) سورة ص ٧٥	(١٠) سورة الحجر ٣٢
(١١) سورة الأعراف ٣٤	(١٢) آية ٤٩
(١٣) سورة الأعراف ٥٩	(١٤) سورة هود ٢٥ ، المؤمنون ٢٣
(١٥) سورة الأعراف ١٠١	(١٦) آية ٧٤
(١٧) سورة الأعراف ١١٠	(١٨) سورة الشعراء ٣٥

في هود: ﴿وَإِنَّا لَنِي شَكِّ مَّا تَدْعُونَا﴾^(١)، وفي إبراهيم: ﴿وَإِنَّا لَنِي شَكِّ مَّا تَدْعُونَا﴾^(٢).

في يوسف: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾^(٣)، وفي الأنبياء: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ﴾^(٤).

في النحل: ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾^(٥)، وفي العنكبوت: ﴿مَنْ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾^(٦).

وكذلك حذف «من» من قوله: ﴿لَكَيْلًا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْنًا﴾^(٧)، وفي الحج: ﴿مَنْ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْنًا﴾^(٨).

في الحج: ﴿كَلِمًا أَرَادُوا أَنْ يَخْرِجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾^(٩)، وفي السجدة: ﴿مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾^(١٠).

في النمل: ﴿وَأَلْقَى عَصَاكَ﴾^(١١)، وفي القصص: ﴿وَأَنْ أَلْقَى عَصَاكَ﴾^(١٢).
في العنكبوت: ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾^(١٣)، وفي هود: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ﴾^(١٤) بغير «أن».

- | | |
|--|------------------------|
| (١) سورة هود: ٦ | (٢) سورة إبراهيم: ٩ |
| (٣) سورة يوسف: ١٠٩ | (٤) سورة الأنبياء: ٧ |
| (٥) سورة النحل: ٦٥، وفي الحاشية ط: «تقدم في كلامه قريبا أنه في العنكبوت كذلك». | |
| (٦) سورة العنكبوت: ٦٣ | (٧) سورة النحل: ٧٠ |
| (٨) سورة الحج: ٥ | (٩) سورة الحج: ٢٢ |
| (١٠) سورة السجدة: ٢٠ | (١١) سورة النمل: ١٠ |
| (١٢) سورة القصص: ٣١ | (١٣) سورة العنكبوت: ٣٣ |
| (١٤) سورة هود: ٧٧ | |

في العنكبوت : ﴿ فَأَخْيَاهُ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا ﴾ ^(١) بزيادة ﴿ مِنْ ﴾ ليس غيره .

في سورة المؤمن : ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ ﴾ ^(٢) ، وفي طه : ﴿ آتِيَةٌ ﴾ ^(٣) .

في النحل : ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ ^(٤) ، وفي الأعراف : ﴿ مِنْ دُونِهِ ﴾ ^(٥) .

في المؤمنين : ﴿ مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ . إِلَى فِرْعَوْنَ ﴾ ^(٦) ، وفي

المؤمن بإسقاط ذكر « الأخ » ^(٧) .

في البقرة : ﴿ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ ﴾ ^(٨) وفي سورة إبراهيم : ﴿ وَيُذَبِّحُونَ ﴾ ^(٩)

بالواو ؛ ووجهه أنه في سورة إبراهيم تقدم ﴿ وَذَكَرَهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ ^(١٠) ، وهي أوقات عقوبات

إلى أن قال : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ ، واللائق أن يعدد

امتحانهم تعديدا يؤذن بصدق الجمع عليه لتكثر المنّة ؛ ولذلك أتى بالعاطف ليؤذن بأن

إسمائهم العذاب مغايرٌ لتذبيح الأبناء وسبى النساء ؛ وهو ما كانوا عليه من التسخير ،

بخلاف المذكور في البقرة ، فإن ما بعد ﴿ يَسْؤُمُونَكُمْ ﴾ تفسير له ، فلم يعطف عليه . ولأجل

مطابقة السابق جاء في الأعراف : ﴿ يُقْتَلُونَ أَبْنَاءَكُمْ ﴾ ^(١١) ، ليطابق : ﴿ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ

وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ﴾ ^(١٢) .

الثالث : التقديم والتأخير ، وهو قريب من الأول ، ومنه في البقرة : ﴿ يَتْلُو عَلَيْهِمْ

(١) سورة العنكبوت ٦٣ (٢) سورة غافر ٥٩

(٣) سورة طه ١٥ (٤) سورة النحل ٢٠

(٥) سورة الأعراف ١٩٧ (٦) المؤمنون ٤٥ ، ٤٦

(٧) المؤمن ٢٢٣ (٨) سورة البقرة ٤٩

(٩) سورة إبراهيم ٦ (١٠) سورة إبراهيم ٥

(١١) سورة الأعراف ١٤١ (١٢) سورة الأعراف ١٢٧

آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ^(١) مؤخر ، وما سواه : ﴿ يُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾^(٢) .

ومنه تقديم « اللعب » على « اللهو » في موضعين من سورة الأنعام^(٣) ، وكذلك في القتال^(٤) والحديد^(٥) .

وقدم « اللهو » على « اللعب » في الأعراف^(٦) والعنكبوت^(٧) ، وإنما قدم اللعب في الأكثر ، لأن اللعب زمان الصبا ، واللهو زمان الشباب ، وزمان الصبا متقدم على زمان اللهو . تنبيه : ما ذكره في الحديد : ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ ﴾ ؛ أى كلعب الصبيان ، ﴿ وَلَهُوَ ﴾^(٨) أى كلهو الشباب ، ﴿ وَزِينَةٌ ﴾ كزينة النساء ، ﴿ وَتَفَاخُرٌ ﴾ كتفاخر الإخوان ، ﴿ وَتَكَاثُرٌ ﴾ كتكاثر السُلطان . وقريب منه في تقديم اللعب على اللهو قوله : ﴿ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ . لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُمْ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا ﴾^(٩) .

وقدم « اللهو » في الأعراف ؛ لأن ذلك يوم القيامة ، فذكر على ترتيب ما انقضى ، وبدأ بما به الإنسان انتهى من الحالين .

وأما العنكبوت فالمراد بذكرها^(١٠) زمان الدنيا ، وأنه سريع الانقضاء قليل البقاء . ﴿ وَأَنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ﴾ ؛ أى الحياة التى لا أبد لها ولا نهاية لأبدها ؛ فبدأ بذكر اللهو ، لأنه في زمان الشباب ، وهو أكثر من زمان اللعب ؛ وهو زمان الصبا .

(١) سورة البقرة ١٢٩ (٢) سورة الجمعة ٢ .

(٣) سورة الأنعام ٣٢ : ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ .

(٤) سورة القتال ٣٦ : ﴿ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ .

(٥) سورة الحديد ٢٠ : ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ .

(٦) سورة الأعراف ٥١ : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَسَهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ .

(٧) سورة العنكبوت ٦٤ : ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوَ وَلَعِبٌ ﴾ .

(٨) سورة الأنبياء ١٦ ، ١٧ (٩) أى اللهو واللعب .

ومنه تقديم لفظ « الضرر » على « النفع » في الأكثر، لأن العابد يعبد معبوده خوفاً من عقابه أولاً، ثم طمعا في ثوابه.

وحيث تقدم النفع على الضرر فلتقدم ما يتضمن النفع؛ وذلك في سبعة مواضع : ثلاثة منها بلفظ الاسم، وهي في الأعراف والرعد وسبأ^(١)، وأربعة بلفظ الفعل، وهي في الأنعام : ﴿ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا ﴾^(٢). وفي آخر يونس : ﴿ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾^(٣)، وفي الأنبياء : ﴿ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾^(٤)، وفي الفرقان : ﴿ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ﴾^(٥).

أما في الأعراف فلتقدم قوله : ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَى وَمَنْ يُضِلِّ ﴾^(٦) تقدم الهداية على الضلال، وبعد ذلك : ﴿ لَا سَتَكُنَّ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسْنِيَ السُّوءِ ﴾^(٧) تقدم الخير على السوء، وكذا قدم النفع على الضرر.

أما في الرعد فلتقدم « الطوع » في قوله : ﴿ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾^(٨). وأما في سبأ فلتقدم « البسط » في قوله : ﴿ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾^(٩). وفي يونس قدم الضرر على الأصل ولموافقة ما قبلها فإن فيها : ﴿ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا

(١) سورة الأعراف ١٨٨ : ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ﴾. سورة الرعد ١٦ : ﴿ قُلْ أَفَاتَخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ﴾. سورة سبأ ٤٢ : ﴿ فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ﴾.

(٢) سورة الأنعام ٧١

(٣) سورة يونس ١٠٦

(٤) سورة الأنبياء ٦٦

(٥) سورة الفرقان ٥٥

(٦) سورة الأعراف ١٧٨

(٧) سورة الأعراف ١٨٨

(٨) سورة فصلت ١١

(٩) سورة سبأ ٣٦

يَنْفَعُهُمْ ﴿١﴾ وفيها : ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ ﴾ (٢) ف تكون الآية ثلاث مرات .
وكذلك ما جاء بلفظ الفعل فلسابقة معنى يتضمن نفعاً .

أما الأنعام ففيها : ﴿ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ، وَإِنْ تَعْدِلْ كُلُّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا ﴾ (٣) ، ثم وصله بقوله : ﴿ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا ﴾ (٤) .

وفي يونس تقدم قوله : ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٥) ، ثم قال : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾ (٦) .

وفي الأنبياء ، تقدم قول الكفار لإبراهيم في المجادلة : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ . قَالَ أَتُعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾ (٧) .

وفي الفرقان تقدم : ﴿ أَلَمْ تَر إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾ (٨) نهاجته في الآيات ، ثم قال : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ﴾ (٩) .

فأتمل هذه المواضع المطردة التي هي أعظم أساقا من العقود . ومن أمثله قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾ (١٠) .
ثم قال سبحانه في السورة : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ... ﴾ (١١) الآية .

وفيها سؤالان :

(١) سورة يونس ١٨ (٢) سورة يونس ١٢

(٣) سورة الأنعام ٧٠ (٤) سورة الأنعام ٧١

(٥) سورة يونس ١٠٢ (٦) سورة يونس ١٠٦

(٧) سورة الأنبياء ٦٥ ، ٦٦ (٨) سورة الفرقان ٤٥

(٩) سورة الفرقان ٥٥ (١٠) سورة البقرة ٤٨

(١١) سورة البقرة ١٢٣ .

أحدهما أنه سبحانه في الأولى قدم نفى قبول الشفاعة على أخذ العدل ، وفي الثانية قدم نفى قبول العدل على الشفاعة .

السؤال الثاني : أنه سبحانه وتعالى قال في الأولى : ﴿ لَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ ﴾ ^(١) وفي الثانية : ﴿ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ ﴾ ^(٢) فغاير بين اللفظين ، فهل ذلك لمعنى يترتب عليه ، أو من باب التوسع في الكلام ، والتنقل من أسلوب إلى آخر كما جرت عادة العرب ؟ والجواب : أن القرآن الحكيم وإن اشتمل على النقل من أسلوب إلى آخر لكنه يشتمل مع ذلك على فائدة وحكمة ، قال الله تعالى : ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ ^(٣) ولم يقل « من رحمن ولا رحيم » ، للتخصيص على أنه لابد من الحكمة ؛ وهاتان الآيتان كلاهما في حق بني اسرائيل ، وكانوا يقولون : إنهم أبناء الأنبياء وأبناء آبائهم ، وسيشفع لنا آباؤنا ، فأعلمهم الله أنه لا تنفعهم الشفاعة ، ولا تجزى نفس عن نفس شيئا .

وتعلق بهذه الآية المعتزلة على نفى الشفاعة ، كما ذكره الزمخشري ؛ وأجاب عنها أهل السنة بأجوبة كثيرة ليس هذا محلها .

وذكر الله في الآيتين « النفس » متكررة ، ثم أتى بضمير يحتمل رجوعه إلى الأولى أو إلى الثانية ، وإن كانت القاعدة عود الضمير إلى الأقرب ؛ ولكن قد يعود إلى غيره ، كقوله تعالى : ﴿ وَتَعَزَّوْهُ وَتُقَرِّوْهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ ^(٤) فالضمير في التعزير والتوقير راجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي التسبيح عائد إلى الله تعالى ، وهو متقدم على ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ، فعاد الضمير على غير الأقرب .

إذا علمت ذلك ، فقوله في الأولى : ﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ ﴾ ^(٥) الضمير راجع إلى

(١) سورة البقرة ٤٨ (٢) سورة البقرة ١٢٣

(٣) سورة هود ٢ (٤) سورة الفتح ٩

(٥) سورة البقرة ١٢٣

النفس الأولى وهى الشفاعة لغيرها . فلما كان المراد فى هذه الآية ذكر الشفاعة للمشفوع له أخبر أن الشفاعة غير مقبولة للمشفوع احتقاراً له وعدم الاحتفاء به ؛ وهذا الخبر يكون باعثاً للسامع فى ترك الشفاعة إذا علم أن المشفوع عنده لا يقبل شفاعته ، فيكون التقدير على هذا التفسير : ﴿ لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ ﴾ ^(١) « لو شفعت » ، يعنى : وهم لا يشفعون ، فيكون ذلك مؤسسا لهم فيما زعموا أن آباءهم الأنبياء ينفعونهم من غير عمل منهم .

وقوله : ﴿ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾ ^(٢) إن جعلنا الضمير فى ﴿ مِنْهَا ﴾ راجعاً إلى الشافع أيضاً فقد جرت العادة أن الشافع إذا أراد أن يدفع إلى المشفوع عنده شيئاً ليكون مؤكداً لقبول شفاعته فمن هذا قدم ذكر الشفاعة على دفع العدل ؛ وإن جعلنا الضمير راجعاً إلى المشفوع فيه فهو أحرى بالتأخير ليكون الشافع قد أخبره بأن شفاعته قد قبلت ، فتقديم العدل ليكون ذلك مؤسساً لحصول مقصود الشفاعة ، وهو ثمرتها للمشفوع فيه .

وأما الآية الثانية فالضمير فى قوله : ﴿ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾ راجع إلى النفس الثانية ، وهى النفس التى هى صاحبة الجريمة ، فلا يقبل منها عدل ؛ لأن العادة بذل العدل من صاحب الجريمة يكون مقدماً على الشفاعة فيه ؛ ليكون ذلك أبلغ فى تحصيل مقصوده ، فناسب ذلك تقديم العدل الذى هو القدية من المشفوع له على الشفاعة .

فى هذه الآية بيان أن النفس المطلوبة بجرمها لا يقبل منها عدل عن نفسها ، ولا تنفعها شفاعة شافع فيها ؛ وقدم بذل العدل للحاجة إلى الشفاعة عند من طلب ذلك منه ، ولهذا قال فى الأولى : ﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ ﴾ ^(٢) وفى الثانية : ﴿ وَلَا تَنْفَعُ شَفَاعَةٌ ﴾ ^(٣) ، لأن الشفاعة إنما تقبل من الشافع ، وإنما تنفع المشفوع له .

(٢) سورة البقرة ٨ :

(١) سورة البقرة ٨ :

(٣) سورة البقرة ١٢٣ :

وقال الراغب^(١) : إنما كرر ﴿ لا ﴾ فيهما على سبيل الإنذار بالواعظ إذا وعظ لأمر فإنه يكرّر اللفظ لأجله تعظيماً للأمر . قال : وأما تفسيره النظم فلما كان قبول العدل وأخذه وقبول الشفاعة ونفعها متلازمة لم يكن بين اتفاق هذه العبارات واختلافها فرق في المعنى .
وقال الإمام فخر الدين : لما كان الناس متفاوتين ، فمنهم من يختار أن يشفع فيه مقدماً على العدل الذي يخرج به ؛ ومنهم من يختار العدل مقدماً على الشفاعة ، ذكر سبحانه وتعالى القسمين ؛ فقدم الشفاعة باعتبار طائفة ، وقدم العدل باعتبار أخرى .

قال بعض مشايخنا رحمهم الله تعالى : الظاهر أنه سبحانه وتعالى إنما نفي قبول الشفاعة لا نفعها ، ونفي أصل العدل الذي هو الفداء ، وبدأ بالشفاعة لتيسيرها على الطالب أكثر من تحصيل العدل الذي هو الفداء . على ما هو المعروف في دار الدنيا ؛ وفي الآية الثانية أنه لما تقرر زيادة تأكيدها بدأ فيها بالأعظم الذي هو الخلاص بالعدل ، وثبت نفع الشفاعة فقال : ﴿ وَلَا تَنْفَعُ شَفَاعَةُ ﴾^(٢) ولم يقل : لا تقبل منها شفاعة ، وإن كان نفي الشفاعة يستلزم نفي قبولها ، لأن الشفاعة تكون نافعة غير مقبولة ، وتنفع لأغراض : من وعد بخير ، وإبدال المشفوع بغيره ؛ فنفي النفع أعم ، فلم يكن بين نفي القبول ونفي النفع بالشفاعة تلازم ، كما ادعاه الراغب . وكان التقدير بالفداء الذي هو نفي قبول العدل ونفي نفع الشفاعة شيئين مؤكدين لاستقرار ذلك في الآية الثانية .
وما يدل على أن نفي الشفاعة أمر زائد على نفي قبولها أنه سبحانه لما أخبر عن الشركين أخبر بنفي النفع لا بنفي القبول فقال : ﴿ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ ، وقال : ﴿ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ ﴾^(٣) الآية . وفي الحديث الصحيح^(٤) أنهم قالوا : يا رسول الله ، هل نفعت عمك

(١) هو أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني صاحب اللغة والعربية والحديث والشعر ؛ ومؤلف كتاب المفردات في غريب القرآن وعاضرات الأدباء ؛ توفي سنة ٣٩٦ (وانظر بغية الوعاة ٣٨٦) .
(٢) سورة البقرة ١٢٣ (٣) سورة سبأ ٢٣

(٤) قتله الزمخشري في القائق ٢ : ٥٥ : « قال له صلى الله عليه وسلم العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه : إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك ؟ فهل ينفعه ذلك ؟ قال نعم ، وجدته في غمرات من النار فأخرجته إلى ضحاح - وروى : أنه في ضحاح من النار ينقل منه دماغه . وروى : رأيت أبا طالب في ضحاح من النار ؛ ولولا مكانى لكان في طعام » . ثم قال : « هو في الأصل الماء إلى الكمين ، والظمطام : معظم ماء البحر » .

أباطالب؟ قال: «وجدته فنقلته إلى ضحضاح من النار» مع علمهم أنه لا يشفع فيه. فإن قيل: فقد قال في آخر السورة: ﴿مَنْ قَبْلُ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ﴾^(١) فنفى الشفاعة ولم ينفع نفعا؟

قيل: من باب زيادة التأكيد أيضاً؛ فإنه سبحانه ذكر في هذه الآية الأسباب المنجية في الدنيا ونفاها هناك، وهي إما البيع الذي يتوصل به الإنسان إلى المقاصد، أو الخلّة التي هي كمال المحبة. وبدأ بنفي المحبة لأنه أعمّ وقوعاً من الصداقة والخلّة، وثنى بنفي الخلّة التي هي سبب لنيل الأغراض في الدنيا أيضاً؛ وذكر ثالثاً نفى الشفاعة أصلاً، وهي أبلغ من نفى قبولها؛ فعاد الأمر إلى تكرار الجمل في الآيات ليفيد قوة الدلالة.

الرابع: بالتعريف والتذكير، كقوله في البقرة: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾^(٢) وفي آل عمران: ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾^(٣).

وقوله في البقرة: ﴿هَذَا بِلَدَا آمِنًا﴾^(٤)، وفي سورة إبراهيم: ﴿هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾^(٥)؛ لأنه للإشارة إلى قوله: ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾^(٦)؛ ويكون ﴿بلداً﴾ هنا هو المفعول الثاني، و﴿آمناً﴾ صفته، وفي إبراهيم: ﴿البلد﴾ مفعول أول، و﴿آمناً﴾ الثاني.

وقوله في آل عمران: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾^(٧)، وفي الأنفال: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٨).

وقوله في حم السجدة: ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٩) وفي الأعراف:

(١) سورة البقرة ٢٥٤

(٢) سورة البقرة ٦١ (٣) سورة آل عمران ١١٢

(٤) سورة البقرة ١٢٦ (٥) سورة إبراهيم ٣٥

(٦) سورة إبراهيم ٣٧ (٧) سورة آل عمران ١٢٦

(٨) سورة الأنفال ١٠ (٩) سورة فصلت ٣٦

﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(١) ، لأنها في « حم » مؤكدة بالتكرار بقوله : ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾^(٢) ؛ فبالغ بالتعريف ، وليس هذا في سورة الأعراف ، فجاء على الأصل : الخبر عنه معرفة والخبر نكرة .

الخامس : بالجمع والإفراد ، كقوله في سورة البقرة : ﴿لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾^(٣) وفي آل عمران : ﴿مَعْدُودَاتٍ﴾^(٤) ؛ لأن الأصل في الجمع إذا كان واحده مذكرا أن يقتصر في الوصف على التانيث نحو : ﴿سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ . وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ . وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ . وَزَرَائِبٌ مَبْثُوثَةٌ﴾^(٥) فجاء في البقرة على الأصل . وفي آل عمران على الفرع^(٦) .

السادس : إبدال حرف بحرف غيره ، كقوله تعالى في البقرة : ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا﴾^(٧) بالواو ، وفي الأعراف : ﴿فَكَلَا﴾^(٨) بالفاء ، وحكمته أن ﴿اسْكُنْ﴾ في البقرة من السكون الذي هو الإقامة . فلم يصلح إلا بالواو ؛ ولو جاءت الفاء لوجب تأخير الأكل إلى الفراغ من الإقامة . والذي في الأعراف من المسكن وهو اتخاذ الموضع سكنا ، فكانت الفاء أولى ، لأن اتخاذ المسكن لا يستدعي زمنا متجددا ، وزاد في البقرة ﴿رَغَدًا﴾ لقوله : ﴿وَقُلْنَا﴾ ، بخلاف سورة الأعراف فإن فيها : ﴿قَالَ﴾ وذهب قوم إلى أن ما في الأعراف خطابٌ لها قبل الدخول ، وما في البقرة بعد الدخول .

ومنه قوله تعالى في البقرة : ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا﴾^(٩) بالفاء ، وفي الأعراف^(١٠) بالواو .

(١) سورة الأعراف ٢٠٠ (٢) سورة فصلت ٣٥

(٣) سورة البقرة ٨٠ (٤) سورة آل عمران ٢٤

(٥) سورة الفاشية ١٣ - ١٦ (٦) ط : « النوع »

(٧) سورة البقرة ٣٥ (٨) سورة الأعراف ١٩

(٩) سورة البقرة ٥٨ (١٠) الأعراف ١٦١ .

في البقرة: ﴿وَلَنِّ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾^(١)، ثم قال بعد ذلك: ﴿مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ﴾^(٢).

في البقرة: ﴿فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾^(٣)، وفي غيرها: ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾^(٤).

في البقرة: ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾^(٥)، وفي آل عمران: ﴿عَلَيْنَا﴾^(٦).

في الأنعام: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ نَمَّ أَنْظَرُوا﴾^(٧)، وفي غيرها: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا﴾^(٨).

في الأعراف: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾^(٩) بالواو، وفي غيرها بالقاء.

في الأعراف: ﴿آمَنْتُمْ بِهِ﴾^(١٠)، وفي الباقي: ﴿آمَنْتُمْ لَهُ﴾^(١١).

في سورة الرعد: ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾^(١٢)، وفي لقمان: ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾^(١٣)، لا ثاني له.

في الكهف: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾^(١٤)، وفي السجدة: ﴿نَمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾^(١٥).

في طه: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾^(١٦) بالقاء، وفي السجدة: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾^(١٧).

(١) سورة البقرة ١٢٠	(٢) سورة البقرة ١٤٥
(٣) سورة البقرة ٨٦	(٤) سورة آل عمران ٨٨
(٥) سورة البقرة ١٣٦	(٦) سورة آل عمران ٨٤
(٧) سورة الأنعام ١١	(٨) سورة النمل ٦٩
(٩) سورة الأعراف ٨٢	(١٠) سورة الأعراف ١٢٣
(١١) سورة طه ٧١	(١٢) سورة الرعد ٢
(١٣) سورة لقمان ٢٩	(١٤) سورة الكهف ٥٧
(١٥) سورة السجدة ٢٢	(١٦) سورة طه ١٢٨
(١٧) سورة السجدة ٢٦.	

في القصص : ﴿ وَمَا أَوْتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ^(١) ، وفي الشورى : ﴿ فَمَا أَوْتِيتُمْ ﴾ ^(٢) بالفاء .
 في الطور : ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ ^(٣) ، و ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ ^(٤) ،
 بالواو فيهما ؛ وفي الصافات : ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ ^(٥) ، وفي القلم : ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ
 رَبِّكَ ﴾ ^(٦) ، بالفاء فيهما [^(٧) كما أن : ﴿ وَبَشِّرِ الْقَرَارُ ﴾ ^(٨) ، و ﴿ وَيَذَّبَحُونَ ﴾ ^(٩) بالواو
 فيهما ، في إبراهيم .

في الأعراف : ﴿ سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ ﴾ ^(١٠) ، [وفي فاطر ^(١١) : ﴿ إِلَى بَلَدٍ ﴾] ^(٧) .

السابع : إبدال كلمة بأخرى :

في البقرة : ﴿ مَا آتَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾ ^(١٢) ، وفي لقمان : ﴿ وَجَدْنَا ﴾ ^(١٣) .
 في البقرة : ﴿ فَانفَجَرَتْ ﴾ ^(١٤) ، وفي الأعراف : ﴿ فَانْبَجَسَتْ ﴾ ^(١٥) .
 في البقرة : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ ﴾ ^(١٦) ، وفي الأعراف : ﴿ فَوَسَّسَ لَهَا الشَّيْطَانُ ﴾ ^(١٧) .
 في آل عمران : ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ ﴾ ^(١٨) ، وفي مريم : ﴿ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ
 لِي غُلَامٌ ﴾ ^(١٩) ، لأنه تقدم ذكره في ﴿ لَأَهَبَ لَكَ غُلَامًا زَكِيًّا ﴾ ^(٢٠) .

(١) سورة القصص ٦٠

(٢) سورة الشورى ٣٦

(٣) سورة الطور ٢٥

(٤) سورة الصافات ٥٠

(٥) سورة الطور ٤٨

(٦) سورة القلم ٤٨

(٧) ما بين العلامتين ساقط من الأصول ؛ وهي زيادة بقتضيا الساق .

(٨) سورة إبراهيم ٢٩

(٩) سورة الأعراف ٥٧

(١٠) سورة البقرة ١٧٠

(١١) سورة لقمان ٢١

(١٢) سورة البقرة ٦٠

(١٣) سورة الأعراف ١٦٠

(١٤) سورة البقرة ٣٦

(١٥) سورة الأعراف ٢٠

(١٦) سورة آل عمران ٤٧

(١٧) سورة مريم ٢٠

(١٨) سورة مريم ١٩

(١٩) سورة مريم ١٩

(٢٠) سورة مريم ١٩

في النساء: ﴿إِنْ تَبْذُؤْا خَيْرًا أَوْ تَخْفَوْهُ﴾^(١)، وفي الأحزاب: ﴿شَيْئًا أَوْ تُخْفَوْهُ﴾^(٢).
في الأنعام: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾^(٣)، والثاني
﴿يُخْرِجُ﴾ بالفعل^(٤).

في الكهف: ﴿وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي﴾^(٥)، وفي حم: ﴿وَلَئِنْ رُجِعْتُ﴾^(٦).

في طه: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا﴾^(٧)، وفي النمل: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا﴾^(٨).

في طه: ﴿وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾^(٩)، وفي الزخرف: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ
فِيهَا سُبُلًا﴾^(١٠).

في الأنبياء: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ﴾^(١١)، وفي الشعراء: ﴿مَنْ
الرَّحْمَنُ﴾^(١٢).

في النمل: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَرَعَ﴾^(١٣)، وفي الزمر: ﴿فَصَبَقَ﴾^(١٤).

في الأحزاب: ﴿فِي أُولَئِكَ﴾^(١٥)، وفيها: ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرًا﴾^(١٥)، وفيها: ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾^(١٦)
بعد ﴿وَجَنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾^(١٦).

﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾^(١٧) بعد ﴿لِلسَّالِّ الصَّادِقِينَ﴾^(١٧)، و﴿عَذَابًا مُهِينًا﴾^(١٨) بعد
﴿يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾^(١٨).

(١) سورة النساء ١٤٩

(٢) سورة الأحزاب ٥٤

(٣) سورة الأنعام ٩٥

(٤) سورة يونس ٣١

(٥) سورة الكهف ٣٦

(٦) سورة فصلت ٥٠

(٧) سورة طه ١١

(٨) سورة النمل ٨

(٩) سورة طه ٥٣

(١٠) سورة الزخرف ١٠

(١١) سورة الأنبياء ٢

(١٢) سورة الشعراء ٥

(١٣) سورة النمل ٨٧

(١٤) سورة الزمر ٢٨

(١٥) سورة الأحزاب ٢

(١٦) سورة الأحزاب ٩

(١٧) سورة الأحزاب ٨

(١٨) سورة الأحزاب ٥٧

﴿ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾ ^(١) [بعد ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ﴾ ^(١) ، و ﴿ رِزْقًا كَرِيمًا ﴾ ^(٢) .
 بعد : ﴿ نُؤْتِيهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ ﴾ ^(٣)] .
 ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ ﴾ ^(٣) موضعان في الأحزاب ، [وفي سورة غافر :
 ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ ﴾ ^(٤)] .
 وفي البقرة : ﴿ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٥) ، وفي النحل : ﴿ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ ^(٦)
 في موضعين .

في المائدة : ﴿ قُلْ هَلْ أَنْبِئُكُمْ ﴾ ^(٧) ، وبالنون في الكهف ^(٨) .

الثامن : الإدغام وتركه .

في النساء والأنفال : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ ﴾ ^(٩) ، وفي الحشر بالإدغام ^(١٠) .
 في الأنعام : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾ ^(١١) وفي الأعراف : ﴿ يَضَرَّعُونَ ﴾ ^(١٢) .

(١) سورة الأحزاب ٤٤ (٢) سورة الأحزاب ٣١

(٣) سورة الأحزاب ٦٢، ٣٨ (٤) سورة غافر ٨٥

(٥) سورة البقرة ٩٧ (٦) سورة النحل ٨٩ ، ١٠٢

(٧) سورة المائدة ٦٠ (٨) سورة الكهف ١٠٣

(٩) سورة النساء ١١٥ ، وأنفال ١٣ : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾

(١٠) سورة الحشر ٤ (١١) سورة الأنعام ٤٢

(١٢) سورة الأعراف ٩٤ .

الفَصْلُ الثَّانِي

ما جاء على حرفين

- ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ في القرآن ، اثنان في البقرة ^(١) .
- ﴿ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ ، اثنان في يونس والنمل ^(٢) .
- ﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ في البقرة وفي آل عمران ﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ ^(٣) ؛ وأما ﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ ^(٤) فواحد في البقرة . وكذلك فيها : ﴿ غَنَىٰ حَلِيمٌ ﴾ ^(٥) ، وليس غيره .
- ﴿ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾ ، حرفان ، في الزخرف وفي الذاريات ^(٦) .
- ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ : مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ ، اثنان في قصة نوح ، في هود والمؤمنون ^(٧) ؛ في السورتين بالفاء .
- و ﴿ عَذَابٌ يَوْمَ الْيَمِّ ﴾ اثنان ، في هود والزخرف ^(٨) .
- ﴿ مِن عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ﴾ اثنان في العنكبوت ^(٩) وسبأ ، وأما الذي في القصص ^(١٠) فهو ﴿ مِن عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ ﴾ ، وباقي القرآن ﴿ وَيَقْدِرُ ﴾ ^(١١) فقط .

(١) سورة البقرة ٢١٩ ، ٢٦٦

(٢) سورة يونس ٦٠ ، النمل ٧٣

(٣) سورة البقرة ٢٣٥ ، آل عمران ١٥٥

(٤) سورة البقرة ٢٢٥ (٥) سورة البقرة ٢٦٣

(٦) سورة الزخرف ٨٤ ، الذاريات ٣٠

(٧) سورة هود ٢٧ ، المؤمنون ٢٤

(٨) سورة هود ٢٦ ، الزخرف ٦٥ (٩) سورة العنكبوت ٦٢ ، سبأ ٣٩

(١٠) سورة القصص ٨٢

(١١) سورة الرعد ٢٦ ، الإسراء ٣٠ ، الروم ٣٧ ، سبأ ٣٦ ، الشورى ١٢

﴿ فَلَمَّا أَنْ ﴾ ، حرفان : في يوسف ﴿ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ ﴾^(١) ، وفي القصص ﴿ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ ﴾^(٢) .

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى ﴾ بالواو ، حرفان في الأنعام^(٣) . وفي يونس^(٤) ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ ﴾ بالفاء .

﴿ أَعْرَضَ ﴾ حرفان في الكهف وفي السجدة ؛ إلا أن الأول ﴿ فَأَعْرَضَ ﴾^(٥) والثاني ﴿ ثُمَّ أَعْرَضَ ﴾^(٦) .

﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾ من غير تكرار « الطاعة » : حرفان ، وهما في آل عمران : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾^(٧) ، و ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾^(٨) .

﴿ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ بغير تاء التانيث ، حرفان ، وهما في آل عمران^(٩) .

﴿ وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ ﴾ ، حرفان ، في آل عمران ، وفي الأنفال^(١٠) .

﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ ﴾ بالفاء ، حرفان في آل عمران ، وفي الأنعام^(١١) .

﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ ﴾ حرفان ، وهما في الأنعام^(١٢) .

﴿ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ حرفان ، في التوبة وفي المنافقين^(١٣) .

(١) سورة يوسف ٩٦ (٢) سورة القصص ١٩

(٣) سورة الأنعام ٢١ ، ٩٣ ؛ كذا ذكره المؤلف ؛ وقد ورد أيضاً قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ

افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ في هود ١٨ ، والنكيت ٦٨ ، والصف ٧ : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى

عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ﴾ (٤) يونس ١٧ ؛ وفي الأصول « هود » خطأ .

(٥) سورة الكهف ٥٧ (٦) سورة السجدة ٢٢

(٧) سورة آل عمران ٣٢ (٨) سورة آل عمران ١٣٢

(٩) سورة آل عمران ٨٦ ، ١٠٥

(١٠) سورة آل عمران ٩٢ ، الأنفال ٦٠

(١١) سورة آل عمران ١٨٤ ، الأنعام ١٤٧

(١٢) سورة الأنعام ٤٠ ، ٤٧

(١٣) سورة التوبة ٢٤ ، ٨٠ ، والمنافقون ٦

﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ، بزيادة اللام ، حرفان [في الحج] .^(١) ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ حرفان^(٢) في هود^(٣) في قصة صالح وشعيب . قال بعض المشايخ : ما كان فيه « الصيحة » فهو ﴿ديارهم﴾^(٤) على الجمع ، وما كان فيه « الرجفة » فهو ﴿دارهم﴾^(٥) بالتوحيد .

﴿وَمَا كَانَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾^(٥) بتكرير « من » حرفان ، هما في هود .
 ﴿الَّذِينَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ ، حرفان ، في العنكبوت والزمر^(٦) .
 ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ؛ بلفظ التوحيد ، حرفان في الحجر والعنكبوت^(٧) .
 ﴿تَبِعَ﴾ بإسقاط الألف حرفان ، في البقرة وآل عمران^(٨) .
 ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ ، حرفان في الفرقان ، وفي آل السجدة^(٩) .
 ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ حرفان ، في لقمان وحمل عسق^(١٠) .

(١) ما بين العلامتين زيادة يقتضيها السياق ؛ والآيتان في الحج ٤٠ ، ٧٤

(٢) سورة هود ٦٧ ، ٩٤

(٣) ومي في آتي هود السابقتين : ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ .

(٤) كما في الأعراف ٧٨ ، ٩١ والعنكبوت ٣٧ : ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ .

(٥) سورة هود ٢٠ ، ١١٣

(٦) سورة العنكبوت ٦٨ ، الزمر ٣٢

(٧) سورة الحجر ٧٧ ، العنكبوت ٤٤

(٨) سورة البقرة ٣٨ : ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ .

آل عمران ٧٣ : ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ .

(٩) سورة الفرقان ٥٩ ، السجدة ٤

(١٠) سورة لقمان ٢٩ ، الشورى ١٤

- « اللهو » قبل « اللعب » حرفان ، في الأعراف والعنكبوت ^(١) .
- ﴿ أَوْ لَمْ يَهْدِ ﴾ بالواو ، حرفان في الأعراف وآل السجدة ^(٢) .
- ﴿ نَمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ حرفان ، في النحل ، والعنكبوت ^(٣) .
- ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا ﴾ بزيادة « من » حرفان ، في آل عمران والنور ^(٤) .
- ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا ﴾ بغير « من » ، حرفان ، في البقرة والنساء ^(٥) .
- ﴿ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ حرفان ، في آل عمران وفي الحديد ^(٦) .
- ﴿ لَهُ مُقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ في الزمر وحم عسق ^(٧) .
- ﴿ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ إخباراً عن الجماعة الغيب ، حرفان في الأعراف وسبا ^(٨) .
- ﴿ أَمْوَاتٌ ﴾ بالرفع ، في البقرة ﴿ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءُ ﴾ ^(٩) ، وفي النحل : ﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءُ ﴾ ^(١٠) .

- (١) سورة الأعراف ٥١ : ﴿ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا ﴾ ، العنكبوت : ٦٤
- ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ﴾ .
- (٢) سورة الأعراف ١٠٠ ، السجدة ٢٦
- (٣) سورة النحل ٢٧ ، العنكبوت ٢٥ : وفي الأصول « الأحزاب والفتح » خطأ
- (٤) سورة آل عمران ٨٩ ، النور ٥ (٥) سورة البقرة ١٦٠ ، النساء ١٤٦
- (٦) سورة آل عمران ١٨٠ ، الحديد ١٠
- (٧) سورة الزمر ٦٣ ، الشورى ١٢ . وفي الأصول : « المؤمن » خطأ
- (٨) سورة الأعراف ١٤٧ ، سبا ٣٣
- (٩) سورة البقرة ١٥٤ (١٠) سورة النحل ٢١

الفصل الثالث

ما جاء على ثلاثة أحرف

- ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ ۖ ثَلَاثَةٌ فِي الْقُرْآنِ ، فِي الرُّومِ وَفَاطِرِ الْمُؤْمِنِ ^(١) .
 ﴿ فَنجِئْنَاهُ ﴾ بالفاء ، في يونس والأنبياء والشعراء ^(٢) .
 ﴿ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ ثلاثة في الأعراف والنمل والحاقة ^(٣) .
 ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ اثنان في الأعراف ، والثالث في الأنفال ^(٤) .
 ﴿ تَتَذَكَّرُونَ ﴾ بتاءين متكررتين ؛ ثلاثة ، في الأنعام وآل السجدة والمؤمن ^(٥) .
 ﴿ وَمَا يَذْكُرْ إِلَّا أَولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ في البقرة وآل عمران وإبراهيم ^(٦) .
 ﴿ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ﴾ ، في النساء والتوبة والصف ^(٧) .
 ﴿ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ بزيادة الباء في أول البقرة ؛ وفي النساء والتوبة ولكن هوفيها بالنون ^(٨) .
 ﴿ وَإِذَا قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ ۖ ﴾ ، في البقرة وفي المائدة وفي الصف ^(٩) .
 ﴿ فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ ﴾ في البقرة اثنان ؛ والثالث في التين والزيتون ؛ إلا أنه يسقط
 الماء والميم ^(١٠) .

- (١) سورة الروم ٩ ، فاطر ٤٤ ، غافر (المؤمن) ٢١
 (٢) سورة يونس ٧٣ ، الأنبياء ٧٦ ، الشعراء ١٧٠
 (٣) سورة الأعراف ٣٠ ، النمل ٦٢ ، الحاقة ٤٢
 (٤) سورة الأعراف ٢٦ ، و ١٣٠ ، الأنفال ٥٧
 (٥) سورة الأنعام ٨٠ ، السجدة ٤ ، غافر ٥٨
 (٦) سورة البقرة ٢٦٩ ، آل عمران ٧ ، والذي في إبراهيم ٥٢ . ﴿ وَلِيَذْكُرْ أَولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ .
 (٧) سورة النساء ٩٥ ، التوبة ٢٠ ، والتي في الصف ١١ : ﴿ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ﴾ .
 (٨) سورة البقرة ٨ ، النساء ٣٨ ، التوبة ٢٩ (٩) سورة البقرة ٥٤ ، المائدة ٢٠ ، الصف ٥
 (١٠) سورة البقرة ٦٢ ، ٢٧٤ ، التين ١٠

﴿ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ، في هود والرعد والمؤمن ^(١) .
 ﴿ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ ، في البقرة ويوسف والمؤمن ^(٢) .
 ﴿ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ في هود ويوسف والسجدة ^(٣) .
 ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ ﴾ بزيادة « من » ، في الأنعام ، وص ، وآم
 السجدة ؛ لكن بلفظ ﴿ من القرون ﴾ ^(٤) .

﴿ أَجْمَعُونَ ﴾ بالواو في الحجر والشعراء وص ^(٥) .
 ﴿ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ، في المائدة والنور والحشر ^(٦) .
 ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ ، في آل عمران والمائدة ولقمان ^(٧) .
 ﴿ وَلَوْ شِئْنَا ﴾ ، في الأعراف والفرقان وآم السجدة ^(٨) .
 ﴿ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ﴾ بزيادة « من » ، في إبراهيم والأحقاف ونوح ^(٩) .
 ﴿ مَبِيتَاتٍ ﴾ في النور اثنان ، والثالث في الطلاق ^(١٠) .
 ﴿ لَوْلَا أَنْزَلْ عَلَيْهِ ﴾ في الرعد اثنان ، والثالث في يونس ^(١١) .
 ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾ في الرعد والنحل وفاطر ^(١٢) .
 ﴿ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ ﴾ في الروم ^(١٣) والتوبة ^(١٤) والعنكبوت ^(١٥) ، [لكن بالواو]

- (١) سورة هود ١٧ ، الرعد ١ ، غافر ٥٩ (٢) سورة البقرة ٢٤٣ ، يوسف ٢٨ ، غافر ٦١
 (٣) سورة هود ١٩ ، يوسف ٣٧ ، السجدة ٧ (٤) سورة الأنعام ٦ ، ص ٣ ، السجدة ٢٦
 (٥) سورة الحجر ٣٠ ، الشعراء ٩٥ ، ص ٧٣ (٦) سورة المائدة ٨ ، النور ٥٣ ، الحشر ١٨
 (٧) سورة آل عمران ١١٩ ، المائدة ٧ ، لقمان ٢٣
 (٨) سورة الأعراف ١٧٦ ، الفرقان ٥١ ، السجدة ١٣
 (٩) سورة إبراهيم ١٠ ، الأحقاف ٣١ ، نوح ٤
 (١٠) سورة النور ٣٤ ، ٤٦ ، الطلاق ١١ (١١) سورة الرعد ٧ ، ٢٧ ، يونس ٢٠
 (١٢) سورة الرعد ٢٣ ، النحل ٣١ ، فاطر ٣٣

(١٣) الروم ٩ ، وفي الأصول : « آل عمران » خطأ ، والآية فيها : ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾

﴿ لَعَلِّي ﴾ في الحج وسبأ ونون ^(١) .

﴿ في السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ في سبأ اثنان ، وفي آخر فاطر ^(٢) .

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ ﴾ بواو ، في البقرة والحجروص ^(٣) .

﴿ وَنَزَّلْنَا ﴾ ثلاثة أحرف ، في طه والنحل وقـ ^(٤) ، والباقي ﴿ وَأَنْزَلْنَا ﴾ .

﴿ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ ﴾ في المائدة ويونس والتغابن ^(٥) .

﴿ أَلَمْ يَرَوْا ﴾ بغير واو ، في النحل والنمل ويس ^(٦) .

﴿ أمواتا ﴾ بالنصب ؛ في البقرة : ﴿ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا ﴾ ، وآل عمران ، ﴿ في سبيلِ الله

أمواتا ﴾ ، وفي المرسلات ﴿ أحياء وأمواتا ﴾ ^(٧) .

﴿ أَجَلًا ﴾ بالنصب ، في الأنعام وبنى إسرائيل والمؤمن ^(٨) .

﴿ أَثَدَّا كُنَّا تَرَابًا ﴾ بغير ذكر « العظام » في الرعد والنمل وقـ ^(٩) .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رَسُولًا مِنْ قَبْلِكَ ﴾ في الرعد والروم والمؤمن ^(١٠) .

(١) سورة الحج ٦٧ : ﴿ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ ﴾ ، سبأ ٢٤ : ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى

هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ ، ن (القلم) ٤ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

(٢) سورة سبأ ٣ ، ٢٢ ، فاطر ٤٤ (٣) سورة البقرة ٣٠ ، الحجر ٢٨ ، ص ٧١

(٤) سورة طه ٨٠ ، النحل ٨٩ ، ق ٩ (٥) سورة المائدة ٢٩٢ ، يونس ٩٢ ، التغابن ١٢

(٦) سورة النحل ٧٩ ، النمل ٨٦ ، يس ٣٩

(٧) سورة البقرة ٢٨ ، آل عمران ١٦٩ ، المرسلات ٢٦

(٨) سورة الأنعام ٢ ، الإسراء ٩٩ ، المؤمن ٦٧ (٩) سورة الرعد ٥ ، النمل ٦٧ ، ق ٣٠

(١٠) سورة الرعد ٣٨ ، الروم ٤٧ ، المؤمن ٧٨

الفصل الرابع

ما جاء على أربعة حروف

﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ ، بتكرير ﴿مَنْ﴾ في يونس والحج والنمل والزمر ^(١) .

﴿مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ ، في المائة اثنان ، في صـ وآخر الزخرف ^(٢) .
﴿أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ﴾ بإسقاط « مَنْ » في بني إسرائيل والأنبياء والفرقان وسبأ ^(٣) .
﴿أَهْوَلَاءُ﴾ بالالف قبل الهاء ^(٤) ، في المائة والأنعام والأعراف وسبأ ^(٥) .

﴿مِنْ تَحْتِهِمْ﴾ في الأنعام والأعراف ويونس والكهف ^(٦) ؛ وأما ﴿تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ﴾ ^(٧) فوضع واحد في براءة .

﴿أَوْ أَنْ﴾ بهزة قبل الواو. في هود : ﴿أَوْ أَنْ نَفْعَلَ﴾ ، وفي بني إسرائيل ﴿أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ ، وفي طه ﴿أَوْ أَنْ يَطْنِي﴾ ، وفي المؤمن : ﴿أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ ^(٨) .

(١) سورة يونس ٦٦ ، الحج ١٨ ، النمل ٨٧ ، الزمر ٦٨

(٢) سورة المائة ١٧ ، ١٨ ، ص ١٠ ، الزخرف ٧٥

(٣) سورة الإسراء ٧٧ ، الأنبياء ٧ ، الفرقان ٢٠ ، وفي سبأ ٤٤ : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ

قَبْلَكَ﴾ .

(٤) ت : « بالالف قبل الهاء »

(٥) سورة المائة ٥٣ ، الأنعام ٥٣ ، الأعراف ٤٩ ، سبأ ٤٠

(٦) سورة الأنعام ٦ ، الأعراف ٤٣ ، يونس ٩ ، الكهف ٣١

(٧) سورة التوبة ١٠٠

(٨) سورة هود ٨٧ ، الإسراء ٥٤ ، طه ٤٥ ، المؤمن ٢٦

﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ﴾ في النساء اثنان ، وفي الأحزاب ، والإنسان ^(١)
 ﴿ آبَاؤُهُم ﴾ بالرفع ، في البقرة : ﴿ أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً ﴾ .
 [وفي المائدة : ﴿ أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئاً ﴾ . وفي هود : ﴿ إِلَّا كَمَا يَعْْبُدُ
 آبَاؤُهُمْ ﴾ ، وفي يس : ﴿ لَتَنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ ﴾ ^(٢)] .
 ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ في الأعراف ، وفي يونس اثنان منها ، وفي الحج ^(٣) :
 ﴿ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ﴾ في الأنعام ثلاثة ، والرابع في الأعراف ^(٤) .
 ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ ، في المائدة والأنعام والقصاص والأحقاف ^(٥) .
 ﴿ مَبَارَكاً ﴾ بالنصب ، في آل عمران ومريم والمؤمنين وق ^(٦) .
 ﴿ مَبَارَكٌ ﴾ بالرفع ، في الأنعام اثنان ، وفي الأنبياء وص ^(٧) .
 ﴿ مَا كَسَبَتْ ﴾ بحذف الباء من أوله ، في البقرة وآل عمران اثنان ، وفي إبراهيم ^(٨) .
 ﴿ مِنْ ذِكْرِ أَوْ أُنْثَى ﴾ بإثبات الهمزة قبل الواو ، في آل عمران والنساء والنحل
 وغافر ^(٩) .

﴿ أَلَمْ يَرَوْا ﴾ بغير واو ، في الأنعام والأعراف والنمل ويس ^(١٠) .

-
- (١) سورة النساء ١٦ ، ٢٤ ، الأحزاب ١ ، الإنسان ٣٠
 (٢) سورة البقرة ١٧١ ، المائدة ١٠٤ ، هود ١٠٩ ، يس ٦
 (٣) سورة الأعراف ١٥٨ ، يونس ١٠٤ ، ١٠٨ ، الحج ٤٩
 (٤) سورة الأنعام ٤٦ ، ٦٥ ، ١٠٥ ، الأعراف ٥٨
 (٥) سورة المائدة ٥٩ ، الأنعام ١٤٤ ، القصص ٥٠ ، الأحقاف ١٠
 (٦) سورة آل عمران ٩٦ ، مريم ٣٩ ، المؤمنون ٢٩ ، ق ٩
 (٧) سورة الأنعام ٩٢ ، ١٥٥ ، الأنبياء ٥٠ ، ص ٢٩
 (٨) سورة البقرة ١٣٤ ، آل عمران ٢٥ ، ٦١ ، إبراهيم ٥١
 (٩) سورة آل عمران ١٩٥ ، النساء ١١ ، النحل ٩٧ ، غافر ٤٠
 (١٠) سورة الأنعام ٦ ، الأعراف ١٤٨ ، النمل ٨٦ ، يس ٣١

﴿وَلَبِئْسَ﴾ في البقرة اثنان ، ﴿وَلَبِئْسَ مَشْرُوبًا﴾ ، و ﴿وَلَبِئْسَ الْمَهَاد﴾ .
 وفي الحج : ﴿وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾ وفي النور : ﴿وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ ^(١) . وأما ﴿فَلَبِئْسَ﴾
 بالفاء ، فوضع واحد في النحل : ﴿فَلَبِئْسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ ^(٢) .
 ﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾ بالرفع ، في النساء ، والتوبة ، وهود ، والكهف ^(٣) .
 ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ في يوسف ، وفي الحج ، وفي المؤمن ، وفي القتال ^(٤) .
 ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ في الأنعام : ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا﴾ ^(٥) وليس
 في القرآن «ثُمَّ» غيره ، وفي النمل : ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا﴾ ، وكذا في العنكبوت
 والروم ^(٦) .

﴿أَفَرَأَيْتَ﴾ بالفاء بعد الهجزة ، في مريم ، والشعراء ، والجاثية ، والنجم ^(٧) . اللَّعَب
 قبل اللهو ، في الأنعام اثنان ^(٨) ، وفي القتال ^(٩) ، والحديد ^(١٠) .
 ﴿لَايَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ بلفظ الجمع ، في البقرة ، والرعد ، والروم ، والنحل ^(١١) .

-
- (١) سورة البقرة ١٠٢ ، ٢٠٦ ، الحج ١٣ ، النور ٥٧
 (٢) سورة النحل ٢٩
 (٣) سورة النساء ٦٦ ، التوبة ٢٨ ، هود ٤٠ ، الكهف ٢٢
 (٤) سورة يوسف ١٠٩ ، الحج ٤٦ ، المؤمن ٨٢ ، القتال ١٠
 (٥) سورة الأنعام ١١
 (٦) سورة النمل ٦٩ ، العنكبوت ٢٠ ، الروم ٤٢
 (٧) سورة مريم ٧٧ ، الشعراء ٢٠٥ ، الجاثية ٢٣ ، النجم ٣٣
 (٨) سورة الأنعام ٢٣ : ﴿وَمَا أَلْحِيَا الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٍ وَلَهْوٍ﴾ ، ٧٠ : ﴿وَدَّرَ الَّذِينَ أَخَذُوا
 دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ .

- (٩) القتال ٣٦ : ﴿إِنَّمَا أَلْحِيَا الدُّنْيَا لَعِبٍ وَلَهْوٍ﴾ .
 (١٠) الحديد ٢٠ : ﴿اعْمَلُوا إِنَّمَا أَلْحِيَا الدُّنْيَا لَعِبٍ وَلَهْوٍ﴾ .
 (١١) سورة البقرة ١٦٤ ، الرعد ٤ ، الروم ٢٤ ، النحل ١٢

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ على لفظ الجمع ^(١) في يونس ^(٢) .
 ﴿ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ بالتوحيد في النحل كذلك ^(٣) ، وبالجمع في الروم ، وآل
 السجدة ^(٤) . ^(٥) أَفَلَا يَسْمَعُونَ
 ﴿ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ في مريم ، والعنكبوت ، ويس ،
 والأحقاف ^(٦) .
 ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ ﴾ في هود ، والنحل اثنان ، وفي الزخرف ^(٧) .
 ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ ﴾ في البقرة ، وبنى إسرائيل ، والكهف ، وطه ^(٨) .
 والأنبياء والنبين بغير حق : في آل عمران : ﴿ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ ^(٩) .
 وفيها : ﴿ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ ^(١٠) . وفيها أيضا : ﴿ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ
 حَقٍّ ﴾ وفي النساء ^(١١) . فأما الذي في البقرة : ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ ^(١٢) فليس
 له نظير .

-
- (١) ١ : « في لفظ الجمع » .
 (٢) سورة يونس : ٦٧ .
 (٣) سورة النحل ٦٥
 (٤) سورة الروم ٢٣ ، السجدة ٢٦
 (٥) سورة مريم ٧٣ ، العنكبوت ١٢ ، يس ٤٧ ، الأحقاف ١١
 (٦) سورة هود ١٠١ ، النحل ١١٨ ، الزخرف ٧٦ ، وليس في القرآن غير ذلك ، وأما الموضع الثاني
 في النحل فهو ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ ﴾ آية ٣٣
 (٧) سورة البقرة ٣٤ ، الإسراء ٦١ ، الكهف ٥٠ ، طه ١١٦
 (٨) سورة آل عمران ٢١
 (٩) سورة آل عمران ١١٢
 (١٠) سورة آل عمران ١٨١ ، النساء ١٥٥ (١١) سورة البقرة ٦١

الفَصْلُ الْخَامِسُ

ما جاء على خمسة حروف

﴿ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ في الأنعام ثلاثة ، والرابع في الحجر ، والخامس في النمل ^(١) .
 ﴿ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ في الأنفال اثنان ، وفي الحج ، والنور ، وسبأ ^(٢) .
 الأرض قبل السماء ، في آل عمران ^(٣) ، ويونس ^(٤) ، وإبراهيم ، وطه ^(٥) ،
 والعنكبوت ^(٦) .

﴿ لَا يَأْتِي لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ بلفظ الجمع ، في الرعد ، والروم ، والزمر ، والجنات ^(٨) ،
 و بلفظ التوحيد في النحل ^(٩) .

﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ بتكرير الطاعة ، في النساء ، والمائدة ، والنور ،
 والقتال ، والتغابن ^(١٠) .

(١) سورة الأنعام ٨٣ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، الحجر ٢٥ ، النمل ٦
 (٢) سورة الأهل ٤ ، ٧٤ . الحج ٥٠ ، النور ٢٦ . سبأ أربعة . وفي الأصول : آل عمران والأحقاف
 والأنعام ، وهو خطأ .

(٣) سورة آل عمران ٥ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ .

(٤) سورة يونس ٦١ : ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ .

(٥) سورة إبراهيم ٣٨ : ﴿ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ .

(٦) سورة طه ٤ : ﴿ تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴾ .

(٧) سورة العنكبوت ٢٢ : ﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ .

(٨) سورة الرعد ٣ ، الروم ٢١ ، الزمر ٤٢ ، الجنات ١٣ .

(٩) النحل ١١ ، ٦٩ .

(١٠) سورة النساء ٥٩ ، المائدة ٩٢ ، النور ٥٤ ، القتال ٣٣ ، التغابن ١٢ .

﴿وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ، منها حرفان بالواو : في التوبة ، ﴿وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(١) وكذلك في المؤمن ، والباقي بلا واو^(٢) : في يونس ، والدخان ، والحديد .

الفَصْلُ السَّادِسُ

ما جاء على ستة حروف

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ : في الأنعام ، والنحل ، والنمل ، والعنكبوت والروم ، والزمر^(٣) .

﴿وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ، منها يواو ، واحد في النساء : ﴿خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(٤) وفي المائدة : ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ، ومثله في التوبة (موضعان) ، والصف والتغابن^(٥) .

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ بالفاء ، في الأنعام (موضعان) ، والأعراف ، ويونس ، والكهف ، والزمر^(٦) .
﴿وَيْسَاءُ لُونِكَ﴾ بالواو ، (ثلاثة) في البقرة ، وبني إسرائيل ، والكهف ، وطه^(٧) .
﴿فَيْتَسَّ﴾ بفاء : في ص (اثنان) ، وفي الزمر ، وفي غافر ، والزخرف ، والمجادلة^(٨) .

(١) سورة التوبة ١١١ ، المؤمن ٩ .

(٢) سورة يونس ٦٤ ، الدخان ٥٧ ، الحديد ١٢ .

(٣) سورة الأنعام ٩٩ ، النحل ٧٩ ، النمل ٨٦ ، العنكبوت ٢٤ ، الروم ٣٧ ، الزمر ٥٢ .

(٤) سورة النساء ١٣ .

(٥) سورة المائدة ١١٩ . التوبة ٨٩ ، ١٠٠ . الصف ١٢ . التغابن ٩ .

(٦) سورة الأنعام ١٤٤ ، ١٥٧ . الأعراف ٣٧ . يونس ١٧ . الكهف ١٥ . الزمر ٣٢ .

(٧) سورة البقرة ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ . الإسراء ٨٥ . الكهف ٨٣ . طه ١٠٥ .

(٨) سورة ص ٥٦ ، ٦٠ . الزمر ٧٢ . غافر ٧٦ . الزخرف ٣٨ . المجادلة ٨ .

﴿نَزَّلْنَا﴾ بغير واو، في البقرة، والنساء، والأنعام (موضعان)، والحجر، والإنسان^(١).

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ في آل عمران ثلاثة، وفي المائدة ثلاثة^(٢).

الفصل السابع

ما جاء على سبعة حروف

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ في البقرة، وإبراهيم، والقصص، (ثلاثة مواضع)، والزمر^(٣)

والدخان^(٤).

﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ في مريم، والشعراء، والصفات، وص (موضعان)

والزخرف والدخان^(٥).

«المرأة» مكتوبة بالناء في سبعة مواضع؛ في آل عمران^(٦)، وفي يوسف (موضعان)

﴿أَمْرَاتُ الْعَزِيزِ﴾^(٧)، وفي القصص ﴿أَمْرَاتُ فِرْعَوْنَ﴾^(٨)، وفي التحريم (ثلاثة

مواضع)^(٩).

(١) سورة البقرة ٢٣ . النساء ٤٧ . الأنعام ٧ ، ١١١ . الحجر ٩ . الإنسان ٢٣ .

(٢) سورة آل عمران ٦٤ ، ٩٨ ، ٩٩ . المائدة ٥٩ ، ٦٨ ، ٧٧ .

(٣) في الأصول : « المؤمن » تصحيف .

(٤) سورة البقرة ٢٢١ ، إبراهيم ٢٥ ، القصص ٤٣ ، ٤٦ ، ٥١ ، الزمر ٢٧ ، الدخان ٥٨ .

(٥) سورة مريم ٦٥ ، الشعراء ٢٤ ، الصفات ٥ ، ص ١٠ ، ٦٦ ، الزخرف ٨٥ ، الدخان ٧ .

(٦) سورة آل عمران ٣٥ ﴿أَمْرَاتُ عِمْرَانَ﴾ .

(٧) سورة يوسف ٣٠ ، ٥١ .

(٨) سورة القصص ٩ .

(٩) سورة التحريم ١٠ ﴿أَمْرَاتُ نُوحٍ﴾ ، ﴿وَأَمْرَاتُ لُوطٍ﴾ ، ١١ ﴿أَمْرَاتُ فِرْعَوْنَ﴾ .

الفَصْلُ الثَّامِنُ

ما جاء على ثمانية حروف

النفع قبل الضر في الأنعام^(١)، والأعراف^(٢)، ويونس^(٣)، والرعد^(٤)، والأنبياء^(٥)، والفرقان^(٦)، والشعراء^(٧)، وسبأ^(٨).

﴿يَتَذَكَّرُ﴾ بناء في الرعد، وطه، والملائكة، وص^١ [والزمر]، والمؤمن [والنازعات والفجر]^(٩).

الفَصْلُ التَّاسِعُ

ما جاء على تسعة حروف

﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بغير تكرار «مَنْ» في آل عمران، والرعد، وفي بني إسرائيل، ومريم، والأنبياء، والنور، والنمل، والروم، والرحمن^(١٠).

- (١) سورة الأنعام ٧١: ﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾.
- (٢) سورة الأعراف ١٨٨: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾.
- (٣) سورة يونس ١٠٦: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾.
- (٤) سورة الرعد ١٦: ﴿لَا يَمْلِكُونَ لِنَفْسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾.
- (٥) سورة الأنبياء ٦٦: ﴿قُلْ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾.
- (٦) سورة الفرقان ٥٥: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾.
- (٧) سورة الشعراء ٧٣: ﴿أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾.
- (٨) سورة سبأ ٤٢: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾.
- (٩) سورة الرعد ١٩. طه ٤٤. قاطر ٣٧. ص ٢٩. الزمر ٩. المؤمن ١٣. النازعات ٣٥. الفجر ٢٣.
- (١٠) سورة آل عمران ٨٣. الرعد ١٦. الإسراء ٥٥. مريم ٩٣. الأنبياء ١٩. النور ٤١. النمل ٦٥. الروم ٢٦. الرحمن ٢٩.

﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ بالهاء والميم . في الأنعام ، والأعراف ، والأنفال ، ويونس ،
والقصص (موضعان) ، [الزمر] . والذي في الدخان والطور ^(١) .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ ، من غير نون بعد الكاف : في الأنفال ، والتوبة ، والنحل ،
ومريم ، والمؤمن (موضعان) . وفي المدثر (موضعان) بالنون في أوله ، وفي القيامة
﴿أَلَمْ يَكُنْ نُطْقَةً﴾ ^(٢) .

الفصل العاشر

ما جاء على عشرة أحرف

﴿وَلَمَّا﴾ بالواو : في هود ويوسف ^(٣) ، وفي غيرها بالفاء : في هود ^(٤) أربعة أحرف
وفي يوسف ^(٥) ستة .

﴿أَنْ لَا﴾ تكتب في المصحف بالنون منفصلة عشرة : في الأعراف موضعان ،
والتوبة ، وفي هود موضعان ، والحج ، ويس ، والدخان ، والمتحنة ، والقلم ^(٦) .

(١) سورة الأنعام ٣٧ ، الأعراف ١٣١ ، الأنفال ٣٤ ، يونس ٥٥ ، القصص ١٣ ، هود ٥٧ ، والزمر ٤٩
الدخان ٣٩ ، الطور ٤٧ .

(٢) سورة الأنفال ٥٣ ، التوبة ٧٤ ، النحل ١٢٠ ، مريم ٦٧ ، المؤمن ٢٨ ، هود ٨٥ . المدثر ٤٣ ، هود ٤٤
القيامة ٣٧ .

(٣) ﴿وَلَمَّا﴾ في هود ، في ثلاث آيات : ٥٨ ، ٧٧ ، ٩٤ ، وفي يوسف : ٢٢ ، ٥٨ ، ٦٥ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٩٤ .

(٤) الآيات : ٦٦ ، ٧٠ ، ٧٤ ، ٨٢ .

(٥) الآيات : ١٥ ، ٢٨ ، ٣١ ، ٥٠ ، ٦٣ ، ٧٠ ، ٨٠ ، ٨٨ ، ٩٦ ، تسعة مواضع .

(٦) سورة الأعراف ١٠٥ ، ١٦٩ . التوبة ١١٨ ، هود ١٤ ، الحج ٢٦ ، يس ٦٠ ، الدخان ١٩
المتحنة ١٢ ، القلم ٢٤ .

الفصل الحادى عشر^{١١}

ما جاء على أحد عشر حرفا

أحد عشر ﴿جَنَاتٍ عَذْنٍ﴾ : فى التوبة ، والرعد ، والنحل ، والكهف ، ومريم ، وطه ، والملائكة ، وص ، والمؤمن ، والصف ، ولم يكن^(١) .

﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ : فى البقرة ، والنساء ، والأنعام ، ويونس ، والنحل ، والنور ، والعنكبوت ، ولقمان ، والحديد ، والحشر ، والتغابن^(٢) .

﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ فى النساء ثلاثة مواضع ، والمائدة ، والتوبة (موضعان) . والأحزاب ، والتغابن ، والطلاق ، والجن والبرية^(٣) .

﴿وَتِلْكَ﴾ بالواو ، فى البقرة ، وآل عمران ، والأنعام ، وهود ، والكهف ، والشعراء ، والعنكبوت ، والزخرف ، والمجادلة ، والحشر ، والطلاق^(٤) .

﴿نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ كتبت بالتاء فى أحد عشر موضعا : فى البقرة ﴿إِذْ كَرُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ ، وفى آل عمران ، والمائدة ، وإبراهيم (موضعان) ، والنحل (ثلاثة مواضع) ، ولقمان^(٥) ، وفاطر ، والطور .

(١) سورة التوبة ٧٢ ، الرعد ٢٣ ، النحل ٣١ ، الكهف ٣١ ، مريم ٦١ ، طه ٧٦ ، فاطر ٣٣ ، ص ٥٠ ، غافر ٨ ، الصف ١٢ ، البينة ٨ .

(٢) سورة البقرة ١١٦ ، النساء ١٧٠ ، الأنعام ١٢ ، يونس ٥٥ ، النحل ٥٢ ، النور ٦٤ ، العنكبوت ٥٢ ، لقمان ٢٦ ، الحديد ١ ، الحشر ٢٤ ، التغابن ٤ .

(٣) سورة النساء ٥٧ ، ١٢٢ ، ١٦٩ . المائدة ١١٩ ، التوبة ٢٢ ، ١٠٠ . الأحزاب ٦٥ ، التغابن ٩ ، الطلاق ١١ ، الجن ٢٣ ، البرية ٦ .

(٤) سورة البقرة ٢٣٠ ، آل عمران ١٤٠ ، الأنعام ٨٣ ، هود ٥٩ ، الكهف ٥٩ . الشعراء ٢٢ ، العنكبوت ٤٣ ، الزخرف ٧٢ ، المجادلة ٤ ، الحشر ٢١ ، الطلاق ١ .

(٥) سورة البقرة ٢٣١ . آل عمران ١٠٣ . المائدة ١١ . إبراهيم ٢٨ ، ٣٤ . النحل ٧٢ ، ٨٣ ، ١١٤ . لقمان ٣١ . فاطر ٣ . الطور ٢٩ .

- ﴿ في ما ﴾ كتبت منفصلة في أحد عشر موضعا :
- في البقرة : ﴿ في ما فعلن في أنفسهن من معروف ﴾ ^(١) .
- وفي المائدة : ﴿ ليلوكم في ما آتاكم ﴾ ^(٢) .
- وفي الأنعام : ﴿ في ما أوحى إلي ﴾ ^(٣) . وفيها أيضا : ﴿ ليلوكم في ما آتاكم ﴾ ^(٤) .
- وفي الأنبياء : ﴿ وهم في ما اشتبهت أنفسهم خالدون ﴾ ^(٥) .
- وفي النور : ﴿ لمسكم في ما أفضتم ﴾ ^(٦) .
- وفي الشعراء : ﴿ أنتزكون في ما هاهنا آمين ﴾ ^(٧) .
- وفي الروم : ﴿ شركاء في ما رزقناكم ﴾ ^(٨) .
- وفي الزمر : ﴿ تحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون ﴾ ^(٩) .
- وفيها أيضا : ﴿ أنت تحكم بين عبادك في ما كانوا ﴾ ^(١٠) .
- وفي الواقعة : ﴿ وننشكم في ما لا تعلمون ﴾ ^(١١) .

(١) سورة البقرة ٢٣٤

(٢) سورة المائدة ٤٨

(٣) سورة الأنعام ١٤٥

(٤) سورة الأنعام ١٦٥

(٥) سورة الأنبياء ١٠٢

(٦) سورة النور ١٤

(٧) سورة الشعراء ١٤٦

(٨) سورة الروم ٢٨

(٩) سورة الزمر ٣

(١٠) سورة الزمر ٤٦

(١١) سورة الواقعة ٦٢

الفَصْلُ الثَّانِي عَشْرُ

ما جاء على خمسة عشر وجهاً

﴿جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ ؛ ليس فيها «خالدين» في البقرة (موضعان) ،
وآل عمران ، والمائدة ، والرعد ، والنحل ، والحج (موضعان) ، والفرقان ، والزمر ، والقتال ،
والفتح ، والصف ، والتحريم ، والبروج ^(١) .
﴿وَالسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ ، بالتوحيد في البقرة ، والأعراف ، ويونس ، والأنبياء ،
(موضعان) ، وفي الحج ، والنمل (موضعان) ، والروم ، وسبأ ، والملائكة ، وص ، والدخان ،
والذاريات ، والحديد ^(٢) .

الفَصْلُ الثَّالِثُ عَشْرُ

ما جاء على ثمانية عشر وجهاً

﴿أَكُ﴾ ، ﴿نَكُ﴾ ، و ﴿يَكُ﴾ ، و ﴿تَكُ﴾ بحروف المضارعة في أولها ، وبغير
نون في آخرها .

في النساء : ﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً ^(٣)

(١) سورة البقرة ٢٥ ، ٢٦٦ . آل عمران ١٩٥ . المائدة ١٢ . الرعد ٣٥ . النحل ٣١ . الحج ١٤
٢٣ . الفرقان ١٠ . الزمر ٢٠ . القتال ١٢ . الفتح ٥ . الصف ١٢ . التحريم ٨ ، البروج ١١ .
(٢) سورة البقرة ١٦٤ . الأعراف ٩٦ . يونس ٣١ . الأنبياء ٤ ، ١٦ . الحج ٧٠ . النمل ٦٤ ،
٧٥ . الروم ٢٥ . سبأ ٩ . قاطر ٣ . ص ٢٧ . الدخان ٢٩ . الذاريات ٢٣ . الحديد ٢١ .
(٣) سورة النساء ٤٠ .

والأنفال : ﴿لَمْ يَكُ مُغْتَبَرًا﴾^(١)

وفي التوبة : ﴿فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ﴾^(٢)

وفي هود موضعان : ﴿فَلَا تَكُ فِي مَرِيَّةٍ تَمَّا يَبْعُدُ هَؤُلَاءِ﴾ ، ﴿فَلَا تَكُ فِي مَرِيَّةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ﴾^(٣) .

وفي النحل موضعان : ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ، ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ﴾^(٤) .

وفي مريم : ثلاثة مواضع^(٥) ، [وفي لقمان ، وغافر ، أربع مواضع]^(٦) ، وفي المدثر موضعان^(٧) ، وفي القيامة^(٨) .

الفصل الرابع عشر

فيما جاء على عشرين وجهاً

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾^(٩) على التوحيد : في البقرة ، وآل عمران ، وهود ، والحجر^(١٠) .

وفي النحل خمسة أحرف بالتوحيد . وفي الشعراء ثمانية . وفي النمل ، والعنكبوت ، وسبأ .

(١) سورة الأنفال ٥٣ .

(٢) سورة التوبة ٧٤ . (٣) سورة هود ١٧ ، ١٠٩ .

(٤) سور النحل ١٢٠ ، ١٢٧ .

(٥) سورة مريم ٩ : ﴿وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ ، ٢٠ : ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ ، ٦٧ : ﴿وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ .

(٦) لقمان ١٦ ، غافر ١٦ ، ٢٨ ، (مرتين) ، ٥٠ ، ٨٥ .

(٧) سورة المدثر ٤٣ ، ٤٤ : ﴿قَالُوا لِمَ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ . وَلَمْ نَكُ نَطْعِمُ الْمُسْكِينِ﴾ .

(٨) سورة القيامة ٣٧ : ﴿أَلَمْ يَكُ نَظْفَقَ مِنْ مَتْنِي يُمْنَى﴾ .

(٩) سورة البقرة ٢٤٨ . آل عمران ٤٩ . هود ١٠٣ . الحجر ٧٧ . النحل ١١ ، ١٣ ، ٦٥ ،

٦٧ ، ٦٩ . الشعراء ٨ ، ٦٧ ، ١٠٣ ، ١٢١ ، ١٣٩ ، ١٥٨ ، ١٧٤ ، ١٩٠ . النمل ٥٢ . العنكبوت ٤٤ . سبأ ٩ .

(١٠) في الأصول : « الحجرات » ؛ وهو خطأ .

الفصل الخامس عشر

ما جاء على ثلاثة وعشرين حرفاً

وذلك ﴿ نزل ﴾ و ﴿ أنزل ﴾ .

في البقرة: ﴿ ذَلِكَ بَأْنِ اللَّهِ نَزَلَ الْكِتَابَ ﴾ ^(١) .

وفي آل عمران: ﴿ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾ ^(٢) .

وفي النساء موضعان: ﴿ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَلَ عَلَى رَسُولِهِ ﴾ ^(٣) . ﴿ وَقَدْ نَزَلَ عَلَيْكُمْ

فِي الْكِتَابِ ﴾ ^(٤) .

وفي الأنعام: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نَزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ﴾ ^(٥) .

وفي الأعراف موضعان: ﴿ مَا نَزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ﴾ ^(٦) . ﴿ إِنْ وَدَّعَى اللَّهُ الَّذِي

نَزَلَ الْكِتَابَ ﴾ ^(٧) .

وفي الحجر: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ ﴾ ^(٨) .

وفي النحل: ﴿ لَتَبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ ^(٩) .

وفي بني إسرائيل: ﴿ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ﴾ ^(١٠) .

وفي الفرقان ثلاثة مواضع: أُولَها: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَلَ الْفُرْقَانِ ﴾ ، ﴿ وَنَزَلَ

الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا ﴾ ، ﴿ لَوْلَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ ﴾ ^(١١) .

(١) سورة البقرة ١٧٦ (٢) سورة آل عمران ٣

(٣) سورة النساء ١٣٦ (٤) سورة النساء ١٤٠

(٥) سورة الأنعام ٣٧

(٦) سورة الأعراف ٧١

(٧) سورة الأعراف ١٩٦ (٨) سورة الحجر ٦

(٩) سورة النحل ٤٤ (١٠) سورة الإسراء ١٠٥

(١١) سورة الفرقان ١، ٢٥، ٣٢

- وفي الشعراء : ﴿ نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ ﴾ ^(١) .
- وفي العنكبوت : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا ﴾ ^(٢) ؛ وليس في القرآن ﴿ مَنْ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ بزيادة « مَنْ » غيره .
- وفي الصافات : ﴿ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ ﴾ ^(٣) .
- وفي الزمر : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْخَبَرِ ﴾ ^(٤) .
- وفي الزخرف موضعان : ﴿ لَوْ لَا نَزَّلَ هَذَا الْقُرْآنُ ﴾ ^(٥) ، ﴿ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ ﴾ ^(٦) .
- وفي القتال موضعان : ﴿ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﴾ . ﴿ مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ ﴾ ^(٨) .
- وفي الحديد : ﴿ مَا نَزَّلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ ^(٩) .
- وفي تبارك : ﴿ مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ^(١٠)

(١) سورة الشعراء ١٩٣	(٢) سورة العنكبوت ٦٣
(٣) سورة الصافات ١٧٧	(٤) سورة الزمر ٢٣
(٥) سورة الزخرف ٣١	(٦) سورة الزخرف ١١
(٧) سورة القتال ٢	(٨) سورة القتال ٢٦
(٩) سورة الحديد ١٦	(١٠) سورة الملك ٩

النوع السادس علم المبهّمات

وقد صنف فيه أبو القاسم الشَّهَلِي (١) كتابه المسمّى بالتعريف والإعلام (٢)، وتلاه تلميذه ابنُ عساكر (٣) في كتابه المسمّى بالتكميل والإتمام (٤).

وهو المبهّمات المصنفة في علوم الحديث، وكان في السلف من يُعنى به. قال عكرمة: طلبتُ الَّذِي خرج في بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم أدركه الموتُ أربع عشرة سنة. إلا أنه لا يبحث فيما أخبر الله باستشاره بعلمه؛ كقوله: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ (٥) والعجب بمن تجرأ وقال: قيل إنهم قُرَيْظَةٌ، وقيل: من الجن. وله أسباب:

(١) هو أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي؛ صاحب كتاب الروض الأتق على سيرة ابن هشام، ولد بمالقة سنة ٥٠٨، وتوفي بمراكش سنة ٥٨١. (وانظر ترجمته ومراجعتها في إنباء الرواة ٢: ١٦٢).

(٢) ذكره صاحب كشف الظنون باسم: «التعريف والإعلام بما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام» ومنه نسخ خطية في دار الكتب المصرية والمكتبة التيمورية.

(٣) ذكره صاحب كشف الظنون؛ وقال: اسمه محمد بن علي بن الحضرمي الشافعي المعروف بابن عساكر. ومن كتابه نسخة مصورة بمعهد المخطوطات بالجامعة العربية عن مكتبة شهيد علي؛ ونسختان خطيتان أيضاً بدار الكتب المصرية.

(٤) ذكر صاحب كشف الظنون أن شيخ الإسلام القاضي بدر الدين بن جماعة جمع بينها في كتاب سماه: التبيان.

(٥) سورة الأهل ٦٠.

الأول : أن يكون أبهم في موضع استثناء ^(١) بيانه في آخر في سياق الآية ، كقوله تعالى : ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ ^(٢) بينه بقوله : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾ ^(٣) الآية . وقوله : ﴿ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ ^(٤) ، بينه بقوله : ﴿ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ﴾ ^(٥) .

وقوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ ^(٦) ؛ والمراد آدم ، والسياق بينه .

وقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ ^(٧) ، والمراد بهم المهاجرون ، لقوله في الحشر : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ﴾ ^(٨) . وقد احتج بها الصديق على الأنصار يوم السقيفة فقال : نحن الصادقون ، وقد أمركم الله أن تكونوا معنا ، أى تبعنا لنا - وإنما استحقها دونهم لأنه الصديق الأكبر .

وقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً ﴾ ^(٩) يعنى مريم وعيسى ، وقال ﴿ آيَةً ﴾ ولم يقل آيتين وهما آيتان لأنها قضية واحدة ، وهى ولادتها من غير ذكر .

والثانى أن يتعين لا شهره ، كقوله : ﴿ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ ^(١٠) ولم يقل حواء لأنه ليس غيرها .

(١) كذا في ت ، وفي م : « أن يكون البهم في موضع استغنى بيانه في آخر » .

(٢) سورة الفاتحة ٢ (٣) سورة الانضار ١٧

(٤) سورة الفاتحة ٧ (٥) سورة النساء ٦٩

(٦) سورة البقرة ٣٠ (٧) سورة التوبة ١١٩

(٨) سورة الحشر ٨

(٩) سورة المؤمنون ٥٠ (١٠) سورة البقرة ٣٥

وكقوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ ﴾ ^(١) ، والمراد الثمروذ لأنه المرسل إليه .

وقوله : ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ ﴾ ^(٢) ، والمراد العزيز .

وقوله : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ ﴾ ^(٣) ، والمراد قاييل وهابيل .

وقوله : ﴿ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ ^(٤) .

قالوا : وحيثما جاء في القرآن : ﴿ أساطير الأولين ﴾ فقايلها النضر بن الحارث بن كلدة ، وإنما كان يقولها لأنه دخل بلاد فارس ، وتعلم الأخبار ثم جاء ، وكان يقول : أنا أحدثكم أحسن مما يحدثكم محمد ، وإنما يحدثكم أساطير الأولين ، وفيه نزل : ﴿ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ ^(٥) . وقتله النبي صلى الله عليه وسلم صبرا يوم بدر .

وقوله : ﴿ لَمَسْجِدَ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى ﴾ ^(٦) ، فإنه ترجح كونه مسجد قباء ، بقوله : ﴿ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ﴾ ^(٦) لأنه أسس قبل مسجد المدينة ، وحُدِّسَ هذا بأن اليوم قد يراد به المدة والوقت ؛ وكلاهما أُسِّسَ على هذا من أول يوم ، أى من أول عام من الهجرة ، وجاء في حديث ^(٧) تفسيره بمسجد المدينة . وُجِّعَ بينهما بأن كليهما مراد الآية .

الثالث : قصد الاستر عليه ، ليكون أبلغ في استعطافه ، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا

(١) سورة البقرة ٢٥٨ (٢) سورة يوسف ٢١

(٣) سورة المائدة ٢٧ (٤) سورة الأنعام ٢٥

(٥) سورة الأنعام ٩٣

(٦) سورة التوبة ١٠٨

(٧) قتله ابن كثير عن أحمد : حدثنا وكيع حدثنا ربيعة بن عثمان التيمي عن عمران بن أبي أنس عن سهل بن سعد الساعدي قال : اختلف رجلان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد الذي أسس على التقوى ، فقال أحدهما : هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال الآخر : هو مسجد قباء ، فأتيا النبي صلى الله عليه وسلم فسألاه فقال : « هو مسجدى هذا » . ورواه أيضا عن أحمد من طريق آخر (وانظر تفسير ابن كثير ٢ : ٢٨٩ - ٢٩٠) .

بلغه عن قوم شيء خطب فقال : « ما بال رجال قالوا كذا » ، وهو غالب ما في القرآن كقوله تعالى : ﴿ أَوْ كَلِمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ ﴾ ^(١) ؛ قيل : هو مالك بن الصيِّف ^(٢) .

وقوله : ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى ﴾ ^(٣) ، والمراد هو رافع بن خزيمة ووهب بن زيد ^(٤) .

وقوله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ ^(٥) .

وقوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ ﴾ ^(٦) .

[وقوله] : ﴿ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ ^(٧) .

(١) سورة البقرة ١٠٠ .

(٢) عن ابن إسحاق : قال مالك بن الصيِّف حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر لهم ما أخذ عليهم من الميثاق وما عهد الله اليهم فيه - : والله ما عهد إلينا في محمد عهد ، وما أخذ له علينا من ميثاق فأَنْزَلَ الله فيه : ﴿ أَوْ كَلِمَا عَاهَدُوا عَهْدًا . . . ﴾ (وانظر سيرة ابن هشام ٢ : ١٧٤ ، وتفسير القرطبي ٢ : ٤٠)

(٣) سورة البقرة ١٠٨ .

(٤) في ابن هشام ٢ : ١٧٤ : وقال رافع بن خزيمة ووهب بن زيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، اثنتا بكتاب تنزله علينا من السماء قرؤه ، ونحرق لنا أتهارا نتبعك ونصدقك ، فأَنْزَلَ الله تعالى في ذلك من قولهما : ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا . . . ﴾ ، ونقله ابن كثير في التفسير ١ : ١٥٢ .

(٥) سورة البقرة ٢٠٤ ، قيل نزلت في الأخنس بن شريق ، وكان رجلا حلو القول والمنظر ، جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأظهر الإسلام وقال : الله يعلم أني صادق ؛ ثم هرب بعد ذلك ، فمر بزرع لقوم من المسلمين وبجمر ، فأحرق الزرع وعقد الحمر . وقيل : نزلت في قوم من المنافقين تكلموا في الدين قتلوا في غزوة الرجيع : عاصم بن ثابت ، وخبيب وغيرهم ، وقالوا : ويح هؤلاء القوم ! لا هم قعدوا في بيوتهم ، ولا هم أدوا رسالة صاحبهم . فنزلت هذه الآية في صفات المنافقين . (وانظر الجامع لأحكام القرآن ٣ : ١٥٠) .

(٦) سورة النساء ٤٤ . نزلت في رفاع بن زيد بن النابوت ، من عظماء اليهود ؛ كان إذا كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم لوى لسانه وقال : أرعنا سمعك يا محمد حتى نفهمك ؛ ثم صغى في الإسلام وعابه . (وانظر سيرة ابن هشام ٢ : ١٨٩) .

(٧) سورة آل عمران ٧٢ . نزلت في كعب بن الأشرف ومالك بن الصيِّف وغيرهما ، قالوا للسفلة من قومهم : آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النار . (تفسير القرطبي ٤ : ١١) .

الرابع : ألا يكون في تعيينه كثير فائدة ؛ كقوله تعالى : ﴿أَوِ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾^(١) والمراد بها بيت المقدس .

﴿وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ﴾^(٢) والمراد أيلة ، وقيل : طبرية .

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةً﴾^(٣) والمراد نينوى .

﴿أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾^(٤) قيل برقة .

فإن قيل ما الفائدة في قوله : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ﴾^(٥) قيل : آزر اسم صنم ؛ وفي الكلام ، حذف أي دع آزر ؛ وقيل كلمة زجر ؛ وقيل : بل هو اسم أبيه ؛ وعلى هذا فالفائدة أن الأب يطلق على الجد ، فقال « آزر » لرفع الجاز .

الخامس : التنبيه على التعميم ، وهو غير خاص بخلاف ما لو عيّن كقوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(٦) ، قال عكرمة : أقت أربع عشرة سنة أسأل عنه حتى عرفته ، هو ضمرة بن العيص ، وكان من المستضعفين بمكة ، وكان مريضاً ، فلما نزلت آية الهجرة خرج منها فات بالتعميم^(٧) .

وقوله : ﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾^(٨) قيل نزلت في علي ، كان معه أربع دوانق ، فتصدق بواحد بالنهار وآخر بالليل وآخر سرا وآخر علانية .

(٢) سورة الأعراف ١٦٣

(٤) سورة الكهف ٧٧

(٧) التعميم : موضع بمكة .

(١) سورة البقرة ٢٥٩

(٣) سورة يونس ٩٨

(٥) سورة الأنعام ٧٤

(٦) سورة الفاء ١٠٠

(٨) سورة البقرة ٢٧٤

وقوله : ﴿ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ ﴾ ^(١) ، قيل نزلت في عدي بن حاتم ، كان له كلاب [خمسة] ^(٢) قد ستمها [بأسماء] ^(٣) أعلام .

السادس : تعظيمه بالوصف الكامل دون الاسم كقوله : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ ﴾ ^(٤) ، والمراد الصديق .
وكذلك ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ ﴾ ^(٥) يعني محمدا ﴿ وَصَدَقَ بِهِ ﴾ ^(٦) يعني أبا بكر .
ودخل في الآية كل مصدق ، ولذلك قال : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ ^(٧) .

السابع : تحقيره بالوصف الناقص ، كقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا ﴾ ^(٨) ، وقوله : ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ ^(٩) والمراد فيها العاصي بن وائل .
وقوله : ﴿ إِنَّ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ ﴾ ^(١٠) والمراد الوليد بن عقبة بن أبي معيط .
وأما قوله : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ ^(١١) فذكره هنالك للتنبيه على أن ماله للنار ذات اللهب .

تنبيهات

الأول : قد يكون للشخص ايمان ، فيقتصر على أحدهما دون الآخر لنكته ،
فنه قوله تعالى في مخاطبة الكتابيين : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ ^(١٢) ولم يذكر في القرآن إلا

(١) سورة المائدة ٤

(٢) تكملة من تفسير القرطبي ٦ : ٦٦

(٣) نزلت في الصديق حين حلف ألا ينفع مضج بن أمانة بناعة أبدا بعد ما قال في عائشة ما قال في حديث الإفك . (واقظر تفسير ابن كثير ٣ : ٢٦٨ - ٢٧٦) .

(٤) سورة الزمر ٣٣ (٥) سورة النساء ٥٦

(٦) سورة الكوثر ٣ (٧) سورة الحجرات ٦

(٨) سورة اللهب ١١ (٩) سورة النقرة ٥٠

بهذا ، دون « يابني يعقوب » . وسرّه أن القوم لما خوطبوا بعبادة الله ، وذُكروا بدين أسلافهم ؛ موعظة لهم ، وتنبيهاً من غفلتهم ، شُمو بالاسم الذي فيه تذكرة بالله ، فإن « إسرائيل » اسم مضاف إلى الله سبحانه في التأويل ، ولهذا لما دعا النبي صلى الله عليه وسلم قوماً إلى الإسلام يقال لهم : « بنو عبد الله » ، قال : « يابني عبد الله » ، إن الله قد حسن اسم أيكم ، يحرضهم بذلك على ما يقتضيه ^(١) اسمه من العبودية . ولما ذكر موهبته لإبراهيم وتبشيره به قال : يعقوب ، وكان أولى من إسرائيل ، لأنها موهبة تعقب أخرى ، وبشرى عقب بها بشرى ^(٢) فقال : ﴿ فَبَشِّرْ نَاهَا يَاسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ ^(٣) وإن كان ^(٤) اسم يعقوب عبرانيا ؛ لكن لفظه موافق للعربي ، من العقب والتعقيب . فانظر مشاكلة الاسمين للمقامين فإنه من المعجائب . وكذلك حيث ذكر الله نوحا سماه به ، واسمه عبد الغفار ، للتنبيه على كثرة نوحه على نفسه في طاعة ربه .

ومنه قوله تعالى حاكيا عن عيسى : ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرُسُولِي يَأْتِي مَنْ بَعْدِي اسْمُهُ أُتْحَدُ ﴾ ^(٥) ، ولم يقل « محمد » ، لأنه لم يكن محمدا حتى كان أحمد ، حدرته ، فتنبأه وشرفه ، فلذلك تقدم على محمد فذكره عيسى به .

ومنه أن مدين هم أصحاب الأيكة ، إلا أنه سبحانه حيث أخبر عن مدين قال : « أخاهم شعيبا » ^(٦) ، وحيث أخبر عن الأيكة ^(٧) لم يقل « أخوهم » . والحكمة فيه أنه لما

(١) م : « يقتضى » (٢) ساقطة من م

(٣) سورة هود ٧١ (٤) سورة الصف: ٦

(٥) الأعراف ٨٥ ، هود ٨٤ ، النكبات ٣٦ : ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ .

(٦) سورة الشعراء ١٧٦ : ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ . الحجر ٧٨ : ﴿ وَإِنْ

كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴾ ، ص ١٣ : ﴿ وَنَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ ﴾ . ق ١٤ :

﴿ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ﴾ .

عرفهم بالنسب ، وهو أخوهم في ذلك النسب ذكره ، ولما عرفهم بالأيكة التي أصابهم فيها العذاب لم يقل أخوهم ، وأخرجه عنهم .

ومنه ﴿وَذَا النُّونِ﴾^(١) ، فأضافه إلى الحوت والمراد يونس ، وقال في سورة القلم : ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾^(٢) ، والإضافة « بذى » أشرف من الإضافة « بصاحب » ، ولفظ « النون » أشرف من « الحوت » ، ولذلك وجد في حروف التهجي ، كقوله : ﴿نَ وَالْقَلَمِ﴾^(٣) . وقد قيل : إنه قسم وليس في الآخر ما بشرته بذلك .

ومنه قوله تعالى : ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾^(٤) ، فعدل عن الاسم إلى الكنية ؛ إما لاشتهاره بها ، أو لقبح الاسم ، فقد كان اسمه عبد العزى .

واعلم أنه لم يسم الله قبيلة من جميع قبائل العرب باسمها إلا قريشا ؛ ستمهم بذلك في القرآن ، ليبقى على مرّ الدهور ذكرهم ، فقال تعالى : ﴿لَا يَلَافِ قُرَيْشٌ﴾^(٥) .

الثاني : أنه قد بالغ في الصفات للتنبيه على أنه يريد إنسانا بعينه ؛ كقوله تعالى : ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مِثْنٍ . هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنِيمٍ...﴾^(٦) الآية ؛ قيل : إنه الأخنس بن شريق . وقوله : ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾^(٧) ؛ قيل : إنه أمية بن خلف ؛ كان يهمز النبي صلى الله عليه وسلم .

(١) سورة الأنبياء ٨٧ (٢) سورة القلم ٤٨

(٣) سورة القلم ١

(٤-٥) هذه العبارة ساقطة من ت ، م ، و هي في حاشية ط ؛ وأشار الناسخ إلى أنها منقولة من خط المؤلف .

(٦) سورة قريش ١

(٥) سورة اللهب ١

(٨) سورة الهزمة ١

(٧) سورة ن ١٠ ، ١١

الثالث : قيل : لم يذكر الله تعالى « امرأة » في القرآن وسمّاها باسمها إلا مريم بنت عمران ، فإنه ذكر اسمها في نحو ثلاثين موضعاً ، لحكمة ذكرها بعض الأشياخ قال : إن الملوك والأشراف لا يذكرون حرائرهم ولا يبتذلون أسماءهم ، يكتنون عن الزوجة بالعرس والعيال والأهل ونحوه ، فإذا ذكروا الإماء لم يكتنوا عنهن ، ولم يصنّوا أسماءهن عن الذّكر والتصريح بها ، فلما قالت النصارى في مريم وفي ابنها ما قالت صرح الله تعالى باسمها ، ولم يُكنَّ عنها ؛ تأكيداً لأمر العبوديّة التي هي صفة لها ، وإجراء للكلام على عادة العرب في ذكر أبنائها ؛ ومع هذا فإن عيسى لا أب له ، واعتقاد هذا واجب ، فإذا تكرر ذكره منسوباً إلى الأم استشعرت القلوب ما يجب عليها اعتقاده من نفى الأب عنه ، وتنزيه الأم الطاهرة عن مقالة اليهود لعنهم الله .

الرابع : وأما الرجال فذكر منهم كثيراً ؛ وقد قيل في قوله تعالى : ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً ﴾ ^(١) أنه الوليد بن المغيرة ، وقد سمي الله زيداً في سورة الأحزاب للتصريح بأنه ليس بابن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وأضيف إلى ذلك السّجل ؛ قيل : إنه كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ، وأنه المراد بقوله تعالى : ﴿ كُتِبَ السّجِّلَ لِلْكِتَابِ ﴾ ^(٢) .

النوع السابع في أسرار الفواتح والسور

اعلم أن سور القرآن العظيم مائة وأربع عشرة سورة ؛ وفيها يُلفَز فيقال : أي شيء إذا عددته زاد على المائة ؛ وإذا عددت نصفه كان دون العشرين ^(١) ؟ .
وقد افتح سبحانه وتعالى كتابه العزيز بعشرة أنواع من الكلام ؛ لا يخرج شيء من السور عنها .

[- الاستفتاح بالثناء]

الأول : استفتاحه بالثناء عليه عز وجل . والثناء قسمان : إثبات لصفات المدح ؛ ونفي وتنزيه من صفات النقص .

والإثبات نحو ﴿ الحمد لله ﴾ في خمس سور ^(٢) ، و ﴿ تبارك ﴾ في سورتين ^(٣) : الفرقان : ﴿ تبارك الذي نزل الفرقان ﴾ ، [وللك] ^(٤) : ﴿ تبارك الذي بيده الملك ﴾ .

(١) ألف فيه عبد العظيم بن عبد الواحد المعروف بابن أبي الإصبع كتاباً سماه : الحواطر النواع في أسرار الفواتح ؛ ذكره صاحب كشف الظنون ، ونقل عنه السيوطي في الإقان .

(٢) سورة الفاتحة : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ . الأنعام : ﴿ الحمد لله الذي خلق السموات والأرض ﴾ . الكهف : ﴿ الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ﴾ . سبأ : ﴿ الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض ﴾ . طه : ﴿ الحمد لله فاطر السموات والأرض ﴾ .

(٣) زيادة يقتضيها السياق .

والتنزيه نحو: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾^(١)، ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾^(٢)
﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾^(٣)، ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾^(٤)، كلاهما^(٥) في سبع^(٦) سور، فهذه
أربع عشرة سورة استُفْتُحَتْ بالثناء على الله: نصفها لثبوت صفات الكمال؟ ونصفها
لسلب النقائص.

قلت: وهو سرّ عظيم من أسرار الألوهية. قال صاحب العجائب^(٧):
«سبح لله»^(٨) هذه كلمة استأثر الله بها؛ فبدأ بالمصدر منها في بني إسرائيل لأنه
الأصل؛ ثم الماضي ﴿سَبِّحَ لِلَّهِ﴾، في الحديد والحشر والصف؛ لأنه أسبقُ الزمانين، ثم
المستقبل^(٩) في الجمعة والتغابن، ثم بالأمر في سورة الأعلى استيعاباً لهذه الكلمة من جميع جهاتها،
وهي أربع: المصدر، والماضي، والمستقبل، والأمر المخاطب، فهذه أعجوبة وبرهان.

[٢ - الاستفتاح بحروف التهجي]

الثاني: استفتاح السور بحروف التهجي^(١٠) نحو: آلم، المص، المّر، كيه مص، طه،
طس، طسم، حم، حمسق، ق، ن. وذلك في تسع وعشرين سورة.
قال الزمخشري: «^(١١) وإذا تأملت الحروف التي افتتح الله بها السور وجدتها نصف

(١) سورة الإسراء (٢) سورة الأعلى

(٣) سورة الحديد والحشر والصف.

(٤) سورة الجمعة والتغابن.

(٥) أي كل من إثبات صفات المدح والتنزيه عن صفات النقص.

(٦) في الأصول: «خمس»؛ وصوابه من الإتيان ٢ : ١٠٥.

(٧) هو محمود بن حمزة الكرماني المعروف بتاج القراء؛ وكتابه العجائب في تفسير القرآن؛ ويسمى

لغرائب والعجائب أيضاً؛ ذكره صاحب كشف الظنون.

(٨) الإتيان فيما نقل عن الكرماني: «التسبيح».

(٩) في الإتيان: «المضارع». (١٠) ت: «الهاء».

(١١) الكشاف ١ : ١٣ - ١٤

أسمى حروف المعجم ، أربعة عشر : الألف ، واللام ، والميم ، والصاد ، والراء ، والكاف ،
والهاء ، والياء ، والعين ، والطاء ، والسين ، والحاء ، والقاف ، والنون . في تسع وعشرين
عدد حروف المعجم . ثم تجدها مشتملة على أصناف أجناس الحروف : المهموسة والمجهورة
والشديدة والمطبقة والمستعلية والمنخفضة وحروف القلقة . ثم إذا استقرت الكلام تجد هذه
الحروف هي أكثر دورا مما بقي ، ودليله أن الألف واللام لما كانت أكثر تداورا جاءت
في معظم هذه الفوائج ، فسبحان الذي دقت في كل شيء حكمته ^(١) ! . انتهى .

قيل : وبقى عليه من الأصناف : الشديدة والمنفتحة ^(٢) ، وقد ذكر تعالى نصفها . أما
حروف الصغير فهي ثلاثة ليس لها نصف ؛ فجاء منها السين والصاد ، ولم يبق إلا الزاي .
وكذلك الحروف اللينة ثلاثة ، ذكر منها اثنين : الألف والياء ، أما المكرر وهو الراء ، والهاوى
وهو الألف ، والنحرف وهو اللام فذكرها ؛ ولم يأت خارجا عن هذا النمط إلا ما بين
الشديدة والرخوة ؛ فإنه ذكر فيه أكثر من النصف . وهذا التداخل موجود في كل قسم
قبله ، ولولاه لما انقسمت هذه الأقسام كلها . ووه الزمخشري في عد حروف القلقة ؛ إنما
ذكر نصفها ، فإنها خمسة ذكر منها حرفان : القاف والطاء .

(١) كذا نقله المؤلف ؛ وفي الكلام اختصار ؛ وعبرة الكشف : « ثم إذا نظرت في هذه
الأربعة عشر وجدتها مشتملة على أنصاف أجناس الحروف ؛ بيان ذلك : أن فيها من المهموسة نصفها :
الصاد والكاف والهاء والسين والحاء . ومن المجهورة نصفها : الألف واللام والميم والراء والعين والطاء
والقاف والياء والنون . ومن الشديدة نصفها : الألف والكاف والطاء والقاف . ومن الرخوة نصفها : اللام
والميم والراء والصاد والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون .
ومن المنفتحة نصفها : الألف واللام والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون .
ومن المستعلية نصفها : القاف والصاد والطاء . ومن المنخفضة نصفها : الألف واللام والميم والراء والكاف
والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون . ومن حروف القلقة نصفها : القاف والطاء . ثم إذا استقرت
الكلام وتراكيها رأيت الحروف التي ألقى الله ذكرها من هذه الأجناس المكدودة مكدودة بالمدكورة منها ؛
فسبحان الذي دقت في كل شيء حكمته ! » .

(٢) كذا ذكره المؤلف ؛ وفيه نظر ؛ فقد أوردهما صاحب الكشف ؛ وانظر الحاشية السابقة .

وقال القاضي أبو بكر : إنما جاءت على نصف حروف المعجم ؛ كأنه قيل : مَنْ زعم أن القرآن ليس بآية فليأخذ الشرط الباقي ، ويركب عليه لفظا معارضة للقرآن . وقد علم ذلك بعض أرباب الحقائق .

واعلم أن الأسماء المتهجاة في أول السور ثمانية وسبعون حرفا ، فالكاف والنون كل واحد في مكان واحد ، والعين والياء والها والقاف كل واحد في مكانين ، والصاد في ثلاثة ، والطاء في أربعة ، والسين في خمسة ، والراء في ستة ، والحاء في سبعة ، والألف واللام في ثلاثة عشر ، والميم في سبعة عشر ، وقد جمع بعضهم ذلك في بيتين وهما :

كُنْ واحدٌ عَيْقُ اثْنانِ ثلاثةٌ صَا دُ الطاءُ أربعةٌ والسينُ خمسٌ علا
والراءِستُ وسبعُ الحاءِ آلٌ ودَجُ ^(١) وميمها سبعُ عشرٍ تمَّ واكتملا

وهي في القرآن في تسعة وعشرين سورة ، وجلتها من غير تكرار أربعة عشر حرفا ؛ يجمعها قولك : « نص حكيم قاطع له سر » ؛ وجمعها السهيلي في قوله : « الم يسطع نور حق كره » .

وهذا الضابط في لفظه ثَقَل ، وهو غير عذب في السمع ولا في اللفظ ؛ ، ولو قال : « لم يكرها نص حق سطع » لكان أعذب .

ومنهم من ضبط بقوله : « طرق سمعك النصيحة » ، و« صُنْ سرا يقطعك حمله » ، و« على صراط حق يمسكه » . وقيل : « مَنْ حَرَّصَ على بَطْءِ كاسر » وقيل : « سر حصين قطع كلامه » . ثم بنيتها ^(٢) ثلاثة حروف موحدة : ص ق ن ، وعشرة مثنى : طه ، طس ، يس ، حم . واثنا عشر مثلثة الحروف : آلم ، الر ، طسم ، واثنان حروفها أربعة : ألمص ، المَر . واثنان حروفها خمسة : كهيعص جمحق .

وأكثر هذه السور التي ابتدئت بذكر الحروف ذكر منها : ما هو ثلاثة أحرف ، وما هو أربعة أحرف (سورتان) ، وما ابتدئ بخمسة أحرف (سورتان) .

(١) بكلة : « ودج » تعني العدد ثلاثة عشر بحروف الجمل . (٢) ت : « منها »

وأما ما بدى بحرف واحد فاختلفوا فيه ، فمنهم من لم يجعل ذلك حرفاً وإنما جعله اسماً لشيء خاص . ومنهم من جعله حرفاً وقال : أراد أن يتحقق الحروف مفردها ومنظومها . فأما ما ابتدئ بثلاثة أحرف ففيه سر ، وذلك أن الألف إذا بدى بها أولاً كانت همزة ، وهى أول الخارج من أقصى الصدر ، واللام من وسط مخارج الحروف ، وهى أشد الحروف اعتماداً على اللسان ، والميم آخر الحروف ومخرجها من الفم . وهذه الثلاثة هى أصل مخارج الحروف ؛ أغنى الخلق واللسان والشفقتين ، وترتبت فى التنزيل من البداية ، إلى الوسط ، إلى النهاية .

فهذه الحروف تعتمد الخارج الثلاثة ، التى يتفرع منها ستة عشر مخرجاً ؛ ليصير منها تسعة وعشرون حرفاً ؛ عليها مدار كلام الخلق أجمعين ، مع تضمّنها سرا عجيبيّاً ، وهو أن الألف للبداية ، واللام للتوسط ، والميم للنهاية ؛ فاشتملت هذه الأحرف الثلاثة على البداية ، والنهاية ، والواسطة بينهما .

وكل سورة استفتحت بهذه الأحرف فهى مشتملة على مبدأ الخلق ونهايته وتوسطه ، مشتملة على خلق العالم وغايته ، وعلى التوسط بين البداية من الشرائع^(١) والأوامر . فتأمل ذلك فى البقرة ، وآل عمران ، وتنزيل السجدة ، وسورة الروم .

وأيضاً فلأن الألف واللام كثرت فى الفواتح دون غيرها من الحروف لكثرتها فى الكلام .

وأيضاً من أسرار علم الحروف أن الهمزة من الرئة ؛ فهى أعمق الحروف ، واللام مخرجها من طرف اللسان ملصقة بصدر الغار الأعلى من الفم ؛ فصوتها يتألف ما وراءها من هواء الفم ، والميم مُطَبَّقة ؛ لأن مخرجها من الشفتين إذا أطبقا ، ويرمز بهنّ إلى باقى الحروف ؛ كما رمز

(١) ت : التشريع .

صلى الله عليه وسلم بقوله : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله» ^(١) إلى الإتيان بالشهادتين وغيرهما مما هو من لوازمهما .

وتأمل اقتران الطاء بالسين والهاء في القرآن ، فإنَّ الطاء جمعت من صفات الحروف خمسَ صفات لم يجمعها غيرها : وهى الجهرُ والشدة والاستعلاء والإطباق [والإصمات] . والسين مهموس رخو مستفل صغير منفتح ، فلا يمكن أن يجمع إلى الطاء حرفٌ يقابلها ، كالسين والهاء ؛ فذكر الحرفين اللذين جمعا صفات الحروف .

وتأمل السورة التى اجتمعت على الحروف المفردة : كيف تجدد السورة مبنية على كلمة ذلك الحرف ؛ فمن ذلك : ﴿ قَ وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدِ ﴾ ^(٢) فإن السورة مبنية على الكلمات القافية : من ذكر القرآن ، ومن ذكر الخلق ، وتكرار القول ومراجعته مرارا ، والقرب من ابن آدم ، وتلقى الملكين ، وقول العتيد ، وذكر الرقيب ، وذكر السابق ، والقرين ، والإلقاء فى جهنم ، والتقدم بالوعد ، وذكر المتقين ، وذكر القلب ، والقرن ، والتنقيب فى البلاد ، وذكر القتل مرتين ، وتشقق الأرض ، وإلقاء الرواسى فيها ، وبُسُوق النخل ، والرزق ، وذكر القوم ، وخوف الوعيد ، وغير ذلك .

وسرّ آخر وهو أن كلَّ معانى السورة مناسب لما فى حرف القاف من الشدة والجهر والقلقلة والانفتاح .

وإذا أردت زيادة إيضاح فتأمل ما اشتملت عليه سورة « ص » من الخصومات المتعددة ؛ فأولها خصومة الكفار مع النبي صلى الله عليه وسلم . وقولهم : ﴿ أَجْعَلِ الْآلِهَةَ

(١) نقله السيوطى فى الجامع الصغير ١ : ١١٠ عن البخارى ومسلم ؛ ونقظه : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله » فإذا قالوها عصوامنى دماءهم وأموالهم إلا بحبها وحسابهم على الله » . عن أبى هريرة

(٢) سورة ق ١ .

إِلَهاً وَاحِداً...»^(١) ، إلى آخر كلامهم ، ثم اختصاص الخصمين عند داود ، ثم تخصم أهل النار ، ثم اختصاص الملائ الأعلًى فى العلم ، وهو الدرجات ، والكفارات ، ثم تخصم إبليس واعتراضه على ربّه وأمره بالسجود ، ثم اختصاصه ثانياً فى شأن يَزيه وحلفه كَيغوينهم أجمعين إلا أهل الإخلاص منهم .

وكذلك سورة ﴿نّ والقلم﴾ ؛ فإن فواصلها كلها على هذا الوزن ، مع ما تضمنت من الألفاظ النونية .

وتأمل سورة الأعراف زاد فيها « ص » لأجل قوله : ﴿ فَلَا يَكُنْ فى صَدْرِكَ حَرَجٌ ﴾^(٢) وشرح فيها قصص آدم فمن بعده من الأنبياء ، ولهذا قال بعضهم : معنى ﴿الْمَص﴾ ، ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾^(٣) . وقيل : معناه المصور ، وقيل : أشار بالميم لحمد ، وبالصاد للصدّيق ؛ وفيه إشارة لمصاحبة الصاد الميم ، وأنها تابعة لها كمصاحبة الصدّيق لحمد ومتابعته له . وجعل السهلى هذا من أسرار الفواتح ، وزاد فى الرعد « راء » لأجل قوله : ﴿ اللهُ الَّذِى رَفَعَ السَّمَوَاتِ ﴾^(٤) ولأجل ذكر الرعد والبرق وغيرها .

واعلم أن عادة القرآن العظيم فى ذكر هذه الحروف أن يذكر بعدها ما يتعلق بالقرآن كقوله : ﴿ أَلَمْ ذَلِكِ الْكِتَابُ ﴾^(٥) وقد جاء بخلاف ذلك فى العنكبوت والروم فيسأل عن حكمة ذلك .

تنبيهات

ثم لا بدّ من التنبيه على أحكام تختص بهذه الفواتح الشريفة :

الأول : أن البصريين لم يعدّوا شيئاً منها آية ؛ وأما الكوفيون فمنها ماعدّوه آية ، ومنها

(١) سورة ص ٤

(٢) سورة الأعراف ٢

(٣) سورة الانشراح ١

(٤) سورة الرعد ٣

(٥) سورة البقرة ١ ، ٢

ما لم يعدد آية؛ وهو علم توقيفي لا مجال للقياس فيه؛ كمعرفة السور؛ أما ﴿آل﴾ فآية حيث وقعت من السور المفتحة بها، وهي ست^(١)، وكذلك ﴿الص﴾ آية، و﴿الر﴾ لم تعدد آية، و﴿الر﴾ ليست بآية من سورها الخمس، و﴿طس﴾ آية في سورتيها، و﴿طه﴾ و﴿يس﴾ آيتان، و﴿طس﴾ ليست بآية، و﴿حم﴾ آية في سورها كلها، و﴿حم . عاق﴾ آيتان، و﴿كهيعص﴾ آية واحدة، و﴿ص﴾ و﴿ق﴾؛ و﴿ن﴾، لم تعدد واحدة منها آية؛ وإنما عُدَّ ما هو في حكم كلمة واحدة آية، كما عدَّ ﴿الرحمن﴾ وحده، و﴿مذاهمتان﴾^(٢) وحدها آيتين على طريق التوقيف .

وقال الواحدي في "البيوط" في أول سورة يوسف: لا يعدد شيء منها آية إلا في ﴿طه﴾، وسرّه أن جميعها لا يشاكل ما بعده من رموس الآي، فلهذا لم يعدد آية؛ بخلاف ﴿طه﴾، فإنها تشاكل ما بعدها .

الثاني: هذه الفواتح الشريفة على ضربين: أحدها مالا يتأتى فيه إعراب، نحو ﴿كهيعص﴾ و﴿آل﴾ . والثاني ما يتأتى فيه؛ وهو إما أن يكون اسماً مفرداً كص، وق، ون، أو أسماء عدة مجموعها على زنة مفرد كـ ﴿حم﴾، و﴿طس﴾، و﴿يس﴾ فإنها موازنة لقابيل وهابيل، وكذلك «طسم» يتأتى فيها أن تفتح نونها فتصير (ميم) مضمومة إلى «طس» فيجعل اسمها واحداً كدارانجرد^(٣) . فالنوع الأول محكى ليس إلا، وأما النوع الثاني فسانع فيه الأمران: الإعراب والحكاية^(٤) .

(١) سورة البقرة، آل عمران، الضحى، الروم، لقمان، السجدة .

(٢) سورة الرحمن ٦٤

(٣) دارانجرد: ولاية بفارس (بافوت) .

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف ١: ١١، ونقله عن سيويه في باب أسماء السور (٢: ٣٠ - ٣١)

الثالث : أنه يوقف على جميعها وقف التمام؛ إن حُمِلَتْ على معنى مستقل غير محتاج إلى ما بعده، وذلك إذا لم تجعل أسماء السور، وينعق^(١) بها كما ينعق بالأصوات؛ أو جعلت وحدها أخبار ابتداء محذوف؛ كقوله تعالى: ﴿الْم . اللَّهُ﴾^(٢) أي هذه السورة «الْم» ثم ابتداء فقال: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ .

الرابع : أنها كتبت في المصاحف الشريفة على صورة الحروف أنفسها ، لا على صورة أساميها ، وعُلِّلَ^(٣) ذلك بأن الكلمة لما كانت مركبة من ذوات الحروف ، واستمرت العادة متى تهجيت ، ومتى قيل للكاتب : اكتب : كَيْتَ وكَيْتَ ، أن يلفظ بالأسماء ، وتقع في الكتابة الحروف أنفسها ؛ فحمل على ذلك للمشاكل^(٤) المألوفة في كتابة هذه الفوائح . وأيضاً فإن شهرة أمرها ، وإقامة السنة^(٥) الأحمر والأسود لها ؛ وأن الالفاظ بها غير متبهجة لا يجيء بباطل فيها ، وأن بعضها مفرد لا يخطر ببال غير ما هو عليه من مورده أمنت وقوع اللبس فيها . وقد اتفقت في خط المصحف أشياء خارجة عن القياسات التي يُبْنَى^(٦) عليها علم الخط والهجاء ؛ ثم ما عاد ذلك بنكير^(٧) ولا نقصان لاستقامة اللفظ وبقاء الحفظ ، وكان اتباع خط المصحف سنة لا تخالف . أشار إلى هذه الأحكام المذكورة صاحب الكشف .

وقد اختلف الناس في الحروف المقطعة أوائل السور على قولين :

- (١) كذا في ت ، ط . وفي م : « ينطق »
- (٢) سورة آل عمران ١ ، ٢
- (٣) انظر الكشف ١ : ١٢
- (٤) الكشف : « عمل على تلك الشاكلة المألوفة »
- (٥) الكشف : « السنة »
- (٦) الكشف : « بنى »
- (٧) ط : « يتكرر » ، والكشف : « بضير » .

أحدهما أن هذا علم مستور ، وسر محبوب استأثر الله به ، ولهذا قال الصديق رضى الله عنه : فى كل كتاب سر ، وسرّه فى القرآن أوائلُ السور . قال الشعبى : إنها من التشابه ، تؤمن بظاهرها ، ونكّل العلم فيها إلى الله عز وجل .

قال الإمام الرازى : وقد أنكر المتكلمون هذا القول وقالوا : لا يجوز أن يرد فى كتاب الله ما لا يفهمه الخلق ، لأنّ الله تعالى أمر بتدبره ، والاستنباط منه ؛ وذلك لا يمكن إلا مع الإحاطة بمعناه ، ولأنه كما جاز التعبد بما لا يعقل معناه فى الأفعال ، فلم لا يجوز فى الأقوال بأن يأمرنا الله تارة بأن نتكلم بما نقف على معناه ، وتارة بما لا نقف على معناه ، ويكون القصد منه ظهور الاقبياد والتسليم !

القول الثانى أن المراد منها معلوم ، وذكروا فيه ما يزيد على عشرين وجها ؛ فنها البعيد ، ومنها القريب :

أحدها : ويروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن كل حرف منها مأخوذ من اسم من أسمائه سبحانه ، فالألف من « الله » ، واللام من « لطيف » ، والميم من « مجيد » ، أو الألف من « آلائه » ، واللام من « لطفه » ، والميم من « مجده » . قال ابن فارس : وهذا وجه جيد ، وله فى كلام العرب شاهد : * قلنا لها قفى قالت قى * فمبّر عن قولها « وقفت » بى .

الثانى : أن الله أقسم بهذه الحروف بأنّ هذا الكتاب الذى يقرؤه ^(١) محمد هو الكتاب المنزل لاشك فيه ، وذلك يدل على جلالة قدر هذه الحروف إذ كانت مادة البيان . وما فى كتب ^(٢) الله المنزلة باللغات المختلفة ، وهى أصول كلام الأمم ^(٣) بها يتعارفون ، وقد أقسم الله تعالى بـ ﴿ الفجر ﴾ ﴿ والطور ﴾ ؛ فكذلك شأن هذه الحروف فى القسم بها .

(١) م : « يقوله »

(٢) ت : « ومباني كتب الله المنزلة »

(٣) ت : « الاسم » ؛ وفوقها الحرف « ط » رمز : « طبق الأصل » .

الثالث : أنها الدائرة من الحروف التسعة والعشرين ؛ فليس منها حرف إلا وهو مفتاح اسم من أسمائه عز وجل ، أو آلائه ، أو بلائه ، أو مدة أقوام أو آجالهم ، فالألف سنة ، واللام ثلاثون سنة ، والميم أربعون ؛ روى عن الربيع بن أنس . قال ابن فارس : وهو قول حسن لطيف ، لأن الله تعالى أنزل على نبيه الفرقان ، فلم يدع نظماً عجيباً ، ولا علماً نافعا إلا أودعه إياه ، علم ذلك من علمه ، وجهله من جهله .

الرابع : ويروى عن ابن عباس أيضاً في قوله تعالى : ﴿ اَلَمْ ﴾ . أنا الله أعلم ، وفي ﴿ اَلصَّ ﴾ أنا الله أفصل ، و ﴿ اَلرَّ ﴾ أنا الله أرى ، ونحوه من دلالة الحرف الواحد على الاسم العام ، والصفة التامة .

الخامس : أنها أسماء للسور ﴿ اَلَمْ ﴾ اسم لهذه ، و ﴿ حَمْ ﴾ اسم لتلك ، وذلك أن الأسماء وضعت للتمييز ؛ فهكذا هذه الحروف وضعت لتمييز هذه السور من غيرها ، ونقله الزمخشري عن الأكثرين ^(١) وأن سيبويه نص عليه في كتابه ^(٢) . وقال الإمام فخر الدين : هو قول أكثر المتكلمين . فإن قيل : فقد وجدنا ﴿ اَلَمْ ﴾ افتتح بها عدة سور ، فأين التمييز ؟ قلنا : قد يقع الوفاق بين اسمين لشخصين ثم يميز بعد ذلك بصفة وقعت ، كما يقال : زيد وزيد ، ثم يميزان بأن يقال : زيد الفقيه ، وزيد النحوي ، فكذلك إذا قرأ القاري : ﴿ اَلَمْ . ذَلِكَ الْكِتَابُ ﴾ ^(٣) فقد ميزها عن ﴿ اَلَمْ . اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ ^(٤) .

السادس : أن لكل كتاب سرّاً ، وسرّ القرآن فواتح السور ، قال ابن فارس : وأظن قائل ذلك أراد أنه من السر الذي لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم . واختاره جماعة منهم أبو حاتم بن حبان .

(١) الكشاف ١ : ١١ (٢) الكتاب ٢ : ٣٠

(٣) سورة البقرة ١ ، ٢ (٤) سورة آل عمران ١ ، ٢

قلت : وقد استخرج بعضُ أئمة المغرب من قوله تعالى : ﴿ اَلَمْ يَغْلِبَتِ الرُّومُ ﴾ ^(١) فتوحَ بيت المقدس واستنقاذَه من العدو في سنة معيّنة ، وكان كما قال .

السابع : أن العرب كانوا إذا سمعوا القرآن لَفَوْا فيه ، وقال بعضهم : ﴿ لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْقَوَا فِيهِ ﴾ ^(٢) فأنزل الله هذا النظمَ البديع ليعجبوا منه ، ويكونَ تعجُّبُهم سببا لاستماعهم ، واستماعهم له سببا لاستماع ما بعده ، فترقّ القلوبُ وتلين الأفئدة .

الثامن : أن هذه الحروف ذكّرت لتدلّ على أن القرآن مؤلف من الحروف التي هي : ا ، ب ، ت ، ث ... فجاء بعضها مقطّعا ، وجاءَ تمامها مؤلفا ، ليدلّ القوم الذين نزل القرآن بلفظهم أنه بالحروف التي يعقلونها ، ويبنون كلامهم منها .

التاسع : واختاره ابن فارس وغيره أن تجعل هذه التأويلات كلها تأويلا واحدا ؛ فيقال : إن الله جل وعلا افتتح السور بهذه الحروف إرادةً منه للدلالة بكل حرف منها على معانٍ كثيرة ، لا على معنى واحد ، فتكونُ هذه الحروف جامعة لأن تكون افتتاحا ، وأن يكون كل واحد منها مأخوذاً من اسم من أسماء الله تعالى ، وأن يكون الله عزّ ^(٣) وجل قد وضعها هذا الوضع ^(٤) فسمى بها ، وأن كل حرفٍ منها في آجالِ قوم وأرزاق آخرين ، وهي مع ذلك مأخوذة من صفات الله تعالى في إنعامه وإفضاله ومجده ، وأن الافتتاح بها سبب لأن يسمع القرآن من لم يكن سَمِعَ ، وأن فيها إعلاما للعرب أن القرآن الدالّ على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بهذه الحروف ، وأن عجزهم عن الإتيان بمثله مع نزوله بالحروف المتعائلة بينهم دليلٌ على كفرهم وعنادهم وجحودهم ، وأن كل عدد منها إذا وقع أول كل سورة فهو اسم لتلك السورة .

قال : وهذا القول الجامع للتأويلات كلها . والله أعلم بما أراد من ذلك .

(٢) سورة فصلت ٢٦

(٤) م : « الوضع »

(١) سورة الروم ١ ، ٢

(٣) ت : « الله تعالى »

العاشر : أنها كالمهَيَّجَةِ لمن سمعها من الفصحاء ، والموقظة للهمم الراقدة من الباطاء لطلب التساجل ، والأخذ في التفاضل ، وهي بمنزلة زجاجة الرعد قبل الناظر في الأعلام لتعرف الأرض فضل الغمام ، وتحفظ ما أفيض عليها من الإناعام . وما هذا شأنه خليق بالنظر فيه ، والوقوف على معانيه بعد حفظ مبانيه .

الحادى عشر : التنبيه على أن تعداد هذه الحروف ممن لم يمارس الخط ، ولم يعان الطريقة ، على ما قال تعالى : ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُمْ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبِطُونَ ﴾ ^(١) .

الثانى عشر : انحصارها في نصف أسماء حروف المعجم ، لأنها أربعة عشر حرفاً على ما سبق تفصيله ؛ وهذا واضح على ^(٢) من عدد حروف المعجم ثمانية وعشرين حرفاً ، وقال « لا » مركبة من اللام والألف ؛ والصحيح أنها تسعة وعشرون حرفاً ، والنطق « بلا » في الهجاء كالنطق في « لا رجل في الدار » ، وذلك لأن الواضع جعل كل حرف من حروف المعجم صدر اسم إلا الألف ، فإنه لما لم يمكن أن يُبتدأ به لكونه مطبوعاً على السكون فلا يقبل الحركة أصلاً توصل إليه باللام ؛ لأنها شابهته في الاعتداد والاتصاف ، ولذلك يكتب على صورة الألف إلا إذا اتصل بما بعده .

فإن قلت : فقد تقدم اسم الألف في أول حروف الهجاء ؟ قلت : ذلك اسم الهمزة لوجهين : أحدهما أنه صدره ، والثانى أنها صدر ما تصدر من حروف المعجم لتكون صورتها ثلاثاً ؛ وإنما كانت صدره لأن صورتها كالتكررة أربع مرات ؛ لأنها تلبس صورة العين وصورة الألف والواو والياء لما يفرض من الحركة والسكون ، ولذلك أخروا ما بعد الطاء

(١) سورة العنكبوت ٤٨

(٢) ت : « عند من قال : إن حروف المعجم ثمانية وعشرون حرفاً » .

والظاء والعين ؛ لأن صورتها ليست متكررة . وجوابه على هذا المذهب أن الحرف لا يمكن تنصيفه^(١) ، فيتعين سقوط حرف لأنه الأليق بالإيجاز .

الثالث عشر : مجيئها في تسع وعشرين سورة بعدد الحروف . فإن قلت : هلا روعي صورتها كما روعي عددها ؟ قلت : عرض لبعضها النقل لفظاً فأهمل .

فصل

اعلم أنه لما كانت هذه الحروف ضروريةً في النطق ، واجبةً في الهجاء ، لازمة التقدّم في الخطّ والنطق - إذ المفرد مقدّم على المركب - فقدّمت هذه المفردات على مركباتها في القرآن ، فليس في المفرد ما في المركب ، بل في المركب ما في المفرد وزيادة . ولما كان نزول القرآن في أزمنة متطاولة ، تزيد على عشرين سنة ، وكان باقياً إلى آخر الزمان ؛ لأنه ناسخ لما قبله ، ولا كتاب بعده ، جعل الله تعالى حروفه كالعلام ، مبيّنة أن هذه السورة هي من قبيل تلك التي أنزلت من عشر سنين مثلاً ، حتى كأنها تنمّ ، لها وإن كان بينهما مدة . وأما نزول ذلك في مُدَدٍ وأزمنة ، أو نزول سورٍ خالية عن الحروف فبحسب تلك الوقائع . وأما ترتيبُ وضعها في المصحف - أعني السور - فله أسباب مذكورة في النوع الثالث عشر .

وأما زيادة بعض الحروف في بعض السور وتفسير بعضها ، فليعلم أن المراد بالإعلام بالحروف فقط ؛ وذلك أنه متى فرّض الإنسان في بعضها شيئاً ، مثل ﴿الْم﴾ السجدة ، لزمه في مثلها مثله ، كالف لام ميم البقرة ؛ فلما لم يجد دَلَّةً ذلك الثاني على بطلان الأول ، وتحقق أن هذه الحروف هي علامات المكتوب والمنطوق . وأما كونها اختصّت بسورة البقرة فيحتمل أن

(١) ت : « تنصفه »

ذلك تنبيه على السور ، وأنها احتوت على جملة المنطوق به من جهة الدلالة ؛ ولهذا حصلت في تسعة وعشرين سورة بعدد جملة الحروف . ولو كان القصد الاحتواء على نصف الكتاب لجاءت في أربع عشرة سورة ؛ وهذا الاحتواء ليس من كل وجه ، بل من وجه يرجع إلى النطق والفصاحة وتركيب ألفاظ اللغة العربية ؛ وما يقتضى أن يقع فيه التعجيز . ويحتمل أن يكون لمعان آخر ، يجدها من يفتح الله عليه بالتأمل والنظر ؛ أو هبة من لدنه سبحانه . ولا يمتنع أن يكون في بقية السور أيضا كما في ذوات الحروف ، بل هذه خصصت بعلامات لفضيلة وجب من أجلها أن تُعلم عليها السور ، لِيُنَبِّه على فضلها ، وهذا من باب الاحتمال . والأولى أن الأحرف إنما جاءت في تسعة وعشرين سورة لتكون عدة السور دالة لنا على عدة الحروف ، فتكون السور من جهة العدة مؤدية إلى الحروف من جهة العدة ؛ فيعلم أن الأربعة عشر عوض عن تسعة وعشرين .

[٣ - الاستفتاح بالنداء]

النوع الثالث من أنواع استفتاح السور : النداء ؛ نحو : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ^(١) . ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴾ ^(٢) . ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ ^(٣) ؛ وذلك في عشر سور ^(٤) .

(١) سورة المائدة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ . المجرات : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ . المتنحة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ .

(٢) سورة الأحزاب : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ﴾ . الطلاق : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ . . . ﴾ . التحريم : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تَحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ﴾ . (٣) سورة المدثر

(٤) بقيته : في سورة النساء : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ . سورة الحج : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ . المزمل : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ .

[٤ - الاستفتاح بالجلل الخبرية]

الرابع : الجلل الخبرية ؛ نحو ﴿ يسألونك عن الأنفال ﴾ . ﴿ براءة من الله ﴾ ^(١) . ﴿ أتى أمر الله ﴾ ^(٢) . ﴿ اقترب للناس حسابهم ﴾ ^(٣) . ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ . ﴿ سورة أنزلناها ﴾ ^(٤) . ﴿ تنزيل الكتاب ﴾ ^(٥) . ﴿ الذين كفروا ﴾ ^(٦) . ﴿ إنا فتحنا ﴾ . ﴿ اقتربت الساعة ﴾ ^(٧) . ﴿ الرحمن علم القرآن ﴾ . ﴿ قد سمع الله ﴾ ^(٨) . ﴿ الحاقة ﴾ . ﴿ سأل سائل ﴾ ^(٩) . ﴿ إنا أرسلنا ﴾ ^(١٠) . ﴿ لا أقسم ﴾ في موضعين ^(١١) . ﴿ عبس ﴾ . ﴿ إنا أنزلناه ﴾ ^(١٢) . ﴿ لم يكن ﴾ ^(١٣) . ﴿ القارعة ﴾ . ﴿ ألهاكم ﴾ ^(١٤) . ﴿ إنا أعطيناك ﴾ ؛ فلك ثلاث وعشرون سورة .

[٥ - الاستفتاح بالقسم]

الخامس : القسم ؛ نحو : ﴿ والصافات ﴾ . ﴿ والذاريات ﴾ . ﴿ والطور ﴾ . ﴿ والنجم ﴾ . ﴿ والمرسلات ﴾ . ﴿ والنازعات ﴾ . ﴿ والسماء ذات البروج ﴾ . ﴿ والسماء والطارق ﴾ . ﴿ والفجر ﴾ . ﴿ والشمس ﴾ . ﴿ والليل ﴾ . ﴿ والضحى ﴾ . ﴿ والتين ﴾ . ﴿ والقاديات ﴾ . ﴿ والعصر ﴾ ؛ فلك خمس عشرة سورة .

- (٢) سورة النحل
- (٤) سورة النور
- (٦) سورة القتال
- (٨) سورة المجادة
- (١٠) سورة نوح
- (١٢) سورة القدر
- (١٤) سورة التكاثر

- (١) سورة التوبة
- (٣) سورة الأنبياء
- (٥) سورة الزمر
- (٧) سورة القمر
- (٩) سورة المارج
- (١١) سورتا القيامة، والبلد
- (١٣) سورة البينة

[٦ - الاستفتاح بالشرط]

السادس : الشرط ؛ نحو ﴿ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴾ . ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَاقِقُونَ ﴾ . ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ . ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴾ . ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾ . ﴿ إِذَا زُلْزِلَتْ ﴾ . ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ ﴾ ؛ فذلك سبع سور .

[٧ - الاستفتاح بالأمر]

السابع : الاستفتاح بالأمر ؛ في ست سور : ﴿ قُلْ أُوْحِي ﴾ . ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ . ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ . ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ . ﴿ قُلْ أَعُوذُ ﴾ في سورتين .

[٨ - الاستفتاح بالاستفهام]

الثامن : لفظ الاستفهام في : ﴿ هَلْ أَتَى ﴾ ^(١) . ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ . ﴿ هَلْ أَتَاكَ ﴾ ^(٢) . ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ ﴾ . ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ . ﴿ أَرَأَيْتَ ﴾ ^(٣) ، فذلك ست سور .

[٩ - الاستفتاح بالدعاء]

التاسع : الدعاء في ثلاث سور : ﴿ وَبِئْلِ لِّلْطُفِّينَ ﴾ . ﴿ وَبِئْلِ لِّكُلِّ هُمْزَةٍ ﴾ . ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ .

[١٠ - الاستفتاح بالتعليل]

العاشر : التعليل ، في موضع واحد ؛ نحو : ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴾ .
هكذا جمع الشيخ شهاب الدين أبو شامة المقدسي ^(٤) ؛ قال : وما ذكرناه في قسم

(١) سورة الدهر (٢) سورة الفاشية

(٣) سورة الماعون

(٤) هو العلامة عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان الشافعي المقدسي ، المعروف بأبي شامة ؛ شارح

الناطية ؛ وصاحب كتاب الذيل على الروضتين . توفي سنة ٦٦٥ . (شذرات الذهب : ٥ : ٣١٨) .

الدعاء يجوز أن يذكر مع الخبر ؛ وكذا الثناء على الله سبحانه وتعالى كله خبر إلا ﴿سَبَّحَ
اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ فإنه يدخل أيضاً في قسم الأمر ، و﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَمْرٌ بِعَبْدِهِ﴾ .
يحتمل الأمر والخبر ؛ ونظم ذلك في بيتين فقال :

أَتْنَى عَلَى نَفْسِهِ سُبْحَانَهُ بَيُّوْا مِ الدِّحِ وَالسَّلْبِ لَمَّا اسْتَفْتَحَ السُّورَا
وَالْأَمْرُ شَرْطُ النَّدَا التَّعْلِيلُ وَالْقَسَمُ الدَّعَا حُرُوفُ التَّهَجِّي اسْتَفْهِمِ الْخَبْرَا

النوع الثامن في خواتم السُّور

وهي مثل الفوائح في الحسن ؛ لأنها آخر ما يقرعُ الأسماع ؛ فلها جاءت متضمنة للعاني البديعة ؛ مع إيدان السامع بانتهاء الكلام حتى يرتفع معه تشوّف النفس إلى ما يذكّر بعد .

ومن أوضحه خاتمة سورة إبراهيم : ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ ﴾ ^(١) . وخاتمة سورة الأحقاف : ﴿ بَلَاغٌ ؛ فَمَنْ يَهْلِكْ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ ^(٢) ؛ ولأنها بين أدعية ووصايا وفرائض ومواظب وتحميد وتهليل ، ووعد ووعيد ؛ إلى غير ذلك . كتفصيل جملة المطلوب في خاتمة فاتحة الكتاب ؛ إذ المطلوب الأعلى الإيمان المحفوظ من المعاصي المسببة لغضب الله والضلal ؛ ففصل جملة ذلك بقوله : ﴿ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ ^(٣) ؛ والمراد المؤمنون ؛ ولذلك أطلق الإنعام ولم يقيده ليتناول كلاً إنعام ؛ لأن من أنعم عليه بنعمة الإيمان قد أنعم عليه بكل نعمة ؛ لأن نعمة الإيمان مستتبعة لجميع النعم ؛ ثم وصفهم بقوله : ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ ^(٤) يعني أنهم جمعوا بين النعم المطلقة وهي نعمة الإيمان ، وبين السلامة من غضب الله والضلal المسببين عن معاصيه وتعدّي حدوده .

(٢) سورة الأحقاف ٣٥

(١) سورة إبراهيم ٥٢

(٣) فاتحة الكتاب ٧

(٤) سورة الفاتحة ٧

وكالدعاء الذي اشتملت عليه الآيتان من آخر سورة البقرة ^(١) .
 وكالوصايا التي خُتِمت بها سورة آل عمران ^(٢) ، بالصبر على تكاليف الدين، والمصابرة
 لأعداء الله في الجهاد ومعاقبتهم ، والصبر على شدائد الحرب والرابطة في الغزو المحضوض
 عليها بقوله : ﴿ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ ^(٣) ، والتقوى
 الموعود عليها بالتوفيق في المضايق وسهولة الرزق في قوله : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا
 وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ ^(٤) . وبالفلاح لأن ﴿ لعل ﴾ من الله واجبة .
 وكالوصايا والفرائض التي ختمت بها سورة النساء ^(٥) ، وحسن الختم بها لأنها آخر ما نزل
 من الأحكام عام حجة الوداع .

وكالتبجيل والتعظيم الذي ختمت به المائدة : ﴿ اللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا
 فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ^(٦) ، ولإرادة المبالغة في التعظيم أختيرت « ما » على
 « من » لإفادة العموم ، فيتناول الأجناس كلها .
 وكالوعد والوعيد الذي ختمت به سورة الأنعام بقوله : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ
 وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ^(٧) ولذلك أورد على وجه المبالغة في وصف العقاب بالسرعة وتوكيد
 الرحمة بالكلام المفيد لتحقيق الوقوع .

(١) وذلك قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ ٢٨٥ ، ﴿ رَبَّنَا لَا تَأْخُذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ
 أَخْطَأْنَا ... ﴾ ٢٨٦

(٢) وذلك قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ
 لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ٢٠٠

(٣) سورة الأقال ٦٠ (٤) سورة الطلاق ٢ ، ٣

(٥) وذلك قوله تعالى : ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنَّ أَمْرًا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ
 وَلَدٌ ... ﴾ ١٧٦

(٦) سورة المائدة ١٢٠

(٧) سورة الأنعام ١٦٥

وكالتحريض على العبادة بوصف حال الملائكة الذي خُتِمَ به سورة الأعراف^(١).
والخض على الجهاد وصلة الأرحام الذي ختم به الأنفال^(٢).
ووصف الرسول ومدحه والاعتداد على الأمم به وتسليمه ووصيته والتهليل الذي
ختمت به براءة^(٣).

وتسليمته عليه الصلاة والسلام الذي ختم بها سورة يونس^(٤). ومثلها خاتمة هود^(٥).
ووصف القرآن ومدحه الذي ختم به سورة يوسف^(٦).
والرد على مَنْ كَذَّبَ الرسول الذي ختم به الرعد^(٧).

(١) وذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ
يَسْجُدُونَ ﴾ ، آية ٢٠٦

(٢) وذلك قوله تعالى : ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ
شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ، آية ٧٥

(٣) وذلك قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ
رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ ، آية ١٢٩

(٤) وذلك قوله تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ ، آية ١٠٩

(٥) وذلك قوله تعالى : ﴿ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ ، آية ١٢٣

(٦) وذلك قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ

كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ ، آية ١١١

(٧) وذلك قوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي

وَبَيْنَكُمْ ... ﴾ ، آية ٣

ومدح القرآن وذكر فائدته والعلّة في أنّه إلهٌ واحد الذي ختمت به إبراهيم ^(١) .
ووصيته الرسول التي ختم بها الحجر ^(٢) .

وتسليّة الرسول بطمأنينته ووعد الله سبحانه الذي ختمت به النحل ^(٣) . والتحميد الذي
ختمت به سبحان ^(٤) .

وتخصيصة الرسول على البلاغ والإقرار بالتنزيه، والأمر بالتوحيد الذي ختمت به
الكهف ^(٥) .

وقد أتينا على نصف القرآن ليكون مثالا لمن نظر في بقيته .

فصل

[في مناسبة فواتح السور وخواتمها]

ومن أسرار مناسبة فواتح السور وخواتمها . وتأمل سورة القصص وابدأها بقصة
مبدأ أمر موسى ونصرته ، وقوله : ﴿ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴾ ^(١) وخروجه من
وطنه ونصرته وإسعافه بالكلمة ، وختمها بأمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن لا يكون ظهيرا

(١) وذلك قوله تعالى : ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ... ﴾ ، آية ٥٢ .

(٢) وذلك قوله تعالى : ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ ، آية ٩٩ .

(٣) وذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ ، آية ١٢٨ .

(٤) وذلك قوله تعالى : ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلَكُوتِ... ﴾ ،

آية ١١١

(٥) وذلك قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ... ﴾ ،

آية ١١٠

(٦) سورة القصص ١٧

للكافرين ، وتسليته بخروجه من مكة والوعد بعوده إليها بقوله: ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ ﴾ ^(١) .

قال الزمخشري : وقد جعل الله فاتحة سورة المؤمنين ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ^(٢) وأورد في خاتمها : ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ ^(٣) ، فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة !

فصل

[في مناسبة فاتحة السورة بخاتمة التي قبلها]

ومن أسرارہ مناسبة فاتحة السورة بخاتمة التي قبلها ؛ حتى إن منها ما يظهر تعلُّقها به لفظاً كما قيل في : ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ ^(٤) ، ﴿ لِإِيلَافٍ قُرَيْشٍ ﴾ ^(٥) .
وفي الكواشي ^(٦) لما ختم سورة النساء أمراً بالتوحيد والعدل بين العباد ، أكد ذلك بقوله في أول سورة المائدة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ ^(٧) .

(١) سورة القصص ٨٥ (٢) سورة المؤمنون ٢

(٣) سورة المؤمنون ١١٧ (٤) سورة الفيل ٩

(٥) سورة قريش ١

(٦) هو أحمد بن يوسف بن حسن بن رافع موفق الدين الكواشي الموصلي الشافعي ؛ توفي سنة ٦٨٠

وله كتابان في التفسير أحدهما البصرة والثاني التلخيص ؛ ذكرهما صاحب كشف الظنون

(٧) سورة المائدة ١

النوع التاسع معرفة المكي والمدني

وما نزل بمكة والمدينة وترتيب ذلك

ومن فوائده معرفة الناسخ والمنسوخ ، والمكي أكثر من المدني .

اعلم أن للناس في ذلك ثلاثة اصطلاحات :

أحدها أن المكي ما نزل بمكة ، والمدني ما نزل بالمدينة^(١) .

والثاني - وهو المشهور - أن المكي ما نزل قبل الهجرة ، وإن كان بالمدينة ، والمدني

ما نزل بعد الهجرة ، وإن كان بمكة .

والثالث أن المكي ما وقع خطاباً لأهل مكة ، والمدني ما وقع خطاباً لأهل المدينة ؛

وعليه يحمل قول ابن مسعود الآتي ؛ لأن الغالب على أهل مكة الكفر فخطوبوا به « يأيها

الناس » وإن كان غيرهم داخلاً فيهم ، وكان الغالب على أهل المدينة الإيمان فخطوبوا

به « يأيها الذين آمنوا » وإن كان غيرهم داخلاً فيهم .

وذكر الماوردي^(٢) أن البقرة مدنية في قول الجميع إلا آية ، وهي : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ

فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾^(٣) فإنها نزلت يوم النحر في حجة الوداع بمنى . انتهى .

(١) قال السيوطي في الإقتان (١ : ٩) : « ويدخل في مكة ضواحيها ؛ كالمنزل بمنى وعرفات والحديبية ؛ وفي المدينة ضواحيها كالمنزل ببدر وأحد ولسع » .

(٢) هو الإمام أبو الحسن علي بن حبيب الشافعي ؛ صاحب كتاب أدب الدنيا والدين ؛ والحاوي ، والتفسير ؛ وكتاب الأحكام السلطانية ؛ توفي سنة ٤٥٠ . (شذرات الذهب ٣ : ٢٨٥ - ٢٨٦) .

(٣) سورة البقرة ٢٨١

ونزولها هناك لا يُخرجها عن المدني بالأصطلاح الثاني أن ما نزل بعد الهجرة مدني سواء كان بالمدينة أو بغيرها .

وقال الماوردي في سورة النساء : هي مدنية إلا آية واحدة نزلت في مكة في عثمان ابن طلحة حين أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يأخذ منه مفاتيح الكعبة^(١) ويسلمها إلى العباس ، فنزلت : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴾^(٢) والكلام فيه كما تقدم .

ومن جملة علاماته أن كل سورة فيها « يأيتها الناس » وليس فيها « يأيتها الذين آمنوا » فهي مكية ، وفي الحج اختلاف . وكل سورة فيها « كلاً » فهي مكية ، وكل سورة أولها حروف المعجم فهي مكية إلا البقرة وآل عمران ، وفي الرعد خلاف . وكل سورة فيها قصة آدم وإبليس فهي مكية سوى البقرة . وكل سورة فيها ذكر المناقين فمدنية سوى العنكبوت .

وقال هشام^(٣) عن أبيه : كل سورة ذكرت فيها الحدود والقرائض فهي مدنية ، وكل ما كان فيه ذكر القرون الماضية فهي مكية .

وذكر أبو عمرو عثمان بن سعيد الدارمي^(٤) بإسناده إلى يحيى بن سلام^(٥) قال : ما نزل بمكة وما نزل في طريق المدينة قبل أن يبلغ النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فهو من المكّي .

(١) ت : « البيت » . (٢) سورة النساء ٥٨ .

(٣) هو هشام بن محمد بن السائب بن بشر الكلبي ؛ صاحب السير والنسب توفي سنة ٢٠٤ (معجم الأدباء .

١٩ : ٢٨٧)

(٤) في م : « الداني » تحريف ؛ وهو صاحب المسند الكبير ؛ أخذ الفقه عن البويطي والعرية عن

ابن الأعرابي والحديث عن ابن اللديني . توفي سنة ٢٨٠ (شذرات الذهب ٢ : ١٧٦)

(٥) هو أبو زكريا البصري يحيى بن سلام صاحب التفسير ، سمع بمصر ، ثم سكن إفريقية وتوفي سنة ٢٠٠

(طبقات القراء ٣ : ٣٧٣)

وما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم في أسفاره بعد ما قدم المدينة فهو من المدني ، وما كان من القرآن « يا أيها الذين آمنوا » فهو مدني ، وما كان « يا أيها الناس » فهو مكّي .

وذكر أيضا بإسناده إلى عروة بن الزبير ^(١) قال : ما كان من حد أو فريضة فإنه أنزل بالمدينة ، وما كان من ذكر الأم والعذاب فإنه أنزل بمكة .

وقال الجعبري : لمعرفة المكّي والمدني طريقان : سماعي وقياسي ، فالسماعي ما وصل إلينا نزوله بأحدهما ، والقياسي ، قال علقمة ^(٢) عن عبد الله : كل سورة فيها « يا أيها الناس » فقط أو « كلاً » أو أولها حروف تهج سوى الزهراوين ^(٣) والرعد في وجه ، أو فيها قصة آدم وإبليس سوى الطولي ^(٤) فهي مكّيّة ؛ وكل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الخالية مكّيّة ، وكل سورة فيها فريضة أو حد فهي مدنيّة . انتهى .

وذكر ابن أبي شيبة ^(٥) في مصنفه في كتاب فضائل القرآن : حدثنا وكيع عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة قال : كل شيء نزل فيه « يا أيها الناس » فهو بمكة ، وكل شيء نزل فيه « يا أيها الذين آمنوا » فهو بالمدينة ؛ وهذا مرسل قد أسند عن عبد الله بن مسعود .

(١) هو أبو محمد عروة بن الزبير بن العوام الأسدي أحد فقهاء المدينة السبعة ؛ توفي سنة ٩٤ . (شذرات الذهب ١ : ١٠٣ ١٠٤)

(٢) هو علقمة بن قيس النخعي الكوفي ؛ يروي عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعبد الله بن مسعود وحذيفة ، توفي سنة ٦٢ (الخلاصة ٢٣٩)

(٣) هما سورتا البقرة وآل عمران ؛ وأقرأ في تفسير القرطبي ٤ : ٣ سبب التسمية .

(٤) هي سورة البقرة ؛ أطول سورة في القرآن .

(٥) هو الحافظ أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ؛ صاحب المصنف المعروف باسمه . توفي سنة ٢٣٥

(شذرات الذهب ٢ : ٨٥ ، وتهذيب التهذيب)

ورواه الحاكم^(١) في مستدركه في آخر كتاب الهجرة عن يحيى بن معين، قال : حدثنا وكيع عن أبيه عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود به .
ورواه البيهقي^(٢) في أواخر دلائل النبوة ، وكذا رواه البرّار^(٣) في مسنده ثم قال : وهذا يرويه غير قيس عن علقمة مرسلًا ، ولا نعلم أحداً أسنده إلا قيس .. انتهى .

ورواه ابن مردويه^(٤) في تفسيره في سورة الحج عن علقمة عن أبيه ، وذكر في آخر الكتاب عن عروة بن الزبير نحوه . وقد^(٥) نص على هذا القول جماعة من الأئمة منهم أحمد بن حنبل وغيره ، وبه قال كثير من المفسرين ، ونقله عن ابن عباس .

وهذا القول إن أخذ على إطلاقه ففيه نظر ، فإن سورة البقرة مدنية ، وفيها : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ ﴾^(٦) وفيها : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا ﴾^(٧) . وسورة النساء مدنية ، وفيها : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ﴾^(٨) ، وفيها : ﴿ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ ﴾^(٩) أيها الناس . وسورة الحج مكية ، وفيها : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا ﴾^(١٠) : فإن أراد المفسرون أنَّ الغالبَ ذلك فهو صحيح ، ولذا قال مكِّي^(١١) : هذا

(١) هو الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الله ، المعروف بالحكم ؛ صاحب المستدرک علی الصحیحین ؛ توفي سنة ٤٠٥ .

(٢) هو الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله البيهقي ؛ صاحب كتاب السنن ودلائل النبوة . وغيرهما . توفي سنة ٤٥٨ (طبقات الشافعية ٣ : ٣ - ٥)

(٣) هو أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري ؛ صاحب المسند الكبير ؛ ذكره الذهبي في وفیات سنة ٢٩٢ .

(٤) هو المحافظ أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني ؛ صاحب التفسير وكتاب المستخرج على صحيح البخاري ، توفي سنة ٤١٠ (شذرات الذهب ٣ : ١٩٠ . وانظر كشف الظنون) .

(٥) ت : «ومن نص» (٦) سورة البقرة ٢١

(٧) سورة البقرة ١٦٨ (٨) سورة النساء ١

(٩) سورة النساء ١٣٣ (١٠) سورة الحج ٧٧

(١١) هو مكِّي بن حموش بن محمد بن مختار القيسي المقرئ ؛ صاحب كتاب الرعاية ، في تجويد القرآن ، وتحقيق لفظ التلاوة ، توفي بقرطبة سنة ٤٣٧ (ابن خلكان ٢ : ١٢٠) .

إنما هو في الأكثر وليس بعام ، وفي كثير من السور المكية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ . انتهى .
والأقرب تنزيل قول مَنْ قال : مكّي ومدني ؛ على أنه خطاب المقصود به أو جل المقصود به أهل مكة « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا » كذلك بالنسبة إلى أهل المدينة .

وفي تفسير الرازي عن علقمة والحسن : أن ما في القرآن « يَا أَيُّهَا النَّاسُ » مكّي ، وما كان « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا »^(١) بالمدينة ، وأن القاضي قال : إن كان الرجوع في هذا إلى النقل فسلم ، وإن كان السبب فيه حصول المؤمنين^(٢) بالمدينة على الكثرة دون مكة فضعيف ؛ إذ يجوز خطاب المؤمنين بصفهم واسمهم وجنسهم ، ويؤمر غير المؤمنين^(٣) بالعبادة كما يؤمر المؤمنون بالاستمرار عليها والازدياد منها انتهى .

فصل

ويقع السؤال : أنه هل نص النبي صل الله عليه وسلم على بيان ذلك ؟ قال القاضي أبو بكر في الانتصار : إنما هذا يرجع لحفظ الصحابة وتابعيهم ، كما أنه لا بد في العادة من معرفة معظي العالم والخطيب ، وأهل الحرص على حفظ كلامه ومعرفة كتبه ومصفاته من أن يعرفوا ما صنفه أولا وآخر ، وحال القرآن في ذلك أمثل ، والحرص عليه أشد ، غير أنه لم يكن من النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك قول ، ولا ورد عنه أنه قال : اعلّموا أن قدر ما نزل بمكة كذا وبالمدينة كذا ، وفصله لهم . ولو كان ذلك منه لظهر وانتشر ، وإنما لم يفعله لأنه لم يؤمر به ، ولم يجعل الله علم ذلك من فرائض الأمة ، وإن وجب في بعضه على أهل العلم معرفة تاريخ النسخ والمنسوخ ، ليعرف الحكم الذي تضمّنها ، فقد يُعرف ذلك بغير نص الرسول بعينه ، وقوله

(١ - ١) سادس من ت

(٢) حاشية ط : « عبارة الإمام الرازي : « المؤمن » بالإنفراد ؛ وخض المصنف يحتل ؛ لكن الرازي أفرد « المؤمن » أولا فقال : ويؤمر غير المؤمن بالعبادة كما يؤمر المؤمنون . وفي خط الزركشي الجمع أولا .

هذا هو الأول المكيّ، وهذا هو الآخر المدني . وكذلك الصحابة والتابعون من بعدهم لما لم يعتبروا أن من فرائض الدين تفصيل جميع المكي والمدني مما لا يسوغ الجهل به ، لم تتوفر الدواعي على إخبارهم به ، ومواصلة ذكره على أسماعهم ، وأخذهم بمعرفته . وإذا كان كذلك ساغ أن يختلف في بعض القرآن هل هو مكيّ أو مدني ، وأن يعملوا في القول بذلك ضرباً من الرأي والاجتهاد ، وحينئذ فلم يلزم النقل عنهم ذكر المكيّ والمدنيّ ، ولم يجب على من دخل في الإسلام بعد الهجرة أن يعرف كل آية أنزلت قبل إسلامه : مكية أو مدنية . فيجوز أن يقف في ذلك أو يغلب على ظنه أحد الأمرين ؛ وإذا كان كذلك بطل ما توهموه من وجوب نقل هذا أو شهرته في الناس ؛ ولزوم العلم به لهم ، ووجوب ارتفاع الخلاف فيه .

فصل

قال أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوريّ في كتاب ” التنبيه على فضل علوم القرآن “ : من أشرف علوم القرآن علم نزوله وجهاته وترتيب ما نزل بمكة ابتداءً ووسطاً وانتهاءً ، وترتيب ما نزل بالمدينة كذلك ، ثم ما نزل بمكة وحكمه مدنيّ ، وما نزل بالمدينة وحكمه مكيّ ، وما نزل بمكة في أهل المدينة ، وما نزل بالمدينة في أهل مكة ، ثم ما يشبه نزول المكي في المدني ، وما يشبه نزول المدني في المكيّ ، ثم ما نزل بالجحفة ، وما نزل ببית المقدس ، وما نزل بالطائف ، وما نزل بالحديبية ، ثم ما نزل ليلاً ، وما نزل نهاراً ، وما نزل مشياً ، وما نزل مفرداً ، ثم الآيات المدنيات في السور المكية ، والآيات المكية في السور المدنية ، ثم ما نُحِل من مكة إلى المدينة ، وما حُمِل من المدينة إلى مكة ، وما نُحِل من المدينة إلى أرض الحبشة ، ثم ما نزل مجملاً ، وما نزل مفسّراً ، وما نزل مرموزاً ، ثم ما اختلفوا فيه ، فقال بعضهم : مدنيّ . هذه خمسة وعشرون وجهاً ؛ مَنْ لم يعرفها ويميز بينها لم يحلّ له أن يتكلم في كتاب الله تعالى .

ذكر ما نزل من القرآن بمكة ثم ترتيبه

أول ما نزل من القرآن بمكة : ﴿ اقرأ باسم ربك ﴾ ، ثم ﴿ ن والقلم ﴾ ، ثم ﴿ يأيها
الزمل ﴾ ، ثم ﴿ يأيها المدثر ﴾ ، ثم ﴿ تبت يدا أبي لهب ﴾ ، ثم ﴿ إذا الشمس
كوزت ﴾ ، ثم ﴿ سبّح اسم ربك الأعلى ﴾ ، ثم ﴿ والليل إذا يغشى ﴾ ، ثم ﴿ والفجر ﴾ ،
ثم ﴿ والضحى ﴾ ، ثم ﴿ ألم نشرح ﴾ ، ثم ﴿ والعصر ﴾ ، ثم ﴿ والعاديات ﴾ ، ثم ﴿ إنا
أعطيناك الكوثر ﴾ ، ثم ﴿ أهاكم التكاثر ﴾ ، ثم ﴿ أرايت الذي ﴾ ، ثم ﴿ قل يأيها
الكافرون ﴾ ، ثم ﴿ سورة الفيل ﴾ ، ثم ﴿ الفلق ﴾ ، ثم ﴿ الناس ﴾ ، ثم ﴿ قل هو الله
أحد ﴾ ، ثم ﴿ والنجم إذا هوى ﴾ ، ثم ﴿ عبس وتولى ﴾ ، ثم ﴿ إنا أنزلناه ﴾ ، ثم
﴿ والشمس وضحاها ﴾ ، ثم ﴿ والسماء ذات البروج ﴾ ، ثم ﴿ والتين والزيتون ﴾ ، ثم
﴿ لا يلاف قريش ﴾ ، ثم ﴿ القارعة ﴾ ، ثم ﴿ لا أقسم بيوم القيامة ﴾ ، ثم ﴿ همزة ﴾ ، ثم
المرسلات ، ثم ﴿ ق والقرآن ﴾ ، ثم ﴿ لا أقسم بهذا البلد ﴾ ، ثم ﴿ الطارق ﴾ ، ثم ﴿ اقتربت
الساعة ﴾ ، ثم ﴿ ص والقرآن ﴾ ، ثم ﴿ الأعراف ﴾ ، ثم ﴿ الجن ﴾ ، ثم ﴿ يس ﴾ ، ثم
الفرقان ، ثم ﴿ الملائكة ثم مريم ﴾ ، ثم ﴿ طه ﴾ ، ثم ﴿ الواقعة ﴾ ، ثم ﴿ الشعراء ﴾ ، ثم ﴿ النمل ﴾ ، ثم
القصص ، ثم ﴿ بنى إسرائيل ﴾ ، ثم ﴿ يونس ﴾ ، ثم ﴿ هود ﴾ ، ثم ﴿ يوسف ﴾ ، ثم ﴿ الحجر ﴾ ، ثم ﴿ الأنعام ﴾ ، ثم
الصفات ، ثم ﴿ لقمان ﴾ ، ثم ﴿ سبا ﴾ ، ثم ﴿ الزمر ﴾ ، ثم ﴿ المؤمن ﴾ ، ثم ﴿ حم السجدة ﴾ ، ثم ﴿ حم عسق ﴾ ، ثم
﴿ حم الزخرف ﴾ ، ثم ﴿ حم الدخان ﴾ ، ثم ﴿ حم الجاثية ﴾ ، ثم ﴿ حم الأحقاف ﴾ ، ثم ﴿ والذاريات ﴾ ،
ثم ﴿ العنكبوت ﴾ ، ثم ﴿ النحل ﴾ ، ثم ﴿ نوح ﴾ ، ثم ﴿ إبراهيم ﴾ ، ثم ﴿ الأنبياء ﴾ ، ثم ﴿ المؤمنون ﴾ ،
ثم ﴿ آل عمران ﴾ ، ثم ﴿ البقرة ﴾ ، ثم ﴿ الطور ﴾ ، ثم ﴿ الملك ﴾ ، ثم ﴿ الحاقة ﴾ ، ثم ﴿ سأل سائل ﴾ ، ثم
﴿ عم يتساءلون ﴾ ، ثم ﴿ النازعات ﴾ ، ثم ﴿ إذا السماء انفطرت ﴾ ، ثم ﴿ إذا السماء
انشقت ﴾ ، ثم ﴿ الروم ﴾ .

واختلفوا في آخر ما نزل بمكة ، فقال ابن عباس : العنكبوت . وقال الضحاك وعطاء :

المؤمنون ، وقال مجاهد : ﴿ ويل للمطففين ﴾ . فهذا ترتيب ما نزل من القرآن بمكة ، وعليه استقرت الرواية من الثقات ، وهي خمس وثمانون سورة .

ذكر ترتيب ما نزل بالمدينة

وهو تسع وعشرون سورة

فأول ما نزل فيها : سورة البقرة ، ثم الأنفال ، ثم آل عمران ، ثم الأحزاب ، ثم المتحنة ، ثم النساء ، ثم ﴿ إذا زلزلت ﴾ ، ثم الحديد ، ثم محمد ، ثم الرعد ، ثم الرحمن ، ثم ﴿ هل أتى ﴾ ، ثم الطلاق ، ثم ﴿ لم يكن ﴾ ، ثم الحشر ، ثم ﴿ إذا جاء نصر الله ﴾ ، ثم النور ، ثم الحج ، ثم المناقون ، ثم المجادلة ، ثم الحجرات ، ثم ﴿ يأيها النبي لم تحرم ﴾ ، ثم الصف ، ثم الجمعة ، ثم التغابن ، ثم الفتح ، ثم التوبة ، ثم المائدة .

ومنهم من يقدم المائدة على التوبة ، وقرأ النبي صلى الله عليه وسلم المائدة في خطبة حجة الوداع وقال : « يأيها الناس ، إن آخر القرآن نزولا سورة المائدة ، فأحلوا حلالها ، وحرّموا حرامها » .

فهذا ترتيب ما نزل بالمدينة . وأما ما اختلفوا فيه : ففاتحة الكتاب ، قال ابن عباس والضحاك ومقاتل وعطاء : إنها مكية . وقال مجاهد : مدنية ؛ واختلفوا في ﴿ ويل للمطففين ﴾ فقال ابن عباس : مدنية ؛ وقال عطاء : هي آخر ما نزل بمكة ، فجميع ما نزل بمكة خمس وثمانون سورة ، وجميع ما نزل بالمدينة تسع وعشرون سورة ، على اختلاف الروايات .

ذكر ما نزل بمكة وحكمه مدني

منها قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ...﴾ ^(١) الآية ، ولها قصة بطول بذكرها الكتاب ^(٢) ونزولها بمكة يوم فتحها ، وهي مدنية لأنها نزلت بعد الهجرة .

ومنها قوله في المائدة : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ ^(٣) إلى قوله : ﴿الْخَاسِرِينَ﴾ ^(٤) نزلت يوم الجمعة والناس وقوف بعرفات ، فبركت ناقة النبي صلى الله عليه وسلم من هيبة القرآن . وهي مدنية لنزولها بعد الهجرة ، وهي عدة آيات بطول ذكرها .

ذكر ما نزل بالمدينة وحكمه مكّي

منه المتحنة إلى آخرها ؛ وهي قصة حاطب بن أبي بلتعة وسارة ، والكتاب الذي دفعه إليها - وقصتها ^(٥) مشهورة - فخطب بها أهل مكة .

ومنها قوله تعالى في سورة النحل : ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا...﴾ ^(٦) إلى آخر السورة ، مدنيات يخاطب بها أهل مكة .

ومنها سورة الرعد يخاطب بها أهل مكة ، وهي مدنية .

(١) سورة الحجرات ١٣

(٢) انظر تفصيل القصة في (سيرة ابن هشام ٤ : ٣١ ، ٣٢)

(٣) سورة المائدة ٣ (٤) سورة المائدة ٥

(٥) وذلك حينما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم السير إلى مكة ؛ وكتب حاطب بن أبي بلتعة كتابه إلى قريش يخبرها بالقي أجمع عليه رسول الله من الأمر بالسير إليهم . وانظر تفصيل الخبر في (ابن هشام ٤ : ١٦ - ١٧)

(٦) سورة النحل ٤١ .

ومن أول براءة إلى قوله : ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ ^(١) خطاب لمشركي مكة ؛ وهي مدينة .

فهذا من جملة ما نزل بمكة في أهل المدينة وحكمه ^(٢) مدني ، وما أنزل في أهل مكة ^(٣) وحكمه مكّي .

ما يشبه تنزيل المدينة في السور المكية

من ذلك قوله تعالى في النجم : ﴿ الَّذِينَ يَحْتَفِظُونَ كِتَابَ رَبِّ الْإِنِّمِ ﴾ ^(٤) يعني كل ذنب عاقبته النار ، ﴿ والفواحش ﴾ يعني كل ذنب فيه حد ^(٥) إلا اللطم ، وهو بين الحدّين من الذنوب ، نزلت في ننهان والمرأة التي راودها عن نفسها فأبت ؛ والقصة مشهورة واستقرت الرواية بما قلنا ؛ والدليل على صحته أنه لم يكن بمكة حد ولا غزو .

ومنها قوله تعالى في هود : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ ... ﴾ ^(٦) الآية نزلت في أبي مقبل الحسين بن عمر بن قيس ^(٧) والمرأة التي اشترت منه التمر ، فراودها .

ما يشبه تنزيل مكة في السور المدنية

من ذلك قوله تعالى في الأنبياء : ﴿ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَؤًا لَا تَتَّخِذُنَاهُ مِنْ لَدُنَّا ﴾ ^(٨) ، نزلت في نصارى نجران [ومنها] السيد والعاقب .

(١) سورة التوبة ٢٨

(٢) كذا في ط ، م . وفي ت : « أو حكمه » وفي جاشية ط : « في خط المصنف : إثبات « أو » في قوله : « أو حكمه » في الموضعين

(٣) سورة النجم ٣٢

(٤) سورة هود ١١٤

(٥) في تفسير القرطبي (٩ : ١١٠ - ١١١) أنها نزلت في رجل من الأنصار اسمه أبو اليسر بن عمرو ؛

ثم ذكر تفصيل الخبر والخلاف الوارد فيه .

(٦) سورة الأنبياء ١٧

ومنها سورة ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾^(١) في رواية الحسين بن واقد ، وقصتها مشهورة .
ومنها قوله تعالى في الأنفال : ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ...﴾^(٢) الآية .

مانزل بالجحفة^(٣)

قوله عز وجل في سورة القصص : ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾^(٤) نزلت بالجحفة والنبي صلى الله عليه وسلم مهاجر .

مانزل ببيت المقدس

قوله تعالى في الزخرف : ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجْمَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾^(٥) ، نزلت عليه ليلة أُسْرِىَ به .

مانزل بالطائف

قوله تعالى في الفرقان : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ...﴾^(٦) الآية ، ولذلك قصة عجيبة .

وقوله في : ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ : ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكْذِبُونَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(٧) يعني كفار مكة .

مانزل بالحديبية

قوله تعالى في الرعد : ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾^(٨) نزلت بالحديبية حين صالح النبي صلى الله عليه وسلم أهل مكة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى : اكتب :

(١) سورة العاديات ١ (٢) سورة الأفعال ٣٢

(٣) الجحفة : قرية على طريق المدينة من مكة على أربع مراحل .

(٤) سورة القصص ٨٥ (٥) سورة الزخرف ٤٥ (٦) الفرقان ٤٥

(٧) سورة الانشقاق ٢٢-٢٤ (٨) سورة الرعد ٣٠ .

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ ، فقال سهيل بن عمرو : ما نعرف الرحمن الرحيم ؛ ولو نعلم أنك رسول الله لتابعناك ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ ﴾ إلى قوله ﴿ متاب ﴾ .

ما نزل ليلاً

قوله تعالى في أول سورة الحج : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ ^(١) ، نزلت ليلاً في غزوة بني المصطلق ، وهم حتى من خزاعة والناس يسبرون .

وقوله تعالى في المائدة : ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ ^(٢) ، نزلت في بعض غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يُحْرَسُ كُلَّ لَيْلَةٍ . قال عبد الله بن عامر بن ربيعة : قل رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ يَحْرُسُنَا اللَّيْلَةَ ؟ » ، فَأَتَاهُ حَذِيفَةُ وَسَعْدُ فِي آخِرِينَ مَعَهُمُ الْحِجَفُ ^(٣) وَالسِّيُوفُ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي خِيْمَةٍ مِنْ أَدَمَ ، فَبَاتُوا عَلَى بَابِ الْخِيْمَةِ ، فَلَمَّا أَنْ كَانَ بَعْدَ هَزْبِيعٍ مِنَ اللَّيْلِ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْآيَةَ ، فَأَخْرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأْسَهُ مِنَ الْخِيْمَةِ فَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، انصرفوا فقد عصمني الله .

ومنها قوله : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ ^(٤) الآية ، قالت عائشة رضي الله عنها : نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا معه في الصحاف . ونزل عليه أكثر القرآن نهراً ^(٥) .

(١) سورة الحج ١ (٢) سورة المائدة ٦٧

(٣) ط ، م : « يوم الجحفة والسوق » تحريف صوابه في ت . والحجف : التروس .

(٤) سورة القصص ٥٦

(٥) حاشية ط : « ترك المؤلف ما نزل في الصيف وما نزل في الشتاء ، وقد ذكر العلماء أن آية الكلاله التي في أول سورة النساء نزلت في الشتاء ، وأن الآية التي في آخرها نزلت في الصيف » ونقله السيوطي عن الواحدى في الإتيان .

ما نزل مشيعاً

سورة الأنعام نزلت مرة واحدة ، شيعها سبعون ألف ملك ، طبقوا ما بين السموات والأرض ، لم زجل بالتسييح ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سبحان الله ! » ، وخرّ ساجداً .

قلت : ذكر أبو عمرو بن الصلاح ^(١) في « فتاويه » أن الخبر المذكور جاء من حديث أبي ابن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وفي إسناده ضعف ، ولم نر له إسناداً صحيحاً ، وقد روى ما يخالفه ، فروى أنها لم تنزل جملة واحدة بل نزل منها آيات بالمدينة ؛ اختلفوا في عددها فقيل : ثلاث ؛ هي قوله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا ... ﴾ ^(٢) الخ الآيات ، وقيل : ست ، وقيل : غير ذلك ، وسائرهما نزل بمكة .

وفاتحة الكتاب نزلت ومعها ثمانون ألف ملك .

وآية الكرسي نزلت ومعها ثلاثون ألف ملك .

وسورة يونس نزلت ومعها ثلاثون ألف ملك .

﴿ وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا ﴾ ^(٣) نزلت ومعها عشرون ألف ملك .

وسائر القرآن نزل به جبريل بلا تشيع .

الآيات الدنيات في الشّور المكية

منها سورة الأنعام ، وهي كلها مكية خلاست آيات ، واستقرت بذلك الروايات .

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ ^(٤) نزلت هذه في مالك بن الصّيف ، إلى آخر الآية ،

والثانية والثالثة .

(١) هو أبو عمرو بن عبد الرحمن النهرزوري الشافعي ، التوفي سنة ٦٤٣ هـ ؛ وفتاويه جمعها بعض طلبته ؛ وهو الكمال إسحاق المزني الشافعي ؛ في مجلد كثير القوائد (كشف الظنون) .

(٢) سورة الأنعام ١٥١

(٣) سورة الأنعام ٩١ .

(٤) سورة الزخرف ٤٥

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ ^(١) نزلت في عبد الله بن أبي سرح، أخى
 عثمان من الرضاعة، حين قال: ﴿سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ ^(٢)، وذلك أنه كان يكتب
 لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فأُنزل الله جل ذكره: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ
 مِنْ طِينٍ﴾ ^(٣)، فأملأها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما بلغ قوله: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا
 آخَرَ﴾ ^(٤) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اكتب ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ...﴾ الخ الآية، فقال:
 إن كنت نبياً فأنا نبي؛ لأنه خطر بيالى ما أملت على. فلحق كافراً.

وأما قوله: ﴿أَوْ قَالَ أُوْحِيََ إِلَيَّ وَلَمْ يُوْحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ ^(٥)، فإنه نزل في مسيلة
 الكذاب، حين زعم أن الله سبحانه أوحى إليه. وثلاث آيات من آخرها: ﴿قُلْ
 تَعَالَوْا﴾ ^(٦) إلى قوله ﴿تَتَّقُونَ﴾.

سورة الأعراف مكية إلا ثلاث آيات: ﴿وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ﴾ ^(٧) إلى
 قوله: ﴿وَإِذْ نَفَقْنَا الْجَبَلَ﴾ ^(٨).

سورة إبراهيم مكية، غير آيتين نزلتا في قتلى بدر: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ
 كُفْرًا...﴾ ^(٩) الخ الآيتين.

سورة النحل، مكية إلى قوله: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ ^(١٠)
 والباقي مدني.

- | | |
|----------------------------|----------------------------|
| (١) سورة الأنعام ٩٣ | (٢) سورة المؤمنون ١٢ |
| (٣) سورة المؤمنون ١٤ | (٤) سورة الأنعام ٩٣ |
| (٥) سورة الأنعام ١٥١ - ١٥٣ | (٦) سورة الأعراف ١٦٣ - ١٧١ |
| (٧) سورة إبراهيم ٢٨ ، ٢٩ | (٨) سورة النحل ٤١ . |

سورة بنى إسرائيل مكية ، غير قوله : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ ^(١) يعنى ثقيفا، وله قصة ^(٢) .

سورة الكهف مكية ، غير قوله : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ ﴾ ^(٣) نزلت فى سلمان الفارسى ^(٤) .

سورة القصص مكية ، غير آية : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ﴾ ^(٥) - يعنى الإنجيل - ﴿ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ ^(٥) يعنى الفرقان . نزلت فى أربعين رجلا من مؤمنى أهل الكتاب

(١) سورة الإسراء ٧٣

(٢) فى الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٩ : ٢٩٩ : « نزلت فى وفد ثقيف ، أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فسألوه شططا وقالوا : متعنا بآلهتنا حتى نأخذ ما يهدى لها ؛ فإذا أخذناه كسرناها وأسلمنا ؛ وحرمتنا وادبنا كما حرمت مكة ؛ حتى تعرف العرب فضلنا عليهم ؛ فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطيهم ذلك ؛ فنزلت هذه الآية . »

(٣) سورة الكهف ٢٨ .

(٤) عن سلمان الفارسى قال : جاءت المؤلفة القلوب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : عيينة بن حصن ، والأقرع بن حابس ، وذووهم ، فقالوا : يا رسول الله ؛ إنك لو جلست فى صدر المجلس ونحيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم - يعنون سلمان وأباذر ، وفقراء المسلمين ، وكانت عليهم جباب الصوف لم يكن عليهم غيرها - جلسنا إليك وحادثناك وأخذنا عنك ، فأمر الله : ﴿ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا . وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ... ﴾ : فقام النبي صلى الله عليه وسلم ينتسبهم حتى إذا أصابهم فى مؤخر المسجد يذكرون الله تعالى ، قال : « الحمد لله الذى لم يمتنى حتى أمرنى أن أصبر نفسى مع رجال من أمتى ، معكم المحيا ومعكم المات » ، (أسباب النزول للواحدي ٢٢٥)

(٥) سورة القصص ٥٢ .

قدموا من الحبشة مع جعفر بن أبي طالب فأسلموا ، ولهم قصة ^(١) .

سورة الزمر مكية ، غير قوله : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ... ﴾ ^(٢) الآية .

الحواميم كلها مكيات ، غير آية في الأحقاف نزلت في عبد الله بن سلام ^(٣) : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ ﴾ ^(٤) .

الآيات المكية في السور المدنية

منها قوله تعالى في الأنفال : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ... ﴾ ^(٥) الآية :
يعنى أهل مكة حتى يخرجك من بين أظهرهم . استقرت به الرواية .

سورة التوبة مدنية ، غير آيتين : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ ... ﴾ ^(٦) الخ السورة .

سورة الرعد مدنية ، غير قوله : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ ﴾ إلى قوله : ﴿ جَمِيعًا ﴾ ^(٧)
سورة الحج مدنية ، وفيها أربع آيات مكيات : قوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ

(١) في تفسير ابن كثير ٣ : ٣٩٤ ، عن ابن إسحاق : « قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة عشرون رجلاً أو قريب من ذلك من النصارى حين بلغهم خبره من الحبشة ، فوجدوه في المسجد ، فجلسوا إليه وكلموه وسألوه ورجال من قريش في أندية حول الكعبة ، فلما فرغوا من مسأله عما أرادوا دعاهم إلى الله تعالى ، وتلا عليهم القرآن ، فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع ، ثم استجابوا لله وآمنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره ، فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل بن هشام في نفر من قريش ؛ فقالوا لهم : خيكم الله تعالى من ركب ! بعنكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخير الرجل فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقت دينكم وصدقتموه فيما قال ؛ ما نعلم ركباً أحمق منكم ! فقالوا لهم : سلام عليكم لانجهاكم ؛ لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه ، لم نأل أنفساً خيراً ... »

(٢) الزمر ٥٣

(٣) في هذا خلاف ، ذكره ابن كثير في التفسير ٤ : ١٥٦ .

(٤) سورة الأنفال ٣٣

(٥) سورة الأحقاف ١٠

(٦) سورة الرعد ٣١

(٧) سورة التوبة ١٢٨

رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى ﴿١﴾ إِلَى قَوْلِهِ : (عَقِيم) ^(١) وله قصة .
سورة ﴿أَرَأَيْتَ﴾ مكية لإقوله : ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ ^(٢) إلى آخرها فإنها مذكّية ؛
كذا قال مقاتل بن سليمان .

ما حل من مكة إلى المدينة

أول سورة حملت من مكة إلى المدينة سورة يوسف ، انطلق بها عوف بن عفراء في
الثمانية الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، ففرض عليهم الإسلام فأسلموا ؛
وهم أول من أسلم من الأنصار ، قرأها على أهل المدينة في بني زريق ، فأسلم يومئذ بيوت من
الأنصار . روى ذلك يزيد بن رومان عن عطاء عن ابن يسار عن ابن عباس ؛ ثم حل
بعدها : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ...﴾ ^(٣) إلى آخرها . ثم حل بعدها الآية التي في الأعراف : ﴿قُلْ
يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ ^(٤) إلى قوله ﴿تَهْتَدُونَ﴾ ^(٥) فأسلم عليها
طوائف من أهل المدينة ، وله قصة .

ما حل من المدينة إلى مكة

من ذلك الأفعال التي في البقرة . ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ...﴾ ^(٥)
الآية ، وذلك حين أورد عبد الله بن جحش كتاب مسلمي مكة على رسول الله صلى الله
عليه وسلم : بأن المشركين غيروا قتل ابن الحضرمي وأخذ الأموال والأسارى في الشهر

(١) سورة الحج ٥٢ - ٥٥ ، وانظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢ : ص ٨٠ وما بعدها

(٢) سورة الماعون ٤

(٣) سورة الإخلاص ٣

(٤) سورة الأعراف ١٥٨

(٥) سورة البقرة ٢١٧ .

الحرام . فكتبَ بذلكَ عبدُ الله بن جَحْشٍ إلى مسلمي مكة : إن عيروكم فعيروهم بما صنعوا بكم^(١) .

ثم حلت آية الربا من المدينة إلى مكة في حضور ثقيف وبنى المغيرة إلى عتاب بن أسيد عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على مكة ، فقرأ عتاب عليهم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا ﴾^(٢) فأقرّوا بتحريمه ، وتابوا وأخذوا رهوس الأموال ، ثم حلت مع الآيات من أول سورة براءة من المدينة إلى مكة ، قرأ هُنَّ على بن أبي طالب رضي الله عنه يوم النحر على الناس ، وفي ترتيبها قصة^(٣) .

ثم حلت من المدينة إلى مكة ، الآية التي في النساء : ﴿ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ ﴾^(٤) إلى قوله : ﴿ عَفْوَ غَفُوراً ﴾^(٥) فلا تعاقبهم على تخلفهم عن الهجرة ؛ فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بها إلى مسلمي مكة ، قال جُندعُ بن ضمرة الليثي ، ثم الجُندعيّ لبنيه - وكان شيخاً كبيراً : أَلَسْتُ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ وَأَنْى لَا أَهْتَدَى إِلَى الطَّرِيقِ ! فحمله بنوه على سريره متوجهاً إلى المدينة ، فمات بالتَّعْنِيمِ^(٦) ، فبلغ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم موته فقالوا : لو لَحِقَ بنا لكانَ أَكْمَلَ لأَجْرِهِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى^(٧) : ﴿ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾^(٨) إلى قوله ﴿ غَفُوراً رَحِيماً ﴾^(٩) ..

(١) انظر تفسير ابن جرير الطبري : (٤ : ٢٩٩ - ٣١٥) ، وتفسير القرطبي : (٣ : ٤٢ - ٤٣)

(٢) سورة البقرة ٢٧٨

(٣) انظر تفسير القرطبي ٣ - ٣٦٣ - ٣٦٤

(٥) سورة النساء ٩٩

(٤) سورة النساء ٩٨

(٦) التعنيم : موضع على طريق المدينة يحرم منه السكيون بالعمرة (ياقوت)

(٨) سورة النساء ١٠٠

(٧) انظر تفسير القرطبي (٥ : ٣٤٩)

ما مُحَل من المدينة إلى الحبشة

هي ست آيات ، بَعَثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جَعْفَر بنِ أَبِي طالب في خصومة الرهبان والقسيسين : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾^(١) ، فقرأها جعفر بن أبي طالب عليهم عند النجاشي ، فلما بلغ قوله : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا ﴾^(٢) قال النجاشي : صدقوا ، ما كانت اليهودية والنصرانية إلا من بعده ، ثم قرأ جعفر : ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ ... ﴾^(٣) الآية . قال النجاشي : اللَّهُمَّ إِنِّي وَلِيُّ لَأَوْلِيَاءِ إِبْرَاهِيمَ ، وقال : صدقوا والمسيح ، ثم أسلم النجاشي وأسلموا .

(١) سورة آل عمران ٦٤

(٢) سورة آل عمران ٦٧

(٣) سورة آل عمران ٦٨ .

النوع العاشر معرفة أول ما نزل من القرآن وآخر ما نزل

فأما أوله ففي صحيح البخارى فى حديث بدء الوحي ما يقتضى أن أول ما نزل ^(١) عليه صلى الله عليه وسلم ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ ^(٢) ثم المدثر ^(٣) .

وأخرجه الحاكم فى مستدركه من حديث عائشة رضى الله عنها صريحاً وقال : صحيح الإسناد .

ولفظ مسلم : « أول ما نزل من القرآن ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ إلى قوله : ﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ » .

ووقع فى صحيح البخارى إلى قوله : ﴿ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾ ^(٤) ؛ وهو مختصر ، وفى الأول زيادة ، وهى من الثقة مقبولة .

وقد جاء ما يعارض هذا ، فى صحيح مسلم عن جابر : « أول ما نزل من القرآن سورة المدثر » ^(٥) .

وجمع بعضهم بينهما بأن جابراً سمع النبى صلى الله عليه وسلم يذكر قصة بدء الوحي ، فسمع آخرها ، ولم يسمع أولها ، فتوهم أنها أول ما نزلت ؛ وليس كذلك ، نعم هى أول ما نزل بعد سورة ﴿ اقْرَأْ ﴾ وفترة الوحي ؛ لما ثبت فى الصحيحين ^(٥) أيضاً عن جابر

(٢) سورة الملق ١ - ٥

(١) ت : « أنزل »

(٣) صحيح البخارى (١ : ٦ - ٧) بسنده عن عائشة .

(٤) صحيح مسلم (١ : ١٤٤) بسنده عن يحيى

(٥) صحيح البخارى (١ : ٢٢٨) ، وصحيح مسلم (١ : ١٤٣) ، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن

عن جابر ابن عبد الله الأنصارى .

رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحدث عن فترة الوحي، قال في حديثه :
« بينما ^(١) أنا أمشي، سمعت صوتاً من السماء؛ فرفعت رأسي، فإذا الملك الذي جاءني بحراء
جالس على كرسى بين السماء والأرض، فجيئْتُ ^(٢) منه [فَرَقًا] ^(٣) فرجعت، فقلت :
زملوني، زملوني، فأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ . »

فقد أخبر في هذا الحديث عن الملك الذي جاءه بحراء قبل هذه المرة، وأخبر في حديث
عائشة أن نزول : ﴿ اقْرَأْ ﴾ كان في غار حراء، وهو أول وحي، ثم قتر بعد ذلك . وأخبر
في حديث جابر أن الوحي تتابع بعد نزول ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾، فِعْلَمَ بذلك أن ﴿ اقْرَأْ ﴾
أول ما نزل مطلقاً، وأن سورة المدثر بعده؛ وكذلك قال ابن حبان في صحيحه : لا تضاد
بين الحديثين؛ بل أول ما نزل : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ بغار حراء، فلما رجع
إلى خديجة رضى الله عنها وصبت عليه الماء البارد، أنزل الله عليه في بيت خديجة : ﴿ يَا أَيُّهَا
الْمُدَّثِّرُ ﴾، فظهر أنه لما نزل عليه ﴿ اقْرَأْ ﴾ رجع فتدثر، فأنزل عليه ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ .

وقيل أول ما نزل سورة الفاتحة، روى ذلك من طريق أبي إسحاق عن أبي ميسرة
قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سمع الصوت انطلق هارباً، وذكر نزول الملك
عليه وقوله قل : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٤) إلى آخرها .

وقال : القاضي أبو بكر في "الاتصار" : وهذا الخبر منقطع؛ وأثبت الأقاويل ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ
رَبِّكَ ﴾، ويليه في القوة ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ . وطريق الجمع بين الأقاويل أن أول ما نزل من
الآيات ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾، وأول ما نزل من أوامر التبليغ ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾، وأول ما نزل

(١) صحيح مسلم : « بينما »

(٢) جئت : فرجت ، وفي صحيح البخاري : « فرجبت منه » .

(٣) من صحيح مسلم

(٤) فاتحة الكتاب ٢

من السور سورة الفاتحة . وهذا كما ورد في الحديث « أول ما يحاسب به العبد الصلاة »^(١) ،
و « أول ما يقضى فيه الدماء »^(٢) وجميع بينهما بأن أول ما يحكم فيه من " ثم التي بين
العباد الدماء ، وأول ما يحاسب به العبد من الفرائض البدنية الصلاة .

وقيل : أول ما نزل للرسالة : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ ، وللنبوة : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ ، فإن العلماء
قالوا : قوله تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ دال على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، لأن النبوة عبارة
عن الوحي إلى الشخص على لسان الملك بتكليف خاص ، وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ . قُمْ
فَأَنْذِرْ ﴾ دليل على رسالته صلى الله عليه وسلم ؛ لأنها عبارة عن الوحي إلى الشخص على
لسان الملك بتكليف عام .

وذكر القاضي في " الاختصار " رواية : ثم نزل بعد سورة ﴿ اقْرَأْ ﴾ ثلاث آيات من
أول نوح ، وثلاث آيات من أول المدثر .

وعن مجاهد قال : أول سورة أنزلت « اقرأ » ، ثم نوح .

وذكر الحاكم في " الإكليل " أن أول آية أنزلت في الإذن بالقتال قوله تعالى : ﴿ إِنَّ
اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ ﴾^(٣) .

وروى في المستدرک عن ابن عباس : أول آية أنزلت فيه : ﴿ أَذِنَ لِلَّذِينَ
مُقَاتِلُونَ ... ﴾^(٤) الآية .

(١) قوله السيوطي في الجامع الصغير ١ : ١٩٣ عن الطبراني ، ولفظه : « أول ما يحاسب به العبد يوم
القيامة الصلاة ؛ فإن صلحت صلح له سائر عمله ، وإن فسدت فسد سائر عمله » -

(٢) رواه البخاري في كتاب الديات (٤ : ١٨٦) ، ولفظه : « أول ما يقضى بين الناس في الدماء »

(٤) الحج : ٣٩ .

(٣) التوبة : ١١١

وأما آخره فاختلّفوا فيه ، فعن ابن عباس رضى الله عنهما : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ ﴾ .^(١)
وعن عائشة سورة المائدة . وقيل : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ .^(٢)

وقال السدى : آخر ما نزل : ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ
تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ .^(٣) وفي "صحيح البخارى" فى تفسير سورة براءة عن
البراء بن عازب رضى الله عنهما : آخر آية نزلت : ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي
الْكَلَالَةِ ﴾ .^(٤) ، وآخر سورة نزلت براءة .

وفى رواية غيره : آخر سورة أنزلت كاملة سورة براءة ، وآخر آية نزلت خاتمة النساء .
وذكر^(٥) ابن الأنبارى عن أبى إسحاق عن البراء ، قال : آخر آية نزلت من القرآن :
﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ﴾ ، ثم قال : وأخطأ أبو إسحاق ، ثم ساق
سنده من طرق إلى ابن عباس : آخر آية أنزلت : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى
اللَّهِ ﴾ ، وكان بين نزولها ووفاته النبى صلى الله عليه وسلم أحد وثمانون يوما ، وقيل : تسع
ليال . انتهى .

وفى مستدرك الحاكم عن شعبة عن على بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس
عن أبى بن كعب رضى الله عنه ، أنه قال : آخر آية نزلت على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾ .^(٦) ثم قرأها إلى آخر السورة . ورواه أحمد
فى المسند عن الربيع بن أنس عن أبى العالية عن أبى بن كعب رضى الله عنه ، قال : آخر آية
نزلت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾ ثم قرأ إلى
﴿ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ .^(٥) قال : هذا آخر ما نزل من القرآن ، فحتم بما فتح به ، بالذى

(٢) سورة البقرة ٢٨١

(٤) سورة النساء ١٧٦

(٦) سورة التوبة ١٢٨ ، ١٢٩

(١) سورة النصر ١

(٣) سورة التوبة ١٢٩

(٥) ت : « وروى » .

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ ^(١) .

وقال بعضهم : روى البخارى : آخر ما نزل آية الربا .

وروى مسلم : آخر سورة نزلت جميعا : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ ﴾ .

قال القاضى أبو بكر فى "الاتصار" : وهذه الأقوال ليس فى شىء منها ما رفع إلى النبى صلى الله عليه وسلم . ويجوز أن يكون قاله قائله بضرب من الاجتهاد ، وتغليب الظن ، وليس العلم بذلك من فرائض الدين ، حتى يلزم ما طعن به الطاعنون من عدم الضبط .

ويحتمل أن كلاً منهم أخبر عن آخر ما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اليوم الذى مات فيه ، أو قبل مرضه بقليل ، وغيره سمع منه بعد ذلك ، وإن لم يسمعه هو لمفارقته له ، ونزول الوحي عليه بقرآن بعده .

ويحتمل أيضاً أن تنزل الآية ، التى هى آخر آية تلاها الرسول صلى الله عليه وسلم مع آيات نزلت معها ، فيؤمر برسم ما نزل معها وتلاوتها عليهم بعد رسم ما نزل آخر وتلاوته ، فيظن سامع ذلك أنه آخر ما نزل فى الترتيب .

النوع الحادي عشر معرفة على كم لغة نزل

ثبت في الصحيحين^(١) من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أقرأني جبريلُ على حرف فراجعته ، ثم لم أزل^(٢) أستزيده فيزيدني ، حتى انتهى إلى سبعة أحرف » . زاد مسلم : قال ابن شهاب : بلغني أن تلك السبعة إنما هي في الأمر الذي يكون واحداً لا يختلف في حلال ولا حرام .

وأخرج أيضاً من حديث عمر بن الخطاب قال : سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها - وفي رواية : على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله صلى الله عليه وسلم -^(٣) فقلت : يا رسول الله ، إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأنيها ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أرسله ، اقرأ » ، فقرأ القراءة التي سمعته يقرأ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هكذا أنزلت » ، ثم قال لي : « اقرأ » ، فقرأت ، فقال : « هكذا أنزلت » ، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ؛ فاقروهوا ما تيسر منه » .

وأخرج مسلم نحوه عن أبي بن كعب ، وفيه : فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « فإني أرسل إلى أن أقرأ القرآن على حرف ، فرددتُ إليه : أن هوِّنَ على أمتي ، فردَّ إلى الثانية :

(١) صحيح البخاري (٢٢٦:٣) ، وصحيح مسلم (١:٦١) بسندهما عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة .

(٢) اللفظ في الصحيحين : « ثم لم أزل » .

(٣) في البخاري : « فكذت أساوره في الصلاة ، فصبرت حتى سلم ، فلبثته بردائه ، فقلت : من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ ؟ قال : أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : كذبت ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرأنيها على غير ما قرأت ؛ فطلقت به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت » .

أقرأه على حرفين، فرددت إليه: أن هون على أمتي؛ فردّ، إلى الثالثة: أقرأه على سبعة أحرف، ولك^(١) بكل رَدَّةٍ رَدَدْتُ كَها مسألة تَسألُنيها، قللت: اللهم اغفرْ لأمتي. وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلى الخلق كلُّهم، حتى إبراهيم عليه السلام.

وأخرج قاسم بن أصبغ^(٢) في مصنفه من حديث المقرئ عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فأقرءوا ولا حرج، ولكن لا تحتُموا ذكراً رحمةً بعذاب، ولا ذكراً عذاباً برحمة».

وأما ما رواه الحاكم في المستدرک عن سَمُرَةَ يرفعه: «أنزل القرآن على ثلاثة أحرف» فقال أبو عبيد: تواترت الأخبار بالسبعة إلا هذا الحديث.

قال أبو شامة: يحتمل أن يكون معناه: إن بعضه أنزل على ثلاثة أحرف، كحذره والهرب والصدق؛ فيقرأ كل واحد على ثلاثة أوجه في هذه القراءة المشهورة. أو أراد أنزل ابتداء على ثلاثة، ثم زيد إلى سبعة. ومعنى جميع ذلك أنه نزل منه ما يُقرأ على حرفين، وعلى ثلاثة، وأكثر، إلى سبعة أحرف، توسعة على العباد، باعتبار اختلاف اللغات والألفاظ المترادفة وما يقارب معناها.

وقال ابن العربي: لم يأت في معنى هذا السبع نص ولا أثر، واختلف الناس في تعيينها.

وقال الحافظ أبو حاتم بن حبان^(٣) البستي: اختلف الناس فيها على خمسة وثلاثين قولاً. وقد وقفت منها على كثير؛ فذهب بعضهم إلى أن المراد التوسعة على القارىء ولم يقصد به الحصر. والأكثر على أنه محصور في سبعة؛ ثم اختلفوا: هل هي باقية إلى الآن نقرؤها؟

(١) في صحيح مسلم (١: ٥٦٢): «فلك».

(٢) هو أبو محمد قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف بن ناصح البياضي الأندلسي، الحافظ؛ أحد أئمة الحديث بالأندلس. مات بقرطبة سنة ٣٠٤. (جذوة القتبس ٣١١ - ٣١٢)

(٣) هو أبو حاتم محمد بن حبان البستي صاحب الصحيح؛ توفي سنة ٣٥٤. (شذرات الذهب ٣: ١٦)

أم كان ذلك أولاً ؟ ثم استقر الحال بعده على قولين .

وقال القرطبي^(١) : إن القائلين بالثاني - وهو أن الأمر كان كذلك ، ثم استقرّ على ما هو الآن - هم أكثر العلماء ، منهم سُفيان بن عيينة ، وابن وهب ، والطّبري ، والطّحاوي . ثم اختلفوا : هل استقرّ في حياته صلى الله عليه وسلم ، أم بعد وفاته ؟ والأكثرون على الأول ، واختاره القاضي أبو بكر بن الطيب ، وابن عبد البر ، وابن العربي ، وغيرهم ؛ ورأوا أن ضرورة اختلاف لغات العرب ومشقة نطقهم بغير لغتهم اقتضت التوسعة عليهم في أول الأمر ، فأذن لكلّ منهم أن يقرأ على حرفه ، أي على طريقته في اللغة ؛ إلى أن انضبط الأمر في آخر العهد وتدرّبت الألسن ، وتمكّن الناس من الاختصار على الطريقة الواحدة ؛ فعارض جبريلُ النبيّ صلى الله عليه وسلم القرآن مرّتين في السّنة الآخرة ، واستقرّ على ما هو عليه الآن ، فنسخ الله سبحانه تلك القراءة المأذون فيها بما أوجبه من الاختصار على هذه القراءة التي تلقّاها الناس . ويشهد لهذا الحديثُ الآتي ، من مراعاة التخفيف على المجوز والشيخ الكبير ، ومن التصريح في بعضها ، بأنّ ذلك مثل هلم ، ونعال .

[القول في القراءات السبع]

والقائلون بأنها كانت سبعاً اختلفوا على أقوال :

أحدها : أنه من الشكل الذي لا يُدرى معناه ؛ لأن العرب تسمّى الكلمة المنظومة حرفاً ، وتسمى القصيدة بأسرها كلمة ، والحرف يقع على المقطوع من الحروف المعجمة ، والحرف أيضاً المعنى والجملة . قاله أبو جعفر محمد بن سعدان النحوي^(٢) .

(١) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الحزرجي ، صاحب كتاب الجامع لأحكام القرآن في التفسير . توفي سنة ٦٧١ . (الديباج للذهب ٣١٧) .

(٢) أحد القراء ؛ كان يقرأ بقراءة حمزة ؛ ثم اختار لنفسه قراءة نسبت إليه . توفي سنة ٢٣١ . (إنباه الرواة ٣ : ١٤٠) .

والثاني: - وهو أضعفها - أن المراد سبع قراءات؛ وحكى عن الخليل بن أحمد. والحرف
ها هنا القراءة، وقد بين الطبري في كتاب "البيان" ^(١) وغيره أن اختلاف القراء إنما هو
كله حرف واحد من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، وهو الحرف الذي كتب عثمان
عليه المصحف.

وحكى ابن عبد البر ^(٢) عن بعض المتأخرين من أهل العلم بالقرآن أنه قال: تدبرت
وجوه الاختلاف في القرآن فوجدتها سبعة:

منها ما يتغير حركته ولا يزول معناه ولا صورته، مثل: ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ ^(٣)
و ﴿أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ ^(٤) و ﴿يَضِيقُ صَدْرِي﴾ ^(٥) و ﴿يَضِيقَ صَدْرِي﴾ ^(٦).

ومنما ما يتغير معناه ويزول بالإعراب، ولا يتغير صورته كقوله: ﴿رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ
أَسْفَارِنَا﴾ ^(٧) و ﴿رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ ^(٨).

ومنما ما يتغير معناه بالحروف واختلافها ولا يتغير صورته، كقوله: ﴿كَيْفَ نُنَشِّرُهَا﴾ ^(٩)
و ﴿نُنَشِّرُهَا﴾.

(١) انظر تفسير الطبري ١: ٥٧ وما بعدها.

(٢) هو أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر بن عاصم النمرى القرطبي، صاحب كتاب الاستيعاب
وغيره. توفي سنة ٤٦٣. (شذرات الذهب ٣: ٣١٤).

(٣) سورة هود ٧٨. وقراءة عامة القراء بالرفع، وقرأ الحسن وعيسى بن عمر بالنصب على الحال،
(القرطبي ٩: ٧٦).

(٤) سورة الشعراء ١٣. قرأ يعقوب بنصب القاف عطفا على ﴿أَنْ يُكَذِّبُون﴾ قبلها، وقرأ
الباقى بالرفع على الاستئناف. (إتحاف فضلاء البشر ٣٣١).

(٥) سورة سبأ ١٩؛ والأولى قراءة يعقوب، والثانية قراءة الباقي (إتحاف فضلاء البشر ٣٥٩).

(٦) سورة البقرة ٢٥٩. قرأ ابن عامر وعاصم وحزرة والكسائي وخلف بالزاي، من الشز وهو
الارتفاع. والباقيون بالراء المهملة؛ من أنشتر الله الموتى؛ أحيام؛ ومنه: ﴿إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾.
وعن الحسن فتح النون وضم الشين، من «نشر» (إتحاف فضلاء البشر ١٦٢).

ومنها ما تتغير صورته ولا يتغير معناه: ﴿كَالْمِثْنِ الْمَفُوشِ﴾^(١) و«الصوف النفوش» .

ومنها ما تتغير صورته ومعناه، مثل: ﴿طَلَحَ مَنْضُودٌ﴾^(٢) و«طلع» .

ومنها بالتقديم والتأخير ك: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾^(٣) ، و«سكرة

الحق بالموت» .

ومنها الزيادة والنقصان، مثل: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾^(٤) وصلاة

العصر . وقراءة ابن مسعود: ﴿تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَفْجَةً﴾^(٥) أنثى . ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ

مُؤْمِنَيْنِ﴾^(٦) ، وكان كافراً . قال أبو عمرو: وهذا وجه حسن من وجوه معنى الحديث .

وقال بعض المتأخرين: هذا هو المختار . قال: والأئمة على أن مصحف عثمان أحد الحروف

السبعة ، والآخر مثل قراءة ابن مسعود وأبي الدرداء: ﴿وَالذِّكْرُ وَالْأُنْثَى﴾^(٧) كما ثبت في

الصحيحين ، ومثل قراءة ابن مسعود: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ

أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٨) . وقراءة عمر: ﴿فَامْضُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾^(٩) ؛ والكل حق ،

والمصحف المنقول بالتواتر مصحف عثمان ، ورسم الحروف واحد إلا ما تنوعت فيه المصاحف؛

وهو بضعة عشر حرفاً ، مثل «الله الغفور» و«إن الله هو الغفور» .

(١) سورة الفارعة ٥

(٢) سورة الواقعة ٢٩

(٣) سورة ق ١٩

(٤) سورة البقرة ٢٣٨

(٥) سورة ص ٢٣

(٦) سورة الكهف ٨٠

(٧) سورة الليل ٣ ، وقراءة الجمهور: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ وانظر تفسير القرطبي

٢٠ : ٨١ ، وأحكام القرآن لابن عربي ٢ : ٣٠٩

(٨) سورة المائدة ١١٨ ، وقراءة الجمهور: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

(٩) سورة الجمعة ٩ ؛ وهي قراءة عمرة وابن عباس ، وابن مسعود ، وقراءة الباقين ﴿فَاسْمَعُوا إِلَى

والثالث : سبعة أنواع ، كلُّ نوعٍ منها جزء من أجزاء القرآن بخلاف غيره من أنحائه ، فبعضها أمر ونهى ، ووعد ووعيد ، وقصص ، وحلال وحرام ، ومحكم ومتشابه ، وأمثال ، وغيره .

قال ابنُ عبد البر : وفي ذلك حديث رواه ابن مسعود مرفوعاً قال : « كان الكتابُ الأوَّلُ نزل من باب واحد على وجه واحد ، ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف : زاجر ، وآمر ، وحلال ، وحرام ، ومحكم ، ومتشابه ، وأمثال ، فأحلُّوا حلاله ، وحرَّموا حرامه ، واعتبروا بأمثاله ، وآمنوا بمتشابهه ^(١) ، وقولوا : ﴿ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ ^(٢) . قال : وهو حديثٌ عند أهل العلم لا يثبت ، وهو مجمع على ضعفه . وذكره القاضي أبو بكر بن الطيب وقال : هذا ^(٣) التفسير منه صلى الله عليه وسلم للأحرف السبعة ، ولكن ليست هذه التي أجازهم القراءة بها على اختلافها ، وإنما الحرف ^(٤) في هذه بمعنى الجمة والطريقة كقوله : ﴿ وَمَنْ النَّاسِ مِنْ يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ ﴾ ^(٥) . وقال ابن عبد البر : قد ردَّه قوم من أهل النظر ، منهم أحمد بن أبي عمران ، قال : من أوَّلِه بهذا فهو فاسد ، لأنه محال أن يكون الحرفُ منها حراماً لا ماسواً ^(٦) أو يكون حلالاً لا ماسواً ^(٧) ؛ لأنه لا يجوز أن يكون القرآن يُقرأ على أنه حلال كلُّه ، أو حرام كلُّه ، أو أمثال كلُّه . حكاه الطحاوي عنه أنه سمعه منه ، وقال : هو كما قاله .

وقال ابن عطية : هذا القول ضعيف ؛ لأن هذه لا تسمى أحرفاً ، وأيضاً فالإجماع على

(١) انظر مقدمة التفسير لابن عطية ٢٦٦ (٢) سورة آل عمران ٧

(٣) ابن عطية فيما نقل عن ابن الطيب « فهذا تفسير »

(٤) ابن عطية : « الحروف » (٥) سورة الحج ١١

(٦-٦) ساقط من م

أن التوسعة لم تقع في تحريم حلال ولا تحليل حرام ، ولا في تغيير شيء من المعاني المذكورة^(١) .

وقال الماوردي : هذا القول خطأ ، لأنه صلى الله عليه وسلم أشار إلى جواز القراءة بكل واحد من الحروف وإبدال حرف بحرف ، وقد أجمع المسلمون على تحريم إبدال آية أمثال بآية أحكام ..

وقال البيهقي في " المدخل " : وقد روي هذا عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : هذا مرسل جيد ، وأبو سلمة لم يدرك ابن مسعود ، ثم ساقه بإسقاط ابن مسعود ، ثم قال : فإن صح هذا فعني قوله : « سبعة أحرف » أي سبعة أوجه ، وليس المراد به ما ورد في الحديث الآخر من نزول القرآن على سبعة أحرف ؛ ولكن المراد به اللغات التي أبيحت القراءة عليها ، وهذا المراد به الأنواع التي نزل القرآن عليها .

والرابع : أن المراد سبع لغات لسبع قبائل من العرب ؛ وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه ؛ هذا ما لم يُسمع قط ، أي نزل على سبع لغات متفرقة في القرآن ، فبعضه نزل بلغة قريش ،^(٢) وبعضه بلغة هذيل ، وبعضه بلغة تميم ، وبعضه بلغة أزد وربيعة^(٣) ، وبعضه بلغة هوازن وسعد بن بكر ، وكذلك سائر اللغات ؛ ومعانيها في هذا كله واحدة . وإلى هذا ذهب أبو عبيد القاسم بن سلام وأحمد بن يحيى ثعلب ؛ وحكاه ابن دريد^(٤) عن أبي حاتم السجستاني^(٥) ، وحكاه بعضهم عن القاضي أبي بكر .

(١) مقدمة التفسير ٢٤١ (٢-٢) ساقط من م

(٣) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد : صاحب كتاب الجهرة في اللغة وناظم القصورة ؛ توفي ببغداد سنة ٣٢١ . (إنباه الرواة ٣ : ٩٢) .

(٤) هو أبو حاتم سهل بن محمد الجستاني ؛ صاحب البرد ؛ مات بالبصرة سنة ٢٥٥ . (إنباه الرواة ٢ : ٥٨) .

وقال الأزهرى^(١) في "التهذيب" : إنه المختار ، واحتج بقول عثمان حين أمرهم بكتب المصاحف : وما اختلفتم أنتم وزيد فاكتبوه بلغة قريش ؛ فإنه أكثر ما نزل بلسانهم .

وقال البيهقي في "شعب الإيمان" : إنه الصحيح ، أى أن المراد من السبع ، التي هي شائعة في القرآن . واحتج بقول ابن مسعود : سمعتُ القراء في جديتهم متقاربين ، اقرءوا كما علمتم ، وإياكم والتنطع ، فإنما هو كقول أحدهم : هلم ، وتعال ، وأقبل . قال : وكذلك قال ابن سيرين .^(٢) قال : لكن إنما تجوز قراءته على الحروف التي هي مثبتة في المصحف الذي هو الإمام بإجماع الصحابة ، وحملوها عنهم دون غيرها من الحروف ، وإن كانت جائزة في اللغة ؛ وكأنه يشير إلى أن ذلك كان عند إنزاله ، ثم استقر الأمر على ما أجمعوا عليه في الإمامة .

وأنكر ابن قتيبة وغيره هذا القول ، وقالوا : لم ينزل القرآن إلا بلغة قريش ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾^(٣) .

قال ابن قتيبة : ولا نعرف في القرآن حرفاً واحداً يقرأ على سبعة أوجه . وغلطه ابن الأنباري بحروف منها : ﴿ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴾^(٤) ، وقوله : ﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ ﴾^(٥) . وقوله : ﴿ بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾^(٦) وقوله : ﴿ بِعَذَابٍ بَشِيسٍ ﴾^(٧) وغير ذلك .

(١) هو أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهرى ، صاحب كتاب التهذيب في اللغة ، توفي سنة ٣٧٠ (العياب ١ : ٣٨)

(٢) هو أبو بكر محمد بن سيرين البصرى ، أحد فقهاء البصرة . توفي سنة ١١٠ . (ابن خلكان ١ : ٣٥٤)

(٣) سورة إبراهيم ٤

(٤) سورة المائدة ٦٠ ؛ وانظر إتحاف فضلاء البشر ٢٠١

(٥) سورة يوسف ١٢ ؛ وانظر إتحاف فضلاء البشر ٢٦٢

(٦) سورة سبأ ١٩ ؛ وانظر إتحاف فضلاء البشر ٣٥٩

(٧) سورة الأعراف ١٦٥ ؛ وانظر إتحاف فضلاء البشر ٢٣٢

وقال ابن عبد البر: قد أنكر أهل العلم أن يكون معنى سبعة أحرف سبع لغات؛ لأنه لو كان كذلك لم ينكر القوم بعضهم على بعض في أول الأمر؛ لأن ذلك من لغته التي طبع عليها. وأيضاً فإن عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم كلاهما قرشي، وقد اختلفت قراءتهما، ومحال أن يفكر عليه عمر لغته.

ثم اختلف القائلون بهذا في تعيين السبع فأكثرها. وقال بعضهم: أصل ذلك وقاعدته قریش، ثم بنو سعد بن بكر؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم استرضع فيهم، ونشأ وترعرع، وهو مخالط في اللسان كنانة، وهذيل، وثقيفا، وخزاعة، وأسد وضبة وألفافها،^(١) لقربهم من مكة وتكرارهم عليها، ثم من بعد هذه تميم وقيس، ومن انضاف إليهم وسكن جزيرة العرب.

قال قاسم بن ثابت^(٢): إن قلنا من الأحرف لقریش، ومنها لكنانة ولأسد وهذيل وتميم وضبة وألفافها، وقيس، لكان قداًتي على قبائل مضر في قراءات سبع تستوعب اللغات التي نزل بها القرآن. وهذه الجملة هي التي انتهت إليها الفصاحة، وسكنت لغاتها من الدخّل^(٣)، وبسرها الله لذلك؛ ليظهر أنه نبئ بعجزها عن معارضة ما أنزل عليه. ويثبت سلامتها أنها في وسط جزيرة العرب في الحجاز ونجد وتهامة، فلم تفرقها الأمم.

وقيل: هذه اللغات السبع كلها في مضر، واحتجوا بقول عثمان: نزل القرآن بلسان مضر. قالوا: وجاز أن يكون منها لقریش، ومنها لكنانة، ومنها لأسد، ومنها لهذيل، ومنها لضبة، ولطابخة، فهذه قبائل مضر تستوعب سبع لغات وتزيد.

قال أبو عمر بن عبد البر: وأنكر آخرون كون كل لغات مضر في القرآن؛ لأن

(١) ت: «وألفافها»

(٢) هو قاسم بن ثابت بن عبد العزيز الأندلسي؛ صاحب كتاب الدلائل في شروح غريب الحديث ومطايبه. (جنوة المتببس ٣١٢، وإنباء الرواة ١: ٣٦٢)

(٣) ت: «وأسد»

(٤) الدخّل هنا: الفساد الطاري على اللغة.

فيها شواذ لا يقرأ بها، مثل كَشَكْشَة قيس، وَعَنْعَنَة تميم: فكَشَكْشَة قيس يجعلون كاف الموث شينا، فيقولون في: ﴿جَعَلَ رَبُّكَ تَحَنُّكَ مَبْرِيًّا﴾^(١): «رَبُّشٍ تَحَنُّشٍ».؛ وعَنْعَنَة تميم ويقولون في «أن» «عن»، فيقروون ﴿فَعَسَى اللَّهُ «عَنْ» يَأْتِي بِالْفَتْحِ﴾^(٢). وبعضهم يُبَدِّلُ السين تاء، فيقول في «الناس»: «الناث». وهذه لغات يُرْغَبُ بالقرآن عنها. وما نقل عن عثمان معارض بما سبق أنه نزل بلغة قريش؛ وهذا أثبت عنه؛ لأنه من رواية ثقات أهل المدينة.

وقد يُشَكِّلُ هذا القول على بعض الناس فيقول: هل كان جبريل عليه السلام يلفظ باللفظ الواحد سبع مرات؟ فيقال له: إنما يلزم هذا إن قلنا: إن السبعة الأحرف تجتمع في حرف واحد، ونحن قلنا: كان جبريل يأتي في كل عَرَضَة بحرف إلى أن تمر سبعة. وقال الكلبي: خمسة منها لهوازن، وثنان لسائر الناس.

والخامس: المراد سبعة أوجه من المعاني المتفقة، بالألفاظ المختلفة، نحو أقبل، وهلم، وتعال، وعجل، وأسرع، وأنظر، وآخر، وأمهل ونحوه. وكاللغات التي في «أف» ونحو ذلك. قال ابن عبد البر: وعلى هذا القول أكثر أهل العلم؛ وأنكروا على من قال: إنها لغات؛ لأن العرب لا تركب^(٣) لغة بعضها بعضا، ومحال أن يقرئ النبي صلى الله عليه وسلم أحدا بغير لفته. وأسند عن أبي بن كعب أنه كان يقرأ: ﴿كَلِمًا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ﴾^(٤) «سَعَوْا فِيهِ»^(٥). قال: فهذا معنى السبعة الأحرف المذكورة في الأحاديث عند جمهور أهل الفقه والحديث؛ منهم سفيان بن عيينة، وابن وهب، ومحمد بن جرير الطبري، والطحاوي وغيرهم. وفي مصحف عثمان الذي بأيدي الناس منها حرف واحد.

(٢) سورة المائدة ٥٢

(٤) سورة البقرة ٢٠

(١) سورة مريم ٢٤

(٣) ت: «ترتكب»

(٥) في الإتيان ١: ٤٧ «مروا فيه سَعَوْا فيه»

وقال الزهري : إنما هذه الأحرف في الأمر الواحد ؛ وليست تختلف في حلال ولا حرام .

واحتج ابن عبد البر بحديث سلمان بن صرد عن أبي بن كعب قال : قرأ أبي آية ، وقرأ ابن مسعود آية خلافها ، وقرأ رجل آخر خلافهما ، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت : ألم تقرأ آية كذا؟ وقال ابن مسعود : ألم تقرأ آية كذا؟ فقال : « كلكم محسن مجمل » . وقال : « يا أبي ، إني اقرئت القرآن فقلت : على حرف أو حرفين ؟ فقال لي الملك : على حرفين ، فقلت : على حرفين أو ثلاثة ؟ فقال : على ثلاثة ؛ هكذا حتى بلغ سبعة أحرف ، ليس فيها إلا شاف كاف . قلت غفوراً رحيماً ، أو قلت سميعاً حكيماً ، أو قلت عليماً حكيماً ، أو قلت عزيزاً حكيماً ، أي ذلك قلت فإنه كذلك » .

قال أبو عمر : إنما أراد بهذا ضرب المثل للحروف التي نزل القرآن عليها أنها معانٍ متفق مفهومها ، مختلف مسموعها ، لا يكون في شيء منها معنى وضده ، ولا وجه يخالف معنى وجهٍ خلافاً ينفيه ويضاده ، كالرحمة التي هي خلاف العذاب وضده .

وكذلك حديث أبي بكرة قال : جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : اقرأ على حرف ، فقال ميكائيل : استزده ، فقال : على حرفين ، فقال ميكائيل : استزده ، حتى بلغ إلى سبعة أحرف ، فقال : اقرأه ، فكل شاف كاف ، إلا أن تخط آية رحمة بآية عذاب ، وآية عذاب بآية رحمة ، نحو هلم ، وتعال ، وأقبل ، وأذهب ، وأسرع ، وعجل .

وروى ذلك عن ابن مسعود وأبي بن كعب ، أنه كان يقرأ : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْظِرُونَا 》 ^(١) : « أمهلونا أخروننا ، ارقبونا » و﴿ كَلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ 》 ^(٢) « مروا فيه ، سعوا فيه » . قال أبو عمر : إلا أن مصحف عثمان الذي بأيدي الناس اليوم هو فيها حرف واحد ، وعلى هذا أهل العلم .

قال : وذكر ابن وهب^(١) في كتاب الترييب من " جامع " ، قال : قيل لمالك : أتري أن تقرأ مثل ماقرأ عمر بن الخطاب : ﴿ فامضوا إلى ذكر الله ﴾^(٢) ، قال : جائز ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنزل القرآن على سبعة أحرف فافقهوا ما تيسر منه » ، ومثل « تعلمون » ، و « تعلمون » ؟ قال مالك : لا أرى باختلافهم بأسا ، وقد كان الناس ولم مصاحف .

قال ابن وهب : سألت مالكا عن مصحف عثمان ؛ فقال لي : ذهب . وأخبرني مالك قال : أقرأ عبد الله بن مسعود رجلا : ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ . طَعَامُ الْيَتِيمِ ﴾^(٣) ، فجعل الرجل يقول : « طعام اليتيم » ، فقال : « طعام الفاجر » ، قلت لمالك : أتري أن يقرأ بذلك ؟ قال : نعم ، أرى أن ذلك واسعا .

قال أبو عمر : معناه عندي أن يُقرأ به في غير الصلاة ؛ وإنما لم تجز القراءة به في الصلاة ؛ لأنَّ ماعدا مصحف عثمان لا يقطع عليه ؛ وإنما يجري مجرى خبر^(٤) الآحاد ؛ لكنه لا يقدم أحد على القطع في رده .

وقال مالك رحمه الله فيمن قرأ في صلاة بقراءة ابن مسعود وغيره من الصحابة ؛ مما يخالف المصحف : لم يُصلِّ وراءه .

قال : وعلماء مكِّيَّون مجمعون على ذلك إلا شذوذا لا يرجح عليه منهم إلا عثمان . وهذا كله يدلُّ على أن السبعة الأحرف التي أشير إليها في الحديث ليس بأيدي الناس منها إلا حرف زيد بن ثابت الذي جمع عثمان عليه المصاحف .

* * *

(١) هو عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي ، صاحب الامام مالك ، توفي بمصر ١٩٧ (ابن خلكان ٢٤٩ : ١) .

(٢) سورة الجمعة ٩ وانظر ص ٢١٥ حاشية ٩ من هذا الجزء .

(٣) الدخان ٤٣ ، ٤٤ . وقوله الزختمري في الكشاف ٢ : ٣٦٢ - ٣٦٣ عن أبي الدرداء أنه كان يقرئ رجلا فكان يقول : « طعام اليتيم » فقال : قل : « طعام الفاجر » .

(٤) ت : « أخبار الآحاد » .

السادس : أن ذلك راجع إلى بعض الآيات ، مثل قوله : ﴿ أَفَ لَكُمْ ﴾^(١) ؛ فهذا على سبعة أوجه بالنصب والجر والرفع ؛ وكل وجه : التنوين وغيره . وسابقتها الجزم . ومثل قوله : ﴿ تَسَاقُطُ عَلَيْكَ ﴾^(٢) ؛ ونحوه ، ويحتمل في القرآن تسعة أوجه ، ولا يوجد ذلك في الآيات .

قال ابن عبد البر : وأجمعوا على أن القرآن لا يجوز في حروفه وكتابه وآياته كلها أن تُقرأ على سبعة أحرف ؛ ولا شيء منها ، ولا يمكن ذلك فيها ، بل لا يوجد في القرآن كلمة تحتل أن تُقرأ على سبعة أوجه إلا قليل ؛ مثل ﴿ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴾^(٣) و ﴿ تَشَابَهَ عَلَيْنَا ﴾^(٤) و ﴿ عَذَابٍ بَئِيسٍ ﴾^(٥) ونحوه ، وذلك ليس هذا .

وقال الشيخ شهاب الدين أبو شامة : وهذا المجموع في المصحف : هل هو جميع الأحرف السبعة التي أقيمت القراءة عليها ؟ أو حرف واحد منها ؟ مثل القاضى أبى بكر إلى أنه جميعها ، وصرح أبو جعفر الطبرى والأكثر من بعده بأنه حرف منها ، ومال الشيخ الشاطبى إلى قول القاضى فيما جمعه أبو بكر ، وإلى قول الطبرى فيما جمعه عثمان رضى الله عنه .

* * *

والسابع : اختاره القاضى أبو بكر ، وقال : الصحيح أن هذه الأحرف السبعة ظهرت واستفاضت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وضبطها عنه الأئمة ، وأثبتها عثمان والصحاب في المصحف ،

(٢) سورة مريم ٢٥

(١) سورة الأنبياء ٦٧

(٣) سورة المائدة ٦٠

(٤) سورة البقرة ٧٠

(٥) سورة الأعراف ١٦٥

وأخبروا بصحتها ؛ وإنما حذفوا منها ما لم يثبت متواترا ، وأن هذه الأحرف تختلف معانيها تارة ، وألفاظها أخرى ، وليست متضادة ولا منافية .

والثامن : قول الطحاوى ، أن ذلك كان فى وقت خاص لضرورة دعت إليه ؛ لأن كل ذى لفة كان يشق عليه أن يتحول عن لفته ، ثم لما كثر الناس والكتاب ارتفعت تلك الضرورة ، فارتفع حكم الأحرف السبعة ، وعاد ما يقرأ به إلى حرف واحد .

والتاسع : أن المراد علم القرآن بشتمل على سبعة أشياء : علم الإثبات والإيجاد ، كقوله تعالى : ﴿ إِنِّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ^(١) .

وعلم التوحيد ، كقوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ^(٢) . ﴿ وَاللَّهُ كُفُّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ ^(٣) .

وعلم التنزيه ، كقوله : ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ ﴾ ^(٤) . ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ ^(٥) .

وعلم صفات الذات ، كقوله : ﴿ وَاللَّهُ الْعِزَّةُ ﴾ ^(٦) . ﴿ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ ﴾ ^(٧) .
وعلم صفات الفعل ، كقوله : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ ﴾ ^(٨) . ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ ^(٩) . ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ ^(١٠) ، ﴿ لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا ﴾ ^(١١) .

(٢) سورة أنعام ١

(٤) سورة النحل ١٧

(٦) سورة المنافقون ٨

(٨) سورة النساء ٣٦

(١٠) سورة البقرة ٤٣

(١) سورة آل عمران ١٩٠

(٣) سورة البقرة ١٦٣

(٥) سورة الشورى ١١

(٧) سورة الجمعة ١

(٩) سورة النساء ١

(١١) آل عمران ١٣٠

وعلم الغفو والعذاب، كقوله: ﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾^(١). ﴿تَبَيَّنَ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾^(٢).
وعلم الحشر والحساب؛ كقوله: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾^(٣). ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾^(٤).
وعلم النبوات. كقوله: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾^(٥). ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ﴾^(٦).
والإمامات كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٧). ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾^(٨). ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾^(٩).

والعاشر أن المراد به سبعة أشياء: المطلق والمقيد، والعام والخاص، والنص والمؤول، والناسخ، والمنسوخ، والجمل والمفسر، والاستثناء وأقسامه، حكاه أبو المعالي بسند له عن أئمة الفقهاء.

والحادى عشر، حكاه عن أهل اللغة، أن المراد الحذف والصله، والتقديم والتأخير، والقلب والاستعارة، والتكرار، والكناية والحقيقة والجاز، والجمل والمفسر، والظاهر، والغريب.

والثاني عشر، وحكاه عن النحاة، أنها التذكير والتأنيث، والشرط والجزاء، والتصريف

(١) آل عمران ١٣٥

(٢) سورة المجير ٤٩ ، ٥٠

(٤) سورة الإسراء ١٤

(٦) سورة إبراهيم ٤

(٨) سورة النساء ١١٥

(٣) سورة غافر ٥٩

(٥) سورة الفصاء ١٦٥

(٧) سورة النساء ٥٩

(٩) سورة آل عمران ١١٠

والإعراب ، والأقسام وجوابها ، والجمع والتفريق ، والتصغير والتعظيم ، واختلاف الأدوات مما يختلف فيها بمعنى ، ومالا يختلف في الأداء واللفظ جميعا .

والثالث عشر ، حكاه عن القراء أنها من طريق التلاوة وكيفية النطق بها : من إظهار ، وإدغام ، وتفخيم ، وترقيق ، وإمالة وإشباع ، ومدّ وقصر ، وتخفيف وتلين ، وتشديد .

والرابع عشر ، وحكاه عن الصوفية أنه يشمل على سبعة أنواع من المبادلات ، والمعاملات ، وهى الزهد والقناعة مع اليقين ، والحزم والخدعة مع الحياء ، والكرم والفتوة مع الفقر ، والمجاهدة والمراقبة مع الخوف ، والرجاء والتضرع والاستغفار مع الرضا ، والشكر والصبر مع المحاسبة والمحبة ، والشوق مع المشاهدة .

وقال ابن حبان : قيل أقرب الأقوال إلى الصحة أن المراد به سبع لغات ، والسر في إنزاله على سبع لغات تسهيله على الناس لقوله : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ ﴾ ^(١) ، فلو كان تعالى أنزله على حرف واحد لانعكس المقصود . قال : وهذه السبعة التى تتداولها اليوم غير تلك ، بل هذه حروف من تلك الأحرف السبعة كانت مشهورة ؛ وذكر حديث عمر مع هشام بن حكيم ؛ لكن لما خافت الصحابة من اختلاف القرآن رأوا جمعه على حرف واحد من تلك الحروف السبعة ؛ ولم يثبت من وجه صحيح تعيين كل حرف من هذه الأحرف ؛ ولم يكلفنا الله ذلك ؛ غير أن هذه القراءة الآن غير خارجة عن الأحرف السبعة . وقال بعض المتأخرين : الأشبهُ بظواهر الأحاديث أن المراد بهذه الأحرف اللغات ؛ وهو أن يقرأ كل قوم من العرب بلغتهم وما جرت عليه عادتهم ؛ من الإظهار والإدغام

والإمالة والتفخيم والإشمام والهمز والتلين والمد ، وغير ذلك من وجوه اللغات إلى سبعة أوجه منها في الكلمة الواحدة ؛ فإن الحرف هو الطرف والوجه ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ ﴾ ^(١) ، أى على وجه واحد ؛ وهو أن يعبد في السراء دون الضراء ؛ وهذه الوجوه هي القراءات السبع التي قرأها القراء السبعة ؛ فإنها كلها صحت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي جمع عليه عثمان المصحف ، وهذه القراءات السبع اختيارات أولئك القراء ؛ فإن كل واحد اختار فيما روى وعلم وجهه من القراءة ما هو الأحسن عنده والأولى ، ولزم طريقة منها ورواها وقرأ بها ، واشتهرت عنه ونُسبت إليه ؛ فقل : حرف نافع ، وحرف ابن كثير . ولم يمنع واحد منهم حرف الآخر ولا أنكره ، بل سوغه وحسنه ؛ وكل واحد من هؤلاء السبعة روى عنه اختاران وأكثر ؛ وكل صحيح .

وقد أجمع المسلمون في هذه الأعصار على الاعتماد على ما صح عنهم ، وكان الإنزال على الأحرف السبعة توسعة من الله ورحمة على الأمة ؛ إذا لو كلف كل فريق منهم ترك لغته والعدول عن عادة نشئوا عليها ؛ من الإمالة ، والهمز والتلين ، والمد ، وغيره لفق عليهم . ويشهد لذلك ما رواه الترمذي عن أبي بن كعب أنه لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل قال : « يا جبريل ، إني يُعِثُّ إلى أمة أمين ؛ منهم العجوز ، والشيخ الكبير ، والغلام ، والجارية ، والرجل الذي لم يقرأ كتاباً قط ؛ قال : يا محمد ، إن القرآن أنزل على سبعة أحرف » . وقال : حسن صحيح .

النوع الثاني عشر في كيفية إنزاله

قال تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ ^(١) ، وقال سبحانه : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ ^(٢) .

واختلف في كيفية الإنزال على ثلاثة أقوال :

أحدها أنه نزل إلى سماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة ، ثم نزل بعد ذلك منجما في عشرين سنة أو في ثلاث وعشرين ، أو خمس وعشرين ، على حسب الاختلاف في مدة إقامته بمكة بعد النبوة .

والقول الثاني : أنه نزل إلى سماء الدنيا في عشرين ليلة قدر من عشرين سنة ، وقيل : في ثلاث وعشرين ليلة قدر من ثلاث وعشرين سنة . وقيل : في خمس وعشرين ليلة قدر من خمس وعشرين سنة ، في كل ليلة ما يقدر الله سبحانه إنزاله في كل السنة ، ثم ينزل بعد ذلك منجما في جميع السنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والقول الثالث : أنه ابتدئ إنزاله في ليلة القدر ، ثم نزل بعد ذلك منجما في أوقات مختلفة من سائر الأوقات .

والقول الأول أشهر وأصح ، وإليه ذهب الأكثرون ؛ ويؤيد ما رواه الحاكم في مستدركه عن ابن عباس قال : أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا في ليلة القدر ، ثم نزل بعد ذلك في عشرين سنة . قال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين .

وأخرج النَّسَائِيّ في التفسير من جهة حَسَّان عن سَعِيد بن جُبَيْر عن أَبِي عَبَّاس قَالَ :
فُصِّلَ الْقُرْآنُ مِنَ الذِّكْرِ فَوُضِعَ فِي بَيْتِ الْعِزَّةِ مِنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فَجَعَلَ جَبْرِيلُ يَنْزِلُ بِهِ عَلَى
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، وَحَسَّانُ هُوَ ابْنُ أَبِي الْأَشْرَسِ ، وَثَقَّهُ النَّسَائِيُّ وَغَيْرُهُ .
وَبِالْثَّانِي قَالَ مِقَاتِلُ وَالْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَلِيمِيُّ ^(١) فِي " الْمَنَهَاجِ " وَالْمَاورِدِيُّ فِي " تَفْسِيرِهِ " .
وَبِالْثَّلَاثِ قَالَ الشَّعْبِيُّ وَغَيْرُهُ .

وَاعْلَمْ أَنَّهُ اتَّفَقَ أَهْلُ السَّنَةِ عَلَى أَنَّ كَلَامَ اللَّهِ مَنْزَلٌ ، وَاخْتَلَفُوا فِي مَعْنَى الْإِنْزَالِ ،
فَقِيلَ : مَعْنَاهُ إِظْهَارُ الْقُرْآنِ ، وَقِيلَ : إِنَّ اللَّهَ أَفْهَمَ كَلَامَهُ جَبْرِيلَ وَهُوَ فِي السَّمَاءِ ، وَهُوَ عَالِمٌ
بِمَكَانِ وَعِلْمِهِ قِرَاءَتِهِ ، ثُمَّ جَبْرِيلُ أَذَاهُ فِي الْأَرْضِ وَهُوَ يَهْبِطُ فِي الْمَكَانِ .

وَالْتَنْزِيلُ لَهُ طَرِيقَانِ : أَحَدُهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انْخَلَعَ مِنْ صُورَةِ
الْبَشَرِيَّةِ إِلَى صُورَةِ الْمَلَائِكَةِ ^(٢) وَأَخَذَهُ مِنْ جَبْرِيلَ . وَالثَّانِي أَنَّ الْمَلَكَ انْخَلَعَ إِلَى الْبَشَرِيَّةِ
حَتَّى يَأْخُذَ الرَّسُولَ مِنْهُ ؛ وَالْأَوَّلُ أَصْعَبُ الْحَالَيْنِ .

وَقِيلَ بَعْضُهُمْ عَنْ السَّمَرَقَنْدِيِّ حِكَايَةَ ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ فِي الْمَنْزِلِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا هُوَ :

أَحَدُهَا : أَنَّهُ اللَّفْظُ وَالْمَعْنَى ، وَأَنَّ جَبْرِيلَ حَفِظَ الْقُرْآنَ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ وَنَزَلَ بِهِ .
وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّ أَحْرُفَ الْقُرْآنِ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ ؛ كُلُّ حَرْفٍ مِنْهَا بِقَدْرِ جِبِلِّ قَافٍ ، وَأَنَّ
تَحْتَ كُلِّ حَرْفٍ مَعَانٍ لَا يَحِيطُ بِهَا إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ الْغَزَالِيِّ : إِنْ هَذِهِ
الْأَحْرُفُ سِتْرَةٌ لِمَعَانِيهِ .

(١) هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ حُسَيْنُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْحَلِيمِيُّ الْجَرَجَانِيُّ التُّوفِيُّ سَنَةَ ٤٠٣ هـ ؛ وَكَتَابَهُ الْمَنَهَاجُ فِيهِ أَحْكَامُ
كَثِيرَةٌ ؛ وَمَسَائِلُ فِقْهِيَّةٌ مِمَّا يَتَلَقَّى بِأَسْوَاقِ الْإِيمَانِ ، رَبَّهِ عَلَى سَبْعَةِ وَسَبْعِينَ أَبَا عَلَى أَنَّ لِلْإِيمَانِ بَضْعًا وَسَبْعِينَ
شِمْعَةً . (كَشَفُ الظُّنُونِ ١٨٧١) .

(٢) ط ، م : « الْمَلَائِكَةُ » .

والثاني أنه إنما نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم بالمعاني خاصة ، وأنه صلى الله عليه وسلم علم تلك المعاني وعبر عنها بلغة العرب ؛ وإنما تمتسكوا^(١) بقوله تعالى : ﴿ نَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ ﴾^(٢) .

والثالث أن جبريل صلى الله عليه وسلم إنما أتى عليه المعنى ، وأنه^(٣) عبر بهذه الألفاظ بلغة العرب ، وأن أهل السماء يقرءونه بالعربية ، ثم إنه أنزل به كذلك بعد ذلك .

فإن قيل : ما السرُّ في إنزاله جملة إلى السماء ؟ قيل : فيه تفخيم لأمره ، وأمر من نزل عليه ؛ وذلك بإعلان^(٤) سكان السموات السبع أن هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم ؛ واتقد صرفناه إليهم ليُنزله عليهم . ولولا أن الحكمة الإلهية اقتضت نزوله منجماً بسبب الوقائع لأهبطه إلى الأرض جملة .

فإن قيل : في أي زمان نزل جملة إلى سماء الدنيا ؛ بعد ظهور نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أم قبلها ؟ قلت : قال الشيخ أبو شامة : الظاهر أنه قبلها ، وكلاهما محتمل ؛ فإن كان بعدها فوجه التفخيم منه ما ذكرناه ، وإن كان قبلها ففائدته أظهر وأكثر .

فإن قلت : فقوله : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾^(٥) ، من جملة القرآن الذي نزل جملة أم لا ؟ فإن لم يكن منه فما نزل جملة ؟ وإن كان منه فما وجه صحة هذه العبارة ؟ قلت : ذكر فيه وجهين : أحدهما أن يكون معنى الكلام : ما حكمنا بإنزاله في القدر وقضائه وقدّرناه في الأزل ونحو ذلك . والثاني أن لفظه لفظ الماضي ومعناه الاستقبال ؛ أي ينزل جملة في ليلة مباركة هي ليلة القدر ، واختير لفظ الماضي ؛ إما لتحقيقه وكونه لا بد منه ؛ وإما لأنه حال اتصاله بالمنزل عليه يكون المضى في معناه محققاً ؛ لأن نزوله منجماً كان بعد نزوله جملة .

(١) الإتيان ١ : ٤٣ : « وتمسك قائل هذا بظاهر قوله تعالى :

(٢) سورة الشعراء ١٩٣ . (٣) ط ، م : « وإنما »

(٤) ط : « بإعلام »

(٥) سورة القدر ١ .

فإن قلت : ما السرُّ في نزوله إلى الأرض منجماً ؟ وهلاً نزل جملة كسائر الكتب ؟ قلت : هذا سؤال قد تولى الله سبحانه جوابه ؛ فقال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ﴾ ^(١) ، يعنون : كما أنزلَ على مَنْ قبله من الرسل . فأجابهم الله بقوله : ﴿ كَذَلِكَ ﴾ ، أى أنزلناه كذلك مفرقاً لنثبت به فؤادك ﴿ ، أى لنقوى به قلبك ؛ فإن الوحي إذا كان يتجدد في كل حادثة كان أقوى للقلب ، وأشدَّ عناية بالمرسل إليه ؛ ويستلزم ذلك لثرة نزول الملك إليه ، وتجديد العهد به وبما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجانب العزيز ، فحدث له من السرور ما تقصر عنه العبارة ؛ ولهذا كان أجود ما يكون في رمضان لكثرة نزول جبريل عليه السلام .

وقيل : معنى ﴿ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ لنحفظه ، فإنه عليه السلام كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ؛ ففرق عليه ليسر ^(٢) عليه حفظه ؛ بخلاف غيره من الأنبياء ؛ فإنه كان كاتباً قارئاً فيمكنه حفظ الجميع إذا نزل جملة .

فإن قلت : كان في القدرة إذا نزل جملة أن يحفظه النبي صلى الله عليه وسلم دفعة . قلت : ليس كل ممكن لازم الوقوع ؛ وأيضاً في القرآن أجوبة عن أسئلة ؛ فهو سبب من أسباب تفرق النزول ؛ ولأن بعضه منسوخ وبعضه ناسخ ، ولا يتأتى ذلك إلا فيما أنزل مفرقاً . وقال ابن فورك ^(٣) : قيل أنزلت التوراة جملة ، لأنها نزلت على نبي يقرأ ويكتب وهو موسى - وأنزل القرآن مفرقاً لأنه أنزل غير مكتوب على نبي أمي . وقيل مما لم ينزل لأجله جملة واحدة أن منه الناسخ والمنسوخ ، ومنه ما هو جواب لمن يسأل عن أمور ، ومنه ما هو إنكار لما كان . انتهى .

(٢) ط ، م : « لثبت عليه » .

(١) سورة الفرقان ٣٢ .

(٣) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأديب المتكلم الأصولي ؛ روى أنه بلغت تصانيفه في أصول الدين وأصول الفقه ومغاني القرآن قرناً من المائة . توفي سنة ٤٠٦ . وفورك بالفاء المضمومة والواو الساكنة والراء المفتوحة والكاف . (إنباه الرواة ٣ : ١١٠ ، تبين كذب المفترى ٢٣٢ ، التاج - فورك) .

وكان بين أول نزول القرآن وآخره عشرون أو ثلاث وعشرون أو خمس وعشرون سنة؛ وهو مبني على الخلاف في مدة إقامته صلى الله عليه وسلم بمكة بعد النبوة ؛ ف قيل عشر ، وقيل ثلاث عشرة، وقيل خمس عشرة . ولم يختلف في مدة إقامته بالمدينة أنها عشر . وكان كلما أنزل عليه شيء من القرآن أمر بكتابته ويقول : في مفترقات الآيات . « ضعوا هذه في سورة كذا » ، وكان يعرضه جبريل في شهر رمضان كل عام مرة ، وعام مات مرتين .

وفي صحيح البخاري : قال مسروق عن عائشة عن فاطمة رضى الله عنهما : أمر النبي صلى الله عليه وسلم إلى « أن جبريل كان يعارضني بالقرآن كل سنة ، وأنه عارضني العام مرتين ، ولا أراه إلا حضوراً أجلى » .

وأسنده البخاري في مواضع . وقد كرر النبي صلى الله عليه وسلم الاعتكاف فاعتكف عشرين بعد أن كان يعتكف عشراً .

النوع الثالث عشر

في بيان جمعه ومن حفظه من الصحابة رضي الله عنهم

[جمع القرآن على عهد أبي بكر]

روى البخارى في صحيحه^(١) : عن زيد بن ثابت قال : أرسل إلى أبو بكر مقتل أهل اليمامة^(٢) ، فإذا عمر [بن الخطاب]^(٣) عنده ، فقال أبو بكر : إن عمر أتاني فقال : إن القتل قد استحرّ يوم اليمامة بقراء القرآن ؛ وإني أخشى أن يستحرّ القتل بالمواطن^(٤) ، فيذهب كثير من القرآن ؛ وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن . قلت لعمر : كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال عمر : والله إن هذا خير^(٥) . فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدرى لذلك ؛ وقد رأيت^(٦) في ذلك الذي رأى عمر . قال زيد : وقال أبو بكر : إنك رجل شاب عاقل لا أنهك^(٧) ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتتبع القرآن واجمه . قال زيد : فوالله لو كلفني^(٨) نقل جبل من الجبال ما كان بأثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن ، قلت : كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : هو والله خير ، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدرى للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر ، فتتبع القرآن أجمعه من العُسب^(٩) واللَّخاف^(١٠) وصدور

(١) في كتاب فضائل القرآن .

(٢) فيها استشهد من الصحابة نحو أربعمائة وخمسين ، وجملة القتلى من المسلمين نحو ألف ؛ وانظر تاريخ الطبرى حوادث سنتي ١١ ، ١٢ .

(٣) من صحيح البخارى .

(٤) في الصحيح : « بالقراء في المواطن » .

(٥) في الصحيح : « هذا والله خير » . (٦) في الصحيح : « ورأيت » .

(٧) في الصحيح : « لا تنهك » .

(٨) في الصحيح : « لو كلفوني » . (٩) الصبب : جريد النخل إذا نحى عنه خوصه .

(١٠) اللخاف : حجارة بيض عريضة رقائق ، واحدها لخرة .

الرجال ، حتى وجدت آخر التوبة ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ﴾^(١) مع أبي خزيمة الأنصارى الذى جعل
النبي صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين ، لم أجدها مع أحد غيره فالحقها في سورتها ،
فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حتى قبض ، ثم عند حفصة
بنت عمر .

وفي رواية قال ابن شهاب^(٢) : وأخبرني خارجة بن زيد سمع زيد بن ثابت يقول :
قَدَّتْ آيَةٌ مِنَ الْأَحْزَابِ حِينَ نَسَخْنَا الْمَصْحَفَ ؛ قد كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقرأ بها ، لم أجدها مع أحد إلا مع خزيمة الأنصارى ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا
مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾^(٣) فالحقناها في سورتها . وخزيمة الأنصارى شهادته بشهادتين .
وقول زيد : « لم أجدها إلا مع خزيمة » ليس فيه إثبات القرآن بنحو الواحد ؛ لأن
زيدا كان قد سمعها وعلم موضعها في سورة الأحزاب بتعليم النبي صلى الله عليه وسلم ،
وكذلك غيره من الصحابة ثم نسيها ، فلما سمع ذكره . وتبَّعُهُ للرجال كان للاستظهار ،
لا لاستحداث العلم . وسيأتى أن الذين كانوا يحفظون القرآن من الصحابة على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم أربعة ؛ والمراد: أن هؤلاء كانوا اشتهروا به ، فقد ثبت أن غيرهم حفظه ،
وثبت أن القرآن مجموعه محفوظ كله في صدور الرجال أيام حياة النبي صلى الله عليه وسلم ،
مؤلفا على هذا التأليف ، إلا سورة براءة .

قال ، ابن عباس : قلت لعثمان : ما حملكم أن عمدتم إلى الأنفال وهى من المثاني ، وإلى
براءة وهى من المثني ؛ فقرنتم بينهما ، ولم تكتبوا بينهما سطر ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ؟
قال عثمان : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يأتى عليه الزمان وتنزل عليه السور ،
وكان إذا نزل عليه شيء دعا بعض من كان يكتبه فقال : ضَعُوا هَذِهِ الْآيَاتِ فِي السُّورَةِ

(١) سورة التوبة ١٢٨ .

(٢) صحيح البخارى ، كتاب فضائل القرآن (٣) سورة الأحزاب ٢٣ .

التي يذكر فيها كذا وكذا، وكانت « الأقال » من أوائل ما نزل من المدينة، وكانت « براءة » من آخر القرآن؛ وكانت قصتها شبيهة بقصتها فقيض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أنها منها؛ فمن أجل ذلك قرنت بينهما، ولم أكتب بينهما سطر ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾، ثم كتبت. ثبت أن القرآن كان على هذا التأليف والجمع في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما ترك جمعه في مصحف واحد؛ لأن النسخ كان يرد على بعض^(١)، فلو جمعه ثم رفعت تلاوة بعض^(٢) لأدى إلى الاختلاف واختلاط الدين، فحفظه الله في القلوب إلى انقضاء زمان النسخ، ثم وفق لجمعه الخلفاء الراشدين.

[نسخ القرآن في المصاحف]

واعلم أنه قد اشتهر أن عثمان هو أول من جمع المصاحف؛ وليس كذلك لما بيناه، بل أول من جمعها في مصحف واحد الصديق، ثم أمر عثمان حين خاف الاختلاف في القراءة بتحويله منها إلى المصاحف: هكذا نقله البيهقي.

قال: وقد روينا عن زيد بن ثابت أن التأليف كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وروينا عنه أن الجمع في المصحف كان في زمن أبي بكر والنسخ في المصاحف في زمن عثمان، وكان ما يجمعون وينسخون معلوما لهم، بما كان مثبتاً في صدور الرجال، وذلك كله بمشورة من حضره من الصحابة وارتضاء على بن أبي طالب، وحيد أثره فيه.

وذكر غيره أن الذي استبد به عثمان جمع الناس على قراءة محصورة، والمنع من غير ذلك، قال القاضي أبو بكر في « الانتصار »: لم يقصد عثمان قصد أبي بكر في جمع نفس القرآن بين لَوْحَيْنِ؛ وإنما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبي صلى الله عليه وسلم وإلغاء ما ليس كذلك، وأخذهم بمصحف لا تقديم فيه ولا تأخير، ولا تأويل أثبت

(١) ت، ط « عليه » .

(٢) ت، ط: « بعضه » .

مع تنزيل ، ومنسوخ تلاوته كُتِبَ مع مثبت رسمه ومفروض قراءته وحفظه ، خشية دخول الفساد والشبهة على من يأتي بعد . انتهى .

وقد روى البخارى في صحيحه^(١) عن أنس أن حذيفة بن اليمان قدِمَ على عثمان ، وكان يغازي أهل الشام في فتح إزمينية وأذربيجان مع أهل العراق ، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة وقال [حذيفة^(٢)] لعثمان : أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا [في الكتاب^(٣)] اختلاف اليهود والنصارى . فأرسل عثمان إلى حفصة : أن أرسلى إلينا الصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك ؛ فأرسلت بها إليه ، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وشعبد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف . وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ؛ فإنما نزل بلسانهم . ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة ، وأرسل في كل أفق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق .

وفي هذه إثبات ظاهر أن الصحابة جمعوا بين الدفتين القرآن المنزل من غير زيادة ولا نقص . والذي حملهم على جمعه ما جاء في الحديث أنه كان مفرقا في العُسْب وَاللَّخَافِ وَصُدُورِ الرِّجَالِ ، فحافوا ذهاب بعضه بذهاب حفظته ، فجمعوه وكتبوه كما سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم ، من غير أن قدموا شيئا أو آخروا . وهذا الترتيب كان منه صلى الله عليه وسلم بتوقيفٍ لهم على ذلك ؛ وأن هذه الآية عقب تلك الآية ؛ فثبت أن سعى الصحابة في جمعه في موضع واحد ، لا في ترتيب ؛ فإن القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب الذي هو في مصاحفنا الآن ، أنزله الله جملة واحدة إلى سماء الدنيا ،

(١) في كتاب فضائل القرآن .

(٢) من صحيح البخارى .

كما قال الله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾^(١) وقال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾^(٢) ، ثم كان ينزل مفرقاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم مدة حياته عند الحاجة ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَقَرَأْنَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴾^(٣) فترتيب النزول غير ترتيب التلاوة ؛ وكان هذا الاتفاق من الصحابة سبباً لبقاء القرآن في الأمة ، ورحمة من الله على عباده ، وتسهيلاً وتحقيقاً لوعده بحفظه ؛ كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾^(٤) وزال بذلك الاختلاف ، وانفتحت الكلمة .

قال أبو عبد الرحمن السلمي : كانت قراءة أبي بكر وعمر وعثمان وزيد بن ثابت وللمهاجرين والأنصار واحدة ، كانوا يقرءون القراءة العامة ، وهي القراءة التي قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبريل مرتين في العام الذي قبض ، فيه ، وكان زيد قد شهد العرصة الأخيرة ، وكان يقرئ الناس بها حتى مات ، ولذلك اعتمد الصديق في جمعه ، وولاه عثمان كتابة المصحف .

وقال أبو الحسين بن فارس في "المسائل الخمس" : جمع القرآن على ضربين : أحدهما تأليف السور ، كتقديم السبع الطوال وتعقيبها بالثنتين ؛ فهذا الضرب هو الذي تولته الصحابة ، وأما الجمع الآخر - وهو جمع الآيات في السور - فهو توقيفي تولاه النبي صلى الله عليه وسلم . وقال الحاكم في المستدرک : وقد روى حديث عبد الرحمن بن شماس عن زيد بن ثابت قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع ... الحديث ، قال : وفيه البيان الواضح أن جمع القرآن لم يكن مرة واحدة ، فقد جمع بعضه بحضرة النبي

(٢) سورة القدر ١

(٤) سورة الحجر ٩

(١) سورة البقرة ١٨٥

(٣) سورة الإسراء ١٠٦

صلى الله عليه وسلم ، ثم جمع بحضرة الصديق ؛ والجمع الثالث وهو ترتيب السور كان في خلافة عثمان .

وقال الإمام أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبى ^(١) في كتاب "فهم السنن" :
كتابة القرآن ليست محدثة فإنه صلى الله عليه وسلم كان يأمر بكتابه ، ولكنه كان مفرقا في الرقاع والأكتاف والعُصب ؛ وإنما أمر الصديقُ بنسخها من مكان إلى مكان ، وكان ذلك بمنزلة أوراق وجدت في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيها القرآن منتشر ، فجعلها جامع ، وربطها بخيط حتى لا يضيع منها شيء .

فإن قيل : كيف وقعت الثقة بأصحاب الرقاع وصدور الرجال ؟ قيل : لأنهم كانوا يُبدون عن تأليف مُعجز ونظم معروف ، وقد شاهدوا تلاوته من النبي صلى الله عليه وسلم عشرين سنة ، فكان تزويد ما ليس منه مأمونا ؛ وإنما كان الخوف من ذهاب شيء من صحيحه .

فإن قيل : كيف لم يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ؟ قيل : لأن الله تعالى كان قد أتمنه من النسيان بقوله : ﴿ سَنَقِرُ لَكَ نَسِيًّا . إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ ^(٢) أن يرفع حكمه بالنسخ ، فحين وقع الخوف من نسيان الخلق حدث ما لم يكن ، فأحدث بضبطه ما لم يُحتج إليه قبل ذلك .

وفي قول زيد بن ثابت : « فجعلته من الرقاع والأكتاف وصدور الرجال » ما أؤهم بعض الناس أن أحدا لم يجمع القرآن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وأن من قال : إنه جمع القرآن أبي بن كعب وزيد ليس بمحفوظ . وليس الأمر على ما أؤهم ؛ وإنما طُلب القرآن متفرقا ليعارض بالجمع عند من بقي ممن جمع القرآن ليشارك الجميع في علم ما جمع

(١) أحد رجال الصوفية ؛ ذكره ابن الجوزى في كتاب صفوة الصفوة (٢ : ٢٠٧) ؛ وقال : إنه

توفي سنة ٢٤٣ .

(٢) سورة الأعلى ٦ ، ٧ .

فلا يغيب عن جمع القرآن أحدٌ عنده منه شيء ، ولا يرتاب أحدٌ فيما يودع المصحف ، ولا يشكوفى أنه يُجمع عن ملأٍ منهم .

فأما قوله : « وجدت آخر براءة مع خزيمة بن ثابت ، ولم أجدها مع غيره » ؛ يعنى ممن كانوا فى طبقة خزيمة ممن لم يجمع القرآن .

وأما أبى بن كعب وعبد الله بن مسعود ومُعَاذ بن جبل ؛ فبغير شكّ جمعوا القرآن ، والدلائلُ عليه ^(١) متظاهرة ، قال : ولهذا المعنى لم يجمعوا السنن فى كتاب ، إذ لم يمكن ضبطها كما ضبط القرآن . قال : ومن الدليل على ذلك أن تلك المصاحف التى كتب منها القرآن كانت عند الصديق لتكون إماماً ولم تُفارق الصديق فى حياته ، ولا عمر أيامه . ثم كانت عند حفصة لانتكّن منها ، ولما احتيج إلى جمع الناس على قراءة واحدة ، وقع الاختيار عليها فى أيام عثمان ؛ فأخذ ذلك الإمام ، ونسخ فى المصاحف التى بعث بها إلى الكوفة ، وكان الناس متروكين على قراءة ما يحفظون ^(٢) من قراءتهم المختلفة ، حتى خيف الفساد فجمعوا على القراءة التى نحن عليها . قال : والمشهور عند الناس أن جامع القرآن عثمان رضى الله عنه ، وليس كذلك ؛ إنما حمل عثمان الناس على القراءة بوجه واحد على اختيارٍ وقع بينه وبين من شهدته من المهاجرين والأنصار لما خشي الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشام فى حروف القراءات والقرآن . وأما قبل ذلك فقد كانت المصاحف بوجوه من القراءات المطلقات على الحروف السبعة التى أنزل بها القرآن ؛ فأما السابق إلى جمع الجملة فهو الصديق ؛ روى عن على أنه قال : رحم الله أبا بكر ! هو أول من جمع بين اللوحين ، ولم يحتاج الصحابة فى أيام أبى بكر وعمر إلى تجمعه على وجه ما جمعه عثمان ؛ لأنه لم يحدث فى أيامهما من الخلاف فيه ما حدث فى زمن عثمان ؛ ولقد وُفق لأمر عظيم ، ورفع الاختلاف ، وجمع الكلمة ، وأراح الأمة .

(١) م : « ذلك »

(٢) م : « يحفظونه » .

وأما تعلق الروافض بأن عثمان أحرَقَ المصاحف فإنه جهلٌ منهم وعَمَى ، فإن هذا من فضائله وعلمه ؛ فإنه أصلح ، ولم الشَّعْث ، وكان ذلك واجباً عليه ، ولو تركه لَعَصَى ، لما فيه من التضييع ؛ وحاشاه من ذلك . وقولهم : إنه سَبَقَ إلى ذلك ممنوع لما بينناه أنه كُتِبَ في زمن النبي صلى الله عليه وسلم في الرَّقاع والأكتاف ؛ وأنه في زمن الصديق جَمَعَهُ في حرف واحد .

قال : وأما قولهم : إنه أحرَقَ المصاحف ؛ فإنه غير ثابت ، ولو ثبت لوجب حمله على أنه أحرَقَ مصاحف قد أودعت ما لا يحل قراءته .

وفي الجملة إنه إمام عدل غير معاند ولا طاعٍ في التنزيل ، ولم يحرق إلا ما يجب ^(١) إحراقه ، ولهذا لم ينكر عليه أحدٌ ذلك ، بل رضوه وعدَّوه من مناقبه ، حتى قال عليّ : لو وليت ما وليَ عثمان لعمت بالمصاحف ما عمل . انتهى ملخصاً .

فائدة

[في عدد مصاحف عثمان]

قال أبو عمرو الداني في "المقتنع" : أكثر العلماء على أن عثمان لما كتب المصاحف جعله على أربع نسخ ؛ وبعث إلى كل ناحية واحداً : الكوفة والبصرة والشام ، وترك واحداً عنده . وقد قيل : إنه جعله سبع نسخ ، وزاد : إلى مكة وإلى اليمن وإلى البحرين . قال : والأول أصحّ وعليه الأئمة .

فصل

في بيان من جمع القرآن حفظًا

[من الصحابة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم]

حفظه في حياته جماعة من الصحابة ، وكلُّ قطعة منه كان يحفظها جماعة كثيرة أقلهم بالتون حدّ التواتر ، وجاء في ذلك أخبار ثابتة في الترمذى والمستدرک وغيرهما من حديث ابن عباس قال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يأتي عليه الزمانُ وهو ينزلُ عليه الشُّورُ ذواتُ العدد ، فكان إذا نزل عليه الشئ دعا بعضَ مَنْ كان يكتب فيقول : « ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا » ، قال الترمذى : هذا حديث حسن . وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

وفي البخارى عن قتادة قال : سألت أنس بن مالك : مَنْ جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : أربعة كلهم من الأنصار : أبى بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وزيد ابن ثابت ، وأبو زيد . وفي رواية : مات النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجمع القرآن غير أربعة أبو الدرداء ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد . قال الحافظ البيهقى في كتاب " المدخل " : الرواية الأولى أصح ، ثم أسند عن ابن سيرين قال : جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة لا يختلف فيهم : معاذ بن جبل ، وأبى بن كعب ، وزيد ، وأبو زيد ، واختلفوا في رجلين من ثلاثة : أبو الدرداء وعثمان ، وقيل عثمان وتميم الدارى .

وعن الشعبي ، جمعة ستة : أبى ، وزيد ، ومعاذ ، وأبو الدرداء ، وسعد بن عبيد ، وأبو زيد . وتجمع بن جارية قد أخذها إلسورتين أو ثلاثة . قال : ولم يجمعه أحدٌ من الخلفاء من أصحاب محمد غير عثمان .

قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة : وقد أشبع القاضي أبو بكر محمد بن الطيب في كتاب " الانتصار " الكلام في حلة القرآن في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، وأقام الأدلة على أنهم كانوا أضعاف هذه العدة المذكورة وأن العادة تحيل خلاف ذلك ؛ ويشهد لصحة ذلك كثرة القراء المقتولين يوم مسيلة باليمامة ؛ وذلك في أول خلافة أبي بكر ، وما في الصحيحين : قُتل سبعون من الأنصار يوم بئر معونة ؛ كانوا يُسمون القراء . ثم أوّل القاضي الأحاديث السابقة بوجوه منها : اضطرابها ، وبين وجه الاضطراب في التدد وإن خُرِجَتْ في الصحيحين ، مع أنه ليس منها شيء مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم . ومنها بتقرير سلامتها ؛ فالمعنى : لم يجمع على جميع الأوجه والأحرف والقراءات التي نزل بها إلا أولئك نفر . ومنها أنه لم يجمع ما نسخ منه وأزيل رسمه بعد تلاوته مع ما ثبت رسمه وبقي فرض حفظه وتلاوته إلا تلك الجماعة . ومنها أنه لم يجمع جميع القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ من فيه تلقيا غير تلك الجماعة ، وغير ذلك .

قال الماوردي : وكيف يمكن الإحاطة بأنه لم يكمله سوى أربعة ، والصحابة متفرقون في البلاد ! وإن لم يكمله سوى أربعة فقد حفظ جميع أجزائه مئون لا يحصون .

قال الشيخ : وقد سمي الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام القراء من الصحابة في أول كتاب القراءات له ، فسمى عددا كثيرا .

قلت : وذكر الحافظ شمس الدين الذهبي^(١) في كتاب " معرفة القراء^(٢) " ، ما يبين ذلك ، وأن هذا العدد هم الذين عرضوه على النبي صلى الله عليه وسلم ، واتصلت بنا أسانيدهم ، وأما من جمعه منهم ، ولم يتصل بنا فكثير فقال : ذكروا الذين عرضوا على النبي صلى الله عليه وسلم القرآن وهم سبعة : عثمان بن عفان ، وعلى بن أبي طالب - وقال الشعبي :

(١) هو الحافظ محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركاني الذهبي ؛ ولد سنة ٦٧٣ وتوفي سنة ٧٤٨ (الدرر الكامنة ٢ : ٢٩٨) .

(٢) هو كتاب طبقات القراء ؛ ومنه نسخة مصورة بدار الكتب المصرية رقم ١٥٣٧ تاريخ - عن نسخة كبريلى رقم ١١١٦ ؛ وهذا النص موجود في أول مقدمة الكتاب ، ونقله الزركشي باختصار وتصرف .

لم يجمع القرآن أحدٌ من الخلفاء الأربعة إلا عثمان ؛ ثم رَدَّ على الشعبي قوله : بأن
عاصماً قرأ على أبي عبد الرحمن السلمي عن عليّ - وأبيّ بن كعب - وهو أقرأ من أبي بكر
وقد قال : يؤمُّ القومَ أقرؤهم لكتاب الله وهو مشكل - . وعبد الله بن مسعود ، وأبيّ ،
وزيد بن ثابت ، وأبو موسى الأشعري ، وأبو الدرداء .

قال : وقد جمع القرآن غيرهم من الصحابة ، كعاذ بن جبل وأبي زيد ، وسالم مولى أبي
حذيفة ، وعبد الله بن عمر ، وعقبة بن عامر ؛ ولكن لم تتصل بنا قراءتهم ، قال : وقرأ على
أبيّ جماعة من الصحابة ؛ منهم أبو هريرة ، وابن عباس ، وعبد الله بن السائب .

النوع الرابع عشر معرفة تقسيمه بحسب سورة وترتيب السور والآيات وعددها

[تقسيم القرآن بحسب سورة]

قال العلماء رضى الله عنهم : القرآن العزيز أربعة أقسام : الطول ، والثون ، والثاني ، والمفصل .
وقد جاء ذلك في حديث مرفوع أخرجه أبو عبيد من جهة سعيد بن بشير عن قتادة عن
أبي المليح ، عن واثلة بن الأسقع عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « أعطيت السبع الطول
مكان التوراة ، وأعطيت المئين مكان الإنجيل ، وأعطيت المثاني مكان الزبور ، وفُضِّلَت بالمفصل » .
وهو حديث غريب ، وسعيد بن بشير فيه لين . وأخرجه أبو داود الطيالسي في
مسنده عن عمران عن قتادة به .

فالسبع الطول أولها البقرة ، وآخرها براءة ؛ لأنهم كانوا يعدون الأنفال وبراءة سورة
واحدة ، ولذلك لم يَفْصِلُوا بينهما ؛ لأنهما نزلتا جميعا في مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وسميت طولا لطولها . وحكى عن سعيد بن جبير أنه عدَّ السبع الطول : البقرة ، وآل عمران
والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، ويونس .

والطول ، بضم : الطاء جمع طولى ، كالكبر جمع كبرى . قال أبو حيان التوحيدي :
وكسرُ الطاء مرذول .

والثون : ما ولى السبع الطول ؛ سميت بذلك لأن كل سورة منها تزيد على مائة آية
أو تقاربها .

والثاني : ما ولى المئين ؛ وقد نُسِئَ سور القرآن كلها مثنى ، ومنه قوله تعالى : ﴿ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانٍ ﴾ ^(١) ، ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي ﴾ ^(٢) .

وإنما سمي القرآن كله مثنى لأن الأنبياء والقصص تُتَنَّى فيه . ويقال : إن المثنى في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي ﴾ ^(٢) هي آيات سورة الحمد ، سماها مثنى لأنها تُتَنَّى في كل ركعة .

والمفصل : ما يلي المثنى من قصار السور ؛ تُسمى مفصلاً لكثرة الفصول التي بين السور .
يسمى الله الرحمن الرحيم . وقيل : لقلة المنسوخ فيه . وآخره : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ ، وفي أوله اثنا عشر قولاً :
أحدها : الجاثية .

ثانيها ، القتال ؛ وعزاه الماوردي للأكثرين .

ثالثها : الحجرات .

رابعها : ق ؛ قيل : وهي أوله في مصحف عثمان رضي الله عنه . وفيه حديث ذكره الخطابي في غريبه ، يرويه عيسى بن يونس قال : حدثنا عبد الرحمن بن يعلى الطائفي قال : حدثني عمر بن عبد الله بن أوس بن حذيفة عن جده أنه وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد قميف فسمع [من] أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يحزب القرآن . قال : وحزب المفصل من « ق » . وقيل : إن أحمد رواه في السند . وقال الماوردي في تفسيره : حكاه عيسى بن عمر عن كثير من الصحابة ؛ للحديث المذكور .

الخامس : الصافات .

السادس : الصف .

السابع : تبارك . حكى هذه الثلاثة ابن أبي الصيف اليمنى في : " نكت التنبيه " ، (١) .

الثامن : ﴿ إنا فتحنا لك ﴾ ؛ حكاها الذمارى في شرح " التنبيه " المسمى : " رفع التمويه " ، (٢) .

التاسع : ﴿ الرحمن ﴾ ، حكاها ابن السِّيد في أماليه على " الموطأ " ، وقال : إنه كذلك في مصحف ابن مسعود . قلت : رواه أحمد في مسنده كذلك .

العاشر : ﴿ هل أتى على الإنسان حينٌ من الدهر ﴾ .

الحادى عشر : ﴿ سَبَّحْ ﴾ ؛ حكاها ابن الفركاح (٣) في تعليقه عن المرزوق .

الثانى عشر : ﴿ والضحى ﴾ ، وعزاه الماوردى لابن عباس ؛ حكاها الخطابى في غريبه ؛ ووجهه بأن القارىء يفصل بين هذه السور بالتكبير . قال : وهو مذهب ابن عباس وقراء مكة .

والصحيح عند أهل الأثر أن أوله « ق » ؛ قال أبو داود في سننه في باب تحزيب القرآن : حدثنا مسدد ، حدثنا جرار بن تمام . ح . وحدثنا عبد الله بن سعيد أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو خالد سليمان بن حيان - وهذا لفظه - عن عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى عن عثمان بن عبد الله بن أوس ، عن جدّه أوس ، قال عبد الله بن سعيد في حديث أوس بن حذيفة قال : قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم : [فى] (٤) وقد ثقيف ، قال : فنزلت الأحلاف على المخيرة بن شعبة ، وأنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى مالك فى قبّة له - قال مسدد : وكان فى الوفد الذين قدّموا على رسول الله صلى الله

(١) ذكره صاحب كشف الظنون ٤٩٣ ؛ وهو نكت على كتاب التنبيه فى فروع الشافية لأبى إسحاق الشيرازى .

(٢) ذكره صاحب كشف الظنون : ص ٤٩٠ .

(٣) ذكره صاحب كشف الظنون ٤٨٩ . (٤) من ابن ماجه .

عليه وسلم من ثقيف - قال : كان ^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ليلة بعد العشاء يحدثنا - قال أبو سعيد : قائماً على راحلته - ثم يقول : « لا سواء ، كنا مستضعفين ^(٢) مستذلين - قال مسدد : بمكة - فلما خرجنا إلى المدينة كانت سجال الحرب بيننا وبينهم ؛ ندال عليهم ويدالون علينا ، فلما كانت ليلة ، أبطأ عن الوقت الذي كان يأتينا فيه ، فقلت : لقد أبطأت علينا الليلة ، قال : إنه طرأ على حزبي من القرآن ، فكرهت أن أجي حتى أتمه » .

قال أوس : فسألت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف تُحزَّبون القرآن ؟ فقالوا : ثلاث ، وخمس ، وسبع ، وتسع ، وإحدى عشرة ، وثلاث عشرة ، وحزب المفصل وحده .

رواه ابن ماجه ^(٣) عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي خالد الأحمر به . ورواه أحمد في مسنده عن عبد الرحمن بن مهدي وأبو يعلى الطائفي به .

وحينئذ فإذا عدت ثمانياً وأربعين سورة كانت التي بعدهن سورة « ق » .

بيانه : ثلاث : البقرة ، وآل عمران ، والنساء . وخمس : المائدة ، والأنعام ، والأعراف ، والأنفال ، وبراءة . وسبع : يونس ، وهود ، ويوسف ، والرعد ، وإبراهيم ، والحجر ، والنحل . وتسع : سبحان ، والكهف ، ومريم ، وطه ، والأنبياء ، والحج ، والمؤمنون ، والنور ، والفرقان . وإحدى عشر : الشعراء ، والنمل ، والقصص ، والعنكبوت ، والروم ، ولقمان ، وآل السجدة ، والأحزاب ، وسبا ، وفاطر ، ويس . وثلاث عشرة : الصافات ، وص ، والزمر ، وغافر ، وحَم السجدة ، وحَم عسق ، والزخرف ، والدخان ، والجنات ، والأحقاف ، والقتال ،

(١ - ١) اللفظ في ابن ماجه : « فكان يأتينا كل ليلة بعد العشاء فيحدثنا قائماً على رجليه حتى يراوح بين رجليه ، وأكثر ما يحدثنا ما لقي من قومه من قریش ويقول : ولا سواء ، كنا مستضعفين مستذلين » .
(٢) سنن ابن ماجه كتاب الإقامة ١ : ٤٢٧ - ٤٢٨ ، باب في كم يستحب بحم القرآن .

والفتح ، والحجرات ، ثم بعد ذلك حزب المفصل - وأوله سورة « ق » وأما آل حاميم فإنه يقال : إن حم اسم من أسماء الله تعالى ، أضيفت هذه السورة إليه ؛ كما قيل : سور الله لفضلها وشرفها ، وكما قيل : بيت الله ، قال الكميت :

وَجَدْنَا لَكُمْ فِي آلِ حَمِ آيَةً تَأْوِلُهَا مَنَا تَقِيٌّ وَمُعَرِّبٌ^(١)

وقد يُجعل اسمها للسورة ويدخل الإعراب عليها ويُصرف. ومن قال هذا قال في الجمع : الحواميم ؛ كما يقال : طس والطواسين . وكره بعض السلف - منهم محمد بن سيرين - أن يقال : الحواميم ؛ وإنما يقال : آل حم .

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : آل حم ديباج القرآن .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : إن لكل شئ لباباً وللباب القرآن حم - أو

قال : الحواميم .

وقال مشعر بن كدام : كان يقال لمن العرائس ؛ ذكر ذلك كله أبو عبيد

في فضائل القرآن .

وقال محمد بن زنجويه : ثنا عبد الله ، ثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص

عن أبي عبد الله قال : إن مثل القرآن كمثل رجل انطلق يرتاد منزلاً ، فمر بأثر غيث ؛

فبينما هو يسير فيه ويتمتع به إذ هبط على روضات ديمثات ؛ فقال : عجبت من الغيث

الأول ، فهذا أعجب وأعجب ؛ فقيل له : إن مثل الغيث الأول مثل عظم القرآن ؛ وإن

مثل هؤلاء الروضات مثل « حم » في القرآن .

أورده البغوي .

(١) الهائيات ٤ ؛ من قصيدته المشهورة التي مطلعها :

طَرِبْتُ وما شوقاً إلى البيضِ أطربُ وَلَا لِعِيبٍ مِنِّي وذُو الشَّقِيقِ يَلْعَبُ

فصل

في عدد سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه

قال الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران القرني : عددُ سور القرآن مائة وأربع عشرة سورة . وقال : بعث الحجاج بن يوسف إلى قراء البصرة ، فجمعهم واختار منهم الحسن البصري ، وأبا العالية ، ونضر بن عاصم ، وعاصماً الجعدي ، ومالك بن دينار رحمة الله عليهم . وقال : عدّوا حروف القرآن ؛ فبقوا أربعة أشهر يمدّون بالشعر ، فأجمعوا على أن كلماته سبع وسبعون ألف كلمة وأربعمائة وتسع وثلاثون كلمة ، وأجمعوا على أن عدد حروفه ثلاثمائة ألف وثلاثة وعشرون ألفاً وخمسة عشر حرفاً . انتهى .

وقال غيره : أجمعوا على أن عدد آيات القرآن ستة آلاف آية ؛ ثم اختلفوا فيما زاد على ذلك على أقوال : فمنهم من لم يزد على ذلك ، ومنهم من قال : ومائتا آية وأربع آيات . وقيل : وأربع عشرة آية . وقيل : مائتان وتسع عشرة آية . وقيل : مائتان وخمس وعشرون آية أو ست وعشرون آية . وقيل : مائتان وست وثلاثون . حكى ذلك أبو عمرو الداني في كتاب " البيان " .

وأما كلماته فقال : الفضيل بن شاذان عن عطاء بن يسار : سبع وسبعون ألف كلمة وأربعمائة وسبع وثلاثون كلمة .

وأما حروفه ، فقال عبد الله بن جبير عن مجاهد : ثلاثمائة ألف حرف واحد وعشرون ألف حرف . وقال سلام أبو محمد الحماني : إن الحجاج جمع القراء والحفاظ والكتاب فقال : أخبروني عن القرآن كله ، كم من حرف هو ؟ قال : فحسبناه ، فأجمعوا على أنه ثلاثمائة ألف وأربعون ألف وسبعمائة وأربعون حرفاً . قال : فأخبروني عن نصفه ؛ فإذا هو إلى القاء من قوله

في الكهف: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾^(١). وثلثه الأول عند رأس مائة من براءة، والثاني على رأس مائة أو إحدى ومائة من الشعراء. والثالث إلى آخره. وسبعه الأول إلى الدال، في قوله: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ﴾^(٢) والشبع الثاني إلى التاء من قوله في الأعراف: ﴿حَبِطَتِ أَعْمَالُهُمْ﴾^(٣)، والثالث إلى الألف الثانية من قوله في الرعد: ﴿أَكْهَبًا﴾^(٤)، والرابع إلى الألف في الحج من قوله: ﴿جَعَلْنَا مَنَسْكَ﴾^(٥)، والخامس إلى الهاء من قوله في الأحزاب: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾^(٦)، والسادس إلى الواو من قوله في الفتح: ﴿الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنُّ السَّوْءِ﴾^(٧) والسابع إلى آخر القرآن.

قال سلام: علمنا ذلك في أربعة أشهر.

قالوا: وكان الحجاج يقرأ في كل ليلة ربع القرآن، فالأول إلى آخر الأنعام، والثاني إلى ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ من سورة الكهف، والثالث إلى آخر المؤمن، والرابع إلى آخر القرآن. وحكى الشيخ أبو عمرو الداني في كتاب "البيان" خلافا في هذا كله.

وأما التخريب والتجزئة فقد اشتهرت الأجزاء من ثلاثين كما في الربعات بالمدارس وغيرها. وقد أخرج أحمد في مسنده وأبو داود وابن ماجه عن أوس بن حذيفة أنه سأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته: كيف تحزبون القرآن؟ قالوا: ثلاث، وخمس، وسبع، وتسع، وإحدى عشرة، وثلاث عشرة. وحزب المفصل من «ق» حتى ينحتم.

أسند الزبير في كتاب الطبقات عن المبرد. أول من نقط المصحف أبو الأسود الدؤلي. وذكر أيضا أن ابن سيرين كان له مصحف قطعه له يحيى بن يعمر. وذكر أبو الفرج:

- | | |
|-----------------------|----------------------|
| (١) سورة الكهف ١٩. | (٢) سورة النساء ٥٥. |
| (٣) سورة الأعراف ١٤٧. | (٤) سورة الرعد ٣٥. |
| (٥) سورة الحج ٣٤، ٦٧. | (٦) سورة الأحزاب ٣٦. |
| (٧) سورة الفتح ٦. | |

أن زياد بن أبي سفيان أمر أبا الأسود أن ينقّط المصاحف . وذكر الجاحظ في كتاب " الأمصار " ، أن نصر بن عاصم أول من نقط المصاحف ، وكان يقال له : نصر الحروف .
وأما وضعُ الأعشار ؛ فقيل : إن المأمون العباسي أمر بذلك . وقيل : إن الحجاج فعل ذلك .

واعلم أن عددَ سور القرآن العظيم باتفاق أهل الحلّ والعقد مائة وأربع عشرة سورة ؛ كما هي في المصحف العثماني ، أولها الفاتحة وآخرها الناس . وقال مجاهد : وثلاث عشرة بجعل الأنفال والتوبة سورة واحدة لاشتباه الطرفين وعدم البسمة . ويردّه تسميةُ النبي صلى الله عليه وسلم كلاّ منهما . وكان في مصحف ابن مسعود اثنا عشر لم يكن فيها المعوذتان ؛ لشبهة الرقبة ؛ وجوابه رجوعه إليهم ، وما كتب الكلّ . وفي مصحف أبي ست عشرة ؛ وكان دعاء الاستفتاح والقنوت في آخره كالسورتين . ولا دليل فيه لموافقتهما ؛ وهو دعاء كتبت بعد الختمة .

وعددُ آياته في قول علي رضي الله عنه : ستة آلاف ومائتان وثمان عشرة . وعطاء : ستة آلاف ومائة وسبع وسبعون . وحيد : ستة آلاف ومائتان واثناعشرة . وراشد : ستة آلاف ومائتان وأربع .

وقال حميد الأعرج^(١) : نصفه (مَعَى صَبْرًا)^(٢) في الكهف ، وقيل : عين ﴿ تَسْتَطِيع ﴾^(٣) ، وقيل : ثاني لامي ﴿ وَلْيَتَلَطَّفْ ﴾^(٤) .

واعلم أن سبب اختلاف العلماء في عدد الآي والكلم والحروف أن النبي صلى الله عليه

(١) هو حميد بن قيس الأعرج ؛ أبو صفوان المكي القاري ، توفي سنة ١٣٠ . (طبقات القراء لابن الجزري ١ : ٢٦٥) .

(٢) سورة الكهف ٦٧

(٣) سورة الكهف ١٩ .

وسلم ، كان يقف على رموس الآى للتوقيف ؛ فإذا علم محلها وصل للتمام ؛ فيحسب السامع أنها ليست فاصلة .

وأيضا البسمة نزلت مع السورة فى بعض الأحرف السبعة ؛ فمن قرأ بحرف نزلت فيه عدّها ، ومن قرأ بغير ذلك لم يعدّها .

وسبب الاختلاف فى الكلمة أن الكلمة لها حقيقة ومجاز ، ورسم ؛ واعتبار كل منها جائز ؛ وكل من العلماء اعتبر أحد الجوائز .

وأطول سورة فى القرآن هى البقرة ، وأقصرها الكوثر .

وأطول آية فيه آية الدين^(١) ؛ مائة وثمانية وعشرون كلمة ، وخمسمائة وأربعون حرفا . وأقصر آية فيه ﴿ والضُّحَى ﴾ ، ثم ﴿ والفَجْر ﴾ ؛ كل كلمة خمسة أحرف تقديرا ثم لفظا ، ستة رسما ؛ لا ﴿ مِذْهَابَانِ ﴾^(٢) لأنها سبعة أحرف لفظا ورسما ، وثمانية تقديرا ، ولا ﴿ ثُمَّ نَظَرَ ﴾^(٣) لأنها كلمتان ، خمسة أحرف رسما وكتابة ، وستة أحرف تقديرا ؛ خلافا لبعضهم .

وأطول كلمة فيه لفظا وكتابة بلا زيادة ﴿ فَاَسْقِنَا كُؤُوه ﴾^(٤) أحد عشر لفظا ، ثم ﴿ اقْتَرَفْتُمُوهَا ﴾^(٥) عشرة ، وكذا ﴿ اَنْزَلْنَاهُ مَكُّوْهَا ﴾^(٦) و﴿ السُّتُغْفِيْنَ ﴾^(٧) ثم ﴿ لِيَسْتَخْلِفْنَهُمْ ﴾^(٨) تسعة لفظا ، وعشرة تقديرا .

وأقصرها نحوباء الجر ، حرف واحد ؛ لا أنها حرفان ؛ خلافا للدانى فيها .

(٢) سورة الرحمن ٦٤

(٤) سورة الحجر ٢٢ .

(٦) سورة هود ٢٨ .

(٨) سورة النور ٥٥ .

(١) سورة البقرة ٢٨٢

(٣) سورة اللدر ٢١

(٥) سورة التوبة ٢٤

(٧) سورة النساء ٧٥

فصل

[أنصاف القرآن ثمانية]

قال بعض القراء: إن القرآن العظيم له ثمانية أنصاف باعتبار آيه .
فنصفه بالحروف: «النون» من قوله: ﴿نُكْرًا﴾ في سورة الكهف، والكاف من نصفه الثاني.
ونصفه بالكلمات «الدال» من قوله: ﴿والجلود﴾^(١) في سورة الحج، وقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ﴾^(٢) من نصفه الثاني .
ونصفه بالآيات ﴿يَأْفِكُونَ﴾^(٣) من سورة الشعراء، وقوله تعالى: ﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةَ﴾^(٤) من نصفه الثاني .

ونصفه على عدد السور، فالأول الحديد، والثاني من المجادة .

فائدة

سئل ابن مجاهد: كم في القرآن من قوله: ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾؟^(٥) فأجاب في أربعة مواضع:
من النساء وسُبْحَانَ والأحزاب وفاطر .

وسئل الكسائي: كم في القرآن آية أولها شين؟ فأجاب أربع آيات: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾^(٦)، ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾^(٧)، ﴿شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ﴾^(٨)، ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ

- | | |
|---|---------------------|
| (١) سورة الحج ٢٠ | (٢) سورة الحج ٢١ |
| (٣) سورة الشعراء ٤٥ | (٤) سورة الشعراء ٤٦ |
| (٥) سورة النساء ١٢٠ ، الإسراء ٦٤ ، الأحزاب ١٢ ، فاطر ٤٠ | (٦) سورة البقرة ١٨٥ |
| (٧) سورة البقرة ١٨٥ | (٨) سورة النحل ١٢١ |
| (٩) سورة آل عمران ١٨ | |

الدين ﴿^(١)﴾ . [وسئل] كم آية آخرها شين؟ [فأجاب] : اثنان : ﴿كَالْعَيْنِ الْمَنفُوشِ﴾ ^(٢) ،
﴿لَا يَلَافِ قُرَيْشٍ﴾ ^(٣) .

وسئل آخر : كم ﴿حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ ^(٤) ؟ قال : خمسة ؛ ثلاثة في الأنعام ، وفي الحجر واحد ، وفي النحل واحد .

أكثر ما اجتمع في كتاب الله من الحروف المتحركة ثمانية ؛ وذلك في موضعين من
سورة يوسف : أحدهما : ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ ^(٥) ، فبين واو « كوكبا »
وياء « رأيت » ثمانية أحرف ، كلهن متحرك ، والثاني قوله : ﴿حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ
يَحْكُمَ اللَّهُ لِي﴾ ^(٦) على قراءة من حرك الياء في قوله ﴿لِي﴾ ، و﴿أَبِي﴾ . ومثل هذين الموضعين
﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ ^(٧) .

وفي القرآن سور متواليات كل سورة تجمع حروف المعجم ؛ وهو من أول : ﴿الْمِ
نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ ^(٨) إلى آخر القرآن .

وآية واحدة تجمع حروف المعجم ، قوله تعالى : ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ...﴾ ^(٩) الآية .
وسورة ، كل آية منها فيها اسمه تعالى ، وهي سورة المجادلة .

وفي الحج ستة آيات متواليات ، في آخر كل واحدة منهن اسمان من أسماء الله تعالى ،
وهي قوله : ﴿لَنُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ﴾ ^(١٠) .

(٢) سورة القارعة ٥ .

(١) سورة الثورى ١٣ .

(٣) سورة قريش ١ .

(٤) سورة الأنعام ٨٣ ، ١٢٨ ، ١٣٩ ، الحج ٢٥ ، النمل ٦ .

(٦) سورة يوسف ٨٠ .

(٥) سورة يوسف ٥ .

(٨) سورة الانشراح ١ .

(٧) سورة القصص ٣٥ .

(١٠) سورة الحج ٥٩ .

(٩) سورة الفتح ٢٩ .

وفي القرآن آيات أولها : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي ﴾ ^(١) ، ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ ﴾ ^(٢) ، ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ ^(٣) .

وفيه : ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ ^(٤) ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ ﴾ ^(٥) .

آية في القرآن فيها ستة عشر ميا ، وهي : ﴿ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ ... ﴾ ^(٦) الآية . وآية فيها ثلاث وثلاثون ميا : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ ﴾ ^(٧) .

سورة تزيد على مائة آية ليس فيها ذكر جنة ولا نار ، سورة يوسف .

آية فيها ﴿ الجنة ﴾ مرتان : ﴿ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ﴾ ^(٨) .

ثلاث آيات متواليات : الأولى رد على المشبهة ، والأخرى رد على المجبرة ، والأخرى رد على المرجئة : قوله : ﴿ إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٩) رد على المشبهة ، ﴿ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴾ ^(١٠) رد على المجبرة ، ﴿ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴾ ^(١١) رد على المرجئة .

ليس في القرآن « حاء » بعدها « حاء » لا حازر بينهما إلا في موضعين في البقرة ﴿ عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى ﴾ ^(١٠) ، وفي الكهف ﴿ لَا أُبْرِحُ حَتَّى ﴾ ^(١١) .

- | | |
|---------------------------|--------------------|
| (١) سورة يونس ١٠٤ | (٢) سورة الجمعة ٦ |
| (٣) سورة الكافرون ١ | (٤) سورة الاقطار ٦ |
| (٥) سورة الانشقاق ٦ | (٦) سورة هود ٤٨ |
| (٧) سورة البقرة ٢٨٢ | (٨) سورة الحشر ٢٠ |
| (٩) سورة الشعراء ٩٨ - ١٠٠ | (١١) سورة الكهف ٦٠ |
| (١٠) سورة البقرة ٢٣٥ | |

ليس فيه كافان في كلمة واحدة لا حرف بينهما إلا في موضعين : في البقرة ﴿مَنَاسِكُكُمْ﴾^(١) ، وفي المدثر ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾^(٢) .

وأما ما يتعلق بترتيبه ؛ فأما الآيات في كل سورة ووضع البسملة أوائلها فترتيبها توقيفي بلا شك ، ولا خلاف فيه ، ولهذا لا يجوز تحكيكها .

قال مكي وغيره : ترتيب الآيات في السور هو من النبي صلى الله عليه وسلم ، ولما لم يأمر بذلك في أول براءة تركت بلا بسملة .

وقال القاضي أبو بكر : ترتيب الآيات أمر واجب وحكم لازم ، فقد كان جبريل يقول : ضعوا آية كذا في موضع كذا .

وأسند البيهقي في كتاب " المدخل والدلائل " عن زيد بن ثابت قال : كنا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن إذ قال : « طوبى للشام » ، فقيل له : ولم ؟ قال : « لأن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليه » . زاد في الدلائل : « نؤلف القرآن في الرقاع » .

قال : وهذا يشبه أن يكون المراد به تأليف ما نزل من الآيات المتفرقة في سورها وجمعها فيها بإشارة النبي صلى الله عليه وسلم .

وأخرجه الحاكم في المستدرک ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وقال : فيه البيان الواضح أن جمع القرآن لم يكن مرة واحدة ، فقد جمع بعضه بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم جمع بحضرة أبي بكر الصديق ، والجمع الثالث - وهو ترتيب السور - كان بحضرة عثمان ؛ واختلف في الحرف الذي كتب عثمان عليه المصحف ، فقيل : حرف زيد بن ثابت ، وقيل : حرف أبي بن كعب ؛ لأنه العرضة الأخيرة التي قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعلى الأول أكثر الرواة . ومعنى حرف زيد ، أى قراءته وطريقته .

(٢) سورة المدثر ٤٢ .

(١) سورة البقرة ٢٠٠ .

وفي كتاب " فضائل القرآن " لأبي عبيد عن أبي وائل ، قيل لابن مسعود : إن فلانا يقرأ القرآن منكوسا ، فقال : ذاك منكوس القلب . ورواه البيهقي .

وأما ترتيب السور على ما هو عليه الآن فاختُلف : هل هو توقيف من النبي صلى الله عليه وسلم ، أو من فعل الصحابة ، أو يفصل ؟ في ذلك ثلاثة أقوال :

مذهب جمهور العلماء ؛ منهم مالك ، والقاضي أبو بكر بن الطيب - فيما اعتمده واستقر عليه رأيه من [أحد] قوله - إلى الثاني ، وأنه صلى الله عليه وسلم فوض ذلك إلى أمته بعده . وذهبت طائفة إلى الأول ؛ والخلاف يرجع إلى اللفظ ، لأن القائل بالثاني يقول : إنه رمز إليهم بذلك لعلمهم بأسباب نزوله ومواقع كلماته ؛ ولهذا قال الإمام مالك : إنما ألقوا القرآن على ما كانوا يسمعون من النبي صلى الله عليه وسلم مع قوله بأن ترتيب السور اجتهاد منهم . قال الخلاف إلى أنه : هل ذلك بتوقيف قولي أم بمجرد استناد فعلي ، وبحيث بقي لهم فيه مجال للنظر . فإن قيل : فإذا كانوا قد سمعوه منه ، كما استقر عليه ترتيبه في ماذا عملوا الأفكار ؟ وأي مجال بقي لهم بعد هذا الاعتبار ؟ قيل : قد روى مسلم في صحيحه عن حذيفة قال : «صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتتح سورة البقرة ، فقلت : يركع عند المائة ، ثم مضى فقلت : يصلي بها في ركعة ، فمضى ، فقلت : يركع بها . ثم افتتح النساء فقرأها ، ثم افتتح آل عمران . . . » الحديث . فلما كان النبي صلى الله عليه وسلم ربما فعل هذا إرادة للتوسعة على الأمة ، وتبياناً لجليل تلك النعمة كان محلاً للتوقف ، حتى استقر النظر على رأي ما كان من فعله الأكثر . فهذا محل اجتهادهم في المسألة .

والقول الثالث ، مال إليه القاضي أبو محمد بن عطية : أن كثيراً من السور كان قد عُلم ترتيبها في حياته صلى الله عليه وسلم كالسبع الطُول والخواصم والمفضل ، وأشاروا إلى أن ما سوى ذلك يمكن أن يكون فوض الأمر فيه إلى الأمة بعده .

وقال أبو جعفر بن الزبير: الآثار تشهد بأكثر مما نصّ عليه ابن عطية، ويبقى منها قليل يمكن أن يجرى فيه الخلاف، كقوله: «اقرأوا الزهراوين: البقرة وآل عمران». رواه مسلم. ولحديث سعيد بن خالد: صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسبع الطوال في ركعة. رواه ابن أبي شيبة في مصنفه. وفيه أنه عليه الصلاة والسلام كان يجمع المفضل في ركعة.

وروى البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال في بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء: إنهن من العتاق الأول، وهنّ من تلادي؛ فذكرها نسقاً كما استقر ترتيبها. وفي صحيح البخاري أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيته، ثم نفث فيها قفراً: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(١) والمعوذتين.

وقال أبو جعفر النحاس: المختار أن تأليف السور على هذا الترتيب من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وروى ذلك عن علي بن أبي طالب، ثم ساق بإسناده إلى أبي داود الطيالسي: حدثنا عمران القطان عن قتادة عن أبي المليح الهذلي عن واثلة بن الأسقع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أعطيت مكان التوراة السبع الطوال، وأعطيت مكان الزبور المثني، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفضلت بالمفضل».

قال أبو جعفر: وهذا الحديث يدل على أن تأليف القرآن مأخوذ عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه مؤلف من ذلك الوقت، وإنما جُمع في المصحف على شيء واحد؛ لأنه قد جاء هذا الحديث بلفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم على تأليف القرآن. وفيه أيضاً دليل على أن سورة الأنفال سورة على حدة، وليست من براءة.

قال أبو الحسين أحمد بن فارس في كتاب «المسائل الخمس»: «جمع القرآن على ضربين: أحدهما تأليف السور، كتقديم السبع الطول وتلقيها بالمثني؛ فهذا الضرب هو

الذى تولاه الصحابة رضوان الله عليهم . وأما الجمع الآخر فضم الآى بعضها إلى بعض ، وتعقيب القصة بالقصة ، فذلك شئ تولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما أخبر به جبريل عن أمر ربه عز وجل . وكذا قال : الكرماني في البرهان : ترتيب السور هكذا هو عند الله وفي اللوح المحفوظ ، وهو على هذا الترتيب كان يعرض عليه السلام على جبريل كل سنة ما كان يجتمع عنده منه ، وعرض عليه في السنة التي توفي فيها مرتين .

وزهب جماعة من المفسرين إلى أن قوله تعالى : ﴿ فَأَتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ ﴾^(١) معناه مثل البقرة إلى سورة هود ، وهى العاشرة . ومعلوم أن سورة هود مكية ، وأن البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنفال والتوبة مدنيات نزلت بعدها .

وفسر بعضهم قوله : ﴿ وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيْلًا ﴾^(٢) أى اقرأه على هذا الترتيب من غير تقديم ولا تأخير . وجاء النكير على من قرأه معكوسا . ولو حلف أن يقرأ القرآن على الترتيب لم يلزم إلا على هذا الترتيب . ولو نزل القرآن جملة واحدة كما اقترحوا عليه لنزل على هذا الترتيب ؛ وإنما تفرقت سوره وآياته نزولا ، لحاجة الناس إليها حالة بعد حالة ؛ ولأن فيه الناسخ والمنسوخ ، ولم يكن ليجمعا نزولا . وأبلغ الحكم في تفرقه ما قال سبحانه : ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْتٍ ﴾^(٣) وهذا أصل بُنى عليه مسائل كثيرة .

وقال القاضى أبو بكر بن الطيب : فإن قيل : قد اختلف السلف في ترتيب القرآن ، فمنهم من كتب فى المصحف السور على تاريخ نزولها ، وقدم المسكى على المدني . ومنهم جعل من أوله : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾^(٤) ؛ وهو أول مصحف على ، وأما مصحف ابن مسعود ، فأوله ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾^(٥) ثم البقرة ، ثم النساء على ترتيب مختلف . وفى مصحف أبى كان أوله الحمد ، ثم

(٢) سورة الزمل ٤

(٤) سورة الطلق ١ .

(١) سورة هود ١٣

(٣) سورة الإسراء ١٠٦

(٥) سورة الفاتحة ٤ .

النساء ، ثم آل عمران ، ثم الأنعام ، ثم الأعراف ، ثم المائدة ، على اختلاف شديد .
فالجواب أنه يحتمل أن يكون ترتيب السور على ما هي عليه اليوم على وجه الاجتهاد من
الصحابة رضى الله عنهم . وذكر ذلك مكى في سورة براءة ، وأن وضع البسملة في الأول
هو من النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال أبو بكر بن الأنباري : أنزل الله القرآن كله إلى سماء الدنيا ، ثم فرّق في بضع
وعشرين ، فكانت السورة تنزل لأمر يحدث ، والآية جواباً لمستخبر ؛ ويقف جبريل النبي
صلى الله عليه وسلم على موضع السورة والآية . فأتساق السور كاتساق الآيات والحروف ،
كله عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فمن قدّم سورة أو أخرها فقد أفسد نظم الآيات .

قال القاضي أبو بكر : ومن نظم السور على المكى والمدنى لم يدرك أين يضع الفاتحة ،
لاختلافهم في موضع نزولها ، ويضطر إلى تأخير الآية في رأس خمس وثلاثين ومائتين من
البقرة إلى رأس الأربعين ، ومن أفسد نظم القرآن فقد كفر به .

تنبيه

[ترتيب وضع السور في المصحف]

ترتيب وضع السور في المصحف أسباب تطلع على أنه توقيفي صادر عن حكيم :
أحدها بحسب الحروف ، كما في الحواميم . وثانيها الموافقة أول السورة لآخر ما قبلها ،
كآخر الحمد في المعنى وأول البقرة . وثالثها للوزن في اللفظ ، كآخر « تبت » وأول
الإخلاص . ورابعها لمساواة جملة السورة لجملة الأخرى مثل ﴿ والضحي ﴾ و ﴿ ألم نشرح ﴾ .
قال بعض الأئمة : وسورة الفاتحة تضمنت الإقرار بالربوبية ، والالتجاء إليه في دين
الإسلام ، والصيانة عن دين اليهودية والنصرانية .

وسورة البقرة تضمنت قواعد الدين، وآل عمران مكلمة لمقصودها؛ فالبقرة بمنزلة إقامة الدليل على الحكم، وآل عمران بمنزلة الجواب عن شبهات الخصوم؛ ولهذا قرن فيها ذكر التشابه من بظهور الحجة والبيان؛ فإنه نزل أولها في آخر الأمر لما قدم وفد نجران النصراني، وآخرها يتعلق بيوم أحد. والنصارى تمسكوا بالتشابه، فأجيبوا عن شبههم بالبيان. ويوم أحد تمسك الكفار بالقتال فقبولوا بالبيان، وبه يعلم الجواب لمن تتبع التشابه من القول والفعل. وأوجب الحج في آل عمران، وأما في البقرة فذكر أنه مشروع وأمر بتامه بعد الشروع فيه، ولهذا ذكر البيت والصفا والمروة. وكان خطاب النصراني في آل عمران أكثر، كما أن خطاب اليهود في البقرة أكثر؛ لأن التوراة أصل والإنجيل فرع لها، والنبي صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة دعا اليهود وجاهدهم، وكان جهاده للنصارى في آخر الأمر؛ كما كان دعاؤه لأهل الشرك قبل أهل الكتاب؛ ولهذا كانت السور المسكية فيها الدين الذي اتفق عليه الأنبياء، فخطب بها جميع الناس. والسور المدنية فيها خطاب من أقر بالأنبياء من أهل الكتاب والمؤمنين، فخطبوا: يا أهل الكتاب، يا بني إسرائيل.

وأما سورة النساء فتضمن جميع أحكام الأسباب التي بين الناس؛ وهي نوعان: مخلوقة لله تعالى، ومقدورة لهم؛ كالنسب والصهر، ولهذا افتتحها الله بقوله: ﴿رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾^(١) ثم قال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾؛ وبين الذين يتعاهدون ويتعاقدون فيما بينهم؛ وما تعلق بذلك من أحكام الأموال والفروج والموارث. ومنها العهود التي حصلت بالرسالة، والتي أخذها الله على الرسل.

وأما المائدة فسورة العقود، وبهن تمام الشرائع؛ قالوا: وبها تم الدين، فهي سورة

التكامل . بها ذكر الوسائل كما في الأنعام والأعراف ذكر المقاصد ، كالتحليل والتحرير ؛ كتحرير الدماء والأموال وعقوبة المعتدين . وتحريم الخمر من تمام حفظ العقل والدين . وتحريم الميتة والدم والمنخقة ، وتحريم الصيد على المحرم من تمام الإحرام . وإحلال الطيبات من تمام عبادة الله . ولهذا ذكر فيها ما يختص بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم كالوضوء والحكم بالقرآن ، فقال تعالى : ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ ^(١) وذكر أنه من ارتد عوض الله بخير منه . ولا يزال هذا الدين كاملاً ؛ ولهذا قيل : إنها آخر القرآن نزولاً فأحلوا حلالها ، وحرّموا حرامها .

وهذا الترتيب بين هذه السور الأربع المدنيات : البقرة وآل عمران والنساء والمائدة من أحسن الترتيب ؛ وهو ترتيب المصحف العثماني ، وإن كان مصحف عبد الله بن مسعود قدمت فيه سورة النساء على آل عمران ؛ وترتيب بعضها بعد بعض ليس هو أمراً أوجبه الله ، بل أمر راجع إلى اجتهادهم واختيارهم ، ولهذا كان لكل مصحف ترتيب ، ولكن ترتيب المصحف العثماني أكمل ؛ وإنما لم يكتب في عهد النبي صلى الله عليه وسلم مصحف لثلاث يُفَضَّى إلى تغييره كل وقت ، فلهذا تأخرت كتابته إلى أن كمل نزول القرآن بموته صلى الله عليه وسلم ، فكتب أبو بكر والصحابة بعده ، ثم نسخ عثمان المصاحف التي بعث بها إلى الأمصار .

فائدة

[سبب سقوط البسمة أول براءة]

اختلف في السبب في سقوط البسمة أول براءة ؛ فقيل : كان من شأن العرب في الجاهلية إذا كان بينهم وبين قوم عهد وأرادوا نقضه كتبوا لهم كتاباً ، ولم يكتبوا فيه

البسمة ؛ فلما نزلت « براءة » بنقض العهد الذي كان للكفار ، قرأها عليهم على ولم يبسم على ما جرت به عادتهم . ولكن في صحيح الحاكم أن عثمان رضى الله عنه قال : كانت الأنفال من أوائل ما نزل وبراءة من آخره ، وكانت قصتها شبيهة بقصتها ، وقضى النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أنها منها ، وظننا أنها منها ، ثم فرقت بينهما ولم أكتب بينهما البسمة . وعن مالك : أن أولها لما سقط سقطت البسمة .

وقد قيل : إنها كانت تعدل البقرة لطولها .

وقيل : لأنه لما كتبوا المصاحف في زمن عثمان اختلفوا : هل هما سورتان ، أو الأنفال سورة وبراءة سورة تركت البسمة بينهما ؟

وفي مستدرك الحاكم أيضا عن ابن عباس : سألت علياً عن ذلك فقال : لأن البسمة أمان ، وبراءة نزلت بالسيف ليس فيها أمان .

قال القشيري : والصحيح أن البسمة لم تكن فيها ؛ لأن جبريل عليه السلام ما نزل بها فيها .

فائدة

[في بيان لفظ السورة لغة واصطلاحاً]

قال القتيبي : الشُّورَة ، تهمز ولا تهمز ، فمن همزها جعلها من « أسارت » ، أي أفضلت ، من الشُّور ، وهو ما بقي من الشراب في الإناء كأنها قطعة من القرآن ، ومن لم يهمزها جعلها من المعنى المتقدم وسهل همزتها .

ومنهم من شبهها بسور البناء ، أي القطعة منه ، أي منزلة بعد منزلة .

وقيل : من سور المدينة لإحاطتها بآياتها واجتماعها كاجتماع البيوت بالشور ؛ ومنه السّوار لإحاطته بالساعد ؛ وعلى هذا فالواو أصلية .

ويحتمل أن تكون من السورة بمعنى المرتبة ؛ لأن الآيات مرتبة في كل سورة ترتيباً مناسباً ؛ وفي ذلك حجة لمن تتبع الآيات بالمناسبات .

وقال ابن جنى فى شرح منهوكة أبى نواس : إنما سميت سورة لارتفاع قدرها ؛ لأنها كلامُ الله تعالى ؛ وفيها معرفة الحلال والحرام ؛ ومنه رجل سوار ، أى مربد ؛ لأنه يعلو بفعله ويشتط . ويقال : أصلها من السّورة وهى الوثبة ، تقول : سُرْتُ إليه وثرْتُ إليه . وجمع سُورَةُ القرآن سُوَر بفتح الواو ، وجمع سورهِ البناء سُور بسكونها . وقيل : هو بمعنى العلو ؛ ومنه قوله تعالى : ﴿ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴾ ^(١) نزلوا عليه من علو ، فسميت القراءة به لتركب بعضها ^(٢) على بعض . وقيل : لعلو شأنه وشأن قارئه . ثم كره بعضهم أن يقال : سُورَة كذا ، والمصحح جوازُه . ومنه قول ابن مسعود : هذا مقام الذى أنزلت عليه سورة البقرة .

وأما فى الاصطلاح فقال الجعبرى : حدُّ السورة قرآنٌ يشتمل على آى ذوات فاتحة وخاتمة . وأقلها ثلاث آيات . فإن قيل : فما الحكمة فى تقطيع القرآن سُوراً ؟ قلت : هى الحكمة فى تقطيع السور آيات معدودات ؛ لكل آية حدٌ ومطلع ؛ حتى تكون كلُّ سورة بل كل آية فناً مستقلاً وقرآناً معتبراً ، وفى تسویر السورة تحقيقٌ لكون السورة بمجردِها معجزة وآية من آيات الله تعالى . وسُورَت السّور طوالاً وقصاراً وأوساطاً ؛ تنبيهاً على أن الطول ليس من شرط الإعجاز ؛ فهذه سورة الكوثر ثلاث آيات وهى معجزةٌ إعجاز سورة البقرة . ثم ظهرت لذلك حكمةٌ فى التعليم ، وتدرّج الأطفال من السّور القصار إلى

ما فوقها يسيراً يسيراً ، تيسيراً من الله على عباده لحفظ كتابه ، فترى الطفل يفرح بإتمام
السورة فرحاً من حصل على حدٍّ معتبر . وكذلك المطيل في التلاوة يرتاح عند ختم
كل سورة ارتياح المسافر إلى قطع المراحل المسماة مرحلة بعد مرحلة أخرى ؛ إلى أن كل
سورة تَمُطُّ مستقلة ، فسورة يوسف تترجم عن قصته ، وسورة براءة تترجم عن أحوال
المنافقين وكامن أسرارهم ، وغير ذلك .

فإن قلت : فهلاً كانت الكتب السالفة كذلك ؟ قلت : لو جهين : أحدها أنها لم
تكن معجزاتٍ من ناحية النظم والترتيب ، والآخر أنها لم تيسر للحفظ .

وقال الزمخشري : الفائدة في تفصيل القرآن وتقطيعه سوراً كثيرة - وكذلك أنزل الله
التوراة والإنجيل والزبور ، وما أوحاه إلى أنبيائه مسورة ، وبوت المصنفون في كتبهم أبواباً
موشحة الصدور بالتراجم : منها أن الجنس إذا انطوت تحته أنواع وأصناف كان أحسن
وأفخم من أن يكون باباً واحداً . ومنها أن القارئ إذا ختم سورة أو باباً من الكتاب ثم
أخذ في آخره كان أنشط له ، وأبعث على التحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله ،
ومثله المسافر إذا قطع ميلاً أو فرسخاً وانتهى إلى رأس برية نفس ذلك منه ونشطه للسير ؛
ومن ثمة جرى القرآن أجزاءً وأخماساً . ومنها أن الحافظ إذا حذق الشورة اعتقد أنه أخذ
من كتاب الله طائفة مستقلة فيعظم عنده ما حفظه . ومنه حديث أنس : كان الرجل إذا قرأ
البقرة وآل عمران جلّ فينا . ومن ثم كانت القراءة في الصلاة بسورة أفضل . ومنها أن
التفصيل يسبب تلاحق الأشكال والنظائر وملاءمة بعضها لبعض ، وبذلك تتلاحظ المعاني
والنظم ؛ إلى غير ذلك من الفوائد .

فائدة

[في بيان معنى الآية لغة واصطلاحاً]

أما الآية فلها في اللغة ثلاثة معان :

أحدها - جماعة الحروف، قال أبو عمرو الشيباني : تقول العرب : خرج القوم بآيتهم أى بجماعتهم .

ثانيها - الآية : العجب، تقول العرب : فلان آية في العلم وفي الجمال ، قال الشاعر :

آيةٌ في الجمالِ ليس له في الله حسن شبهة وما له من نظير

فكان كل آية عجب في نظمها ، وللعاني المودعة فيها .

ثالثها - العلامة ، تقول العرب : خربت دار فلان وما بقي فيها آية ، أى علامة ؛ فكان

كل آية في القرآن علامة ودلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

واختلف في وزنها فقال سيبويه : « فَعَلَةٌ » بفتح العين ، وأصلها « آيَّةٌ » تحركت الياء

وانفتح ما قبلها فجاءت آية . وقال الكسائي : أصلها « آيَّةٌ » على وزن « فاعلة » ، حذفت

الياء الأولى مخافة أن يلتزم فيها من الإدغام ما لزم في دابة .

وأما في الاصطلاح فقال الجعبري في كتاب " المفرد في معرفة العدد " : حدُ الآية قرآن

مركب من جل ولو تقديرا ، ذو مبدأ ومقطع مندرج في سورة ؛ وأصلها العلامة ، ومنه : ﴿ وَإِنْ

آيَةً مُلْكِهِ ﴾ ^(١) لأنها علامة للفضل والصدق ، أو الجماعة ، لأنها جماعة كلمة .

وقال غيره : الآية طائفة من القرآن منقطعة عما قبلها وما بعدها ليس بينها شبهة

بما سواها .

وقيل : هي الواحدة من المعدودات في الشُّور ، سميت به لأنها علامة على صدق مَنْ أتى بها ، وعلى تَجْزِ المتحدَّى بها .

وقيل : لأنها علامة انقطاع ما قبلها من الكلام وانقطاعها ^(١) عما بعدها . قال الواحدى : وبعض أصحابنا يجوزُ على هذا القول تسمية أقل من الآية آية ؛ لولا أن التوقيف ورد بما هي عليه الآن .

وقال ابن المنير في البحر : ليس في القرآن كلمة واحدة آية إلا ﴿ مُذَاهِمَاتَانِ ﴾ ^(٢) . وقال بعضهم : الصحيح أنها إنما تُعَلَّمُ بتوقيف من الشارع ، لا مجال للقياس فيه كعرفة السورة ، فالآية طائفة حروف من القرآن ، عُلِمَ بالتوقيف انقطاعها معنى عن الكلام الذى بعدها في أول القرآن ، وعن الكلام الذى قبلها في آخر القرآن ، وعن الكلام الذى قبلها والذى بعدها في غيرها ، غير مشتمل على مثل ذلك . قال : وبهذا القيد خرجت السورة .

وقال الزمخشري : الآيات علم توقيفي لا مجال للقياس فيه ، فعدوا ﴿ آلم ﴾ آية حيث وقعت من السورة المفتوح بها ، وهي سِت ^(٣) ، وكذلك ﴿ آمص ﴾ ^(٤) آية ، و ﴿ المآ ﴾ ^(٥) لم تعد آية ، و ﴿ الر ﴾ ^(٦) ليست بآية في سورها الخمس . و ﴿ طسم ﴾ ^(٧) آية في سورتها ، و ﴿ طه ﴾ و ﴿ يس ﴾ آيتان ، و ﴿ طس ﴾ ^(٨) ليست بآية ، و ﴿ حم ﴾ ^(٩) آية في سورها كلها و ﴿ حم عسق ﴾ ^(١٠) آيتان ، و ﴿ كهيعص ﴾ ^(١١) آية واحدة ، و ﴿ ص ﴾ و ﴿ ق ﴾ و ﴿ ن ﴾ ثلاثها لم تعد آية . هذا مذهب الكوفيين ، ومن عداهم لم يعدوا شيئا منها آية .

(١) ت : « واقطاعة » . (٢) سورة الرحمن ٦٤ .

(٣) البقرة ، آل عمران ، العنكبوت ، الروم ، لقمان ، الجدة .

(٤) سورة الأعراف (٥) سورة الرعد .

(٦) يونس ، هود ، يوسف ، إبراهيم ، الحجر .

(٧) الشعراء ، القصص (٨) سورة النمل .

(٩) غافر ، فصلت ، الشورى ، الزخرف ، الدخان ، الجاثية ، الأحقاف .

(١٠) سورة الشورى . (١١) سورة مريم .

وقال بعضهم : إنما عدوا ﴿يس﴾ آية ولم يعدوا ﴿طس﴾ لأن ﴿طس﴾ تشبه المفرد ، كقائيل في الزنة والحروف ، و﴿يس﴾ تشبه الجملة من جهة أن أوله ياء ، وليس لنا مفرد أوله ياء .

وقال القاضي أبو بكر بن العربي : ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن الفاتحة سبع آيات وسورة الملك ثلاثون آية . وصح أنه قرأ العشر الآيات الخواتيم من سورة آل عمران . قال : وتعميد الآي من مفصلات القرآن ؛ ومن آياته طويل وقصير ، ومنه ما ينقطع ، ومنه ما ينتهي إلى تمام الكلام ، ومنه ما يكون في أثناؤه ، كقوله : ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾^(١) على مذهب أهل المدينة ، فإنهم يعدونها آية . وينبغي أن يعول في ذلك على فعل السلف .

وأما الكلمة ، فهي اللفظة الواحدة ، وقد تكون على حرفين مثل « ما » و « لى » و « له » و « لك » . وقد تكون أكثر . وأكثر ما تكون عشرة أحرف ، مثل : ﴿لَيْسَتْخَلَفْنَهُمْ﴾^(٢) ، و ﴿أَنْزَلْنَاهُمْ مَكُومَهَا﴾^(٣) و ﴿فَأَسْقَيْنَا كُومَهُ﴾^(٤) : وقد تكون الكلمة آية مثل : ﴿وَالْفَجْرِ﴾ ، ﴿وَالضُّحَى﴾ ، ﴿وَالْعَصْرِ﴾ ، وكذلك ﴿آم﴾ ، و ﴿طه﴾ ، و ﴿يس﴾ ، و ﴿حم﴾ في قول الكوفيين . و ﴿حم عسق﴾ عندهم كلمتان ، وغيرهم لا يسمي هذه آيات بل يقول : هذه فواتح لسور .

وقال أبو عمرو الداني : لا أعلم كلمة هي وحدها آية إلا قوله : ﴿مُذَاهِمَاتَانِ﴾^(٥) في سورة الرحمن .

(٢) سورة النور ٥٥

(٤) سورة الحجر ٢٢

(١) الفاتحة ٦

(٣) سورة هود ٢٨

(٥) سورة الرحمن ٦٤ .

خاتمة

[في تعدد أسماء الشُّور]

قد يكون للسورة اسم واحد وهو كثير وقد يكون لها اسمان ، كسورة البقرة يقال لها : فسطاط القرآن لعظمها ونبائها . وآل عمران يقال اسمها في التوراة طيبة ، حكاه النقاش^(١) . والنحل تسمى سورة النعم لما عُدَّ الله فيها من النعم على عباده . وسورة ﴿ حَمَّ عَسَق ﴾ ، وتسمى الشورى . وسورة الجاثية وتسمى الشريعة . وسورة محمد صلى الله عليه وسلم وتسمى القتال .

وقد يكون لها ثلاثة أسماء ، كسورة المائدة ، والعُقود ، والمنقذة . وروى ابن عطية فيه حديثاً^(٢) ، وكسورة غافر ، والطول ، واللؤم ، لقوله : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ ﴾^(٣) .

وقد يكون لها أكثر من ذلك ؛ كسورة براءة ، والتوبة ، والفاضة ، والحافرة ، لأنها حُفرت عن قلوب المنافقين . قال ابن عباس : ما زال ينزل ﴿ وَمِنْهُمْ ﴾ حتى ظننا أنه لا يبقى أحدٌ إلا ذُكر فيها . وقال حذيفة : هي سورة العذاب . وقال ابن عمر : كنا ندعوها المشققة . وقال الحرث بن يزيد : كانت تدعى البعثة ، ويقال لها : المسورة ، ويقال لها : البَحْثُ^(٤) .

وكسورة الفاتحة ذكر بعضهم لها بضعة وعشرين اسماً : الفاتحة - وثبت في الصحيحين - وأم الكتاب ، وأم القرآن ، وثبتا في صحيح مسلم ؛ وحكى ابن عطية : كراهية تسميتها عن قوم ، والسبع للثاني ، والصلاة ثبتا في صحيح مسلم ، والحد ، رواه الدارقطني .

(١) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن محمد بن زياد القرطبي الموصلي النقاش ، صنف في التفسير والقراءات ؛ وتوفي سنة ٣٥١ (الباب ٣ : ٢٣٥) .

(٢) قوله عليه السلام : «سورة المائدة تدعى في ملكوت الله المنقذة، تنقذ، صاحبها من أيدي ملائكة العذاب» . قال القرطبي في التفسير ٦ : ٣٠ .

(٣) سورة غافر ٢٨

(٤) قال القرطبي : « لأنها تبحث عن أسرار المنافقين ، والبعثة : البحث » .

وسميت مثنى لأنها تنثنى في الصلاة ، أو أنزلت مرتين ، والوافية بالفاء لأن تبغيضها لا يجوز ، ولا شتمها على المعاني التي في القرآن ، والكنز لما ذكرنا ، والشافية ، والشفاء ، والكافية ، والأساس .

وينبغي البحث عن تعداد الأسماء : هل هو توقيفي أو بما يظهر من المناسبات ؟ فإن كان الثاني فلن يعدم القطن أن يستخرج من كل سورة معاني - كثيرة تقتضي اشتقاق أسمائها^(١) وهو بعيد .

خاتمة أخرى

[في اختصاص كل سورة بما سميت^(٢)]

ينبغي النظر في وجه اختصاص كل سورة بما سُمِّيَتْ به ، ولا شك أن العرب تراعى في الكثير من المسميات أخذَ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء من خلق أو صفة تخصه ، أو تكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق لإدراك الرائي للمسمى . ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها ، وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز ؛ كتسمية سورة البقرة بهذا الاسم لقريظة ذكر قصة البقرة المذكورة فيها وعجيب الحكمة فيها . وسميت سورة النساء بهذا الاسم لما تردد فيها من كثير من أحكام النساء ، وتسمية سورة الأنعام لما ورد فيها من تفصيل أحوالها ، وإن كان قد ورد لفظ الأنعام في غيرها ؛ إلا أن التفصيل الوارد في قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَشَاءٌ... ﴾^(٣) إلى قوله : ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ ﴾^(٤) لم يرد في غيرها ؛

(١) ت : « اشتغالها » تحريف

(٢) هذه الخاتمة سابقة من ت ، ط .

(٣) سورة الأنعام ١٤٢

(٤) سورة الأنعام ١٤٤ .

كما ورد ذكر النساء في سورٍ ؛ إلا أن ما تكرر وبسط من أحكامهن لم يرد في غير سورة النساء . وكذا سورة المائدة لم يرد ذكر المائدة في غيرها فسميت بما يخصها .

فإن قيل : قد ورد في سورة هود ذكر نوح وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام ، فلم تختص باسم هود وحده ؟ وما وجه تسميتها به ؟ وقصة نوح فيها أطول وأوعب . قيل : تكررت هذه القصص في سورة الأعراف وسورة هود والشعراء بأوعب مما وردت في غيرها ، ولم يتكرر في واحدة من هذه السور الثلاث اسم هود عليه السلام كتكرره في هذه السورة ؛ فإنه تكرر فيها عند ذكر قصته في أربعة مواضع ، والتكرار من أقوى الأسباب التي ذكرنا .

وإن قيل : فقد تكرر اسم نوح في هذه السورة في ستة مواضع فيها ، وذلك أكثر من تكرار اسم هود . قيل : لما جردت لذكر نوح وقصته مع قومه سورة برأسها فلم يقع فيها غير ذلك كانت أولى بأن تسمى باسمه عليه السلام من سورة تضمنت قصته وقصة غيره ، وإن تكرر اسمه فيها ؛ أما هود فكانت أولى السور بأن تسمى باسمه عليه السلام .

واعلم أن تسمية سائر سور القرآن يجرى فيها من رَغْيِ التسمية ما ذكرنا . وانظر سورة ﴿ ق ﴾ لما تكرر فيها من ذكر الكلمات بلفظ القاف . ومن ذلك السور المفتحة بالحروف المقطعة ، ووجه اختصاص كل واحدة بما وليته ، حتى لم تكن لترد ﴿ آلم ﴾ في موضع ﴿ آزر ﴾ ، ولا ﴿ حم ﴾ في موضع ﴿ طس ﴾ ؛ لاسيما إذا قلنا : إنها أعلام لها وأسماء عليها .

وكذا وقع في كل سورة منها ما كثر ترداده فيما يتركب من كلماتها ؛ ويوضحه أنك إذا نظرت سورة منها بما يماثلها في عدد كلماتها وحروفها وجدت الحروف المفتحة بها تلك السورة أفرادا وتركيبا أكثر عددا في كلماتها منها في نظيرتها ومماثلتها في عدد كلماتها وحروفها ؛ فإن لم تجد بسورة منها ما يماثلها في عدد كلماتها في أطراد ذلك في المائلات مما

يوجد له النظير ما يشعر بأن هذه لو وجد ما يماثلها لجرى على ما ذكرت لك . وقد اطرّد
هذا في أكثرها فحق لكل سورة منها ألا يناسبها غير الوارد فيها ؛ فلو وضع موضع ﴿ق﴾
من سورة ﴿ن﴾ لم يمكن لعدم التناسب الواجب مراعاته في كلام الله تعالى . وقد تكرّر في
سورة يونس من الكلم الواقع فيها ﴿آر﴾ مائتا كلمة وعشرون أو نحوها ، فلماذا افتتحت
بـ ﴿آر﴾ . وأقرب السور إليها مما يماثلها بعدها من غير المفتحة بالحروف المقطعة سورة النحل .
وهي أطول منها مما يركب على ﴿الر﴾ . من كلماتها مائتا كلمة ، مع زيادتها في الطول عليها ،
فلذلك وردت الحروف المقطعة في أولها ﴿الر﴾ .

النوع الخامس عشر معرفة أسمائه واشتقاقاتها

[أسماء القرآن]

وقد صنف في ذلك الحرالي جزءاً وأنهى أساميّه إلى نيّف وتسعين .
وقال القاضي أبو المعالي عزيّز بن عبد الملك رحمه الله : اعلم أن الله تعالى سَمِيَ القرآن
بخمسة وخمسين اسماً :

- وسمّاه كتاباً فقال : ﴿ حَمِّمُوا لِكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ ^(١) .
- وسمّاه قرآناً فقال : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ... ﴾ ^(٢) الآية .
- وسمّاه كلاماً فقال : ﴿ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾ ^(٣) .
- وسمّاه نوراً فقال : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً ﴾ ^(٤) .
- وسمّاه هدى فقال : ﴿ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴾ ^(٥) .
- وسمّاه رحمة فقال : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾ ^(٦) .
- وسمّاه فرقاناً فقال : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ ... ﴾ الآية ^(٧) .
- وسمّاه شفّاء فقال : ﴿ وَنُزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ ﴾ ^(٨) .
- وسمّاه موعظة فقال : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ ^(٩) .

(٢) سورة الواقعة ٢٧

(٤) سورة النساء ١٧٤

(٦) سورة يونس ٨٨

(٨) سورة الإسراء ٨٢

(١) سورة الدخان ١ ، ٢

(٣) سورة التوبة ٦

(٥) سورة لقمان ٣

(٧) سورة الفرقان ١

(٩) سورة يونس ٥٧

- وسماه ذكراً فقال : ﴿ وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ ﴾ ^(١) .
- وسماه كريماً فقال : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ ^(٢) .
- وسماه علياً فقال : ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ ﴾ ^(٣) .
- وسماه حكمة فقال : ﴿ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ ﴾ ^(٤) .
- وسماه حكيماً فقال : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْكِتَابَ الْحَكِيمَ ﴾ ^(٥) .
- وسماه مهيمناً فقال : ﴿ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ ^(٦) .
- وسماه مباركا فقال : ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ ... ﴾ ^(٧) الآية .
- وسماه حَبِلاً فقال : ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ﴾ ^(٨) .
- وسماه الصراط المستقيم فقال : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ ^(٩) .
- وسماه القيم فقال : ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا . قَيِّمًا ﴾ ^(١٠) .
- وسماه فضلاً فقال : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ فَضْلٍ ﴾ ^(١١) .
- وسماه نبأ عظيماً فقال : ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ . عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ﴾ ^(١٢) .
- وسماه أحسن الحديث فقال : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ ... ﴾ ^(١٣) الآية .
- وسماه تنزيلاً فقال : ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(١٤) .
- وسماه رُوحاً فقال : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ﴾ ^(١٥) .

(١) سورة الأنبياء ٥٠	(٢) سورة الواقعة ٧٧
(٣) سورة الزخرف ٤١	(٤) سورة القمر
(٥) سورة يونس ٢٠١	(٦) سورة المائدة ٤٨
(٨) سورة آل عمران ١٠٣	(٧) سورة من ٢٩
(١٠) سورة الكهف ٢٠١	(٩) سورة الأنعام ١٥٣
(١٢) سورة النبأ ٢٠١	(١١) سورة الطارق ١٣
(١٤) سورة الشعراء ١٩٢	(١٣) سورة الزمر ٢
	(١٥) سورة الشورى ٥٢

- وسماه وخيا فقال : ﴿ إِنَّمَا أَنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ ﴾ ^(١) .
- وسماه المثاني فقال : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي ﴾ ^(٢) .
- وسماه عربياً فقال : ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ ^(٣) ، قال ابن عباس : غير مخلوق .
- وسماه قولاً فقال : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ ﴾ ^(٤) .
- وسماه بصائر فقال : ﴿ هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ ﴾ ^(٥) .
- وسماه بياناً فقال : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ ﴾ ^(٦) .
- وسماه علماً فقال : ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ ^(٧) .
- وسماه حقاً فقال : ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾ ^(٨) .
- وسماه الهادي فقال : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنُ يَهْدِي ﴾ ^(٩) .
- وسماه عجبا فقال : ﴿ قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي ﴾ ^(١٠) .
- وسماه تذكرة فقال : ﴿ وَإِنَّهُ لَتَذْكُرَةٌ ﴾ ^(١١) .
- وسماه بالعروة الوثقى فقال : ﴿ فَقَدْ أَسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾ ^(١٢) .
- وسماه متشابهاً فقال : ﴿ كِتَابًا مُتَشَابِهًا ﴾ ^(١٣) .
- ✓ وسماه صدقاً فقال : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ ﴾ ^(١٤) أى بالقرآن .
- ✓ وسماه عدلاً فقال : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ ^(١٥) .

(٢) سورة الحجر ٨٧ .

(٤) سورة القصص ٥١ .

(٦) سورة النساء ١٣٨ .

(٨) سورة آل عمران ٦٢ .

(١٠) سورة الجن ٢٩ .

(١٢) سورة لقمان ٢٢ .

(١٤) سورة الأنعام ١١٥ .

(١) سورة الأنبياء ٤٥ .

(٣) سورة الزمر ٢٨ .

(٥) سورة الجاثية ٢٠ .

(٧) سورة الرعد ٣٧ .

(٩) سورة الإسراء ٩٠ .

(١١) سورة الدھر ٥٤ .

(١٣) سورة الزمر ٢٣ ، ٣٣ .

- وسماه إيماناً فقال : ﴿ سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ ﴾ ^(١) .
- وسماه أمراً فقال : ﴿ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ ﴾ ^(٢) .
- وسماه بشرى فقال : ﴿ هُدًى وَبُشْرَى ﴾ ^(٣) .
- ✓ وسماه مجيداً فقال : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴾ ^(٤) .
- وسماه زبوراً فقال : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ ... ﴾ ^(٥) الآية .
- ✓ وسماه مبيناً فقال : ﴿ الْآرَ : تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ ^(٦) .
- وسماه بشيراً ونذيراً فقال : ﴿ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ ﴾ ^(٧) .
- ✓ وسماه عزيزاً فقال : ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴾ ^(٨) .
- ✓ وسماه بلاغاً فقال : ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ ﴾ ^(٩) .
- ✓ وسماه قصصاً فقال : ﴿ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ ^(١٠) .
- ✓ وسماه أربعة أسامى فى آية واحدة فقال : ﴿ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴾ ^(١١) . انتهى

تفسير هذه الأسامى

فأما الكتاب ؛ فهو مصدر كتب يكتب كتابةً ، وأصلها الجمع ، وسميت الكتابة لجمعها الحروف ؛ فاشتق الكتاب لذلك ؛ لأنه يجمع أنواعاً من القصص والآيات والأحكام والأخبار على أوجه مخصوصة . ويسمى المكتوب كتاباً مجازاً ، قال الله تعالى : ﴿ فِي كِتَابٍ

- | | |
|-----------------------|---------------------|
| (١) سورة آل عمران ١٩٣ | (٢) سورة الطلاق ٥ |
| (٣) سورة النمل ٢ | (٤) سورة البروج ٢١ |
| (٥) سورة الأنبياء ١٠٥ | (٦) سورة يوسف ١ ، ٢ |
| (٧) سورة فصلت ٤ | (٨) سورة فصلت ٤١ |
| (٩) سورة إبراهيم ٥٢ | (١٠) سورة يوسف ٣ |
| (١١) سورة عبس ١٣ ، ١٤ | |

مَكُونٍ^(١)، أى اللوح المحفوظ . والكتابة حركات تقوم بمحل قدرة الكاتب، خطوط موضوعة مجمعة تدل على المعنى المقصود ؛ وقد يغلط الكاتب فلا تدل على شئ .

وأما القرآن فقد اختلفوا فيه ؛ فقليل : هو اسم غير مشتق من شئ ؛ بل هو اسم خاص بكلام الله ؛ وقيل : مشتق من القرئى، وهو الجمع ؛ ومنه قرئت الماء فى الحوض أى جمعه ؛ قاله الجوهري وغيره^(٢) .

وقال الراغب : لا يقال لكل جمع قرآن ولا لجمع كل كلام قرآن ؛ ولعل مراده بذلك فى العرف والاستعمال لا أصل اللغة .

وقال المروى : كل شئ جمعه قد قرأته .

قال أبو عبيد : سمي القرآن قرآناً ؛ لأنه جمع السور بعضها إلى بعض .

وقال الراغب : سمي قرآناً لكونه جمع ثمرات الكتب المنزلة السابقة .

وقيل : لأنه جمع أنواع العلوم كلها بمعان ؛ كما قال تعالى : ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾^(٣) .

وقال بعض المتأخرين : لا يكون القرآن و « قرأ » مادته بمعنى جمع^(٤) ، لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾^(٥) فغاير بينهما ؛ وإنما مادته « قرأ » بمعنى أظهر وبين ، والقارئ يظهر القرآن ويخرجه ، والقرء : الدم ، لظهوره وخروجه . والقرء : الوقت ؛ فإن التوقيت لا يكون إلا بما يظهر .

وقيل : سمي قرآناً لأن القراءة عنه والتلاوة منه ؛ وقد قرئت بعضها عن بعض .

وفى تاريخ بغداد للخطيب فى ترجمة الشافعى قال^(٦) : « وقرأت القرآن على إسماعيل

(٢) اللسان (قرا)

(٤) م : « الجمع »

(٦) تاريخ بغداد ٢ : ٦٢ .

(١) سورة الواقعة ٧٨

(٣) سورة الأنعام ٣٨

(٥) سورة القيامة ١٧

ابن قسطنطين وكان يقول: القران اسم وليس مهموزا ؛ ولم يؤخذ من «قرأت» ؛ ولو أخذ من «قرأت» لكان كل ما قرئ [قرأنا] ^(١) ولكنه اسم للقران ؛ مثل التوراة والإنجيل ، يهمز قرأت ، ولا يهمز القران .

وقال الواحدى : كان ابن كثير يقرأ بغير هز ، وهى قراءة الشافعى أيضا . قال البيهقى : كان الشافعى يهمز «قرأت» ولا يهمز القران ؛ ويقول : هو اسم لكتاب الله غير مهموز . قال الواحدى : قول الشافعى هو اسم لكتاب الله ، يعنى أنه اسم علم غير مشتق ، كما قاله جماعة من الأئمة .

قال : وذهب آخرون إلى أنه مشتق من قرئت الشئ بالشئ إذا ضمته إليه فسمى بذلك لقران السور والآيات والحروف فيه ، ومنه قيل للجمع بين الحج والعمرة قران ، قال : وإلى هذا المعنى ذهب الأشعرى .

وقال القرطبى : القران بغير هز مأخوذ من القرائن ؛ لأن الآيات منه يصدق بعضها بعضا ؛ ويشابه بعضها بعضا ، فهى حينئذ قرائن .

قال الزجاج : وهذا القول سهو ، والصحيح أن ترك الهمز فيه من باب التخفيف ؛ ونقل حركة الهمة إلى الساكن قبلها ؛ وهذا ما أشار إليه الفارسى ^(٢) فى " الحلييات " ؛ وقوله : ﴿ إِنَّا عَلَيْنَا جَمْعُهُ وَقُرْآنُهُ ﴾ ^(٣) أى جمعه فى قلبك حفظا ، وعلى لسانك تلاوة ، وفى سمعك فهما وعلمها . ولهذا قال بعض أصحابنا : إن عند قراءة القارى تسمع قراءته المخلوقة ، ويفهم منها كلام الله القديم ؛ وهذا معنى قوله : ﴿ لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ ﴾ ^(٤) ، أى

(١) تكملة من تاريخ بغداد .

(٢) هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار ؛ أبو على الفارسى ؛ توفى سنة ٣٧٧ ينفاد ؛ والحلييات أحد كتبه التى أسماها المسائل الحلييات (إنباه الرواة ١ : ٢٧٣)

(٤) سورة فصلت ٢٦ .

(٣) سورة القيامة ١٧

لا تفهموا ولا تعقلوا ، لأن السَّمْعَ الطبيعيَّ يحصل للسامع شاء أو أبى .
وأما الكلام فمشتق من التأثير ، يقال : كلمه إذا أثر فيه بالجرح ، فسمى الكلام
كلاما لأنه يؤثر في ذهن السامع فائدة لم تكن عنده .

وأما النور ؛ فلا أنه يدرك به غوامضُ الحلال والحرام .
وأما تسميته « هدى » فلا أن فيه دلالةً بينةً إلى الحق ، وتفريقاً بينه وبين الباطل .
وأما تسميته « ذكرا » فلما فيه من المواعظ والتحذير وأخبار الأمم الماضية ؛ وهو مصدر
ذكرت ذكرا ، والذكر : الشرف ، قال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ
ذِكْرُكُمْ ﴾ ^(١) أى شرفكم .

وأما تسميته « تبياناً » فلا أنه يبين فيه أنواع الحق وكشف أدلته .
وأما تسميته « بلاغا » فلا أنه لم يصل إليهم حال أخبار النبي صلى الله عليه وسلم
وإبلاغه إليهم إلا به .

وأما تسميته « مبينا » فلا أنه أبان وفرق بين الحق والباطل .
وأما تسميته « بشيرا ونذيرا » فلا أنه بشر بالجنة وأنذر من النار .
وأما تسميته « عزيزا » أى يعجز ويعز على من يروم أن يأتي بمثله فيتمنر ذلك عليه ؛
لقوله تعالى : ﴿ قُلْ لئن اجتمعت الإنسُ والجنُ ... ﴾ ^(٢) الآية ، والقديم لا يكون له
مثل ؛ إنما المراد أن يأتوا بمثل هذا الإبلاغ والإخبار والقراءة بالوضع البديع . وقيل المراد
بالعزيز نفى المهانة عن قارئه إذا عمل به .

وأما تسميته «فرقانا» فلا تفرق بين الحق والباطل، والمسلم والكافر، والمؤمن والمنافق،
وبه سمي عمر بن الخطاب الفاروق .

وأما تسميته «مثنى» فلا تفرق فيه بيان قصص الكتب الماضية، فيكون البيان ثانيا
للأول الذي تقدمه فيبين الأول الثاني . وقيل سمي «مثنى» لتكرار الحكم والقصص والمواعظ
فيه . وقيل : إنه اسم الفاتحة وحدها .

وأما تسميته «وحيا» ومعناه تعريف الشيء خفية ، سواء كان بالكلام ؛ كالأنبياء والملائكة،
أو بإلهام كالنحل وإشارة النمل ؛ فهو مشتق من الوحي والعجلة ، لأن فيه إلهاما بسرعة
وخفية .

وأما تسميته «حكيا» فلا تفرق آياته أحكمت بذكر الحلال والحرام ، فأحكمت عن الإتيان
بمثلها ؛ ومن حكمته أن علامته : مَنْ علمه وعمل به ارتدع عن الفواحش ^(١) .

وأما تسميته «مصدقا» فإنه صدق الأنبياء الماضين أو كتبهم قبل أن تتغير وتبدل .

وأما تسميته «مهيئنا» فلا تفرق الشاهد للكتب المتقدمة بأنها من عند الله .

وأما تسميته «بلاغا» ^(٢) فلا تفرق في الإعلام والإبلاغ وأداء الرسالة .

وأما تسميته «شفاء» فلا تفرق من آمن به كان له شفاء من سقم الكفر ، ومن علمه
وعمل به كان له شفاء من سقم الجهل .

وأما تسميته «رحمة» فإن مَنْ فهمه وعقله كان رحمة له .

وأما تسميته «قصصا» فلا تفرق فيه قصص الأمم الماضين وأخبارهم .

وأما تسميته «مجيدا» والمجيد الشريف ، فمن شرفه أنه حفظ عن التغير والتبدل

(٢) سبق تحليل هذه التسمية في الصفحة السابقة

(١) ت : « أت يدع الفواحش »

والزيادة والنقصان ، وجعله معجزاً في نفسه عن أن يؤتى بمثله .

وأما تسميته « تنزيلاً » فلا أنه مصدر نزله ؛ لأنه منزل من عند الله على لسان جبريل ، لأن الله تعالى أسمع جبريل كلامه وفهمه إياه كما شاء من غير وصف ولا كيفية نزل به على نبيه ، فأداه هو كما فهمه وعلمه .

وأما تسميته « بصائر » فلا أنه مشتق من البصر والبصيرة ، وهو جامع لمعانى أغراض المؤمنين ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ ﴾ ^(١) وأما تسميته ذكرى فلا أنه ذكر للمؤمنين ؛ ما فطهم الله عليه من التوحيد . وأما قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ﴾ ^(٢) فالمراد بالزبور هنا جميع الكتب المنزلة من السماء لا يختص بزبور داود ، والذكر أم الكتاب الذي من عند الله تعالى .

وذكر الشيخ شهاب الدين أبو شامة في "المرشد الوجيز" ، في قوله تعالى : ﴿ وَرَزَقُ رَبُّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ ^(٣) قال : يعني القرآن . وقال السخاوي : يعني ما رزقك الله من القرآن خير مما رزقهم من الدنيا .

فائدة

ذكر المظفرى ^(٤) في تاريخه : لما جمع أبو بكر القرآن قال : سمّوه ، فقال بعضهم :

(٢) سورة الأنبياء ١٠٥

(١) سورة الأنعام ٥٩

(٤) هو القاضي شهاب الدين إبراهيم بن عبد الله بن أبي

(٣) سورة إبراهيم ٥٢

الدم، الحموى ؛ التوفى سنة ٦٣٢ هـ ؛ وتاريخه اختص بالملّة الإسلامية . (كشف الظنون) .

سموه إنجيلا ، فكرهوه ، وقال بعضهم : سموه السَّفر ، فكرهوه من يهود . فقال ابن مسعود : رأيت للحبشة كتابا يدعونه المصحف فسموه به .

فائدة

قال الحافظ أبو طاهر السِّلَفي^(١) : سمعت أبا الكرم النحوى ببغداد ؛ وسئل : كلُّ كتاب له ترجمة ، فما ترجمة كتاب الله ؟ فقال : ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ ﴾^(٢) .

(١) هو أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السِّلَفي الحافظ ، توفى سنة ٥٧٦ هـ (ابن خلكان ١ : ٣١) .
(٢) سورة إبراهيم ٥٢ .

النوع السادس عشر

معرفة ما وقع فيه من غير لغة أهل الحجاز

من قبائل العرب

قد تقدم في النوع الحادي عشر^(١) الإشارة إلى الخلاف في ذلك ، والمعروف أنه بلغة قريش . وحكى عن أبي الأسود الدئلي أنه نزل بلسان الكعبيين : كغب بن لؤي جد قريش ، وكغب بن عمرو ، جد خزاعة ، فقال له خالد بن سلمة : إنما نزل بلسان قريش ولسان خزاعة ؛ وذلك أن الدار كانت واحدة .

وقال أبو عبيد في كتاب " فضائل القرآن " ، عن ابن عباس رضي الله عنهما : نزل بلغة الكعبيين : كعب قريش ، وكعب خزاعة ؛ قيل : وكيف ذاك ؟ قال : لأن الدار واحدة . قال أبو عبيد : يعني أن خزاعة جيران قريش ، فأخذوا بلغتهم .

وأما الكلبي فإنه روى عن أبي صالح عن ابن عباس قال : نزل القرآن على سبع لغات ؛ منها خمس بلغة العَجُز من هوازن^(٢) . قال أبو عبيد : المعجُز هم سعد بن بكر ، وجشم [ابن بكر]^(٣) ، ونصر بن معاوية ، وثقيف ، وهذه القبائل هي التي يقال لها عُلَيَّا هوازن^(٤) وهم الذين قال فيهم أبو عمرو بن العلاء : أفصحُ العرب عليا هوازن وسُفلى تميم ؛ فهذه عليا هوازن ، وأما سفلى تميم فبنو دارم .

وقال أبو ميسرة : بكل لسان . وقيل : إن فيه من كل لغات العرب ؛ ولهذا قال الشافعي

(١) من ٢١٩ - ٢٢١

(٢) نقله ابن فارس في الصحاح من ٢٨

(٣) من كتاب الصحاح

(٤) ونقل ابن فارس عن أبي عبيد : « وأحب أفصح

هؤلاء بنو سعد بن بكر ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا أفصح العرب ، يد أي من قريش ، وأي نشأت في بني سعد بن بكر » ، وكان مترجما فيهم .

في " الرسالة " ، (١) : لا نعلمه يحيط باللغة إلا نبي .

قال الصيرفي : يريد من بُعث بلسان جماعة العرب حتى يخاطبها به .

قال : وقد فضل الفراء لغة قريش على سائر اللغات ؛ وزعم أنهم يسمعون كلام العرب فيختارون من كل لغة أحسنها ، فصفا كلامهم . وذكَرَ قَبِيحٌ (٢) عن عَنَّةِ تميم ، وكشكسة (٣) ربيعة ، وعجرفة قيس (٤) . وذَكَرَ أن عمر رضى الله عنه قال : يا رسول الله ؛ إنك تأتينا بكلام من كلام العرب وما نعرفه ، ولنحنُ العرب حقاً ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن ربي علمني فتعلمت ، وأدبني فتأدبت » .

قال الصيرفي : ولست أعرف إسنادَ هذا الحديث ، وإن صحَّ فقد دلَّ على أن النبي صلى الله عليه وسلم قد عرفَ ألسنة العرب .

وقال أبو عمر بن عبد البر في " التمهيد " ، (٥) : قولُ من قال : نزل بلغة قريش ، معناه عندي : في الأغلب ، لأن لغة غير قريش موجودة في جميع القرآن من تحقيق المهمة ونحوها ، وقريش لا تهمز . وقد روى الأعمش عن أبي صالح عن ابن عباس قال : أنزل القرآن على سبعة أحرف صار في عَجَزِ هوازن منها خمسة .

وقال أبو حاتم : خصَّ هؤلاء دون ربيعة وسائر العرب ، لقرب جوارهم من مولد

(١) هي رسالة الشافعي في الفقه على مذهبه ؛ رواها جماعة وتناقصوا في شرحها ؛ ومنهم أبو بكر محمد بن عبد الله الصيرفي الشافعي ؛ المتوفى سنة ٣٣٠ (وانظر كشف الظنون ٨٧٣ ، وشذرات الذهب ٢ : ٣٢٥)

(٢) عن عَنَّةِ تميم ، هي قليبهم المهمة في بعض كلامهم عينا ؛ يقولون : سمعت عن فلان قال كذا ، يريدون « أن » . وروى في حديث قيلة : تحسب « عني » نائمة ؛ أرادت تحسب « أني » . الصاحبى ٢٤ .

(٣) الكشكسة في ربيعة : هي أن يصلوا بالكاف سينا ؛ فيقولون : « عليكس » . الصاحبى ٢٤ .

(٤) في الصاحبى : « عجرفة قيس » وفي اللسان : « والعجرفة والعجرفة : الجفوة في الكلام » .

(٥) هو كتاب التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ؛ ذكره صاحب كشف الظنون .

النبي صلى الله عليه وسلم ، ومنزل الوحي ؛ وإنما ربيعة ومضر أخوان . قال : وأحبُّ الألفاظ واللغات إلينا أن نقرأ بها لغات قريش ، ثم أدناهم من بطون مَضر .

وقال الشيخ جمال الدين بن مالك^(١) : أنزل الله القرآن بلغة الحجازيين إلا قليلاً فإنه نزل بلغة التميميين ؛ فمن القليل إدغام : ﴿ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ ﴾^(٢) في الحشر ، ﴿ وَمَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ ﴾^(٣) في قراءة غير نافع^(٤) وابن عامر^(٥) ؛ فإن الإدغام في المجزوم والاسم المضاعف لغة تميم ولهذا قل ، والفك لغة أهل الحجاز ولهذا كثر ، نحو : ﴿ وَمَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ ﴾^(٦) ، ﴿ وَلَيُمْلِكَنَّ وَآيَهُ ﴾^(٧) ، و ﴿ يُخَيِّبُكُمْ اللَّهُ ﴾^(٨) ، ﴿ وَيُمْدِدْكُمْ ﴾^(٩) ، ﴿ وَمَنْ يُشَاقِّ ﴾^(١٠) في النساء والأنفال ، ﴿ وَمَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ ﴾^(١١) ، ﴿ فَلَيَمْدُذْ ﴾^(١٢) ، ﴿ وَاحْلُلْ عُقْدَةً ﴾^(١٣) ، و ﴿ اشدُّدْ بِهِ أَرْزَى ﴾^(١٤) ، ﴿ وَمَنْ يَحْمِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي ﴾^(١٥) .

قال : وأجمع القراء على نصب ﴿ إِلَّا اتَّبَاعَ الظَّنِّ ﴾^(١٦) لأن لغة الحجازيين

(١) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك جمال الدين الطائي الشافعي ، صاحب الخلاصة ولامية الأفعال ، وإكمال الأعلام لثلاث الكلام ، وغيرها من كتب النحو واللغة . توفي سنة ٦٧٢ . (طبقات الشافعية ٥ : ٢٨)

(٢) سورة الحشر ٤ (٣) سورة البقرة ٢١٧

(٤) هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم ، أبو عبد الرحمن اللبني ، أحد القراء السبعة . توفي سنة ١٦٩ . (طبقات القراء لابن الجزري ٢ : ٣٣٣ - ٣٣٤)

(٥) هو عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم اليحصبي ، إمام أهل الشام في القراءة ، توفي بدمشق سنة ١١٨ . (طبقات القراء لابن الجزري ١ : ٣٢٣)

(٦) سورة البقرة ٢١٧ (٧) سورة البقرة ٢٨٢

(٨) سورة آل عمران ٣١ (٩) سورة نوح ١٢

(١٠) سورة النساء ١١٥ ، الأفعال ١٣٠ (١١) سورة التوبة ٦٣

(١٢) سورة الحج ١٥ (١٣) سورة طه ٢٧

(١٤) سورة طه ٣١ (١٥) سورة طه ٨١

(١٦) سورة النساء ١٥٧

التزام النصب في المنقطع ، وإن كان بنو تميم يتبعون ؛ كما أجمعوا على نصب ﴿ ما هذا
بشراً ﴾^(١) لأن القرآن نزل بلغة الحجازيين .
وزعم الزمخشري أن قوله تعالى : ﴿ قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب
إلا الله ﴾^(٢) أنه استثناء منقطع ، جاء على لغة بني تميم ، ثم نازعه في ذلك .

النوع السابع عشر معرفة ما فيه من غير لغة العرب

اعلم أن القرآن أنزله الله بلغة العرب ، فلا تجوز قراءته وتلاوته إلا بها ، لقوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ ^(١) ، وقوله : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا ... ﴾ ^(٢) الآية . وهذا يدل على أنه ليس فيه غيرُ العربي ؛ لأن الله تعالى جعله معجزةً شاهدةً لنبهه عليه الصلاة والسلام ، ودلالةً قاطعةً لصدقه ، وليتحدى العربَ الرباءَ به ، ويحاضرَ البلغاءَ والفصحاءَ والشعراءَ بآياته ؛ فلو اشتمل على غير لغة العرب لم تكن له فائدة ؛ هذا مذهبُ الشافعي وهو قول جمهور العلماء ؛ منهم أبو عبيدة ، ومحمد بن جرير الطبري ، والقاضي أبو بكر بن الطيب في كتاب "التقريب" ، وأبو الحسين بن فارس اللخوي وغيرهم .

وقال الشافعي في "الرسالة" ^(٣) في باب البيان الخامس مانعته : « وقد تكلم في العلم مَنْ لو أمسك عن بعض ما تكلم فيه لكان الإمساك أولى به ، [وأقرب من السلامة له ^(٤)] ، فقال قائل منهم : إن في القرآن عربياً وأعجمياً ، والقرآن يدل على أنه ليس في كتاب الله شيء إلا بلسان العرب ، ووجد ^(٥) قائل هذا القول مَنْ قِيلَ ذلك منه تقليداً له ، وتركا للمسألة [له ^(٤)] عن حجته ومسألة غيره مَنْ خالفه ؛ وبالتقليد أغفل مَنْ أغفل منهم ، والله يغفر لنا ولهم » . هذا كلامه .

وقال أبو عبيدة فيما حكاه ابن فارس : إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين ، فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول ^(٦) ، ومن زعم أن كذا بالنبطية فقد أكبر القول . قال :

(١) سورة يوسف ٣ .

(٢) سورة فصلت ٤٤ .

(٣) الرسالة ص ٤١ تحقيق الأستاذ أحمد محمد شاكر ، طبعة مصطفى الحلبي سنة ١٩٤٠

(٤) تكلمة من الرسالة

(٥) في الأصول « وجدنا » ؛ وما أثبتته عن الرسالة .

(٦) نقله الجواليقي في العرب ٤ « عن أبي عبيد قال : سمعت أبا عبيدة يقول : من زعم أن في القرآن لساناً سوى العربية فقد أعظم على الله القول » .

ومعناه أتى بأمر عظيم ؛ وذلك أن القرآن لو كان فيه من غير لغة العرب شيء لتوهم متوهم أن العرب إنما عجزت عن الإتيان بمثله ؛ لأنه أتى بلغات لا يعرفونها، وفي ذلك ما فيه . وإن كان كذلك فلا وجه لقول من يُحيز القراءة في الصلاة بالفارسية ؛ لأنها ترجمة غير معجزة، وإذا جاز ذلك لجازت الصلاة بكتب التفسير، وهذا لا يقول به أحد . انتهى .

ومن نقل عنه جواز القراءة بالفارسية أبو حنيفة ؛ لكن صح رجوعه عن ذلك . ومذهب ابن عباس وعكرمة وغيرها أنه وقع في القرآن ما ليس من لغتهم .

فمن ذلك « الطور » : جبل بالسريانية . و « طفقا » أى قصدا بالرومية . والقسط والقسطاس : العدل بالرومية . ﴿ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ﴾ ^(١) : تبنا بالعبرانية . والسجل [الكتاب] ^(٢) بالفارسية . والرقم : اللوح بالرومية . والمهل : عكر الزيت بلسان أهل المغرب . والسندس : الرقيق من الستر بالهندية . والإستبرق : الغليظ بالفارسية بحذف القاف ^(٣) . السرى : النهر الصغير باليونانية . طه : أى طأ يارجل بالعبرانية . يُضهر : أى ينضج بلسان أهل المغرب . سينين ^(٤) : الحسن بالنبطية . المشكاة : الكوة بالحشية وقيل الزجاجة تسرج . الدرى : المضى بالحشية . الأليم : المؤلم بالعبرانية . ﴿ نَاطِرِينَ إِنَاءَهُ ﴾ ^(٥) : أى نضجه بلسان أهل المغرب . ﴿ الْمَلَّةَ الْآخِرَةَ ﴾ ^(٦) : أى الأولى بالقبطية ، والقبط يسمون الآخرة الأولى ، والأولى الآخرة . ﴿ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ ﴾ ^(٧) : أى أمامهم

(١) سورة الأعراف ١٥٦ .

(٢) من كتاب الإتيان ١ : ١٣٨ ، وفي العرب ١٩٤ : « قوله تعالى : ﴿ كُتِبَ السَّجِّلُ لِلْكِتَابِ ﴾ ؛ قيل : السجل بلغة الحبشة الرجل ؛ وقيل كاتب لآتي عليه السلام ... قال أبو بكر سجل : كتاب ، والله أعلم » .

(٣) في العرب ١٥ : « الإستبرق : غليظ الديباج ، فارسي معرب ، وأصله : (استفره) » .

(٤) الكلمة محرفة في الأصول ، والتصويب من الإتيان ١ : ١٣٩ ، وفي العرب ١٩٨ ؛ وفيه : وقيل : مبارك ؛ وقيل : هو الجبل الذى نادى الله منه موسى » .

(٦) سورة ص ٧ .

(٥) سورة الأحزاب ٥٣

(٧) سورة الكهف ٧٩

بالتبطينة . اليم : البحر ، بالتبطينة . بطائنها ^(١) :، ظواهرها بالتبطينة . الأب : الحشيش ، بلغة أهل المغرب . ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ ﴾ ^(٢) قال ابن عباس : نشأ بلغة الحبشة : قام من الليل . ﴿ كَفَلْتَنِي مِنْ رَحْمَتِهِ ﴾ ^(٣) قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه : « ضِعْفَيْنِ » بلغة الحبشة . القسورة : الأسد بلغة الحبشة .

واختار الزمخشري أن التوراة والإنجيل أعجميان ، ورجح ذلك بقراءة « الأنجيل » بالفتح ، ثم اختلفوا ، فقال الطبري : هذه الأمثلة المنسوبة إلى سائر اللغات إنما اتفق فيها أن تتوارد اللغات ، فتكلمت بها العرب والفرس والحبشة بلفظ واحد . وحكاها ابن فارس عن أبي عبيد .

وقال ابن عطية ^(٤) : « بل كان للعرب ^(٥) العاربة التي نزل القرآن بلغتهم ^(٦) بعض مخالطة ^(٧) لسائر الألسن بتجارات ، وبرحلتى قريش ، وبسفر مسافرين ، كسفر أبي عمرو إلى الشام ، وسفر عمر بن الخطاب ، وكسفر عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد إلى أرض الحبشة ، وكسفر الأعشى إلى الحيرة ، وصحبته [لنصارها] ^(٨) مع كونه حجة في اللغة ، فعلقت العرب بهذا كله ألفاظا أعجمية ، غيرت بعضها بالنقص من حروفها ، وجرت في تخفيف ثقل العجمة ، واستعملتها في أشعارها ومحاوراتها ، حتى جرت مجرى العربي الفصيح ، ووقع بها البيان . وعلى هذا الحد نزل بها القرآن ، فإن جهلها عربي فكجهله الصريح بما في لغة غيره ، وكما لم يعرف ابن عباس معنى « فاطر » ، إلى غير ذلك . قال : حقيقة العبارة عن هذه الألفاظ أنها في الأصل أعجمية ، لكن استعملتها العرب وعربت بها فهي عربية بهذا الوجه .

(١) من قوله تعالى في سورة الرحمن ٥٤ . ﴿ بَطَّائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾ .

(٢) سورة المزمل ٦ .

(٣) سورة الحديد ٢٨ .

(٤) من مقدمة كتابه في التفسير ص ٢٧٧ .

(٥) المقدمة : « فإنه قد كان . »

(٦) المقدمة : « بلسانها » .

(٧) في المقدمة : « مخالطة » تصحيف .

(٨) من المقدمة .

قال: « وما ذهب إليه الطبري من أن اللغتين اتفقتا في لفظه ^(١) فذلك بعيد؛ بل إحداها أصل والأخرى فرع في الأكثر، لأننا لا ندفع أيضا جواز الانفاقات ^(٢) إلا قليلا شاذا ». وقال القاضي أبو المعالي عزيى بن عبد الملك: إنما وجدت هذه في كلام العرب؛ لأنها أوسع اللغات وأكثرها ألفاظا، ويجوز أن يكون العرب قد سبقها غيرهم إلى هذه الألفاظ، وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم مبعوث إلى كافة الخلق، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ ﴾ ^(٣).

وحكى ابن فارس عن أبي عبيد القاسم بن سلام أنه حكى الخلاف في ذلك، ونسب القول بوقوعه إلى الفقهاء، والمنع إلى أهل العربية. ثم قال أبو عبيد ^(٤): « والصواب عندي مذهب فيه تصديق القولين جميعا؛ وذلك أن هذه الأحرف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء، إلا أنها سقطت إلى العرب فحرفتها بالسننها، وحوّلتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية، ثم نزل القرآن، وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب، فمن قال إنها عربية فهو صادق، ومن قال أعجمية فصادق ». قال: « وإنا نفسر هذا لثلاثا يُقدّم أحد على الفقهاء فينسبهم إلى الجهل، ويتوهم عليهم أنهم أقدموا على كتاب الله بغير ما أَرَادَهُ [الله جلّ وعز] ^(٥)، فهم كانوا أعلم بالتأويل وأشد تعظيما للقرآن ».

قال ابن فارس ^(٦): « وليس كل من خالف قائلا في مقاله ينسب ^(٧) إلى الجهل، فقد ^(٨) اختلف الصدر الأول في تأويل [آي من] ^(٩) القرآن ».

قال: « فالتقول إذن ما قاله أبو عبيد، وإن كان قوم من الأوائل قد ذهبوا إلى غيره ».

-
- | | |
|--|---------------------------------|
| (١) المقدمة: « لفظه لفظه ». | (٢) المقدمة: « الاتفاق ». |
| (٣) سورة إبراهيم ٤ | (٤) نقله ابن فارس في الصحاح ٢٩ |
| (٥) من كتاب الصحاح | (٦) المصدر نفسه |
| (٧) المصاحفي: « فقد نُسب ». | (٨) المصاحفي: « وذلك أن الصدر » |
| (٩) تنمة الكلام: « غالف بعضهم بعضا، ثم خلف من بعدهم خلف، فأخذ بعضهم يقول، وأخذ بعض يقول، حسب اجتهدهم ومادتهم الدلالة عليه ». | |

النوع الثامن عشر معرفة غريب

وهو معرفة المدلول ؛ وقد صنف فيه جماعة ؛ منهم أبو عبيد كتاب "المجاز" ،
وأبو عمر غلام ثعلب^(١) : " ياقوتة الصراط " . ومن أشهرها كتاب ابن عزير^(٢) ،
و " الغريبين " ،^(٣) للهروي . ومن أحسنها كتاب " المفردات " للراغب .

وهو يتصيد المعاني من السياق ؛ لأن مدلولات الألفاظ خاصة . قال الشيخ أبو عمرو
ابن الصلاح : وحيث رأيت في كتب التفسير : « قال أهل المعاني » فالمراد به مصنفوا الكتب
في معاني القرآن ، كالزجاج ومن قبله .. وفي بعض كلام الواحدى : « أكثر أهل المعاني :
الفراء والزجاج وابن الأنبارى قالوا كذا » . انتهى .

ويحتاج الكاشف عن ذلك إلى معرفة علم اللغة : اسما وفعلا وحرفا ؛ فالحروف لقلتها
تكلم النحاة على معانيها ؛ فيؤخذ ذلك من كتبهم .

وأما الأسماء والأفعال فيؤخذ ذلك من كتب اللغة . وأكثر الموضوعات في علم اللغة
كتاب ابن سيّد^(٤) ؛ فإن الحافظ أبا محمد علي بن أحمد الفارسي ذكر أنه في مائة سفر ؛ بدأ

(١) هو أبو عمر محمد بن عبد الواحد المعروف بالزاهد ، توفي سنة ٣٤٥ . (إنباء الرواة ٣ : ١٧١)
(٢) هو محمد بن عزيز الغريزي الجستانی ، صاحب كتاب غريب القرآت ؛ قال السيوطي في الإنباء
١ : ١١٣ « أقام في تأليفه بحرره هو وشيخه أبو بكر بن الأنباري » ؛ وتوفي سنة ٣٣٠ . (بغية الرواة ٧٢)
(٣) يعني غريب القرآن والحديث لأحمد بن محمد الهروي التوفي سنة ٤٠١ (واظن كشف الظنون ١٢٠٩) .
(٤) في الأصل : « ابن السيد » تصنيف ؛ وهو أحمد بن أبيان بن سيد القرطبي ، توفي سنة ٣٨٢ ؛ وكتابه
هو : « العالم في اللغة » مرتب على الأجناس ؛ ذكره القفطي وياقوت ، (واظن معجم الأدباء ٢ : ٢٠٣ ،
وإنباء الرواة ١ : ٣٠) .

بالفلك وختم بالذرة . ومن الكتب المطولة كتاب الأزهرى و"الموعب" ^(١) لابن التيتانى و"المحكم" لابن سيده ^(٢) ، وكتاب "الجامع" للقزاز ^(٣) ، و"الصحاح" للجوهري ^(٤) ، و"البارع" ، لأبى على القالى ^(٥) ، ومجمع "البحرين" للصاغانى ^(٦) .

ومن الموضوعات فى الأفعال كتاب ابن القوطية ^(٧) ، وكتاب ابن طريف ^(٨) ، وكتاب السرقسطى المنبوز بالبحار ^(٩) ، ومن أجمعها كتاب ابن القطاع ^(١٠) .

ومعرفة هذا الفن للفسر ضرورى ، وإلا فلا يحل له الإقدام على كتاب الله تعالى . قال يحيى بن نضلة المدينى : سمعت مالك بن أنس يقول : لا أوتى برجل يفسر كتاب الله غير عالم بلغة العرب إلا جعلته نكالا .

وقال مجاهد : لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم فى كتاب الله إذا لم يكن

عالمًا بلغات العرب .

(١) فى الأصول « المستوعب » ؛ وصوابه من التاج (تين) ، جاء فيه : « هو أبو غالب تمام بن غالب بن عمرو المرسى التيتانى ، صاحب الموعب وشارح الفصيح » .

(٢) هو على بن إسماعيل بن سيده الضرير ، صاحب التخصيص والمحكم ؛ توفى سنة ٤٤٨ . (إنباه الرواة ٢ : ٢٢٥) .

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن جعفر القيروانى القزاز ؛ من شيوخ المغرب ؛ توفى سنة ٤١٢ . (بغية الوعاة)

(٤) هو إسماعيل بن حماد أبو نصر ؛ إمام اللغة والأدب فى عصره ، توفى سنة ٣٩٣ (بغية الوعاة ١٩٥) .

(٥) هو إسماعيل بن القاسم بن عيذون البغدادى المعروف بالقالى ؛ صاحب الأملال والنواذر والبارع ، توفى سنة ٣٥٦ (بغية الوعاة ١٩٨) .

(٦) هو الإمام حسن بن محمد الصغانى ، المتوفى سنة ٦٥٠ ؛ جمع فى كتابه بين كتاب تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري ، وبين كتاب التكملة والذيل والصلة من تأليفه (كشف الظنون ١٥٩٩) .

(٧) هو محمد بن عمر بن عبد العزيز القرطبي المعروف بابن القوطية ؛ صاحب كتاب تصاريف الأفعال وغيرها . توفى سنة ٣٦٧ (بغية الوعاة ٨٤) .

(٨) هو عبد الملك بن طريف الأندلسى ؛ أخذ عن أبى بكر بن القوطية ؛ وتوفى فى حدود سنة ٤٠٠ ، (بغية الوعاة ٣١٣) .

(٩) هو أبو عثمان سعيد بن محمد السرقسطى المنبوز بالبحار ؛ ذكره صاحب كشف الظنون ١٣٣ .

(١٠) هو على بن جعفر بن على السعدنى الصقلى المعروف بابن القطاع ؛ صاحب كتاب الدرة المخرقة فى شعر أهل الجزيرة ؛ وكتاب تهذيب الأفعال . توفى بمصر سنة ٥١٥ (إنباه الرواة ٢ : ٢٣٨) .

وروى عكرمة عن ابن عباس قال : اذا سألتموني عن غريب اللغة فالتسوه في الشعر ؛ فإن الشعر ديوان العرب .

وعنه في قوله تعالى : ﴿ وَاللَّيْلَ وَمَا وَسَقَ ﴾ ^(١) قال : « ما جمع » وأنشد :

إِنْ لَنَا قَلِيلًا نَصَاحَاتًا مستوثقات لو يجدن سائقًا ^(٢)

وقال : ما كنت أدري ما قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ ^(٣) ، حتى سمعت ابنة ذى يزن الحميري وهي تقول : أفتاحك ، يعني أفاضيك . وفي سورة السجدة : ﴿ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ^(٤) يعني متى هذا القضاء وقوله : ﴿ وَهُوَ الْفَتْاحُ الْعَلِيمُ ﴾ ^(٥) وقوله : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ ^(٦) .

وقال أيضاً : ما كنت أدري ما فاطر السموات والأرض حتى أتاني أعريتان يختصمان في بئر ، فقال أحدهما : أنا فطرتهما ، يعني ابتدأتهما .

وجاء رجل من هذيل ، فقال له ابن عباس : ما فعل فلان ؟ قال : مات وترك أربعة من الولد وثلاثة من الوراء ، فقال ابن عباس : ﴿ فَبَشِّرْ نَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ ^(٧) . قال : ولد الولد .

ومسائل نافع ^(٨) له عن مواضع من القرآن واستشهاد ابن عباس في كل جواب

(١) سورة الاشفاق ١٧

(٢) اللسان (وسق) ونسبه إلى العجاج .

(٣) سورة الأعراف ٨٩

(٤) سورة السجدة ٢٨

(٥) سورة الفتح ١

(٦) سورة هود ٧١

(٧) سورة هود ٧١

(٨) نقلها السيوطي في الإتيان ١ : ١٢٠ - ١٣٣ ، وجاء في صدرها : « بينا عبد الله بن عباس جالس بفناء الكعبة قد أكتفاه الناس يسألونه عن تفسير القرآن ؛ فقال نافع بن الأزرق لنجدة بن عويمر : قم بنا إلى هذا الذي يجزى على تفسير القرآن بما علم له ، فقاما إليه فقالا : إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله ففسر هالنا وتأتينا بمصادق من كلام العرب ، فإن الله تعالى إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين ، فقال ابن عباس : سألني عما بدا لكم ، فقال نافع : أخبرني عن قول الله تعالى : ﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ عَزِيزِينَ ﴾ ، فقال : الغزوة : خلق الرزق ، قال : وهل تعرف العرب ذلك قال : نعم ، أما سمعت عبيد بن الأبرص وهو يقول :

فَجَاءُوا يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ حَتَّى يَكُونُوا حَوْلَ مَنْبَرِهِ عَزِيزِينَ

ثم ساق بقية المسائل ...

بيت ذكرها الأنباري في كتاب "الوقف والابتداء"، بإسناده، وقال: فيه دلالة على بطلان قول مَنْ أنكر على النحويين احتجاجهم على القرآن بالشعر، وأنهم جعلوا الشعر أصلاً للقرآن، وليس كذلك، وإنما أراد النحويون أن يثبتوا الحرف القريب من القرآن بالشعر؛ لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾^(٢).

وقال ابن عباس: الشعر ديوان العرب، فإذا خفي عليهم الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغتهم رجعوا إلى ديوانهم، فالتمسوا معرفة ذلك. ثم إن كان ماتضمنه ألفاظها يوجب العمل دون العلم كفي فيه الاستشهاد بالبيت والبيتين، وإن كان ما يوجب العلم لم يكف ذلك، بل لا بد من أن يستفيض ذلك اللفظ، وتكثر شواهد من الشعر.

وينبغي العناية بتدبر الألفاظ كي لا يقع الخطأ، كما وقع لجماعة من الكبار، فروى الخطابي عن أبي العالية أنه سئل عن معنى قوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾^(٣) فقال: هو الذي ينصرف عن صلاته ولا يدرى عن شفع أو وتر، قال الحسن: مه يا أبا العالية! ليس هكذا، بل الذين سهوا عن ميقاتها حتى تفوتهم، ألا ترى قوله: ﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ﴾! فلما لم يتدبر أبو العالية حرف «في» و«عن» تنبه له الحسن؛ إذ لو كان المراد ما فهم أبو العالية لقال: «في صلاتهم»، فلما قال: «عن صلاتهم» دل على أن المراد به الذهاب عن الوقت، ولذلك قال ابن قتيبة في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَمْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾^(٤) أنه من عَشَوْتُ أعشوشوا إذا نظرت؛ وغلطوه في ذلك، وإنما معناه يعرض؛ وإنما غلط لأنه لم يفرق بين عَشَوْتُ إلى الشيء وعشوت عنه.

(٢) سورة الشعراء ١٩٥

(٤) سورة الزخرف ٣٦

(١) سورة يوسف ٢

(٣) سورة الماعون ٥

وقال أبو عبيدة في قوله تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۖ ﴾ ^(١) قال : فارغا من الحزن ، لعلمها أنه لم يفرق ؛ ومنه « دم فراغ » ، أى لا قودَ فيه ولا دية .

وقال بعض الأدباء : أخطأ أبو عبيدة في المعنى ؛ لو كان قلبها فارغا من الحزن عليه لما قال : ﴿ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا ۖ ﴾ ^(٢) لأنها كادت تبدى به .

وهذا الباب عظيم الخطر ؛ ومن هنا تهيب كثير من السلف تفسير القرآن ، وتركوا القول فيه حذرا أن يزولوا فيذهبوا عن المراد ؛ وإن كانوا علماء باللسان فقهاء في الدين . وكان الأصمعيّ وهو إمام اللغة لا يفسر شيئا من غريب القرآن ، وحكى عنه أنه سئل عن قوله تعالى : ﴿ شَفَّهًا حُبًّا ۖ ﴾ ^(٣) فسكت وقال : هذا في القرآن ، ثم ذكر قولاً لبعض العرب في جارية تقوم أرادوا بيعها : أتبيعونها وهى لكم شفاف ! ولم يزد على هذا . ولهذا حثّ النبي صلى الله عليه وسلم على تعلم إعراب القرآن وطلب معاني العربية .

واعلم أنه ليس لغير العالم بحقائق اللغة وموضوعاتها تفسير شىء من كلام الله ، ولا يكفي في حقه تعلم اليسير منها ؛ فقد يكون اللفظ مشتركا وهو يعلم أحد المعنيين والمراد المعنى الآخر ؛ وهذا أبو بكر وعمر رضى الله عنهما من أفصح قريش ؛ سئل أبو بكر عن « الأب » فقال أبو بكر : أى سماء تظلنى ، وأى أرض تظلنى إذا قلت في كلام الله ما لا أعلم ! وقرأ عمر سورة « عبس » ، فلما بلغ « الأب » ^(٤) قال : الماكهة قد عرفناها ، فما الأب ؟ ثم قال : لعمر ك يا ابن الخطّاب إن هذا هو التكلّف . وروى عنه أيضا أنه قال : ﴿ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۖ ﴾ ^(٥) : وفي رواية قال : فما الأب ؟ ثم قال : ما كلفنا ، أو ما أمرنا بهذا .

وما ذاك بجهل منهما لمعنى « الأب » ؛ وإنما يحتمل والله أعلم أن « الأب » من الألفاظ المشتركة في لغتهما أو في لغات ، فحشياً إن فسراه بمعنى من معانيه أن يكون المراد غيره ؛ ولهذا اختلف

(٢) سورة يوسف ٣٠ .

(٤) سورة آل عمران ٧ .

(١) سورة القصص ١٠ .

(٣) سورة عبس ٣١ .

المفسرون في معنى «الأب» على سبعة أقوال ؛ فقيل : ما ترعاه البهائم ، وأما ما يأكله الآدمي
فالحصيد . والثاني : التبن خاصة . والثالث : كل ما نبت على وجه الأرض . والرابع : ما سوى
الفاكهة . والخامس : الثمار الرطبة ، وفيه بُعد ، لأن الفاكهة تدخل في الثمار الرطبة ؛ ولا
يقال أفردت للتفضيل ، إذ لو أريد ذلك لتأخر ذكرها نحو : ﴿ فَآكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمانٌ ﴾ .
والسادس : أن رطب الثمار هو الفاكهة ويابسها هو الأب . والسابع أنه للأنعام كالفاكهة للناس .
ويحتمل قول عمر غير ما سبق وجهين : أحدهما أن يكون خفي عليه معناه وإن شهر ،
كما خفي على ابن عباس معنى « فاطر السموات » . والثاني تخويف غيره من التعرض
للتفسير بما لا يعلم ؛ كما كان يقول : ألقوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا
شريكم ، يريد الاحتراز ؛ فإن من احترز قلت روايته .

النوع التاسع عشر معرفة التصريف

وهو ما يلحق الكلمة بينيتها^(١)، وينقسم قسمين:
أحدهما جعل الكلمة على صيغ مختلفة بضروب من المعاني . وينحصر في التصغير ،
والتكبير^(٢) ، والمصدر ، واسمى الزمان والمكان ، واسم الفاعل ، واسم المفعول ،
والمقصور ، والممدود .

والثاني تغيير الكلمة لمعنى طارى عليها . وينحصر في الزيادة ، والحذف ، والإبدال ،
والقلب ، والنقل ، والإدغام .

وفائدة التصريف حصول المعاني المختلفة المتشعبة عن معنى واحد ؛ فالعلم به أهم من
معرفة النحوى تعرف اللغة ؛ لأن التصريف نظير في ذات الكلمة ، والنحو نظير في عوارضها^(٣) .
وهو من العلوم التى يحتاج إليه المفسر .

قال ابن فارس^(٤) : من فاته علمه فاته المعظم ؛ لأننا نقول « وجد » كلمة مبهمه ، فإذا
صرفناها اتضحت^(٥) ، قللنا فى المال « وُجدا » وفى الضالة : « وجدانا » وفى الغضب
« مَوْجدة » وفى الحزن « وَجدا » وقال تعالى : ﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ

(٢) م : « التكبير » .

(١) ت : « بنيتها »

(٣) ت : « معارضها » .

(٤) الصحاح ١٦٢

(٥) فى الصحاح : « أنصحت » .

حَطَبًا^(١) ، وقال تعالى : ﴿ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾^(٢) ؛ فانظر كيف تحول
المعنى بالتصريف من الجور إلى العدل^(٣) .

ويكون ذلك في الأسماء والأفعال ؛ فيقولون للطريق في الرمل : « خَبَّة » ، وللأرض
المخصبة والمجدبة « خَبَّة »^(٤) ، وغير ذلك .

وقد ذكر الأزهرى أن مادة « دكر » بالدال المهملة مهملة غير مستعملة ، فكتب التاج
الكندى^(٥) على الطرقة ما ذكر أنه مهمل : مستعمل ، قال الله تعالى : ﴿ وَادَّكَّرَ بَعْدَ آيَةٍ ﴾^(٦)
﴿ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾^(٧) . وهذا الذى قاله سهو أوجبه الغفلة عن قاعدة التصريف ؛ فإن
الدال في الموضعين بدل من الذال ؛ لأن ادَّكَّرَ أصله « اذتكر » افتعل من الذكر ،
وكذلك مدَّكَّرَ أصله « مذتكر » مفتعل من الذكر أيضا ، فأبدلت التاء دالا والذال
كذلك ، وأدغمت إحداهما في الأخرى فصار اللفظ بهما كما ترى .

وقال الزمخشري في تفسير قوله تعالى : ﴿ سَوَّلَ لَهُمْ ﴾^(٨) سهل لهم ركوب^(٩)
المعاصي^(١٠) ، من السَّوَّل وهو الاسترخاء ، وقد اشتقه من السَّوَّل من لا علم له بالتصريف
والاشتقاق جميعا - يعرض بآبِن السَّكَّيت .

وقال أيضا :^(١١) من بدع التفاسير أن « الإمام » في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ
أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ ﴾^(١٢) جمع « أم » وأن الناس يُدْعَوْنَ يوم القيامة بأسمائهم دون

(١) سورة الجن ٤

(٢) سورة الحجرات ٩

(٣) في الصحاح : « من العدل إلى الجور »

(٤) كذا في الأصول والصحاح ، وفي اللسان : « الحبة : أرض بين أرضين ، لا مخصبة ولا مجدبة »

(٥) هو أبو اليمن زيد بن الحسن المعروف بالتاج الكندى ، البغدادي مولدا ، الدمشقي دارا ووفاة

من علماء النحويين واللغة والقراءات ؛ توفي سنة ٦١٣ (إنباء الرواة ٢ : ١٢) .

(٦) سورة القمر ١٥

(٧) سورة يوسف ٤٥

(٨) الكشاف ٢ : ٣٨٠

(٩) القتال ٢٥

(١٠) الكشاف ١ : ٥٥٣

(١١) في الكشاف : « الضائم »

(١٢) سورة الإسراء ٧١

آبائهم^(١) ، لثلا يفتضح أولاد الزنا . قال : وليت شرى أيهما أبدع ، أصحة لفظة أمه أم : [بهاء]^(٢) حكته .

يعنى أن « أمّا » لا يجمع على « إمام » ، هذا كلام من لا يعرف الصناعة ، ولا لغة العرب .

وقال الراغب في قوله تعالى : ﴿ فَادَارَأْنْتُمْ فِيهَا ﴾^(٣) : هو « تفاعلم »^(٤) ، [أصله : « تدارأتم »]^(٥) ، فأريد منه الإدغام تخفيفا ، وأبدل من التاء دال ، [فسكن للإدغام]^(٦) فاجتلبت لها ألف الوصل ، فحصل على « اقاعلم »^(٧) .

وقال بعض الأدباء : ﴿ ادَارَأْنْتُمْ ﴾ « اقعلتم » ؛ وغلط من أوجه :
أولا : أن ﴿ ادَارَأْنْتُمْ ﴾ على ثمانية أحرف ، و « اقعلتم » على سبعة أحرف .
والثاني : أن الذى يلي ألف الوصل تاء فجعلها دالا .

والثالث : أن الذى يلي الثانى دال ، فجعلها تاء .

والرابع : أن الفعل الصحيح العين لا يكون ما بعد تاء الاقتعال [منه]^(٨) إلا متحركا ، وقد جعله هذا سا كنا .

والخامس : أن هاهنا قد دخل بين التاء والدال زائد ، وفي « اقعلتم » لا يدخل ذلك .

والسادس : أنه أنزل الألف منزلة العين ، وليست بعين .

(١) كنا فى الأصول ، وعجاجة الكشف : « وأن الحكمة فى الداء بالأمهات دون الآباء رعاية حق عيسى عليه السلام ، وإظهار شرف الحسن والحسين ، وألا يفتضح أولاد الزنا . . . » .

(٢) من الكشف

(٣) سورة البقرة ٧٢

(٤) مفردات الراغب ١٦٨ - ١٦٩

(٥) فى الأصول : « تفاعلم » ؛ صوابه من المفردات .

(٦) تكله من المفردات

والسابع : أن تاء « افعل » قبله حرفان ، وبعده حرفان و « اذَّارَ أتم » بعدها ثلاثة أحرف .

وقال ابن جنى ^(١) : من قال : « اتخذت » « افعلت » من الأخذ ؛ فهو مخطئ .
قال : وقد ذهب إليه أبو إسحاق الزجاج ، وأنكره عليه أبو علي ؛ وأقام الدلالة على فساده ، وهو أن ذلك يؤدي إلى إبدال الهمزة تاء ، وذلك غير معروف .

(١) هو أبو الفتح عثمان بن جني ؛ صاحب الخصائص وسر الصناعة والتصريف وغيرها من كتب النحو واللغة . توفي سنة ٣٩٢ ، نزهة الألباء ٤٠٦ .

النوع العشرون

معرفة الأحكام من حجة أفرادها وتركيبها

ونؤخذ ذلك من علم النحو ، وقد انتدب الناس لتأليف إعراب القرآن ومن أوضحها كتاب " الحوفي " ،^(١) ومن أحسنها كتاب " المشكل " ،^(٢) ، وكتاب أبي البقاء العكبري^(٣) ، وكتاب المنتجب الهمداني^(٤) وكتاب الزمخشري^(٥) ، وابن عطية^(٦) ، وتلام الشيخ أبو حيان^(٧) .

قالوا : والإعراب يبين المعنى ؛ وهو الذى يميز المعانى ، ويوقف على أغراض المتكلمين ؛ بدليل قولك : ما أحسن زيدا ، ولاتأكل السمك وتشرب اللبن ، وكذلك

(١) هو أبو الحسن علي بن إبراهيم الحوفي المصرى ؛ توفى سنة ٤٣٠ وهو صاحب كتاب البرهان فى تفسير القرآن ؛ قال صاحب كشف الظنون : « ذكر فيه التريب والأعراب والتفسير » ، وقال القطبى : « صنف تصنيفا كبيرا فى إعراب القرآن أبدع فيه ، تنافس العلماء فى تحصيله ، وسمت أن أحد المشتهرين بهذا النوع اتباع منه نسخة بمصر فى عصر مجلدات ، وأحضرها إلى مدينته بالشام ، وهو غير عالم بقدرها ولا عارف بمصنفها ، ولا تنبه على جلالها اشتد حفظه لها ، وصننه بها تقليدا ، وادخرها لولده إن طلع من أهل هذا الشأن » وفى دار الكتب المصرية أجزاء قيمة من هذا الكتاب برقم ٥٩ تفسير (وانظر لبناء الرواة ٢ : ٢١٩ ، وحسن المحاضرة ٢ : ٢٢٨ ، وكشف الظنون ٢٤١) .

(٢) هو كتاب مشكل إعراب القرآن ألّفه مكى بن أبى طالب القيسى التوفى سنة ٤٣٧ ، ومن هنا الكتاب نسخة مخطوطة بمكتبة مدينة باستانبول .

(٣) هو كتابه المسمى : إملأ ما من به الرحمن ، من وجوه الإعراب والقراءات فى القرآن ، طبع بالمطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣٢١ .

(٤) قال ابن الجزرى : كان رأسا فى القراءات والعريّة . . . وأعرب القرآن العظيم لإعرابا متوسطا . . . توفى سنة ٦٤٣ (طبقات القراء ٢ : ٣١١)

(٥) فى كتابه الكشاف ، معروف متداول .

(٦) هو الإمام عبد الحق بن غالب ، التوفى سنة ٥٤٦ ؛ صاحب كتاب المحرر الوجيز ، فى تفسير الكتاب العزيز ، ومنه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ١٠ تفسير .

(٧) هو أبو حيان محمد بن يوسف أثير الدين ، المعروف بأبى حيان النحوى ، صاحب كتاب البحر المحيط فى التفسير ، طبع بمطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٢٨ هـ .

فرقوا بالحركات وغيرها بين المعاني، فقالوا: مِفْتَحُ اللَّآلَةِ التي يفتح بها، ومَفْتَحُ لموضع الفتح، ومِقْصَصُ اللَّآلَةِ، ومَقْصَصُ للموضع الذي يكون فيه القصص. ويقولون: امرأة طاهر من الحيض لأن الرجل يشاركها في الطهارة.

وعلى الناظر في كتاب الله، الكاشف عن أسرارهِ النظر في هيئة الكلمة وصيغتها ومحملها، ككونها مبتدأ أو خبراً، أو فاعلة أو مفعولة، أو في مبادئ الكلام أو في جواب، إلى غير ذلك من تعريف أو تنكير، أو جمع قلة أو كثرة، إلى غير ذلك.

ويجب عليه مراعاة أمور:

أحدها - وهو أول واجب عليه - أن يفهم معنى ما يريد أن يعرِّبه مفرداً كان أو مركباً قبل الإعراب؛ فإنه فرع المعنى؛ ولهذا لا يجوز إعراب فواتح السور إذا قلنا بأنها من التشابه الذي استأثره الله بعلفه؛ ولهذا قالوا في توجيه النصب في «كَلَالَة» في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً﴾^(١) أنه يتوقف على المراد بالكَلَالَة؛ هل هو اسم للميت أو للورثة أو للمال؛ فإن كان اسماً للميت فهي منصوبة على الحال؛ وإن كان تامة لا خبر لها بمعنى وُجد. ويجوز أن تكون ناقصة والكَلَالَة خبرها، وجاز أن يخبر عن النكرة لأنها قد وصفت بقوله: «يُورَث» والأول أوجه. وإن كانت اسماً للورثة فهي منصوبة على الحال من ضمير ﴿يُورَث﴾ لكن على حذف مضاف، أي ذا كَلَالَة، وعلى هذا فكان ناقصة «ويورث» خبر. ويجوز أن تكون تامة فيورث صفة. ويجوز أن يكون خبراً فتكون صفة. وإن كانت اسماً للمال فهي مفعول ثانٍ ليورث، كما تقول: ورثت زيدا مالا وقيل تمييز، وليس بشيء. ومن جعل الكَلَالَة الوراثة فهي نعت لمصدر

محذوف ، أى وارثة كلاله ، أى يورث بالورثة التى يقال لها : الكلاله ، هذا كله على قراءة ﴿يُورَثُ﴾ بفتح الراء ، فأما من قرأ ﴿يُورِثُ﴾ بكسرها مخففة أو مشددة ، فالكلاله هى الورثة أو المال .

ومن ذلك « تقاة » فى قوله تعالى : ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ ^(١) ، فى نصبها ثلاثة أوجه مبنية على تفسيرها . فإن كانت بمعنى الاتقاء فهى مصدر كقوله تعالى : ﴿أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ ^(٢) ، وإن كانت بمعنى المفعول أى أمرًا يجب اتقاؤه ، فهى نصب على المفعول به ، وإن كانت جمعا كرام ورماة ، فهى نصب على الحال .

ومن ذلك إعراب « أخوى » من قوله : ﴿غَنَاءٌ أَخْوَى﴾ ^(٣) ، وفيه قولان متضادان : أحدهما أنه الأسود من الجفاف واليبس ، والثانى أنه الأسود من شدة الخضرة ، كما فسر ﴿مُدْهَامَتَانِ﴾ ^(٤) فعلى الأول هو صفة لغشاء ، وعلى الثانى هو حال من المرعى ، وآخر لتناسب الفواصل .

ومنه قوله تعالى : ﴿الْمَ تَجْعَلِ الْأَرْضَ كَفَاتًا . أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا﴾ ^(٥) ؛ فإنه قيل : الكفات : الأوعية ، ومفردها « كفت » والأحياء والأموات كناية عما نبت وما لا ينبت ، وقيل : الكفات مصدر كفته إذا ضمه وجمعه ؛ فعلى الأول ﴿أحياء وأمواتا﴾ صفة لكفاتا ؛ كأنه قيل : أوعية حية وميتة ، أو حالان ؛ وعلى الثانى فهما مفعولان لمحذوف ، ودل عليه ﴿كفاتا﴾ أى يجمع أحياء وأمواتا .

ومنه قوله : ﴿سَبْعًا مِنَ الثَّانِي﴾ ^(٦) فإنه إن كان المراد به القرآن ، فمن التبويض ، والقرآن حينئذ من عطف العام على الخاص ؛ وإن كانت القامحة فمن لبيان الجنس ، أى سبعا هى الثانى .

(٢) سورة نوح ١٧
(٤) سورة الرحمن ٦٤
(٦) سورة الحجر ٨٧

(١) سورة آل عمران ٢٨
(٣) سورة الأعلى ٥
(٥) سورة المرسلات ٢٥

تنبيه : قد يقع في كلامهم : هذا تفسير معنى ، وهذا تفسير إعراب . والفرق بينهما أن تفسير الإعراب لا بد فيه من ملاحظة الصناعة النحوية ، وتفسير المعنى لا يضر مخالفة ذلك ، وقد قال سيبويه في قوله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الذِّبْيِ يَنْعَقُ ﴾ ^(١) : « تقديره ^(٢) مثلك يا محمد ^(٣) ، ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به » .

واختلف الشارحون في فهم كلام سيبويه ، ف قيل : هو تفسير معنى ، وقيل : تفسير إعراب ؛ فيكون في الكلام حذفان : حذف من الأول وهو حذف داعيهم ، وقد أثبت نظيره في الثاني ، وحذف من الثاني وهو حذف المنعوق ، وقد أثبت نظيره في الأول ؛ فعلى هذا يجوز مثل ذلك في الكلام .

والثاني : تجنب الأعراب المحمولة على اللغات الشاذة ، فإن القرآن نزل بالأفصح من لغة قريش ؛ قال الزمخشري في كشفه القديم : القرآن لا يعمل فيه إلّا على ما هو فاش دائر على ألسنة فصحاء العرب ، دون الشاذ النادر الذي لا يُعثر عليه إلا في موضع أو موضعين . وبهذا يتبين غلط جماعة من الفقهاء والمربين حين جعلوا من العطف على الجوار قوله تعالى : ﴿ وَأَرْجِلُكُمْ ﴾ ^(٤) في قراءة الجر ؛ وإنما ذلك ضرورة فلا يحمل عليه الفصيح ؛ ولأنه إنما بُصر إليه إذا أمّن اللبس ، والآية محتملة ، ولأنه إنما يحى مع عدم حرف العطف ، وهو ها هنا موجود . وأيضاً فتحن في غنية عن ذلك كما قاله سيبويه : إن العرب يقرب عندها المسح من الفصل ؛ لأنهما أساس الماء ، فلما تقاربا في المعنى حصل العطف كقوله : * مَتَقَلَّدَا سَيْفًا وَرُحْمًا * ^(٥)

(٢) الكتاب ١ : ١٠٨

(١) سورة البقرة ١٧١

(٣) الكتاب : « وإنما المعنى : مثلك ومثل الذين كفروا . . . »

(٤) سورة المائدة ٦ .

* يَا لَيْتَ بَعْلَكَ قَدْ غَدَا *

(٥) صدره :

وهو لبيد بن الريمى ؛ كما في حوشى ابن القوطية على الكامل ١٨٩ ليسك . وأنظر أمالى المرتضى ٢ : ٢٦٠

ومهما أمكن المشاركة في المعنى حسن العطف وإلا امتنع ؛ فظهر أنه ليس على المجاورة بل على الاستغناء بأحد الفعلين عن الآخر ، وهذا بخلاف صرف ما لا ينصرف في قوله تعالى : ﴿ سَلَامًا وَأَغْلًا ۖ ﴾ ^(١) ؛ فإنما أجزئ في الكلام ، لأنه رُدَّ إلى الأصل ، والعطف على الجوار خروج عن الأصل ، فافترقا .

الثالث : تجنب لفظ الزائد في كتاب الله تعالى ، أو التكرار ، ولا يجوز إطلاقه إلا بتأويل كقولهم : الباء زائدة ونحوه ، مرادهم أن الكلام لا يخل معناه بحذفها ؛ لأنه لا فائدة فيه أصلاً ، فإن ذلك لا يحتمل من متكلم ، فضلاً عن كلام الحكيم .

وقال ابن الخشاب " في المعتمد " : اختلف في هذه المسألة ، فذهب الأكثرون إلى جواز إطلاق الزائد في القرآن نظراً إلى أنه نزل بلسان القوم ومتعارفهم ، وهو كثير ؛ لأن الزيادة بإزاء الحذف ، هذا للاختصار والتخفيف ، وهذا للتوكيد والتوطئة . ومنهم من لا يرى الزيادة في شيء من الكلام ويقول : هذه الألفاظ المحمولة على الزيادة جاءت لفوائد ومعان تخصها ، فلا أقضى عليها بالزيادة ، ونقله عن ابن درستويه . قال : والتحقيق أنه إن أريد بالزيادة إثبات معنى لا حاجة إليه فباطل ؛ لأنه عبث ، فتعين أن إلينا به حاجة ، لكن الحاجات إلى الأشياء قد تختلف بحسب المقاصد ، فليست الحاجة إلى اللفظ الذي زيد عندها ولا زيادة ، كالحاجة إلى الألفاظ التي رأوها ^(٢) مزيدة عليه ، وبه يرتفع الخلاف .

وكثير من القدماء يسمون الزائد صلة ، وبعضهم يسميه مقسمًا ، وقع ذلك في عبارة مستوية .

(١) سورة الإنسان ٤ . (٢) ت : و إلى اللفظ الذي رأوه زائدة عليه .

الرابع : تجنب الأعراب التي هي خلاف الظاهر والمنافية لنظم الكلام ، كتجوير الزمخشري في ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾^(١) في سورة الحشر ، أن يكون بدلا من قوله : ﴿وَلِذِي الْقُرْبَى﴾^(٢) ، وهذا فصل كبير ، وإنما حمله عليه لأن أبا حنيفة يقول : إنه لا يستحق القريب بقرابته بل لكونه فقيرا ، والشافعي يخالفه . ونظيره إعراب بعضهم : ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾^(٣) بدلا من المجرور في قوله تعالى : ﴿أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾^(٤) .

الخامس : تجنب التقادير البعيدة والمجازات المعقدة ، ولا يجوز فيه جميع ما يجوز النحاة في شعر امرئ القيس وغيره ، وأن نقول في نحو : ﴿اغفر لنا﴾ و ﴿اهدنا﴾ فعلى دعاء أو سؤال ، ولا نقول : فعلى أمر ، تأذبا ، من جهة أن الأمر يستلزم العلو والاستعلاء ، على الخلاف فيه .

وقال أبو حيان التوحيدي^(٥) في " البصائر " : سألت السيرافي عن قوله تعالى : ﴿فَأَمَّا بِالْقِسْطِ﴾^(٦) بما انتصب ؟ قال : بالحال ، قلت : لمن الحال ؟ قال : لله تعالى ، قلت : فيقال لله حال ؟ قال : إن الحال في اللفظ لا لمن يُلفظ بالحال عنه ؛ ولكن الترجمة لا تستوفي حقيقة المعنى في النفس إلا بعد أن يصوغ الوهم هذه الأشياء صياغةً تسكن إليها النفس ، وينتفع بها القلب ، ثم تكون حقائق الألفاظ في مفادها غير معلومة ولا منقوضة باعتقاد ، وكما أن المعنى على بعد من اللفظ ، كذلك الحقيقة على بعد من الوهم .

(٢) سورة الحشر ٧

(٤) سورة الأنبياء ١

(١) سورة الحشر ٨

(٣) سورة الأنبياء ٣

(٥) هو علي بن محمد بن العباس المعروف بأبي حيان التوحيدي ؛ المتوفى سنة ٣٨٠ ، وكتابه البصائر من أمتع ما ألف من الكتب ، طبع الجزء الأول منه في مطبعة لجنة التأليف والترجمة بعصر ، بتحقيق الأستاذين : أحمد أمين والسيد أحمد صقر .

(٦) سورة آل عمران ١٨

السادس : البحث على الأصل والزائد ، ومن هذا قوله تعالى : ﴿ إِلَّا أَنْ يَفْقُوهَ أَوْ يُفْقَوْا الَّذِي بَيْنَهُ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ﴾ ^(١) فإنه قد تنوهم « الواو » في الأولى ضمير الجمع ، فيشكل ثبوت النون مع « أن » ، وليس كذلك ؛ بل الواو هنا لام الكلمة ، والنون ضمير جمع المؤنث ، فبنى الفعل معها على السكون ؛ فإذا وُصل الناصب أو الجازم لا تحذف النون ؛ ومثله : « النساء يرجون » ، بخلاف : « الرجال يرجون » ، فإن الواو فيه ضمير الجمع ، والنون حرف علامة للرفع ؛ وأصله « يَرْجُوون » أعلت لام الكلمة بما يقتضيه التصريف ، فإذا دخل الجازم حذف النون ؛ وهذا مما اتفق فيه اللفظ واختلف في التقدير .

وكذلك يُبحث عما تقتضيه الصناعة في التقدير ، ولا يؤخذ بالظاهر ، ففي نحو قوله تعالى : ﴿ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ ﴾ ^(٢) يتبادر إلى الذهن أن ﴿ مرحباً ﴾ نصب ، اسم لا ، وهو فاسد ، لأن شرط عملها في الاسم ألا يكون معمولاً لغيرها ؛ وإنما نصب بفعل مضر يجب إضماره ، و ﴿ لا ﴾ دعاء ، و ﴿ بهم ﴾ بيان للمدعو عليهم . وأجاز أبو البقاء أن ينصب ^(٣) على المفعول به ، أى لا يسمعون مرحباً ، وأجاز في جملة ﴿ لا مرحباً ﴾ أن تكون مستأنفة ، وأن تكون حالا ، أى هذا فوجٌ مقولاً له : ﴿ لا مرحباً ﴾ .

وفيه نظر ؛ لأنه قدر « مقولاً » فقولاً هو الحال ، و ﴿ لا مرحباً ﴾ محكية بالقول في موضع نصب .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فَيْكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﴾ ^(٤) يتبادر إلى الذهن أن الظرف قبله خبر « أن » على التقديم ، وهو فاسد لأنه ليس المراد الإخبار بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(٢) سورة ص ٥٩

(١) سورة البقرة ٢٣٧

(٤) سورة المجرات ٧

(٣) إملاء ما من به الرحمن ٢ : ١١٤

فيهم ، وإنما الغرض أنه لو أطاعكم في كثير من الأمر لعنتم ، وإنما ﴿ فيكم ﴾ حال ، والمعنى : واعلموا أن رسول الله في حال كونه فيكم لو أطاعكم لكان كذا .

ومنه قوله تعالى : ﴿ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا ﴾ ^(١) ، وقوله : ﴿ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ ^(٢) فإن الجواب وقع فيها بعد النفي مقروناً بالقاء ، وفي الأولى حذفت النون وفي الثانية أثبتتها ، فما الفرق بينهما ؟ وجوابه أن حذف النون جواباً للنفي هو على أحد معني نصب « ما تأتينا فتحدثنا » أى ما يكون إتيان ولا حديث ، والمعنى الثانى إثبات الإتيان ونفي الحديث ، أى ما تأتينا محدثاً ، أى تأتينا غير محدث ، وهذا لا يجوز في الآية . وأما إثبات النون فعلى العطف .

وقريب من ذلك قوله تعالى : ﴿ أَبَشِّرْهُم بِأَنْبَاءِهِمْ ﴾ ^(٣) ، وقوله : ﴿ أَبَشِّرْ يَهُودُونَ أَنَّهُمْ يَنْزِعُونَ عَنْكَ الْبَيْتَ ﴾ ^(٤) حيث انتصب « بشرا » في الأول وارتفع في الثانى ، فيقال : ما الفرق بينهما ؟ والجواب أن نصب « بشرا » على الاشتغال ، والشاغل للعامل منصوب ، فصحّ لعامله أن يفسر ناصباً ، وأما في الثانية فالشاغل مرفوع مفسر رافعا ؛ وهذا كما تقول : أزيد قام ؟ فزيد مرفوع على الفاعلية لطلب أداة الفعل ؛ فهذا في الاشتغال والشاغل مرفوع ، وتقول فيما الشاغل فيه منصوب : أزيداً ضربته ؟

وقريب منه إجماع القراء على نصب « قليل » في : ﴿ فَشَرِّبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ^(٥) . واختلفوا في : ﴿ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ^(٦) ؛ وإنما كان كذلك لأن ﴿ قليلاً ﴾ الأول استثناء من موجب ، والثانى استثناء من منفي .

(٢) سورة الرسائل ٣٦

(٤) سورة التغابن ٦

(٦) سورة النساء ٦٦

(١) سورة فاطر ٣٦

(٣) سورة القمر ٢٤

(٥) سورة البقرة ٢٤٩

فإن قيل : فلم أجمعوا على النصب في ﴿ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ^(١) مع أنه استثناء من غير موجب ؟ قيل : لأن هذا استثناء مُفَرَّغ ، وهو نعت لمصدر محذوف ، فالتقدير : فلا يؤمنون إلا إيماناً قليلاً .

ومثله ﴿ وَكَلاَّ وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى ﴾ ^(٢) في سورة الحديد ، قرأها ابن عامر برفع ﴿ كلَّ ﴾ ووافق الجماعة على النصب في النساء . والفرق أن الذي في سورة الحديد شغل الخبر بهاء مضرة ، وليس قبل هذه الجملة جملة فعلية ، فيختار لأجلها النصب ، فرفع بالابتداء ، وأما التي في سورة النساء فإنما اختير فيها النصب ؛ لأن قبله جملة فعلية ، وهي قوله : ﴿ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ ﴾ .

نبيه

قد يتجاذب الإعراب والمعنى الشيء الواحد ، وكان أبو علي الفارسي يُبَلِّغُ به كثيراً ، وذلك أنه يوجد في الكلام أن المعنى يدعو إلى أمر ، والإعراب يمنع منه ، قالوا : والتمسك بصحة المعنى يؤول لصحة الإعراب ، وذلك كقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ . يَوْمَ تُنْبِئُ السَّرَّاءِ نَرُ ﴾ ^(٣) فالظرف الذي هو ﴿ يوم ﴾ يقتضي المعنى أن يتعلق بالمصدر الذي هو « رجع » ، أي أنه على رجه في ذلك اليوم تقادر ؛ لكن الإعراب يمنع منه لعدم جواز الفصل بين المصدر ومعموله بأجنبي ، فينشد يحمل العامل فيه فعلاً مقدراً دل عليه المصدر . وكذا قوله سبحانه : ﴿ لَمَقْتُ اللَّهَ أَكْبَرُ مِنْ مَقَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴾ ^(٤) ، فالمعنى يقتضي تعلق « إذ » بالمت ، والإعراب يمنعه للفصل بين المصدر ومعموله بالخبر ، فيقدر له فعل يدل عليه المت .

(١) سورة النساء ... (٢) سورة الحديد ١٠ ، والنساء ٩٥ ، وانظر القرطبي ١٧ : ٢٤١ .

(٤) سورة المؤمن ١٠

(٣) سورة الطلاق ٨ ، ٩

وكذلك قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ رَافِئَةُ الْقُبُورِ . وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ .
إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴾ ^(١) فالعنى أن العامل في إذا « خير » ، والإعراب بمنعهُ ؛ لأن
مابعد « إِنَّ » لا يعمل فيما قبلها ، فاقضى أن يقدر له العامل .

تنبيه

على النحوى بيان مراتب الكلام ؛ فإن مرتبة العدة قبل مرتبة الفضلة ، ومرتبة
المبتدأ قبل مرتبة الخبر ، ومرتبة ما يصل الفعل إليه بنفسه قبل مرتبة ما يصل إليه بحرف الجر -
وإن كانا فضلتين - ومرتبة المفعول الأول قبل مرتبة المفعول الثانى . وإذا اتصل الضمير
بما مرتبته التقديم وهو يعود على ما مرتبته التأخير ، فلا يجوز أن يتقدم ، لأنه يكون متقدما
لفظا ومرتبة ، وإذا اتصل الضمير بما مرتبته التأخير وهو يعود على ما مرتبته التقديم فلا يجوز أن
يتقدم ؛ لأنه يكون مقدما لفظا مؤخر ا مرتبة ، فعلى هذا يجوز : « فى داره زيد » لاتصال الضمير
بالخبر ومرتبته التأخير ، ولا يجوز : « صاحبها فى الدار » ، لاتصال الضمير بالمبتدأ ومرتبته التقديم .

النوع الحادى والعشرون معرفة كون اللفظ والتركيب أحسن وأصح

ويؤخذ ذلك من علم البيان والبديع ، وقد صنف الناس فى ذلك تصانيف كثيرة ، وأجمعها ما جمعه الشيخ شمس الدين محمد بن النقيب مجلدين قدمها أمام تفسيره ، وما وضعه حازم ^(١) الأندلسى المسمى بمنهاج البلغاء وسراج الأدباء . وهذا العلم أعظم أركان المفسر ، فإنه لا بد من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز ، من الحقيقة والمجاز ، وتأليف النظم ، وأن يُواخى بين الموارد ، ويعتمد ما سيق له الكلام حتى لا يتنافر ، وغير ذلك . وأملأ الناس بهذا صاحب الكشف . قال السكاكى : واعلم أن شأن الإعجاز عجيب ، يدرك ولا يمكن وصفه ؛ كاستقامة الوزن تُدرك ولا يمكن وصفها ، وكالملاحاة ، ولا طريق إلى تحصيله لذوى الفطر السليمة إلا إتقان على المعانى والبيان والتمرن فيهما .

وقال الزمخشري : من حق مفسر كتاب الله الباهر ، وكلامه المعجز أن يتعاهد فى مذاهبه بقاء النظم على حسنه ، والبلاغة على كمالها ، وما وقع به التحدى سليما من القادح ، وإذا لم يتعاهد أوضاع اللغة فهو من تعاهد النظم والبلاغة على مراحل .

وادعى القاضى أبو الطيب فى كتاب " إعجاز القرآن " أن كثيرا من محاسن هذا العلم لا يُعد من البلاغة القرآنية ؛ بناء على اختياره فى أن القرآن نزل على خلاف أساليبهم ، وسيأتى الكلام فى ذلك .

فإن قلت : كيف عدت هذا من أنواع علومه ؛ مع أن سلف المفسرين من الصحابة والتابعين لم يخوضوا فيه ولم ينقل عنهم شيء من ذلك ، وإنما هذا أحدثه المتأخرون ؟

(١) هو أبو الحسن حازم بن محمد بن حسين القرطاجى ، توفى سنة ٦٨٤ ، ومن كتبه منهاج البلغاء نسخة مصورة بدار الكتب المصرية عن الأصل المحفوظ بتونس (وانظر شذرات الذهب ٥ : ٣٨٨) .

قلت : إنما سكت الأولون عنه لأن القصد من إنزال القرآن تعليم الحلال والحرام ، وتعريف شرائع الإسلام وقواعد الإيمان ، ولم يُقصد منه تعليم طرق الفصاحة ؛ وإنما جاءت لتكون معجزة ، وما قصد به الإعجاز لاسيلا إلى معرفة طريقه ، فلم يكن الخوض فيه مسوغاً ؛ إذ البلاغة ليست مقصودة فيه أصلاً ؛ لأنه موجود في الصحف الأولى ؛ لا مع هذه البلاغة المعينة ؛ وإنما كان بليغاً بحسب كمال المتكلم ؛ فلماذا لم يتكلم السلف في ذلك ، وكان معرفتهم بأساليب البلاغة مما لا يحتاج فيه إلى بيان ، بخلاف استنباط الأحكام ، فلماذا تسكلموا في الثاني دون الأول .

وأعلم أن معرفة هذه الصناعة بأوضاعها هي عمدة التفسير ، المطلع على عجائب كلام الله ، وهي قاعدة الفصاحة وواسطة عقد البلاغة ، ولو لم يحبب الفصاحة إلا قول الله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ . عَلَّمَ الْقُرْآنَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ . عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ ^(١) ، [لكفى] ، والمعلومات كثيرة ، ومن الله تعالى بركة ، ولم يخص الله من نعمه على العبد إلا تعليم البيان . وقال تعالى : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ ﴾ ^(٢) ، وقال تعالى : ﴿ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ ^(٣) .

ولحذف الواو في قوله تعالى : ﴿ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ ^(٤) نكتة علمية ، فإنه جعل تعليم البيان في وزن خلقه ، وكالبديل من قوله : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴾ ^(٥) لأنه حي ناطق ؛ وكأنه إلى نحوه أشار أهل المنطق بقولهم في حد الإنسان : حيوان ناطق .

ولا شك أن هذه الصناعة تفيد قوة الإفهام على ما يريد الإنسان ويراد منه ، ليتمكن بها من اتباع التصديق به ، وإذعان النفس له .

وينبغي الاعتناء بما يمكن إحصاؤه من المعاني التي تسكلم فيها البليغ مُثَبِّتاً ونافياً .

(١) سورة الرحمن ١ - ٤

(٢) سورة آل عمران ١٣٨ -

(٤) سورة الرحمن ٣ ، ٤

(٣) سورة النحل ٨٩

(٥) سورة القيامة ٤٠

فمنها تحقيق العقائد الإلهية ، كقوله سبحانه : ﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُخْجِيَ الْمَوْتَى ﴾ ^(١) بعد ذكره النطفة ومتعلقها في مراتب الوجود . وكقوله : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ ^(٢) فَنُ يَقْرَعُ سمعه هذا الكلام العجيز استشعر من روعة النفس ، واقشعرار الجلد ما يُسَكِّنُ خشية الله وعظمته من قلبه .

ومنها بيان الحق فيما يشكل من الأمور غير العقائد ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاِجْتَسِمَ لَهُمْ وَتَوَكَّرَ كَرَنُ عَلَى اللَّهِ ﴾ ^(٣) ، وكقوله صلى الله عليه وسلم : « فمن أين يكون الشبه » ؟ فانظر كيف أعطى في هذه الأحرف اليسيرة الحجة على من أنكر احتلام الرؤية فلا أبين من هذا البيان ، ولا أشقى للرتاب من هذا القول ! فإنه يرى إحدى المقدمتين عيانا ، وهو شبه الولد بأمه ، ويعلم قطعاً أنه ليس هناك سبب يُحال الشبه عليه غير الذي أنكر . ومنها تمكين الانفعالات النفسانية من النفوس مثل الاستعطاف والإعراض ، والإرضاء والإغضاب ، والتشجيع والتخويف . ويكون في مدح وذم ، وشكاية واعتذار ، وإذن ومنع . وينضم إلى قوة القول البلاغى معنى متصل بإعانة لها ؛ مثل فضيلة القائل وحمية النازع ، وقوة البليغ على اطراء نفسه ، وتحسين رأيه .

ومن ذلك استدعاء المخاطب إلى فضل تأمل ، وزيادة تفهم ؛ قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعْطِيكُمْ يَوْمَاحِدَةً أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ﴾ ^(٤) ، وكذلك قوله : ﴿ وَمَا يَقِيلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ ﴾ ^(٥) ؛ وسر هذا أن السامع يحرص على أن يكون من هؤلاء المُنْتَفِعِينَ عليهم ، فيسارع إلى التصديق ، ويُبَلِّغُ في نفسه نوراً من التوفيق .

ويكون هذا القول البلاغى ما يسمى الضمير ، ويسمى التمثيل ؛ وأعني بالضمير

(١) سورة القيامة ٤٠

(٢) سورة الزمر ٦٧

(٣) سورة سبا ٤٦

(٤) سورة الأفعال ٦١

(٥) سورة الصنكوت ٤٣

أن يُضمر بالقول المجادل به البيان أحد حرفيه ؛ كقول الفقيه : النبيذ مُسكر فهو حرام ، وكقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾^(١) .

وقد يكون هذا الإضمار في القياس الاستثنائي أيضاً ؛ كقولك : لو كان فلان عزيزاً لمنع بأعنة الخيل جاره ، أو جواداً اشبَّ لسارى الليل ناره ، معوّلاً على أنه قد علم أنه مأمّن ولا شبّ ، فيثبت بذلك مقابلة وهو البخل والذلة ؛ ومن هذا قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ أَتْلَبَ لَا نَقْضُوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾^(٢) ؛ وقد شهد الحسن والعيان أنهم ما انقضوا من حوله وهى المضمرة ، فاتفق عنه صلوات الله عليه أنه فظٌّ غليظ القلب .
ومن أحسن ما أبرز فيه هذا المضمّر قول الشاعر^(٣) :

ولو كان عبدُ الله مولى هجوته ولكن عبدَ الله مولى موالياً
ومثال الاسمالة والاستعطاف قوله تعالى عن آدم : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾^(٤) . وحسبك إمامُ المتقين حين سمع شعرَ القائلة^(٥) :

ما كان ضرركَ لو مننتَ ورُبَّمَا منَ الفتى وهو المغيظ المحقّ
قال : « لو بلغنى شعرُها قبل أن أقتله لما قتلته » ، وقال الآخر :
ونحنُ الكاتبون وقد أسأنا فهبنا للكاتبينا

(١) سورة الإسراء ٣٧ .

(٢) هو الفرزدق ، والبيت من شواهد سيبويه ٢ : ٥٨ .

(٣) سورة آل عمران ١٥٩ .

(٤) سورة الأعراف ٢٣ .

(٥) مى قتيلة بنت النضر بن الحارث ، وكان النبی علیه السلام قتل أباهما صبراً ، مرجعه من بدر ؛ فقالت كلمة مطلعها :

يَا رَاكِبًا إِنْ الْأَثِيلَ مِظَنَةٌ مِنْ صُبْحِ خَامِسَةٍ وَأَنْتَ مَوْقِفٌ

والآيات في الحماسة - بشرح الرزوقي ٩٦٣

ومن الاستمالة والاسترضاء ما لا يخرق السمع أنفذ منه إلى القلوب ، وأوقع على المطلوب ، قوله صلى الله عليه وسلم للأَنْصار وقد وجدوا في نفوسهم قسمة الغنائم ^(١) في غيرهم : يا معشر الأنصار ، أَلَمْ أَجِدْكُمْ كَذَا ! أَلَمْ أَجِدْكُمْ كَذَا ! ثم قال : أجيبيوني ، فما زادوا على قولهم : الله ورسوله أَمَنَ ، فقال عليه الصلاة والسلام : أَمَا إِنَّكُمْ إِنْ شِئْتُمْ لَقَلْتُمْ - [فَلَصَدَقْتُمْ] ^(٢) ، وَلَصَدَقْتُمْ :- : جئنا بحال كذا وكذا . فانظر ما أعجب هذا ! استشعر منهم عليه السلام أَنَّ إِمساكهم عن الجواب أدبٌ معه لا يعجز عنه ، فأعلمهم بأنهم لو قالوا صدقوا ، ولم يكن هو بالذي يغضب من سماعه ، ثم زادهم تكريماً بقوله : «أما ترضون أن يذهب الناس بالشاء والبعير، وتنصرفوا برسول الله إلى رحالكم» ، ثم زاد يمينه المباركة ^(٣) البرة على فضل ما ينصرفون به ؛ اللهم انقنا بحبته، وتفضل علينا بشفاعته !

ومما تجد من هذا الطراز قول بعضهم :

أَناسٌ أَعْرَضُوا عَنَّا بَلَا جُرمٍ وَلَا مَعْنَى
أَسَاءُوا ظَنَّهُمْ فِينَا فَهَلَّا أَحْسَنُوا الظَّنَّ!
فَإِنْ عَادُوا لَنَا عُدْنَا وَإِنْ خَانُوا فَاخْنَأْ
وَإِنْ كَانُوا قَدْ اسْتَغْنَوْا فَإِنَّا عَنْهُمْ أَغْنَى
وَإِنْ قَالُوا : اذْنُ مِنَّا بَعْدُ بَاعِدْنَا مَنِ اسْتَدْنَى

ومن الإغضاب العجيب قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ ﴾

(١) بعد غزوة الطائف ؛ وذلك حينما أعطى رسول الله عليه السلام ما أعطى من العطاء لقريش وبعض قبائل العرب ولم يكن للأَنْصار منها شيء ، فوجدوا لذلك ، في خبر طويل (وانظر سيرة ابن هشام ٤ : ١٤٦) .

(٢) من سيرة ابن هشام

(٣) وذلك قوله : فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار .

فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ^(١)، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ^(٢)﴾، وقوله: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ^(٣)﴾ والله در القائل:

إذا والى صديقك من تُعَادِي فقد عاداك واقطع الكلام

ومن قسم التشجيع قوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ^(٤)﴾ وكفى بحب الله مشجعاً على منازل الأقران ومباشرة الطعان! وقوله عز وجل: ﴿إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ^(٥)﴾، وكيف لا يكون والقوم صبروا والملك الحق جلّ جلاله وعدم بالمدد الكثير! ثم قال: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ^(٦)﴾.

وقوله: ﴿وَتَرَجُوعَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ^(٧)﴾ وفي مقابلة هذا القسم ما يراد به الأخذ بالحزم والثبات بالحرب والاستظهار عليها بالعدة، والاستشهاد على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُدْرِكُوا يَدَيْكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ^(٨)﴾ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ^(٩).

ومنه الإبانة بالمدح، وربما مُدِرِح الكَرِيم بالتغافل عن الزلة والتهاون بالذنب؛ كما أشار إليه القرآن فيما أَسْرَ سَيِّدَ الْبَشَرِ لبعض نساته من أظهره الله على إفشائه، فأخبر سبحانه أنه عَرَفَ بعضه وأعرض عن بعض؛ ولذلك قيل:

ليس النبيُّ بسيدٍ في قومه لكن سيد قومه التغابي

(٢) سورة المتحنة ١
(٤) سورة الصف ٤
(٧) سورة البقرة ١٩٥
(٩) سورة الأهل ٦٠

(١) سورة المتحنة ٩
(٣) سورة الكهف ٥٠
(٥) سورة آل عمران ١٢٥
(٦) سورة آل عمران ١٢٦
(٨) سورة النساء ١٠٤

ومنه التمثيل ؛ وإنما يكون بأمر ظاهر يُسلّمه السامع، ويقوّيه مافى القرآن من قصص
الأشقياء تحذيرا لما نزل بهم من العذاب وأخبار السعداء ، ترغيبا لما صاروا إليه من الثواب .
وفى الحديث : « أَرَأَيْتَ لَوْ مَضَضْتَ ، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ عَلَى أَيْتِكَ دِينَ » ، كيف ظهر إمكان
نقل الحكم من شبه إلى شبه .

ومنه أن يذكر الترغيب مع التهيب ويُشفع البشارة بالإندار ، قال الزمخشري : وسرّه
إرادة التسليط لا اكتساب ما يزلّف ، والتثبيط عن اقتراف ما يتلف ؛ فلما ذكر الكفار وأعمالهم
وأوعدهم بالعذاب ، ثنّاه ببشارة عباده المؤمنين .

ثنية

ليكن محطّ نظر المفسّر مراعاة نظم الكلام الذى سيق له ، وإن خالف أصل الوضع
اللغوى لثبوت التجوّز ؛ ولهذا ترى صاحب ” الكشاف ” يحمل الذى سيق له الكلام
معتمدا ، حتى كأنه غيره مطروح .

النوع الثاني والعشرون
معرفة اختلاف ألفاظ زيادة أو نقصان وتغيير
حركة أو إثبات لفظ بدل آخر

وذلك متواتر وآحاد ، ويوجد هذا الوجه من علم القراءة . وأحسن الموضوع للقراءات السبع كتاب " التيسير " ، لأبي عمرو الداني ، وقد نظمه أبو محمد القاسم الشاطبي ^(١) في لاميته التي عمّ النفع بها ، وكتاب " الإقناع " ، لأبي جعفر بن الباذش ^(٢) ، وفي القراءات العشر كتاب المصباح ^(٣) لأبي الكرم الشهرزوري .
واعلم أن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان ، فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم للبيان والإعجاز ، والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف أو كيفيةها ؛ من تخفيف وتشكيل وغيرها ، ثم هاهنا أمور :

أحدها أن القراءات السبع متواترة عند الجمهور ، وقيل بل مشهورة ، ولا عبرة بإنكار المترد قراءة حمزة : ﴿ وَالْأَرْحَامِ ﴾ ^(٤) و ﴿ مُصْرِحِي ﴾ ^(٥) ، ولا بإنكار مغاربة النحاة

(١) هو الإمام القاسم بن فière الشاطبي الضرير ؛ صاحب القصيدة المعروفة بحرز الأمان ووجه التهانى ؛ توفي سنة ٥٩٠ هـ (وانظر كشف الظنون ٤ : ٦٤٦) .

(٢) هو أحمد بن علي بن أحمد بن خلف أبو جعفر بن الباذش الأنصاري ؛ قال ابن الجزري : « ألف كتاب الإقناع في السبع من أحسن الكتب ، ولكنه لا يخلو من أوهام نبهت عليها في كتابي الإعلام » . توفي سنة ٥٤٠ هـ . (طبقات القراء لابن الجزري ١ : ٨٣)

(٣) سماه صاحب كشف الظنون : « المصباح الزاهر في القراءات العشر الزواهر » لأبي الكرم مبارك ابن الحسن الشهرزوري المتوفى سنة ٥٥٠ هـ ؛ (كشف الظنون ١٧٠٦) .

(٤) النساء ١ ﴿ وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامِ ﴾ . يخفف الميم عطفا على الضمير

المجرور في « به » على مذهب الكوفيين ، (اتحاف فضلاء البشر ١٨٥) .

(٥) سورة إبراهيم ٢٢ ﴿ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِحِي ﴾ بكسر الميم ؛ ووجهه بأن الكسر على أصل

التقاء الساكنين ، وأصله « مصرخين » ، (اتحاف فضلاء البشر ٢٧٢) .

كابن عصفور قراءة ابن عامر ﴿ قَتْلُ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ ﴾ ^(١) والتحقيق أنها متواترة عن الأئمة السبعة ، أمّا تواترها عن النبي صلى الله عليه وسلم ففيه نظر ؛ فإنّ إسناد الأئمة السبعة بهذه القراءات السبعة موجود في كتب القراءات ، وهي نقل الواحد عن الواحد لم تكمل شروط التواتر في استواء الطرفين والواسطة ، وهذا شيء موجود في كتبهم ، وقد أشار الشيخ شهاب الدين أبو شامة في كتابه " المرشد الوجيز " ، إلى شيء من ذلك .

الثاني : استثنى الشيخ أبو عمرو بن الحاجب ^(٢) قولنا : إن القراءات السبع متواترة ما ليس من قبيل الأداء ، ومثله بالمد والإمالة وتخفيف الهمزة ؛ يعني فإنها ليست متواترة . وهذا ضعيف ؛ والحق أن المد والإمالة لاشك في تواتر المشترك بينهما ، وهو المد من حيث هو مد ، والإمالة من حيث إنها إمالة ، ولكن اختلف القراء في تقدير المد ؛ فمنهم من رآه طويلا ، ومنهم من رآه قصيرا ؛ ومنهم من بالغ في القصر ، ومنهم من ترايد ، فحزمة وورش بمقدار ست لغات ، وقيل : خمس ، وقيل : أربع ، وعن عاصم : ثلاث ، وعن الكسائي : ألفان ونصف ، وقالون : ألفان ، والسوسي ألف ، ونصف .

قال الداني في التيسير : أطولهم مدّا في الضربين جميعا - يعني التصل والمنفصل - ورش وحمة ، ودونهما عاصم ، ودونه ابن عامر والكسائي ، ودونهما أبو عمرو من طريق أهل العراق ، وقالون من طريق أبي نشيط بخلاف عنه . وهذا كله على التقريب من غير إفراط ، وإنما هو على مقدار مذاهبهم من التحقيق والحذف . انتهى كلامه .

فعلّم بهذا أن أصل المد متواتر والاختلاف والطرق إنما هو في كيفية التلفظ به .

(١) سورة الأنعام ١٢٧ ﴿ وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لَكثيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلُ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ ﴾ . « زين »

بضم الزاي وكسر اليا . بالبناء للمفعول . و « قتل » برفع اللام على النيابة عن فاعل . و « أولادهم » بالنصب على المفعول بالمصدر و « شركائهم » بالخفض على إضافة المصدر إليه فاعلا . (إتحاف فضلاء البشر ٢١٧)

(٢) هو عثمان بن عمر بن يونس أبو عمر الكردى المعروف بابن الحاجب ، توفي سنة ٦٤٦ (نيفة الوعاة ٣٢٣)

وكان الإمام أبو القاسم الشاطبي يقرأ بمدتين : طُول لورش وحمزة ، ووُسْطَى لمن بقي .
وعن الإمام أحمد بن حنبل أنه كره قراءة حمزة لما فيها من طول المدّ وغيره ، فقال :
لا تعجبني ، ولو كانت متواترة لما كرهها . وكذلك ذكر القراء أن الإمالة قسمان : إمالة
محضة ، وهي أن يُنحى بالألف إلى الياء وتكون الياء أقرب ، وبالفتححة إلى الكسرة وتكون
الكسرة أقرب . وإمالة تسمى بين بين ؛ وهي كذلك ؛ إلا أن الألف والفتححة أقرب ،
وهذه أصعب الإمالتين وهي المختارة عند الأئمة . ولا شك في تواتر الإمالة أيضا ، وإنما
اختلافهم في كيفيةها مبالغة وحضورا .

أما تخفيفُ الهمزة - وهو الذي يطلق عليه تخفيف ، وتلين ، وتسهيل ، أسماء مترادفة -
فإنه يشمل أربعة أنواع من التخفيف ، وكلٌّ منها متواتر بلا شك :

أحدها النقل ، وهو نقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها ، نحو ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ﴾ ^(١)
بنقل حركة الهمزة ، وهي الفتحة إلى دال « قد » ، وتسقط الهمز فيبقى اللفظ بدال مفتوحة
بعدها فاء ، وهذا النقل قراءة نافع من طريق ورش في حال الوصل والوقف ، وقراءة حمزة
في حال الوقف .

الثاني : أن تبدل الهمزة حرف مدّ من جنس حركة ما قبلها إن كان قبلها فتحة أبدلت
ألفها ، نحو « باس » ، وهذا البديل قراءة أبي عمرو بن العلاء ، ونافع من طريق ورش في
فاء الفعل ، وحمزة إذا وقف على ذلك .

الثالث تخفيف الهمز ، بين بين ، ومعناه أن تسهل الهمزة بينها وبين الحرف الذي منه
حركاتها ، فإن كانت مضمومة سهلت بين الهمزة والواو ، أو مفتوحة فبين الهمزة والألف ،
أو مكسورة فبين الهمزة والياء ، وهذا يسمى إشماما ، وقرأ به كثير من القراء وأجمعوا
عليه في قوله تعالى : ﴿ قُلْ آلَذَّكَرَيْنِ ﴾ ^(٢) ونحوه ، وذكره النحاة عن أغات العرب .

(١) سورة المؤمنون ١

(٢) سورة الأنعام ١٤٣

قال ابن الحاجب في تصريفه : واغفر^(١) التقاء الساكنين في نحو آحَسُنْ عندك؟ وآيَمُنُ الله يَمِينُك؟ وهو في كل كلمة أو لها همزة وصل مفتوحة ودخلت همزة الاستفهام عليها؛ وذلك ما فيه لام التعريف مطلقا ، وفي آيَمُنُ الله وآيَمُ الله خاصة ، إذ لا ألف وصل مفتوحة سواها ؛ وإنما فعلوا ذلك خوف لبس الخبر بالاستخبار ، ألا ترى أنهم لو قالوا : آحَسُنْ عندك؟ وحذفوا همزة الوصل على القياس في مثلها لم يعلم استخبار هو أم خبر؟ فأتوا بهذه عوضا عن همزة الوصل قبل الساكن ، فصار قبل الساكن مدة فقالوا : آحَسُنْ عندك؟ وكذلك آيَمُنُ الله يَمِينُك؟ فيما ذكره . وبعض العرب يحمل همزة الوصل فيما ذكرنا بينَ بينَ ، ويقول آحَسُنْ عندك وآيَمُنُ الله يَمِينُك؟ فيما ذكرنا ، وقد جاء عن القراء بالوجهين في مثل ذلك ، والمشهور الأول . وقد أشار الصحابة رضي الله عنهم إلى التسهيل بينَ بينَ في رسم المصاحف العثمانية ، فكتبوا صورة الهمزة الثانية في قوله تعالى في سورة آل عمران : ﴿ قُلْ أَوْ نَبِّئُكُمْ ﴾^(٢) وأوا على إرادة التسهيل بينَ بينَ . قاله الداني وغيره .

الرابع تخفيف الإسقاط ، وهو أن تسقط الهمزة رأسا . وقد قرأ به أبو عمرو في الهمزتين من كلمتين إذا اتفقتا في الحركة فأسقط الأولى منهما على رأى الشاطبي ، وقيل الثانية في نحو ﴿ جَاءَ أَجْلُهُمْ ﴾^(٣) ، وواقعه على ذلك في المفتوحتين نافع من طريق قالون ، وابن كثير من طريق البرزى ، وجاء هذا الإسقاط في كلمة واحدة في قراءة قُنبَل عن ابن كثير في : ﴿ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ ﴾^(٤) بإسقاط همزة ﴿ شُرَكَائِيَ ﴾ .

الثالث : أن القراءات توقيفية وليست اختيارية ، خلافا لجماعة منهم الزمخشري ، حيث ظنوا أنها اختيارية تدور مع اختيار الفصحاء واجتهاد البلغاء . وردَّ على حمزة قراءة

(٢) سورة آل عمران ١٥

(٤) سورة النحل ٢٧

(١) الشافية ٢ : ٢١٠

(٣) سورة النحل : ٦١

﴿وَالْأَرْحَامِ﴾^(١) بالخفض ؛ ومثل ما حكى عن أبي زيد والأصمعي ويعقوب الحصري أن خطّوا حمزة في قراءته : ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُضِرِّخٍ﴾^(٢) بكسر الياء المشددة ، وكذا أنكروا على أبي عمرو إدغامه الراء عند اللام في : ﴿يَقِيلَكُمْ﴾^(٣) .

وقال الزجاج : إنه خطأ فاحش ؛ ولا تدغم الراء في اللام إذا قلت : «مُرْ لِي» بكذا ، لأن الراء حرف مكرر ، ولا يدغم الزائد في الناقص للإخلال به ؛ فأما اللام فيجوز إدغامه في الراء ، ولو أدغمت اللام في الراء^(٤) لزم التكرير من الراء . وهذا إجماع النحويين . انتهى .

وهذا تحامل ، وقد انعقد الإجماع على صحة قراءة هؤلاء الأئمة وأنها سنة متبعة ؛ ولا مجال للاجتهاد فيها . ولهذا قال سيبويه في كتابه في قوله تعالى : ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾^(٥) «وبنو تميم^(٦) يرفعونه إلا من درى^(٧) كيف هي في المصحف» .

وإنما كان كذلك ، لأن القراءة سنة مروية عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا تكون القراءة بغير ما روى عنه . انتهى .

(١) سورة النساء : ١ ؛ وانظر الحاشية ٤ في ص ٣١٨ من هذا الجزء .

(٢) سورة إبراهيم : ٢٢ ، وانظر الحاشية ٥ في ص ٣١٨ من هذا الجزء .

(٣) سورة نوح : ٤ (٤) ت : «ولو أدغمت الراء في اللام» .

(٥) سورة يوسف : ٣١ (٦) الكتاب ١ : ٢٨ .

(٧) الكتاب «يرفعونها إلا من عرف هي» .

الرابع ما تضمنته التيسير^(١) والشاطبية^(٢) ، قال الشيخ أثير الدين أبو حيان : لم يحويها جميع القراءات السبع ، وإنما هي تَزْرُ يسير منها ، وَمَنْ عُنِيَ بقنّ القراءات ، وطالع ماصنفه علماء الإسلام في ذلك ، عَلِمَ ذلك العلم اليقين ، وذلك أن بلادنا جزيرة الأندلس لم تكن من قديم بلاد إقراء السبع ، لبُعدها عن بلاد الإسلام . واجتازوا عند الحج بديار مصر ، وتحفظوا مَنْ كَانَ بها من المصريين شيئاً يسيراً من حروف السبع . وكان المصريون بمصر إذ ذاك لم تكن لهم روايات متسعة ، ولا رحلة إلى غيرها من البلاد التي اتسعت فيها الروايات . كأبي الطيب بن غلبون^(٣) وابنه أبي الحسن^(٤) طاهر ، وأبي الفتح فلرس بن أحمد^(٥) ، وابن عبد الباقي^(٦) ، وأبي العباس بن نفيس^(٧) ، وكان بها أبو أحمد السامري ، وهو^(٨) أعلام إسنادا .

(١) كتاب التيسير مختصر مشتمل على مذاهب القراء السبعة بالأمصار ، وما اشتهر وانتشر من الروايات والطرق عند التالين وصح وثبت لدى الأئمة المتقدمين ؛ فذكر عن كل واحد من القراء روايتين ؛ وعليه جملة شروح ؛ وأضاف إليه ابن الجزرى القراءات الثلاث ؛ في كتاب سماه تحبير التيسير . وطبع التيسير في إستانبول سنة ١٩٣٠ بتحقيق الأستاذ أو توبرتزل .
(٢) هي المروقة بكتاب حرز الأمان ووجه التهانى في القراءات السبع الثاني ؛ للعلامة أبي محمد القاسم الشاطبي ؛ نظم فيها كتاب التيسير ، في ١١٧٣ بيتاً وعليها جملة شروح ؛ وطبعت بمصر مرارا (وانظر كشف الظنون) .

(٣) هو عبد المنعم بن غلبون بن المبارك أبو الطيب الحلبي مؤلف كتاب الإرشاد في القراءات ؛ مات بمصر سنة ٣٨٩ (حسن المحاضرة ١ : ٢٠٩) .
(٤) أبو الحسن طاهر ؛ أحد المفلّح المحققين ، ومصنف التذكرة في القراءات ؛ مات بمصر سنة ٣٩٩ (حسن المحاضرة : ٢٠٩ - ٢١٠) .
(٥) هو فلرس بن أحمد بن موسى أبو الفتح الحمصي القرشي ؛ مؤلف كتاب التان في القراءات الثمان ، مات بمصر سنة ٤٠١ (حسن المحاضرة ١ : ٢١٠) .
(٦) جود القراءات على والده ؛ وجلس للأقراء وعمر دهرأ . مات في حدود سنة ٤٥٠ ، (حسن المحاضرة ١ : ٢١١) .
(٧) هو أحمد بن سعد بن أحمد بن نفيس .
أبو العباس للصمري ؛ مات في رجب سنة ٤٥٣ ، (حسن المحاضرة ١ : ٢١١) .

(٨) هو عبد الله بن الحسين بن حنون ، أبو أحمد السامري البغدادى ، قزلب مصر ، مات بها سنة ٣٨٦ ، (حسن المحاضرة ٢ : ٢٠٩) .

وسبب قلة العلم والروايات بديار مصر ما كان غلب على أهلها من تغلب الإسماعيلية عليها ، وقتل ملوكهم العلماء .

فكان من قدماء علمائنا ممن حج يأخذ بمصر شيئا يسيرا ، كأبي عمرو الطلمنكي^(١) صاحب الروضة ، وأبي محمد مكي بن أبي طالب^(٢) . ثم رحل أبو عمرو الداني^(٣) لطول إقامته بدانية^(٤) فأخذ عن أبي خاقان ، وفارس ، وابن غلبون ؛ وصنف كتاب " التيسير " . وقرأ على هؤلاء . ورحل أيضا أبو القاسم يوسف بن جبارة الأندلسي^(٥) ، فأبعد في الشقة ، وجمع بين طريق المشرق والمغرب ، وصنف كتاب الكامل ، يحتوي على القراءات السبع وغيرها ، ولم أر ولم أسمع أوسع رحلة منه ، ولا أكثر شيوخا .

وقد أقرأ القرآن بمكة أبو معشر الطبري^(٦) ، وأبو عبد الله الكارزيني^(٧) وكانا

متسعي الرواية .

(١) هو أحمد بن محمد بن عبد الله بن لب ، أبو عمر الطلمنكي ، تزل قرطبة ، رحل إلى المشرق ؛ ولقي كثيرا من العلماء بمصر ، منهم ابن غلبون ؛ وعاد إلى الأندلس ، وألف كتاب الروضة . توفي سنة ٤٢٩ (طبقات القراء لابن الجزري ١ : ١٢٠) .

(٢) ولد بالقيروان ، وحج فسمع بمكة ، ورحل إلى مصر فقرأ على ابن غلبون وابنه ، ثم عاد إلى القيروان ، ورحل إلى الأندلس ، ومات سنة ٣٩٤ (طبقات القراء ٢ : ٣١٠) .

(٣) هو عثمان بن سعيد أبو عمرو الداني القرطبي ، شيخ مشايخ القرطبيين في عصره ؛ توفي سنة ٤٤٤ (وانظر ترجمته في طبقات القراء ١ : ٥٠٣ - ٥٠٥) .

(٤) دانية : مدينة بالأندلس ، من أعمال بلنسية ؛ كانت قاعدة ملك أبي الحسن مجاهد العامري ؛ وأهلها أقرأ أهل الأندلس ؛ لأن مجاهدا كان يستجلب القراء ويفضل عليهم ، وينفق لهم الأموال فكانوا يقصدونه ويقيمون عنده ؛ فكثروا في بلاده (ياقوت) . (٥) هو أبو القاسم يوسف بن علي بن جبارة أبو القاسم المنذلي الشكري ؛ قال : في كتابه الكامل : « نقيت في هذا العلم ثلاثمائة وخمسة وستين شيخا ، من آخر المغرب إلى باب فرغانة يمينا وشمالا وجيلا وبحرا ؛ ولو علمت أحدا تقدم علي في هذه الطبقة في جميع بلاد الإسلام لمصدته ... » توفي سنة ٤٦٥ (طبقات القراء ٢ : ٣٩٧) .

(٦) هو عبد الكريم بن عبد الصمد أبو معشر الطبري ، صاحب كتاب التلخيص في القراءات الثمات توفي سنة ٤٧٨ ، (طبقات القراء ١ : ٤٠١) .

(٧) في الأصول . « الكارزوني » تصحيف ؛ وهو أبو عبد الله محمد بن الحسين الكارزيني الفارسي ؛ تنقل في البلاد وعاش بمكة . قال الذهبي : كان حيا سنة ٤٤٠ ، (طبقات القراء ٢ : ١٣٢) .

وكان بمصر أبو علي المالكي^(١) مؤلف الروضة ، وكان قد قرأ بالعراق ، وأقرأ بمصر .
وبعدم التاج الكندي^(٢) فأقرأ الناس بروايات كثيرة لم تصل إلى بلادنا .
وكان أيضاً ابن ماموية^(٣) بدمشق يقرئ القرآن بالقراءات العشر .
وبمصر النظام الكوفي^(٤) يُقرئ بالعشر وبغيرها ، كقراءة ابن محيصن والحسن .
وكان بمكة أيضاً زاهر بن رستم^(٥) وأبو بكر الزنجاني^(٦) ، وكانا قد أخذوا عن أبي
الكرم الشَّهرزوري كتاب الصباح الزاهر في القراءات العشر البواهر ؛ وأقرأه الزنجاني
لبعض شيوخنا .

وكان عز الدين الفاروئي^(٧) بدمشق ، يُقرئ القرآن بروايات كثيرة ، حتى قيل إنه
أقرأ بقراءة أبي حنيفة .

والحاصل اتساع روايات غير بلادنا ، وأن الذي تضمنه التيسير^(٨) ، والتبصرة ،
والكافي^(٩) وغيرها من تأليفهم ؛ إنما هو قُلٌّ من كَثْرٍ ، وتَزَرُّ من بحر .

وبيانه أن في هذه الكتب مثلاً قراءة نافع من رواية ورش وقالون ، وقد روى الناس
عن نافع غيرها ؛ منهم إسماعيل بن أبي جعفر المدني وأبو خلف وابن حبان ، والأصمعي

(١) هو الحسن بن محمد بن إبراهيم البغدادى . توفى سنة ٤٣٨ (طبقات القراء ١ : ١٢٣٠ .

(٢) هو زيد بن الحسن بن زيد أبو الين الكندى البغدادى نزيل بغداد توفى بدمشق سنة ٦١٣ ،
(طبقات القراء ١ : ٢٩٨) .

(٣) هو أحمد بن محمد بن مامويه أبو الحسن
الدمشقى ، ذكره ابن الجزرى فى طبقات القراء ١ : ١٢٨ ، ولم يذكر تاريخ وفاته .

(٤) لعله محمد بن عبد الكرم الملقب بنظام الدين ؛ وانظر طبقات القراء ٢ : ١٧٤ .

(٥) زاهر بن رستم أبو شجاع الأنصهاني الشافعى ؛ مات بمكة سنة ٦٠٩ ، (طبقات القراء ١ : ٢٨٨) .

(٦) هو أبو بكر محمد بن إبراهيم اللزنجاني الحماور بمكة ؛ ذكره ابن الجزرى فى الطبقات ٢ : ٤٨ .

(٧) خطيب دمشق أصله من واسط ؛ ورحل إلى دمشق ثم عاد إلى موطنه ؛ وتوفى سنة ٦٩٤ ،

(طبقات القراء ١ : ٣٥) .

(٨) التبصرة فى القراءات السبع ، لأبى محمد
مكى بن أبى طالب القيسى .

(٩) الكافى فى القراءات السبع ، لمحمد ابن
شريع الإشبيلي .

والسبتي وغيرهم ، ومن هؤلاء مَنْ هو أعلم وأوثق من ورش وقالون ، وكذا العمل في كل راوٍ وقارئ .

الخامس : أن باختلاف القراءات يظهر الاختلاف في الأحكام ؛ ولهذا بنى الفقهاء نقض وضوء للموس وعدمه على اختلاف القراءات في ﴿ لَمَسْتُمْ ﴾ و ﴿ لَا مَسْتُمْ ﴾ .^(١) وكذلك جواز وطء الحائض عند الانقطاع وعدمه إلى الفصل على اختلافهم في ﴿ حَتَّى يَطْهَرْنَ ﴾ .^(٢)

وكذلك [آية] السجدة^(٣) في سورة النمل مبنية على القراءتين . قال الفراء : من خَفَّفَ ﴿ أَلَا ﴾ كان الأمر بالسجود ، ومن شَدَّدَ لم يكن فيها^(٤) أمرٌ به . وقد نوزع في ذلك . إذا علمت ذلك فاختلفوا في الآية إذا قرئت بقراءتين على قولين : أحدهما أن الله تعالى قال بهما جميعا . والثاني أن الله تعالى قال بقراءة واحدة إلا أنه أذن أن يُقرأ بقراءتين . وهذا الخلاف غريب رأيت في كتاب " البستان " ،^(٥) لأبي الليث السمرقندي . ثم اختاروا في المسألة توسطا ، وهو أنه إن كان لكل قراءة تفسير يفاير الآخر فقد قال بهما جميعا

(١) سورة النساء ٤٣ ؛ وانظر تفسير القرطبي ٥ : ٢٢٣ .

(٢) سورة البقرة ٢٢٢ ؛ ﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ ﴾ ، وهي قراءة نافع وأبو عمرو ؛ وقرأ حمزة والكسائي ﴿ حَتَّى يَطْهَرْنَ ﴾ ، (وانظر تفسير القرطبي ٣ : ٨٨) .

(٣) سورة النمل ٢٥ ، ﴿ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ .

(٤) التخفيف قراءة الكسائي ورويس وأبو جعفر ، ووجه بأن « أَلَا » للاستفتاح ، والباقون بتشديد اللام ، (اتخاف فضلاء البصرة ٣٣٦) .

(٥) هو كتاب بستان العارفين ، لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي الحنفي ، المتوفى سنة ٣٧٥ . قال صاحب كشف الظنون : « وهو مختصر مفيد على مائة وخمسين بابا في الأحاديث والآثار الواردة في الآداب الشرعية والحاصل والأخلاق وبعض الأحكام الفرعية » .

وتصير القراءات بمنزلة آيتين ، مثل قوله : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ ﴾ ^(١) . وإن كان تفسيرهما واحدا كالبيوت والبيوت ^(٢) والمحصات والمحصات ^(٣) بالنصب والجر ، فإنما قال بأحدهما وأجاز القراءة بهما لكل قبيلة ، على ما تعود لسانهم .
فإن قيل : إذا صحَّ أنه قال بأحدهما فبأي القراءتين قال ؟ قيل : بلغة قريش . انتهى .

السادس : أن القراءات لم تكن متميزة عن غيرها إلا في قرن الأربعمئة ، جمعها أبو بكر ابن ^(٤) مجاهد ؛ ولم يكن متسع الرواية والرحلة كغيره . والمراد بالقراءات السبع المنقولة عن الأئمة السبعة :

أحدهم عبد الله بن كثير المسكي القرشي مولا لم ؛ أبو سعيد وقيل أبو محمد ، وقيل أبو بكر ، وقيل أبو الصلت ، ويقال له الداري ^(٥) . وهو من التابعين ، سمع عبد الله بن الزبير وغيره . توفي بمكة سنة عشرين ومائة ، وقيل اثنين وعشرين ^(٦) .

الثاني نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم ؛ مولى جعونة بن شعوب ^(٧) الليثي ، هو مدني ؛ أصله من أصبهان ، كنيته أبو رُوَيْم ؛ وقيل أبو الحسن ، وقيل أبو عبد الرحمن وقيل

(١) سورة البقرة ٢٢٢ ؛ ومي قراءة نافع وأبي عمرو وابن كثير وابن عامر وعاصم ؛ وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر والفضل ﴿ يَطْهَرْنَ ﴾ ؛ وانظر ما يترتب على القراءتين من الحكم في تفسير القرطبي ٣ : ٨٩ .

(٢) البيوت ، بكسر الباء قراءة قالون وابن كثير وابن عامر وأبو بكر وحمزة والكسائي وخلف ، (إنحاف فضلاء البشر ٢٥٣) .

(٣) عن الحسن بالكسر والباقون بالفتح . (إنحاف فضلاء البشر ١٨٨) .
(٤) هو أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد شيخ القراء في بغداد ؛ ولا يعلم أحد من شيوخ القراءات أكثر تلاميذ منه ؛ توفي سنة ٣٢٤ (طبقات القراء ١ : ١٣٩) .

(٥) في الأصول : « الداري » تصحيف ؛ منسوب إلى عبدالدار ؛ وانظر ترجمته في طبقات القراء ١ : ٤٤٣) .

(٦) انظر ترجمته في (طبقات القراء ٢ : ٣٣٠ - ٣٣٤) .

(٧) ت : « جعونة بن شعيب » ، وما أثبتته عن طوطبات القراء .

أبو عبد الله . توفي بالمدينة سنة تسع وستين ومائة ^(١) .

الثالث عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة اليحصبيّ الدمشقيّ قاضي دمشق ، وهو من كبار التابعين ، ولد في أول سنة إحدى وعشرين من الهجرة ، وتوفي بدمشق يوم عاشوراء سنة ثمان عشرة ومائة ، وقيل ولد سنة ثمان من الهجرة ، ومات وهو ابن مائة وعشر سنين . وفي كنيته سبعة أقوال : أحسبها أبو عمرو . وقيل أبو محمد ، ، وأبو عبد الله ، وأبو موسى ، وأبو نعيم ، وأبو عثمان ، وأبو مغيث ^(٢) .

الرابع أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن عبد الله البصري . قيل اسمه زَبَّان ، وقيل يحيى ، وقيل عثمان ، وقيل محبوب ، وقيل اسمه كنيته . توفي بالكوفة سنة أربع وخمسين ومائة ، وقرأ على ابن كثير وغيره ^(٣) .

الخامس عاصم بن أبي النّجود (بفتح النون) أبو بكر الأسديّ الكوفي ، توفي بالكوفة سنة سبع ، وقيل ثمان وعشرين ومائة . قال سفيان وأحمد بن حنبل وغيرهما : بهذّلة هو أبو النّجود ^(٤) . وقال عمرو بن علي : بهذّلة أمّه . قال أبو بكر بن داود : هذا خطأ . وقال عبد الله بن أحمد : قال أبي : أنا أختار قراءة عاصم .

السادس حمزة بن حبيب بن عمار بن إسماعيل الزيات التيميّ ، مولاهم ، الكوفي أبو عمار . توفي بجلوان سنة ثمان ، وقيل ست وخمسين ومائة ^(٥) .

(١) انظر ترجمته في (طبقات القراء ٢ : ٣٣٠ - ٣٣٤) .

(٢) انظر ترجمته في (طبقات القراء ١ : ٤٢٣ - ٤٢٥) .

(٣) انظر ترجمته في (طبقات القراء ١ : ٢٨٨ - ٢٩٢) .

(٤) انظر ترجمته في (طبقات القراء ١ : ٣٤٦ - ٣٤٩) .

(٥) انظر ترجمته في (طبقات القراء ١ : ٢٦١ - ٢٦٣) .

السابع الكسائي أبو علي بن حمزة الأسدي مولاهم ، الكوفي . توفي سنة تسع وثمانين ومائة ؛ كان قرأ على حمزة ^(١) . قال مكى : وإنما ألحق بالسبعة في أيام المأمون ؛ وإنما كان السابع يعقوب الحضرمي ، فأثبت ابن مجاهد في سنة ثلاثمائة أو نحوها الكسائي في نسبه يعقوب .

في هؤلاء السبعة من العرب إلا ابن عامر وأبو عمرو .

قال مكى : وإنما كانوا سبعة لوجهين : أحدهما أن عثمان رضي الله عنه كتب سبعة مصاحف ووجه بها إلى الأمصار ، فجعل عدد القراء على عدد المصاحف . الثاني أنه جعل عددهم على عدد الحروف التي نزل بها القرآن وهي سبعة ، على أنه لو جعل عددهم أكثر أو أقل لم يمتنع ذلك . إذ عدد الرواة الموثوق بهم أكثر من أن يحصى .

وقد ألف ابن جبير المقرئ - وكان قبل ابن مجاهد - كتابا في القراءات وسماه كتاب الخمسة ، ذكر فيه خمسة من القراء لا غير . وألف غيره كتابا وسماه الثمانية ، وزاد على هؤلاء السبعة يعقوب الحضرمي . انتهى .

قلت : ومنهم من زاد ثلاثة وسماه كتاب العشرة .

قال مكى : والسبب في اشتهار هؤلاء السبعة دون غيرهم أن عثمان رضي الله عنه لما كتب المصاحف ، ووجهها إلى الأمصار ، وكان القراء في العصر الثاني والثالث كثيرى العدد ، فأراد الناس أن يقتصروا في العصر الرابع على ما وافق المصحف ، فنظروا إلى إمام مشهور بالفقه والأمانة في النقل ، وحسن الدين ، وكال العلم ، قد طال عمره ، واشتهر أمره ، وأجمع أهل مصر على عدالته ، فأفردوا من كل مصر وجهه إليه عثمان مصحفا إماما هذه صفة قراءته على مصحف ذلك المصر ، فكان أبو عمرو من أهل البصرة ، وحمزة وعاصم من أهل الكوفة وسوادها ، والكسائي من أهل العراق ، وابن كثير من أهل مكة ،

(١) انظر ترجمته في (طبقات القراء ١ : ٥٣٥ - ٥٤٠) .

وابن عامر من أهل الشام ، ونافع من أهل المدينة ؛ كلهم ممن اشتهرت إمامتهم ، وطال
عمرهم في الإقراء ، وارتحل الناس إليهم من البلدان .

وأول من اقتصر على هؤلاء السبعة أبو بكر بن مجاهد سنة ثلاثمائة ، وتابعه الناس ،
وألحق المحققون ، منهم البغوي في تفسيره بهؤلاء السبعة [قراءة] ثلاثة ، وهم يعقوب
الحضرمي ، ^(١) وخلف ^(٢) ، وأبو جعفر بن ^(٣) قعقاع المدني شيخ نافع ؛ لأنها لا تخالف
رسم السبع .

وقال الإمام أبو محمد إسماعيل بن إبراهيم الهروي في كتاب الكافي له : فإن قال
قائل : فلم أدخلتم قراءة أبي حفص المدني ويعقوب الحضرمي في جملتهم ، وهم خارجون عن
السبعة المتفق عليهم ؟ قلنا : إنما اتبعنا قراءتهما كما اتبعنا السبعة ؛ لأننا وجدنا قراءتهما على
الشرط الذي وجدناه في قراءة غيرهما ممن بعدها في العلم والثقة بهما ، واتصال اسنادهما ، وانتفاء
الظن عن روايتهما . ثم إن التمسك بقراءة سبعة فقط ليس له أثر ولا سنة ؛ وإنما السنة
أن تؤخذ القراءة إذا اتصلت روايتها نقلا وقراءة ولفظا ولم يوجد ظن على أحد من روايتها ؛
ولهذا المعنى قدمنا السبعة على غيرهم وكذلك قدم أبا جعفر ويعقوب على غيرهما .

ولا يتوهم أن قوله صلى الله عليه وسلم : « أنزل القرآن على سبعة أحرف » انصرافه إلى
قراءة سبعة من القراء يولدون من بعد عصر الصحابة بسنين كثيرة ؛ لأنه يؤدي إلى
أن يكون الخبر مقعريا عن فائدة إلى أن يحدثوا ؛ ، ويؤدي إلى أنه لا يجوز لأحد من
الصحابة أن يقرأوا إلا بما علموا أن السبعة من القراء يختارونه . قال : وإنما ذكرناه لأن
قوما من العامة يتعلقون به .

(١) هو يعقوب بن إسحاق الحضرمي ؛ إمام أهل البصرة ؛ توفي سنة ٢٠٥ . وانظر ترجمته في طبقات
(القراء ٢ : ٣٨٦ - ٣٨٩) .

(٢) هو خلف بن هشام بن ثعلب أبو محمد الأسدي ، توفي سنة ٢٢٩ - ببغداد (طبقات القراء ١ : ٢٧٢) .

(٣) هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع ، أحد التابعين . توفي سنة ١٣٠ (طبقات القراء ٢ : ٣٨٢) .

وقال الشيخ موفق الدين الكواشي^(١) : كلُّ ما صحَّ سندُه واستقام مع جهة العربية ، ووافق لفظه خطَّ المصحف الإمام فهو من السَّبْع النصوص عليها ، ولو رواه سبعون ألفاً مجتمعين أو متفرقين . فعلى هذا الأصل يبنى من يقول : القراءات عن سبعة كان أو سبعة آلاف ؛ ومتى فقد واحد من هذه الثلاثة المذكورة في القراءة فاحكم بأنها شاذة ؛ ولا يقرأ بشيء من الشواذ ؛ وإنما يُدْكَر ما يذْكَر من الشواذ ؛ ليكون دليلاً على حسب الدلول عليه ، أو مرجحاً .

وقال مكِّي : وقد اختار الناس بعد ذلك ، وأكثَر اختياراتهم إنما هو في الحرف إذا اجتمع فيه ثلاثة أشياء : قوة وجه العربية ، وموافقته للمصحف ، واجتماع العامة عليه . والعامة عندهم هو ما اتفق عليه أهلُ المدينة وأهل الكوفة ؛ فذلك عندهم حجة قوية توجب الاختيار . وربما جعلوا العامة ما اجتمع عليه أهل الحرمين ، وربما جعلوا الاعتبار بما اتفق عليه نافع وعاصم ؛ فقراءة هذين الإمامين أوَّلَى القراءات ، وأصحُّها سنداً وأفصحها في العربية ، ويتلوها في الفصاحة خاصّة قراءة أبي عمرو والكسائي .

وقال الشيخ شهاب الدين أبو شامة : كلُّ قراءة ساعدها خطَّ المصحف مع صحة النقل فيها ومجيئها على الفصح من لغة العرب فهي قراءة صحيحة معتبرة ؛ فإن اختلف أحدُ هذه الأركان الثلاثة أطلق على تلك القراءة أنها شاذة وضعيفة ؛ أشار إلى ذلك جماعة من الأئمة المتقدمين ، ونصَّ عليه الشيخ أبو محمد مكِّي بن أبي طالب القيرواني في كتاب مفرد صنَّعه في معاني القراءات السبع ، وأمر بإلحاقه بكتاب الكشف^(٢) ، وذكره شيخنا أبو الحسن في كتابه جمال^(٣) القراء .

(١) هو أحمد بن يوسف بن حسن ، موفق الدين الكواشي الموصل ، صاحب التفسير المسمى كشف الحقائق ، توفي سنة ٦٨٠ (طبقات القراء ١ : ١٥٥) .

(٢) كتاب الكشف عن وجوه القراءات وعليها ؛ ذكره صاحب كشف الظنون .

(٣) جمال القراء وجمال الإقراء ؛ لأبي الحسن علم الدين علي بن محمد بن عبد الصمد السخاوي ؛ جمع فيه أنواعاً من الكتب المشتملة على ما يتعلق بالقراءات والتجويد والناسخ والمنسوخ والوقف والابتداء . (كشف الظنون) .

قال أبو شامة رحمه الله : وقد ورد إلى دمشق استفتاء من بلاد العجم عن القراءة الشاذة : هل تجوز القراءة بها ؟ وعن قراءة القارئ عشرًا ، كل آية بقراءة قارئ ، فأجاب عن ذلك جماعة من مشايخ عصرنا ؛ منهم شيخا الشافعية والمالكية حينئذ ، وكلاهما أبو عمر وعثمان - يعني ابن الصلاح وابن الحاجب .

قال شيخ الشافعية : يشترط أن يكون المقروء به على تواتر نقله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرآنًا ، واستفاض نقله بذلك ، وتلقته الأمة بالقبول كهذه القراءات السبع ؛ لأنَّ المعتبر في ذلك اليقين والقطع على ما تقرر وتمهّد في الأصول ؛ فالـم يوجد فيه ذلك ما عدا العشرة فمنوع من القراءة به منع تحريم ، لا منع كراهة ، في الصلاة وخارج الصلاة ، ومنوع منه ممن عرف المصادر والمعاني ومن لم يعرف ذلك ، وواجب على مَنْ قَدَرَ على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يقوم بواجب ذلك ، وإنما نقلها من نقلها من العلماء لقوائد منها ما يتعلق بعلم العربية لا القراءة بها ؛ هذا طريق من استقام سبيله . ثم قال : والقراءة الشاذة ما نقل قرآنًا من غير تواتر واستفاضة متلقاة بالقبول من الأئمة ، كما يشتمل عليه " المحتسب " ^(١) لابن جنى وغيره . وأما القراءة بالمعنى على تجويزه من غير أن ينقل قرآنًا فليس ذلك من القراءة الشاذة أصلاً ؛ والمتجري على ذلك متجري على عظيم ، وضالّ ضلالاً بعيداً ، فيعزّز ويمنع بالحبس ونحوه : ويجب منع القارئ بالشواذ وتأثيمه بعد تعريفه ، وإن لم يمتنع فعلية التعزير بشرطه . وأما إذا شرع القارئ في قراءة فينبغي ألا يزال يقرأ بها ما بقي للكلام متعلق بما ابتداء به ، وما خالف هذا فنه جائز وممتنع وعذره مانع من قيامه بحقه ، والعلم عند الله تعالى .

وقال شيخ المالكية رحمه الله : لا يجوز أن يقرأ بالقراءة الشاذة في صلاة ولا غيرها ،

(١) المحتسب لابن جنى في توجيه القراءات الشاذة ؛ ومنه نسخ مخطوطة في دار الكتب المصرية .

علما بالعربية كانت أو جاهلا ؛ وإذا قرأها قارئ ، فإن كان جاهلا بالتحريم عُرِفَ به وأمر بتركها ، وإن كان علما أدب بشرطه ، وإن أصرَّ على ذلك أدب على إصراره ، وحبس إلى أن يرتدع عن ذلك . وأما تبديل « آتينا » « بأعطينا » و « سوت » « بزينت » ونحوه ؛ فليس هذا من الشواذ ، وهو أشد تحريما ، والتأديب عليه أبلغ ، والمنع منه أوجب ، وأما القراءة بالقراءات المختلفة في آى العشر الواحد فالأولى ألا يفعل . نعم إن قرأ بقراءتين في موضع إحداها مبنية على الأخرى مثل أن يقرأ « تغفر لكم » بالنون و « خطيئاتكم » بالجمع ومثل : ﴿ إِن تَصِلْ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرْ ﴾ ^(١) بالنصب ، فهذا أيضا ممتنع وحكم المنع كما تقدم .

قال الشيخ شهاب الدين : والمنع من هذا ظاهر ، وأما ما ليس كذلك فلا يمنع منه ؛ فإن الجمع جائز ، والتخفيف فيه بأكثر من ذلك كان حاصلا بما ثبت من إنزال القرآن على سبعة حروف ، توسعة على القراء ؛ فلا ينبغي أن يضيق بالمنع من هذا ولا ضرر فيه ، نعم أكره ترداد الآية بقراءات مختلفة كما يفعله أهل زماننا في جمع القرآن لما فيه من الابتداع ، ولم يرد فيه شيء من المتقدمين ، وقد بلغنى كراهته عن بعض متصديرى للغاربة المتأخرين .

قلت : وما أفتى به الشيخان نقله النووى في شرح المذهب ^(٢) عن أصحاب الشافعى فقال : قال أصحابنا وغيرهم : لا تجوز القراءة في الصلاة ولا غيرها بالقراءة الشاذة ؛ لأنها ليست قرآنا ، لأن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر ، والقراءة الشاذة ليست متواترة ؛ ومن قال غيره فغالط أو جاهل ، فلو خالف وقرأ بالشاذ أنكر عليه قراءتها في الصلاة وغيرها ، وقد اتفق فقهاء بغداد على استنابة مَنْ قرأ بالشواذ . ونقل ابن عبد البر إجماع المسلمين على أنه لا تجوز القراءة بالشواذ ، ولا يُصَلَّى خَلْفَ مَنْ يقرأ بها .

(١) سورة البقرة ٢٨٢ . مع كسر همزة إن ، وهى قراءة حمزة .

(٢) المذهب في الفروع للإمام إبراهيم بن محمد الشيرازى الفقيه الشافعى التوفى سنة ٤٧٦ هـ ، وشرحه للإمام محي الدين أبوزكريا محي الدين بن شرف النورى التوفى سنة ٦٧٦ هـ . (كشف الظنون) ..

الأمر السابع : أن حاصل اختلاف القراء يرجع إلى سبعة أوجه :

الأول الاختلاف في إعراب الكلمة أوفى حركات بنائها بما لا يزيلها عن صورتها في الكتاب ، ولا يغير معناها ؛ نحو ﴿ الْبُخْلُ ﴾ و ﴿ الْبَخْلُ ﴾ ^(١) . و ﴿ مَيْسَرَةٌ ﴾ و ﴿ مَيْسِرَةٌ ﴾ ^(٢) . و ﴿ وَمَا مِنْ أُمَّةٍ ﴾ ^(٣) . و ﴿ وَهِيَ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾ ^(٤) و ﴿ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾ . و ﴿ وَهَلْ يُجَازَى إِلَّا الْكَفُورُ ﴾ ^(٥) .

الثاني الاختلاف في إعراب الكلمة في حركات بما يغير معناها ، ولا يزيلها عن صورتها في الخط ؛ نحو ﴿ رَبَّنَا بِأَعْدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾ ^(٦) و ﴿ رَبَّنَا بِأَعْدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾ ^(٧) . و ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ ﴾ ^(٧) و ﴿ تَلَقَّوْنَهُ ﴾ . و ﴿ وَأَذْكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ ^(٨) و ﴿ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ ؛ وهو كثير يقرأ به ، لما صححت روايته ووافق العربية .

الثالث الاختلاف في تبديل حروف الكلمة دون إعرابها بما يغير معناها ، ولا يغير

-
- (١) من قوله تعالى في سورة النساء ٣٧ : ﴿ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ﴾ ، قرأ حمزة والكسائي وخلف بفتح الباء والهاء ، والباقون بالضم والكون . (إتحاف فضلاء البشر ١٩٠) .
- (٢) من قوله تعالى في سورة البقرة ٢٨٠ : ﴿ فَنْظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ ﴾ ، نافع ، بضم السين ووافق ابن محيصن ، والباقون بالفتح (إتحاف فضلاء البشر ١٦٦) .
- (٣) سورة المجادلة ٢ . قال في الكشاف ٤٣٩ : ٢ : « وقرأ بالرفع أيضاً ، على اللتين : المجازية والتمية » .
- (٤) سورة هود ٧٨ . قرأ الحسن وعيسى بن عمر بفتح الراء ، والعامية بضمها (تفسير القرطبي ٩ : ٧٦) .
- (٥) سورة سبأ ١٧ . قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر وأبو جعفر ﴿ يُجَازَى ﴾
- ﴿ إِلَّا الْكَفُورُ ﴾ والباقون بنون العظمة وكسر الزاي ونصب الكفور ، (إتحاف فضلاء البشر ٣٥٩) .
- (٦) سورة سبأ ١٩ ، الثانية قراءة يعقوب ، والأولى قراءة الباقي . (إتحاف فضلاء البشر ٣٣١) .
- (٧) سورة النور ١٥ ، والثانية قراءة محمد بن السميع ، والأولى قراءة الباقي . (تفسير القرطبي ١٢ : ٢٠٤) .
- (٨) سورة يوسف ٤٥ والثانية عن ابن عباس (تفسير القرطبي ٩ : ٢٠١) .

صورة الخط بها في رأى العين ؛ نحو ﴿ كَيْفَ نُنشِرُهَا ﴾ ^(١) و ﴿ نُفَشِّرُهَا ﴾ ، و ﴿ فَرَّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ ﴾ ^(٢) و ﴿ فَرَّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ ﴾ و ﴿ يَقْضِ الْحَقُّ ﴾ ^(٣) ، وهو كثير يقرأ به إذا صحَّ سنده ووجهه لموافقته لصورة الخط في رأى العين .

الرابع الاختلاف في الكلمة بما يغير صورتها في الكتابة ولا يغير معناها نحو ؛ ﴿ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً ﴾ ^(٤) و ﴿ إِلَّا زَقِيَةً وَاحِدَةً ﴾ و ﴿ كَالْمُهِنِ الْمُنْفُوشِ ﴾ ^(٥) و ﴿ كَالصُّوفِ الْمُنْفُوشِ ﴾ فهذا يقبل إذا صحت روايته ، ولا يقرأ به اليوم لخالفته لخط المصحف ، ولأنه إنما ثبت عن آحاد .

الخامس الاختلاف في الكلمة بما يزيل صورتها في الخط ويزيل معناها ، نحو ﴿ أَلَمْ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ ﴾ ^(٦) في موضع ﴿ أَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ ﴾ . و ﴿ طَلَحَ مَنْضُودٍ ﴾ ^(٧) و ﴿ طَلَحَ مَنْضُودٍ ﴾ فهذا لا يقرأ به أيضا ؛ لخالفته الخط ، ويُقبل منه ما لم يكن فيه تضاد لما عليه المصحف .

السادس الاختلاف بالتقديم والتأخير نحو ما روى عن أبي بكر الصديق رضى الله عنه أنه قرأ عند الموت : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْحَقِّ بِالنُّفُوتِ ﴾ ^(٨) ، وبهذا قرأ ابن

(١) سورة البقرة ٢٥٩ ؛ الأولى قراءة ابن عامر وعاصم وحزرة والكسائي والثانية قراءة الباقر . (إتحاف فضلاء البشر ١٦٢) .

(٢) سورة سبأ ٢٣ ؛ والثانية قراءة الحسن والأولى قراءة الباقر . (إتحاف فضلاء البشر ٣٦٠) .

(٣) سورة الأنعام ٥٧ ، والأولى قراءة نافع وابن كثير وعاصم ومجاهد والأعرج وابن عباس ، والثانية قراءة الباقر (القرطبي ٦ : ٤٣٩) .

(٤) سورة يس ٢٩ ؛ والثانية قراءة ابن مسعود (الكشاف ٢ : ٢٥١) .

(٥) سورة القارعة ٥ ؛ والثانية عن ابن مسعود (الكشاف ٢ : ٥٥٨) .

(٦) سورة السجدة ١ ، ٢ .

(٧) سورة الواقعة ٢٩ .

(٨) سورة ق ١٩ ؛ وروايتها عند حفص ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ﴾ .

ومثل قراءة أبي : « لِلَّذِينَ يُؤُولُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرْبُصُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فَإِنْ
فَأُولُوا فِيهِنَّ ^(١) » .

وكقراءة سعد بن أبي وقاص : « وَإِنْ كَانَ لَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ مِنْ أُمِّ فَلِكُلٍّ ... » ^(٢) .
وكما قرأ ابن عباس : « لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فِي
مَوَاسِمِ الْحَجِّ » ^(٣) .

— قلت : وكذا قراءته : « وَأَيُّمَنَ أَنَّهُ الْفِرَاقُ » ^(٤) وقال : ذهب الظن . قال
أبو الفتح : يريد أنه ذهب اللفظ الذي يصلح للشك ؛ وجاء اللفظ الذي هو مُصَرِّحٌ باليقين .
انتهى —

وكقراءة جابر : « فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ لَهُ غُفُورٌ رَحِيمٌ » ^(٥) .

فهذه الحروف وما شاكلها قد صارت مفسرة للقرآن ، وقد كان يروى مثل هذا عن
بعض التابعين في التفسير فيستحسن ذلك ، فكيف إذا روي عن كبار الصحابة ، ثم صار
في نفس القراءة ! فهو الآن أكثر من التفسير وأقوى ؛ فأدنى ما يستنبط من هذه الحروف
معرفة صحة التأويل ؛ على أنها من العلم الذي لا يعرف العامة فضله ؛ إنما يعرف ذلك

(١) سورة البقرة ٢٢٦ . وقراءة حفص بمحذف « فِيهِنَّ » .

(٢) سورة النساء ١٢ ، وقراءة حفص : ﴿ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلٍّ ... ﴾ بمحذف « مِنْ أُمِّ » .

(٣) سورة البقرة ١٩٨ ، وقراءة حفص : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَقَضْتُمْ ... ﴾ بمحذف « فِي مَوَاسِمِ الْحَجِّ » .

(٤) سورة القيامة ٢٨ ، وقراءة حفص : ﴿ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴾ .

(٥) سورة النور ٣٣ ؛ وقراءة حفص بدون « لَهُ » .

العلماء ، ولذلك يعتبر بهما وجه القرآن ؛ كقراءة من قرأ : ﴿ يَقْضِي الْحَقَّ ﴾ ^(١) فلما وجدتها في قراءة عبد الله : ﴿ يَقْضِي الْحَقَّ ﴾ علمت أنها إنما هي ﴿ يَقْضِي ﴾ فقرأتها على مافي المصحف ؛ واعتبرت صحتها بتلك القراءة ، وكذلك قراءة من قرأ : ﴿ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنْ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ ﴾ ^(٢) ، ثم لما وجدتها في قراءة أبي « تنبئهم » علمت أن وجه القراءة ﴿ تُكَلِّمُهُمْ ﴾ في أشباه من هذا كثيرة .

فائدة

قيل قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو راجعة إلى أبي ، وقراءة ابن عامر إلى عثمان بن عفان ، وقراءة عاصم وحزمة والكسائي إلى عثمان وعلى وابن مسعود .

فائدة

قال ابن مجاهد : إذا شك القارئ في حرف هل هو ممدود أو مقصور ؟ فليقرأ بالقصر ، وإن شك في حرف هل هو مفتوح أو مكسور ؟ فليقرأ بالفتح ؛ لأن الأول غير لحن في بعض المواضع .

(١) سورة الأنعام ٥٧ ، وقرأ نافع وابن كثير وعاصم وأبو جعفر وابن عيصن ﴿ يَقْضُ ﴾ بالصاد المشددة المرفوعة ، وقرأ الباقر بن ياف ساكنة وضاد مكسورة ؛ عدا ابن مسعود فإنه يثبت الياء (وانظر النشر ٢ : ٢٤٩ ، والإتحاف ٢٠٩ ، والفرطى ٦ : ٤٣٩) .

(٢) سورة النمل ٨٢ ، وهي قراءة الجمهور ، (وانظر البحر المحيط ٧ : ٩٧) .

النوع الرابع والعشرون معرفة الوقف والابتداء

وهو فن جليل ، وبه يعرف كيف أداء القرآن . ويترتب على ذلك فوائد كثيرة ؛ واستنباطات غزيرة . وبه تتبين معاني الآيات ، ويؤمن الاحتراز عن الوقوع في المشكلات . وقد صنف فيه الزجاج ^(١) قديما كتاب " القطع والاستثاف " ، وابن الأنباري ، وابن عباد ^(٢) ، والداني ^(٣) ، والعماني ^(٤) ، وغيرهم . وقد جاء عن ابن عمر أنهم كانوا يعلمون ما ينبغي أن يوقف عنده ، كما يتعلمون القرآن ^(٥) .

وروى عن ابن عباس: ﴿ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْنَا لَأَتَّبَعْنَا الشَّيْطَانَ ﴾ ^(٦)
قال : فاقطع الكلام .

(١) كذا ذكره المؤلف ؛ وفي الإتيان : « النحاس » وفي دار الكتب المصرية نسخة مصورة من تأليف أبي جعفر النحاس بهذا الاسم .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن عباد المقرئ النحوي ؛ المتوفى سنة ٣٣٤ ، (ذكره صاحب كشف الظنون ١٤٧١) .

(٣) في كتاب الاكتفاء في الوقف والابتداء ؛ ومنه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم ١٧٤ تفسير تيمور .
(٤) هو أبو محمد الحسن بن علي بن سعيد العماني المقرئ ، قال ابن الجزري : له في الوقف كتابان ، أحدهما كتاب المرشد . وقد لخصه زكريا الأنصاري في كتاب أسماء : المقصد لتلخيص مافي المرشد ، طبع في مصر سنة ١٩٣٤ م

(٥) الخبر بتمامه كما نقله أحمد بن محمد بن عبد الكريم الأشموني : « قال عبد الله بن عمر : ائد عشنا برهة من دهرنا ، وإن أئدنا ليؤتي الإيمان قبل القرآن ، ولقد رأينا اليوم رجلا يؤتي أحدهم القرآن قبل الإيمان ، فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ، ما يدرى ما أمره ولا زاجره ، ولا ما ينبغي أن يوقف عنده ، وكل حرف منه ينادي : أنا رسول الله إليك لتعمل بي ، وتتعظ بمواعظي » .

(٦) سورة النساء ٨٣ .

مأخوذة إلا عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد قال : « أنزل القرآن على سبعة أحرف » ،
فهما قراءتان حسنتان ، لا يجوز أن تقدم إحداها على الأخرى . انتهى .

وقال في سورة المزمل : السلامة عند أهل الدين أنه إذا صحت القراءتان عن الجماعة
الآ يقال : أحدهما أجود ؛ لأنهما جميعاً عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فيأتم من قال ذلك ؛
وكان رؤساء^(١) الصحابة رضى الله عنهم يُنكرون مثل هذا .

وقال الشيخ شهاب الدين أبو شامة رحمه الله : قد أكثر المصنفون في القراءات
والتفسير من الترجيح بين قراءة ﴿ مَلِكٍ ﴾^(٢) و ﴿ مَالِكٍ ﴾^(٣) حتى إن بعضهم يُبالغ إلى
حدٍّ يكاد يُسقط وجه القراءة الأخرى ؛ وليس هذا بمحمود بعد ثبوت القراءتين ؛ واتَّصف
الرب تعالى بهما ؛ ثم قال : حتى إنى أصلى بهذه في ركعة ، وبهذه في ركعة .

وقال صاحب " التحرير " ،^(٤) وقد ذكر التوجيه في قراءة ﴿ وَعَدْنَا ﴾^(٥) و ﴿ وَاَعْدْنَا ﴾ :
لا وجه للترجيح بين بعض القراءات السبع وبعض في مشهور كتب الأئمة من المفسرين
والقراء والنحويين ؛ وليس ذلك راجعاً إلى الطريق حتى يأتي هذا القول ؛ بل مرجعه ما يتعلق
بكثرة الاستعمال في اللغة والقرآن ، أو ظهور المعنى بالنسبة إلى ذلك المقام .

وحاصله أن القارى يختار رواية هذه القراءة على رواية غيرها ، أو نحو ذلك ؛ وقد تجرأ
بعضهم على قراءة الجمهور في ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ ﴾^(٦) فقال : أكره التانيث لما فيه من
مواقفة دعوى الجاهلية في زعمها أن الملائكة إناث ؛ وكذلك كره بعضهم قراءة من قرأ
بغير تاء ؛ لأن الملائكة جمع .

(١) م : « رؤوس » (٢) سورة الفاتحة ٣- ، وعاصم والكسائي ويعقوب وخلف بالألف ،
والباقون بغير ألف . (إتحاف فضلاء البشر ١٢٢) .

(٣) هو محمد بن سليمان المعروف بابن النقيب ، صاحب كتاب التحرير والتجويد ، لأقوال أئمة التفسير ،
في معاني كلام السميع البصير ؛ ذكره صاحب كشف الظنون . (٤) سورة البقرة ٥١ . أبو عمر

وأبو جعفر ويعقوب بغير ألف ، ووافقه ابن عيصن ، والباقون بغير ألف (الإتحاف ١٣٦) .
(٥) سورة آل عمران ٣٩ ، وانظر الإتحاف ١٧٣ .

وهذا كله ليس بجيد ، والقراءتان متواترتان ؛ فلا ينبغي أن ترد إحداهما البتة ؛
وفي قراءة عبد الله ﴿ فَنَادَاهُ جَبْرِيلُ ﴾ ما يؤيد أن الملائكة مراد به الواحد .

فصل

[في توجيه القراءة الشاذة]

وتوجيه القراءة الشاذة أقوى في الصناعة من توجيه المشهورة ، ومن أحسن ما وضع
فيه كتاب ” المحتسب ” ، لأبي الفتح ؛ إلا أنه لم يستوف ، وأوسع منه كتاب أبي البقاء
العكبري ؛ وقد يستبشع ظاهر الشاذ بآدى الرأى فيدفعه التأويل ، كقراءة : ﴿ قُلْ أَغْيَرَ اللَّهِ أَخْذُ
وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾^(١) ، على بناء الفعل الأول للمفعول
دون الثانى ؛ وتأويل الضمير فى ﴿ وَهُوَ ﴾ راجع إلى الولي .

وكذلك قوله : ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ﴾ بفتح الواو والراء ؛ على أنه اسم
مفعول ؛ وتأويله أنه مفعول لاسم الفاعل ، الذى هو البارئ ، فإنه يعملُ عمل الفعل ؛ كأنه
قيل : الذى برأ المصور .

وكقراءة : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾^(٢) ، وتأويله أن الخشية هنا بمعنى
الإجلال والتعظيم ؛ لا الخوف .

وكقراءة : ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾^(٣) بضم التاء على التكلم لله تعالى ؛
وتأويله على معنى : فإذا أرشدتك إليه وجعلتك تقصده . وجاء قوله : ﴿ عَلَى اللَّهِ ﴾ على
الالتفات ؛ وإلّا لقال : ﴿ فتوكل على ﴾ ، وقد نُسب العزم إليه فى قول أم سلمة « ثم عزم
الله لى » ، وذلك على سبيل المجاز . وقوله : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾^(٤) .

(١) سورة الأنعام ١٤ (٢) سورة فاطر ٢٨ . قرأ بها عمر بن عبد العزيز ،
وتحكى عن أبي حنيفة (وانظر تفسير القرطبي ١٤ : ٣٤٤) (٣) سورة آل عمران ١٥٩
(٤) سورة آل عمران ١٨ بكسر الهمزة أى على إجراء « شهد » مجرى القول ، (الإتحاف ١٧٢) .

النوع الثالث والعشرون
معرفة توجيه القراءات وتبيين وجه ما ذهب إليه كل فارئ

وهو فن جليل ، وبه تُعرف جلالة المعاني وجزالتها ، وقد اعتنى الأئمة به ، وأفردوا فيه كتباً ، منها كتاب "الحجة" لأبي عليّ الفارسيّ ، وكتاب "الكشف" لمسكي^(١) وكتاب "الهداية" للمهدوي^(٢) . وكلّ منها قد اشتمل على فوائد . وقد صنّفوا أيضاً في توجيه القراءات الشواذ ، ومن أحسنها كتاب "المختبّر" لابن جنيّ ، وكتاب أبي البقاء ، وغيرها .

وفائدته - كما قال السكواشي : أن يكون دليلاً على حسب المدلول عليه ، أو مرجحاً ؛ إلاّ أنّه ينبغي التنبيه على شيء ؛ وهو أنّه قد ترجّح إحدى القراءتين على الأخرى ترجيحاً يكاد يُسقط القراءة الأخرى ؛ وهذا غير مرضيٍّ ؛ لأنّ كليهما متواترة ، وقد حكى أبو عمر الزاهد في كتاب "البواقيت" عن ثعلب أنّه قال : إذا اختلف الإعراب في القرآن عن السبعة لم أفضّل إعراباً على إعرابٍ في القرآن ؛ فإذا خرجتُ إلى الكلام (كلام الناس) فضّلتُ الأقوى ؛ وهو حسن .

وقال أبو جعفر النحاس - وقد حكى اختلافهم في ترجيح ﴿فَلْكَ رَقَبَةً﴾^(٣) بالمصدرية والفعلية فقال : والديانة تحظر الطعن على القراءة التي قرأ بها الجماعة ، ولا يجوز أن تكون

(١) الكشف عن وجوه القراءات وعللها . (٢) الهداية لأبي العباس أحمد بن عمار المهدوي النوفلي سنة ٤٣٠هـ (كشف الظنون) (٣) سورة البلد ١٣ ، قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ﴿فَلْكَ رَقَبَةً﴾ على الفعل الماضي والمفعول المنصوب ، وقرأ الباقون ﴿فَلْكَ رَقَبَةً﴾ على أنّه مصدر مضاف لا بهمه . (وانظر تفسير القرطبي ٢٠ : ٧٠ ، والإتحاف ٤٣٩ ، وإعراب القرآن للمكبري ٥ : ٥٠) .

واستأنس له ابنُ النحاس بقول النبي صلى الله عليه وسلم للخطيب : « بئس الخطيبُ أنت » حين قال : [مَنْ يَطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدٌ] ^(١) وَمِنْ بَعْضِهِمَا - وَوَقَفَ - قَالَ : فَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَصَلَ كَلَامَهُ فَيَقُولَ : وَمَنْ يَعْبَهُمَا فَقَدْ غَوَى ، أَوْ يَقِفْ عَلَى : « وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدٌ » ؛ فَإِذَا كَانَ [مِثْلُ هَذَا] ^(٢) مَكْرُوهًا فِي الْخُطْبِ فِي كَلَامِ اللَّهِ أَشَدُّ .

وفيا ذكره نزاع ليس هذا موضعه ، وقد سبق حديث : « أَنْزَلَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ كُلٌّ كَأَشَافٍ ؛ مَا لَمْ تَحْمِ آيَةَ عَذَابٍ بِآيَةِ رَحْمَةٍ ، أَوْ آيَةَ رَحْمَةٍ بِآيَةِ عَذَابٍ » .

وهذا تعليم للتمام ؛ فَإِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَوْقِفَ عَلَى الْآيَةِ الَّتِي فِيهَا ذَكَرَ الْعَذَابَ وَالنَّارَ وَتُقْصَلَ عَنْهَا بَعْدَهَا ؛ نَحْوُ : ﴿ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ^(٣) وَلَا تَوَصَّلْ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ ^(٤) ، وَكَذَا قَوْلُهُ : ﴿ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾ ^(٥) وَلَا تَوَصَّلْ بِقَوْلِهِ : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ ﴾ ^(٦) وَكَذَا : ﴿ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ﴾ ^(٧) ؛ وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَوْصَلَ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَالظَّالِمُونَ ﴾ ^(٨) وَقَسَّ عَلَى هَذَا نَظَائِرَهُ .

[حاجة هذا الفن إلى مختلف العلوم]

وهذا الفنُ معرفته تحتاج إلى علوم كثيرة ؛ قَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ مُجَاهِدٍ : لَا يَقُومُ بِالتَّامِّ [فِي الْوَقْفِ] ^(٩) إِلَّا نَحْوَى عَالَمٍ بِالْقُرْآنِ ، عَالَمٌ بِالتَّفْسِيرِ وَالتَّقْصِصِ وَتَلْخِيصِ بَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ ، عَالَمٌ بِاللُّغَةِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْقُرْآنُ . وَقَالَ غَيْرُهُ : وَكَذَا عِلْمُ الْفَقْهِ ؛ وَلِهَذَا مَنْ لَمْ يَقْبَلْ شَهَادَةَ الْقَاضِي وَإِنْ تَابَ وَقَفَ ^(١٠) عِنْدَ قَوْلِهِ : ﴿ وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ﴾ ^(١١) .

(١) تكملة من كتاب منار الهدى للأشعري ص ٤ .

(٢) سورة البقرة ٨١ (٣) سورة البقرة ٨٢ .

(٤) سورة غافر ٦ (٥) سورة غافر ٧ .

(٦) سورة الشورى ٨ .

(٧) تكملة من الإفتان ٢ : ٨٧ فيما نقل عن ابن مجاهد .

(٨) في الإفتان : « يقف » . (٩) سورة النور ٤ .

فأما احتياجه إلى معرفة النحو وتقديراته ، فلأن مَنْ قال في قوله تعالى : ﴿ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ﴾ ^(١) : إنه منصوب بمعنى « كَلِمَةٍ » ^(٢) أو أعمل فيها ما قبلها ، لم يقف على ما قبلها .

وكذا الوقف على قوله : ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾ ^(٣) ، ثم يبتدئ ﴿ قَيًّا ﴾ ^(٤) ، لئلا يتخيل كونه صفة له ؛ إذ العِوَجُ لا يكون قَيًّا ؛ وقد حكاه ابنُ النحاس عن قتادة .
* وهكذا الوقفُ على ما في آخره هاء ؛ فإنك في غير القرآن ثبت الهاء إذا وقفت ، وتحذفها إذا وصلت ؛ فتقول : قَهْ وَعِهْ ، وتقول : قِ زيدا ، وعِ كلامي ؛ فأما في القرآن من قوله تعالى : ﴿ كِتَابِيَّةً ﴾ ^(٥) و﴿ حِسَابِيَّةً ﴾ ^(٦) و﴿ سُلْطَانِيَّةً ﴾ ^(٧) و﴿ مَاهِيَةً ﴾ ^(٨) و﴿ لَمْ يَنْسَنَهُ ﴾ ^(٩) و﴿ اقْتَدِهْ ﴾ ^(١٠) ؛ وغير ذلك ، فالواجب أن يوقف عليه بالهاء ؛ لأنه مكتوبٌ في المصحف بالهاء ، ولا يوصل ، لأنه يلزم في حكم العربية إسقاط الهاء في الوصل ؛ فإن أثبتنا خالف العربية ، وإن حذفها خالف مراد المصحف ، ووافق كلام العرب ، وإذا هو وقف عليه خرج من الخلافين ، واتبع المصحف وكلام العرب * .

فإن قيل : قد جوزوا الوصل في ذلك .

قلنا : أتوا به على نية الوقف ؛ غير أنهم قَصَرُوا زمن الفصل بين النطقين ، فظن مَنْ لا خبرة له أنهم وصلوا وصلًا محضًا ، وليس كذلك .

(١) سورة الحج ٧٨ .

(٢) في الأصول : « كلمة » تحريف ، وفي تفسير القرطبي ١٢ : ١٠١ : « انتصب على تقدير حذف الكاف ؛ كأنه قال : « كلمة » .

(٤) سورة الكهف ٢ .

(٣) سورة الكهف ١ .

(٦) سورة الحاقة ٢٠ .

(٥) سورة الحاقة ١٩ .

(٨) سورة القارعة ١٠ .

(٧) سورة الحاقة ٢٩ .

(١٠) سورة الأنعام ٩٠ .

(٩) سورة البقرة ٢٥٩ .

(*) - (*) ما بين النجمتين ساقط من ت .

ومثله قراءة ابن عامر ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾^(١) ، بإثبات الألف في حال الوصل ؛
اتبعوا في إثباتها خط المصحف ؛ لأنهم أثبتوها فيه على نية الوقف ، فلهذا أثبتوها في حال
الوصل ، وهم على نية الوقف .

وأما احتياجه إلى معرفة التفسير فلا أنه إذا وقف على ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ
سَنَةً﴾^(٢) كان المعنى محرمّة عليهم هذه المدة ، وإذا وقف على ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾
كان المعنى محرمّة عليهم أبدا ؛ وأنّ التّيه أربعين ؛ فرجع في هذا إلى التفسير ، فيكون
بحسب ذلك .

وكذا يستحب الوقف على قوله : ﴿مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدَنَا﴾^(٣) ، ثم يتدى ؛ فيقول :
﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾ لأنه قيل إنه من كلام الملائكة .

وأما احتياجه إلى المعنى فكنزوله : ﴿قَالَ، اللَّهُ عَلَى مَا تَقُولُ وَكِيلٌ﴾^(٤) فيقف على
﴿قَالَ﴾ وقفة لطيفة ؛ لتلايؤم كون الاسم الكريم فاعل : ﴿قَالَ﴾ وإنما الفاعل يعقوب
عليه السلام .

وكذا يجب الوقف على قوله : ﴿وَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ﴾^(٥) ثم يتدى : ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ
لِلَّهِ جَمِيعًا﴾^(٥)

وقوله : ﴿فَلَا بَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيَاتِنَا﴾^(٦) ، قال الشيخ عز الدين : الأحسن

(٢) سورة المائدة ٢٦

(٤) سورة يوسف ٦٦

(٦) سورة القصص ٣٥ -

(١) سورة الكهف ٣٧

(٣) سورة يس ٥٢

(٥) سورة يونس ٦٠

الوقفُ على ﴿إِلَيْكَ﴾؛ لأن إضافة الغلبة^(١) إلى الآيات أولى من إضافة عدم الوصول إليها ؛ لأن المراد بالآيات العصا وصفاتها ، وقد غلبوا بها السحرة ، ولم تمنع عنهم في

وكذا يستحب الوقف على قوله : ﴿أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾^(٢) ابتداء بقوله : ﴿مَا يَصَاحِبُهُمْ مِنْ جَنَّةٍ﴾^(٣) ؛ فإن ذلك يبين أنه رد لقول الكافر : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾^(٤) . وقال الداني : إنه وقف تام .

وكذا الوقف على قوله : ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾^(٥) والابتداء بما بعده^(٥) ؛ أي لأن يرحمهم ، فإن ابن عباس قال في تفسير الآية : ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾^(٦) يعني اليهود والنصارى ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾^(٧) ، يعني أهل الإسلام ، ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾^(٨) أي لرحمته خلقهم .

وكذلك الوقف على قوله : ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ والابتداء بقوله : ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ﴾^(٩) فإن بذلك يتبين الفصل بين الأمرين ؛ لأن يوسف عليه السلام أمر بالإعراض ؛ وهو الضفح عن جهل من جهل قدره ، وأراد ضرره ، والمرأة أمرت بالاستغفار لذنبها لأنها همت بما يجب الاستغفار منه ؛ ولذلك أمرت به ؛ ولم يهّم بذلك يوسف عليه السلام ، ولذلك لم يؤمر بالاستغفار منه ؛ وإنما هم بدفعها عن نفسه لعصته ؛ ولذلك أكد أيضا بعض العلماء الوقف على قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ﴾^(١٠) ، والابتداء بقوله : ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾^(١١) وذلك للفصل بين الخبرين . وقد قال الداني : إنه كاف ، وقيل : تام ، وذكر بعضهم أنه على

(١) إشارة إلى قوله تعالى آخر الآية ﴿أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمْ أَلْفَابُونَ﴾

(٢) سورة الحجر ٦

(٣) سورة الأعراف ١٨٤

(٤) وبعبارة : ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾

(٥) سورة هود ١١٩

(٦) سورة يوسف ٢٩

(٧) سورة يوسف ٢٩

حذف مضاف ، أى هم بدفعها ، وعلى هذا فالوقف على ﴿ هَمَّتْ بِهِ ﴾ كالوقف على قوله تعالى : ﴿ لَتَبَيِّنَنَّ لَكُمْ ﴾ ^(١) والابتداء بقوله : ﴿ وَهُمْ بِهَا ﴾ كالأبتداء بقوله : ﴿ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ ﴾ ^(٢) .

ومثله الوقف مراعاة للتنزيه على قوله : ﴿ وَهُوَ اللَّهُ ﴾ ^(٣) ، وقد ذكر * صاحب الاكتفا ^(٤) أنه تام ^(٥) ، وذلك ظاهر على قول ابن عباس أنه على التقديم والتأخير ، والمعنى : وهو الله يعلم سرَّكم وجهركم في السموات والأرض .

* وكذلك حكى الزمخشري في كشفه القديم عن أبي حاتم السجستاني في قوله : ﴿ مُسْتَهْزِئُونَ . اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ ^(٦) قال : ليس ﴿ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ بوقف صالح ، لا أحب استئناف ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ ، ولا استئناف ﴿ وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ ^(٧) حتى أصله بما قبله ، قال : وإنما لم يستحب ذلك لأنه إنما جاز إسناد الاستهزاء والمكر إلى الله تعالى على معنى الجزاء عليهما ، وذلك على سبيل المزاوجة ، فإذا استأنفت وقطعت الثاني من الأول أو هم أنك تُسندُه إلى الله مطلقا والحكم في صفاته سبحانه أن تصان عن * الوم .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ ^(٨) قال صاحب الاكتفا ^(٩) : إنه

(١) سورة الحج ٥

(٢) سورة الأنام ٣ ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾ .

(٣) هو أبو عمرو الداني وانظر ص ٣٤٢ الحاشية ٣

(٤) ص ٧٢ وقد ذكر الأشموني في منار الهدى ص ١٠٧ أنه وقف حسن ، وانظر توجيهه هناك ، ونفسه

أبي حيان ٤ : ٧٢ . (* - *) ما بين النجدين ساقط من ت (٥) سورة البقرة ١٤ ، ١٥

(٦) سورة آل عمران ٥٤ : ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ .

(٧) سورة آل عمران ٧ (٨) ص ٤٠

تام على قول من زعم أن الراسخين لم يعلموا تأويله ، وهو قول الأكثرين ، ويصدقه قراءة عبد الله : « وَيَقُولُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ آمَنَّا بِهِ » .

وكذلك الوقف على : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ ^(١) ، والابتداء بقوله : ﴿ سُبْحَانَهُ ﴾ وقد ذكر ابن نافع أنه تام ، في كتابه الذي تمقب فيه على صاحب الاكتفا ، واستدرك عليه فيه مواقف كثيرة ، وذلك أن الله أخبر عنهم بقولهم : ﴿ اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ ، ثم رد قولهم ونزعه نفسه بقوله : ﴿ سُبْحَانَهُ ﴾ ، فينبغي أن يفصل بين القولين .

ومثله الوقف على قوله تعالى : ﴿ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ ﴾ ^(٢) ، والابتداء بقوله : ﴿ وَأَمْلَى لَهُمْ ﴾ ^(٣) . قال صاحب الكافي : ﴿ سَوَّلَ لَهُمْ ﴾ كافٍ ، سواء قرئ ﴿ وَأَمْلَى لَهُمْ ﴾ على ما لم يسم فاعله ، أو ﴿ وَأَمْلَى لَهُمْ ﴾ ، على الإخبار ؛ لأن الإملاء في كلتا القراءتين مُسْتَدٌّ إلى الله تعالى ، لقوله : ﴿ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ﴾ ^(٤) ، فيحسن قطعه من التسويل الذي هو مسند إلى الشيطان ، وهو كما قال ، وإنما يحسن قطعه بالوقف ليفصل بين الحرفين . ولقد نبه بعض من وصله على حسن هذا الوقف ، فاعتذر بأن الوصل هو الأصل .

ومثله الوقف على قوله : ﴿ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا ﴾ ^(٥) ، والابتداء بقوله : ﴿ مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ﴾ ^(٦) ، وذلك للإعلام بأن الله تعالى جعل الرهبانية في قلوبهم ، أي خلق ، كما جعل الرأفة والرحمة في قلوبهم وإن كانوا قد ابتدعوها فאלله تعالى خلقها ؛ بدليل قوله سبحانه : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ^(٧) ؛ هذا مذهب أهل السنة ،

(٢) سورة القتال ٢٥

(١) سورة البقرة ١١

(٣) في القراءات السبع ، لأبي محمد اسماعيل بن أحمد السرخسي (كشف الظنون)

(٤) سورة الحج ٤٤ . (٥) سورة الحديد ٢٧ (٦) سورة الصافات ٩٦ .

وقد نسب أبو علي الفارسي إلى مذهب الاعتزال بقوله في الإيضاح^(١) حين تكلم على هذه الآية فقال : ألا ترى أن الرهبانية لا يستقيم حملها على ﴿ جَعَلْنَا ﴾ مع وصفها بقوله : ﴿ ابْتَدَعُوها ﴾ ، لأن ما يحمله الله لا يتدعونه ، فكذلك ينبغي أن يفصل بالوقف بين المذهبين .
ومثله الوقف على قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ ﴾^(٢) ، والابتداء بقوله : ﴿ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ ، أى مُعِينُونَ له صلى الله عليه وسلم ؛ فتكون هذه الجملة مستأنفة .

وأما احتياجه إلى المعرفة بالقراءات فلا نه إذا قرأ : ﴿ وَيَقُولُونَ حُبْرًا مَّحْجُورًا ﴾^(٣) بفتح الحاء ، كان هذا التمام ، وإن ضمَّ الحاء - وهى قراءة الحسن - فالوقف عند ﴿ حُبْرًا ﴾ لأنَّ العرب كان إذا نزل بالواحد منهم شدة قال : « حُبْرًا » قليل له : « محجورا » أى لا تُعَادُونَ كما كنتم تُعَادُونَ فى الدنيا ؛ حَجَرَ الله ذلك عليهم يوم القيامة .

وإذا قرأ : ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾^(٤) إلى قوله : ﴿ قِصَاصٌ ﴾ فهو التام إذا نصب ﴿ وَالْعَيْنُ بِالْعَيْنِ ﴾ ، ومن رفع فالوقف عند : ﴿ أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾ ، وتكون ﴿ وَالْعَيْنُ بِالْعَيْنِ ﴾ ابتداء حكم فى المسلمين وما قبله فى التوراة^(٥) .

(١) كتاب الإيضاح لأبى على الفارسي فى النحو ؛ ألفه لعهد الدولة ، اشتمل على ١٩٦ باباً ، منها ١٦٦ فى النحو والباقي فى التصريف (كشف الظنون) .
(٢) سورة التحريم ٤ .
(٣) سورة الفرقان ٢٢ .
(٤) سورة المائدة ٤٥ .

(٥) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ ﴾ .

واعلم أن أكثر القراء يبتغون في الوقف المعنى وإن لم يكن رأس آية ، ونازعهم فيه بعض المتأخرين في ذلك ؛ وقال : هذا خلاف السنة ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقف عند كل آية فيقول : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(١) ويقف ، ثم يقول : ﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ ^(٢) وهكذا ، روت أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقطع قراءته آية آية ، ومعنى هذا الوقف على رموس الآي ، وأكثر أواخر الآي في القرآن تام أو كاف ، وأكثر ذلك في السور القصار الآي ، نحو الواقعة ، قال : وهذا هو الأفضل ؛ أعني الوقف ^(٣) على رموس الآي وإن تعلقت بما بعدها ، وذهب بعض القراء إلى تتبع الأغراض والمقاصد ، والوقف ^(٤) عند رموس انتهائها ؛ واتباع السنة أولى . ومن ذكر ذلك الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب (شعب الإيمان) وغيره ، ورجح الوقف ^(٥) على رموس الآي وإن تعلقت بما بعدها . قلت : وحكى النحاس عن الأخفش على بن سليمان أنه يستحب الوقوف على قوله : ﴿ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ^(٦) لأنه رأس آية ، وإن كان متعلقا بما بعده .

[أقسام الوقف]

والوقف عند أكثر القراء ينقسم إلى أربعة أقسام : تام مختار ، وكاف جائز ، وحسن مفهوم ، وقبيح متروك . وقسمه بعضهم إلى ثلاثة ، وأسقط الحسن . وقسمه آخرون إلى اثنين ، وأسقط الكافي والحسن .

فالتام هو الذي لا يتعلق بشيء مما بعده ، فيحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده ؛

(٢) ت : ه الوقوف

(١) سورة الفاتحة ٢ ، ٣ .

(٣) سورة البقرة ٢ .

كقوله تعالى : ﴿ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ^(١) ؛ وأكثر ما يوجد عند رؤس الآي كقوله : ﴿ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ^(١) ، ثم يتبدى بقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ^(٢) وكذا : ﴿ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ ^(٣) ثم يتبدى بقوله : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴾ ^(٤) .

قد يوجد قبل انقضاء الفاصلة ، كقوله : ﴿ وَجَعَلُوا أَهْلِيهَا أَذِلَّةً ﴾ ^(٥) هنا التمام لأنه كلام بليق ، ثم قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ ^(٥) ، وهو رأس الآية . وكذلك : ﴿ عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ﴾ ^(٦) هو التمام ، لأنه انقضاء كلام الظالم الذي هو أبي بن خلف ، ثم قال الله تعالى : ﴿ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴾ ^(٦) وهو رأس آية . وقد يوجد بعدها كقوله تعالى : ﴿ مُصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ ﴾ ^(٧) ﴿ مُصْبِحِينَ ﴾ رأس الآية ، ﴿ وَبِاللَّيْلِ ﴾ ^(٧) التمام ؛ لأنه معطوف على المعنى ، أى والصبح وبالليل . وكذلك : ﴿ يَتَسَكَّتُونَ ﴾ ﴿ وَزُخْرَفًا ﴾ ^(٨) . رأس الآية : ﴿ يَتَسَكَّتُونَ ﴾ ، ﴿ وَزُخْرَفًا ﴾ هو التمام ، لأنه معطوف على ما قبله من قوله : ﴿ سُقْفًا ﴾ ^(٩) .

وآخر كل قصّة وما قبل أولها وآخر كل سورة تام ، والأحزاب ، والأنصاف ، والأرباع ، والأثمان ، والأسباع ، والاتساع ، والأعشار ، والأخماس . وقبل ياء النداء ، وفعل الأمر ، والقسم ولامه دون القول ، و«الله» بعد رأس كل آية ، والشرط ما لم يتقدم جوابه و«كَانَ اللهُ» ، و«ما كان» ، و«ذلك» ، و«لولا» غالبهن تام ما لم يتقدمهن قسم أو قول أو مافى معناه ^(١٠) .

والكافي منقطع في اللفظ متعلق في المعنى ، فيحسن الوقف عليه والابتداء أيضاً بما

- | | | |
|---|-------------------------|---------------------|
| (١) سورة البقرة ٥ | (٢) سورة البقرة ٦ | (٣) سورة البقرة ٤٦ |
| (٤) سورة البقرة ٤٧ | (٥) سورة النمل ٣٤ | (٦) سورة الفرقان ٢٩ |
| (٧) سورة الصافات ١٣٧ ، ١٣٨ | (٨) سورة الزخرف ٣٤ ، ٣٥ | (٩) سورة الزخرف ٣٣ |
| (١٠) انظر توضيح ذلك مفصلاً في منار الهدى للاشموني : ١٤ ، ١٥ . | | |

بعده ، نحو : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ﴾ ^(١) هنا الوقف ، ثم يبتدئ بما بعد ذلك ، وهكذا باقى المعطوفات ، وكل رأس آية بعدها « لام كي » و « إلا » بمعنى « لكن » و « إن » المكسورة المشددة ، والاستفهام ، و « بل » و « ألا » المحففة ، و « السين » و « سوف » على التهدد ، و « نعم » ، و « بئس » ، و « كيلا » ، وغالبهن كاف ، مالم يتقدمهن قول أو قسم ، وقيل « أن » المفتوحة المحففة فى خمسة لا غير . البقرة : ﴿ وَأَنْ تَصُومُوا ﴾ ^(٢) ، ﴿ وَأَنْ تَعْمُوا ﴾ ^(٣) ، ﴿ وَأَنْ تَصَدَّقُوا ﴾ ^(٤) ، والنساء : ﴿ وَأَنْ تَصْبِرُوا ﴾ ^(٥) ، والنور : ﴿ وَأَنْ يَسْتَغْفِرَ ﴾ ^(٦) .

والحسن ^(٧) هو الذى يحسن الوقوف عليه ، ولا يحسن الابتداء بما بعده ، لتعلقه به فى اللفظ والمعنى ؛ نحو ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٨) و ﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ ^(٩) ، والوقف عليه حسن ، لأن المراد مفهوم ، والابتداء بقوله : ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٨) و ﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ ^(٩) ، و ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ ^(٨) لا يحسن ؛ لأن ذلك مجرور ، والابتداء بالمجرور قبيح ؛ لأنه تابع .

والقبيح هو الذى لا يفهم منه المراد نحو ﴿ الْحَمْدُ ﴾ فلا يوقف عليه ، ولا على الموصوف دون الصفة ، ولا على البذل دون المبدل منه ، ولا على المعطوف دون المعطوف عليه ، نحو ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ ﴾ ^(١٠) ، ولا على المجرور دون الجار .

(٢) سورة البقرة ١٨٤

(٤) سورة البقرة ٢٨٠

(٦) سورة النور ٦٠

(٧) انظر صفحة ٩ من كتاب « منار الهدى فى الوقف والابتداء » .

(٩) سورة الحاقة ٤

(١) سورة النساء ٢٣

(٣) سورة البقرة ٢٣٧

(٥) سورة النساء ٢٥

(٨) سورة المائدة ٢ - ٤

(١٠) سورة المائدة ٢ - ٤

وأقبح من هذا الوقفُ على قوله : ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا﴾ ^(١) ، ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ﴾ ^(٢) والابتداء بقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ﴾ ^(٣) ، ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ﴾ ^(٤) ، ﴿إِنِّي إِلَهٌ﴾ ^(٥) ؛ لأن المعنى يستحيل بهذا في الابتداء ، ومن تعمد وقصد معناه فقد كفر . ومثله في القبح الوقف على : ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ﴾ ^(٦) ، و﴿مَثَلُ السَّوَاءِ وَاللَّهُ﴾ ^(٧) ، وشبهه ، ومثله : ﴿وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلَا بُوَيْبَةَ﴾ ^(٨) ، و﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى﴾ ^(٩) .

وأقبح من هذا وأشنع الوقفُ على النفي دون حروف الإيجاب ، نحو : ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ ^(١٠) ، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ^(١١) ، وكذا ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ . وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ^(١٢) ، و﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ . وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ ^(١٣) ، فإن اضطرَّ لأجل التنفس جاز ذلك ، ثم يرجع إلى ما قبله حتى يصله بما بعده ولا حرج .

وقال بعضهم : إن تعلقت الآية بما قبلها تعلقت لفظيا كان الوقف كافيا ، نحو ﴿اهدنا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ . صِرَاطَ الَّذِينَ﴾ ^(١٤) ، وإن كان معنويا فالوقف على ما قبلها حسن كاف ، نحو ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ^(١٥) ؛ وإن لم يكن لا لفظيا ولا معنويا فتأم ،

(٢) سورة الأنبياء ٢٩ .

(٤) سورة المائدة ٧٣ .

(٦) سورة البقرة ٢٥٨ .

(٨) سورة النساء ١١ .

(١٠) سورة محمد ١٩ .

(١٢) سورة المائدة ٩ ، ١٠ .

(١٤) سورة الفاتحة ٦ ، ٧ .

(١) سورة المائدة ١٧ ، ٧٣ .

(٣) سورة المائدة ١٧ .

(٥) سورة الأنبياء ٢٩ .

(٧) سورة النحل ٦٠ .

(٩) سورة الأنعام ٣٦ .

(١١) سورة الإسراء ١٠٥ .

(١٣) سورة محمد ١ ، ٢ .

(١٥) سورة الفاتحة ٢ .

كقوله : ﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ^(١) ، بعده ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا ﴾ ^(٢) ، وإن كانت الآية مضادة لما قبلها كقوله : ﴿ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ . الَّذِينَ يَمْحِلُونَ الْعِشْرَ ﴾ ^(٣) ، فالوقف عليه قبيح .

واعلم أن وقف الواجب إذا وقفت قبل « والله » ثم ابتدأت بوالله ، وهو الوقف الواجب كقوله تعالى : ﴿ حَذَرَ الْمَوْتِ ، وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ ^(٤) .

وقال بعض النحويين : الجملة التأليفية إذا عرفت أجزاؤها ^(٥) ، وتكررت أركانها كان ما أدركه الحسن في حكم المذكور ؛ فله أن يقف كيف شاء . وسواء ^(٦) التام وغيره ؛ إلا أن الأحسن أن يوقف على الأتم وما يقدر به .

وذهب الجمهور إلى أن الوقف في التنزيل على ثمانية أضرب : تام ، وشبيه [به] ^(٧) ، وناقص ، وشبيه به ، [وحسن وشبيه به] ^(٧) وقبيح ، وشبيه به ، وصنفوا فيه تصانيف ، فمنها ما أثروه عن النحاة ، ومنها ما أثروه عن القراء ، ومنها ما استنبطوه ، ومنها ما اقتدوا فيه بالسنة فقط ، كالوقف على أواخر الآي ؛ وهي مواقف النبي صلى الله عليه وسلم .

وذهب أبو يوسف القاضي صاحب أبي حنيفة إلى أن تقدير الموقوف عليه من القرآن : التام ، والناقص ، والحسن ، والقبيح ، وتسميته بذلك بدعة ، ومتمم الوقف على نحوه مبتدع ، قال : لأن القرآن معجز ، وهو كالتقطعة الواحدة ، فكلمة قرآن وبعضه قرآن ، وكلمة تام حسن ، وبعضه تام ، حكى ذلك أبو القاسم بن برهان النحوي عنه .

(١) سورة البقرة ٢٧٥

(٢) سورة البقرة ٢٧٤

(٣) سورة البقرة ١٩

(٤) ت : « ويتوى » .

(٥) سورة غافر ٦ ، ٧

(٦) ت : « عرفنا أجزائها » .

(٧) نكلمة من كتاب الإقنان ١ : ٨٥ .

وقال ابن الأنباري: لا يتم الوقف على المضاف [دون المضاف إليه] ، ولا على الرفع دون المرفوع ، ولا على المرفوع دون الرفع ، ولا على الناصب دون منصوب ، ولا عكسه ، ولا على المؤكد دون التأكيذ ، ولا على المعطوف دون المعطوف عليه ، ولا على إن وأخواتها دون اسمها ، ولا على اسمها دون خبرها ، وكذا ظننت ، ولا على المستثنى منه دون الاستثناء ، ولا على المفسر عنه دون التفسير ، ولا على المترجم عنه دون المترجم ، ولا على الموصول دون صلته ، ولا على حرف الاستفهام دون ما استفهم به عنه ، ولا على حرف الجزاء دون الفعل الذي بينهما ، ولا على الذي يليه دون الجواب . وجوز أبو على الوقف على ما قبل « إلا » إذا كانت بمعنى « لكن » كقوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَا أَضْطَرُّرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾ ^(١) ، وكقوله : ﴿ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴾ ^(٢) ، و﴿ إِلَّا اتَّبَاعَ الظَّنِّ ﴾ ^(٣) ونحوه .

وقال أبو عبيد : يجوز الوقف دون ﴿ إِلَّا خَطَا ﴾ ^(٤) ، ﴿ إِلَّا اللَّهُ ﴾ ^(٥) ، ﴿ إِلَّا سَلَامًا ﴾ ^(٦) ، لأن المعنى : لكن يقع خطأ ، ولكن قد يلزم ، ولكن يسلمون سلامًا ، وجميعه استثناء منقطع .

وقال غيره : لا يجوز الوقف على المبدل دون البدل إذا كان منصوبا ، وإن كان مرفوعا جاز الوقف عليه .

والحاصل أن كل شيء كان تعلقه بما قبله كتعلق البدل بالمبدل منه أو أقوى لا يجوز الوقف عليه .

(٢) سورة الليل ٢٠

(٤) سورة النساء ٩٢

(٦) سورة مريم ٦٢

(١) سورة الأنعام ١١٩

(٣) سورة النساء ١٥٧

(٥) سورة النجم ٣٢

(١) مسألة

فصل بعضهم في الصفة بين أن تكون للاختصاص فيمتنع الوقف على موصوفها دونها ، وبين أن تكون للمدح فيجوز ، وجرى عليه الرُّماني في الكلام على قوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ ^(٢) ؛ قال : ويجوز الوقف عليه خلافا لبعضهم ، وعاملُ الصفة في المدح غير عامل الموصوف ، فلهذا جاز قطعها عما قبلها ، بخلاف الاختصاص فإنَّ عاملها عامل الموصوف ، وسيأتي في كلام ^(٣) الزنجشري ما يؤيده .

(٤) مسألة

لا خلاف في التسامح بالوقف على المستثنى منه دون المستثنى إذا كان متصلا ، واختلف في الاستثناء المنقطع ، فمنهم مَنْ يجوزُه مطلقا ، ومنهم مَنْ يمنعه مطلقا . وفصل ابن الحاجب في أماليه ^(٥) فقال : يجوز إن صُرِّح بالخبر ، ولا يجوز إن لم يصرَّح به ؛ لأنه إذا صرح بالخبر استقلت الجملة واستغنيت عما قبلها ، وإذا لم يصرَّح به كانت مفتقرة إلى ما قبلها . قال : ووجه مَنْ جوزه مطلقا أنه في معنى مبتدأ حذف خبره للدلالة عليه ، فكان مثل قولنا : زيد ، لمن قال : مَنْ أبوك ! ألا ترى أن تقدير المنقطع في قولك : مافي الدار أحد إلا الحارث : لكن الحارث في الدار ، ولو قلت : « لكن الحارث » مبتدئا به بعد الوقوف على ما قبله لكان حسنا ، ألا ترى إلى جواز الوقف بالإجماع على مثل قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ

(٢) سورة البقرة ١٥٥

(٤) لم تذكر في ت

(١) لم تذكر في ت

(٣) ص ٣٥٨ من هذا الجزء

(٥) منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم ١٠٠٧ نحو .

لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا^(١) والابتداء بقوله : ﴿ وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾^(٢) ،
فكذلك هذا . ووجه من قال بالمنع ما رأى من احتياج الاستثناء النقطع إلى ما قبله لفظاً
ومعنى ؛ أما اللفظُ فلا أنه لم يعهد استعمال « إلا » وما في معناها إلا متصلاً بما قبلها لفظاً ،
ألا ترى أنك إذا قلت : ما في الدار أحد غير حمار ، فوقفت على ما قبل « غير » وابتدأت به
كان قبيحاً ! فكذلك هذا ، وأما المعنى فلا أن ما قبله مُشعر بتمام الكلام في المعنى ؛
فإن : ما في الدار أحد إلا الحمار ، هو الذي صحح قولك : « إلا الحمار » ألا ترى أنك لو قلت :
« إلا الحمار » على انفراده كان خطأ !

مسألة^(٣)

اختلف في الوقف على الجملة الندائية ، والمحقوق كما قاله ابن الحاجب على
الجواز ؛ لأنها مستقلة ، وما بعدها جملة أخرى ؛ وإن كانت الأولى تتعلق بها من حيث كانت
هي في المعنى .

قاعدة

[في الذي والذين في القرآن]

جميع ما في القرآن من « الذين » و« الذي » يجوز فيه الوصل بما قبله نعتاً له ، والنقطع
على أنه خبر مبتدأ ، إلا في سبعة مواضع فإن الابتداء بها هو المعين .

(١) سورة يونس ٤٤ .

(٢) لم تذكر في ت .

الأول قوله : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ﴾ ^(١) .
 الثانى قوله : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾ ^(٢)
 فى البقرة .

الثالث فى الأنعام كذلك ^(٣) .

الرابع قوله : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ ﴾ ^(٤) .

الخامس فى سورة التوبة : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ ﴾ ^(٥) .

السادس قوله فى سورة الفرقان : ﴿ الَّذِينَ يُخْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ ﴾ ^(٦) .

السابع قوله فى سورة حم المؤمن : ﴿ أَسْهَمَ أَصْحَابُ النَّارِ ، الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ ﴾ ^(٧) .

وقال الزمخشري فى تفسير سورة الناس : يجوز أن يقف القارىء على الموصوف ويبتدىء
 ﴿ الَّذِي يُوسُوسُ ﴾ إن جعله على القطع بالرفع والنصب ، بخلاف ما إذا جعله صفة ^(٨) . وهذا
 يرجع لما سبق عن الرماني من الفصل بالصفة بين التخصيصية والقطعية .

وجميع ما فى القرآن من القول لا يجوز الوقف عليه ؛ لأن ما بعده حكاية القول ، قاله
 الجوينى فى تفسيره .

وهذا الإطلاق مردود بقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ ﴾ فإنه يجب الوقف

(٢) سورة البقرة ١٤٦

(١) سورة البقرة ١٢١

(٤) سورة البقرة ٢٧٥

(٣) سورة الأنعام ٢٠ كما فى آية البقرة .

(٦) سورة الفرقان ٣٤

(٥) سورة التوبة ٢٠

(٧) سورة غافر ٧

(٨) عبارة الزمخشري فى الكشاف ٢ : ٥٦٩ عند تفسير قوله : ﴿ الَّذِي يُوسُوسُ ﴾ : « يجوز
 فى عمله المركبات الثلاث ، فالجر على الصفة ، والرفع والنصب على الشتم ، ويحسن أن يقف القارىء على
 ﴿ الْخَنَّاسِ ﴾ ، ويبتدىء ﴿ الَّذِي يُوسُوسُ ﴾ على أحد هذين الوجهين » .

هنا ، لأن قوله : ﴿ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ ^(١) ليس من مقولهم .
 قال : وسمعت أبا الحسين الدهان يقول : حيث كان فيه إضمار من القرآن حسن الوقف ،
 مثاله قوله تعالى : ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ﴾ ^(٢) ، فيحسن الوقوف
 هاهنا ، لأن فيه إضماراً تقديره : فاضرب فانفلق .

فصل

[ملخص في تقسيمات الوقف]

فصل جامع لخصته من كلام صاحب المستوفى ^(٣) في العربية
 قال : تقسيمهم الوقف إلى الجودة والحسن والقبیح والكفاية وغير ذلك وإن كان
 يدل على ذلك فليست القسمة بها صحيحة مستوفاة على مستعملها ، وقد حصل لقائلها من
 التشويش ما إذا شئت وجدته في كتبهم المصنفة في الوقوف .
 فالوجه أن يقال : الوقف ضربان : اضطرارى واختيارى .
 فالاضطرارى ما يدعو إليه انقطاع النفس فقط ؛ وذلك لا ينحصر موضعاً دون
 موضع ؛ حتى إن حمزة كان يقف في حرفه [على] كل كلمة تقع فيها الهمزة متوسطة أو
 متطرفة إذا أراد تسهيلها ؛ وحتى إنه روى عنه الوقف على المضاف دون المضاف إليه ،
 في نحو قوله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتٍ ﴾ ^(٤) قالوا : وقف هنا
 بالباء على نحو جاءنى « طلحت » إشعاراً بأن الكلام لم يتم عند ذاك ، وكوقفه على ﴿ إلى ﴾

(٢) سورة الشعراء ٦٣

(١) سورة يونس ٦٥

(٣) هو جمال الدين أبو سعد علي بن مسعود بن محمود بن أحمد بن الحكيم الفرغاني ؛ وكتاب المستوفى
 منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم ١٧٦١ نحو .

(٤) سورة البقرة ٢٠٧

من قوله : ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَى ﴾ ^(١) بإلقاء حركة الهمزة على الساكن قبلها ، كهذه الصورة « خَلَوْا لِي » ، وعلى هذا يجوز أن يقف في المنظوم من القول حيث شئت ؛ وهذا هو أحسن الوقفين .

والاختيارى وهو أفضلهما ؛ هو الذى لا يكون باعتبار انفصال ما بين جزأى القول ؛ وينقسم بانقسام الانفصال أقساماً :

الأول التام ؛ وهو الذى يكون بحيث يستغنى كل واحد من جزأى القولين اللذين يكتنفانه عن الآخر ؛ كالوقوف على ﴿ نَسْتَعِينُ ﴾ ^(٢) من قوله : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ^(٣) ، والآخر : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ ^(٤) مستغن عن الآخر من حيث الإفادة النحوية والتعلق اللفظي .

الثانى الناقص ؛ وهو أن يكون ما قبله مستغنيا عما بعده ؛ ولا يكون ما بعده مستغنيا عما قبله ، كالوقوف على ﴿ المستقيم ﴾ من قوله : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ ^(٥) ؛ ولأن لك أن تسكت على ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ ^(٦) ، وليس لك أن تقول مبتدئاً : ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ ^(٧) .

فإن قيل : ولم لا يجوز أن يُقدَّرَ هاهنا الفعل الذى ينتصب به ﴿ صِرَاطَ ﴾ ؟ قلنا : أول ما فى ذلك أنك إذا قدرت الفعل قبل ﴿ صِرَاطَ ﴾ لم تكن مبتدئاً به من حيث المعنى ، ثم إن فعلت ذلك كان الوقف تاماً ، لأن كل واحد من طرفيه يستغنى حينئذ عن الآخر . والنحويون يكرهون الوقف الناقص فى التنزيل مع إمكان التام ؛ فإن طال الكلام ولم يوجد فيه وقف تام حسن الأخذ بالناقص ؛ كقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَوْحَى ﴾ ^(٨) إلى قوله : ﴿ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ ^(٩) إن كسرت بعده ﴿ إِنَّ ﴾ فإن

(١) سورة البقرة ١٠٤

(٢) سورة الفاتحة ٥

(٣) سورة الفاتحة ٦

(٤) سورة الجن ١

(٥) سورة الفاتحة ٦

(٦) سورة الفاتحة ٧

(٧) سورة الجن ١٨

فتحتها فإلى قوله : ﴿ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ ^(١) ؛ لأن الأوجه في « أن » في الآيتين تكون محمولة على ﴿ أَوْحَى ﴾ وهذا أقرب من جعل الوقف التام ﴿ حَطْبًا ﴾ ^(٢) ، وحل : ﴿ وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا ﴾ ^(٣) على القسم ، فاضطر في ﴿ وَأَنْ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ ﴾ ^(٤) إلى أن جعل التقدير : ﴿ فلا تدعوا مع الله أحدا ﴾ ^(٥) ؛ لأن المساجد لله .

فإن قيل : هذا هو الوجه في فتح « أن » في الجملة التي بعد قوله : ﴿ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا . يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾ ^(٥) فلم لا يلزم من جعل الوقف التام ﴿ حَطْبًا ﴾ ^(٦) ألا يقف قبله على هذه الجمل في كسر « إن » في أول كل واحدة منها ؟

قلنا : لأن هذه الجمل داخله في القول ، وما يكون داخلًا في القول لا يتم الوقف دونه ؛ كما أن المعطوف إذا تبع المعطوف عليه في إعرابه الظاهر والمقدر لا يتقدمه الوقف تاما .

فإن قيل : فهل يجوز الفصل بالمكسورات بين ﴿ أَنَّهُ اسْتَمَعَ ﴾ وبين ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ ﴾ ^(٧) فيمن فتحهما وقد عطف بالثانية على الأولى .

قيل : أما عندنا فليس ذلك بفصل ؛ لأن ما بعد ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا ﴾ من المكسورات معطوف عليها ، وهي داخله في القول ، والقول - أعني ﴿ فقالوا ﴾ - معطوف على ﴿ استمع ﴾ ، و﴿ استمع ﴾ من صلة « أن » الأولى المفتوحة ، فالمكسورات تكون في خبر المفتوحة الأولى ، فيعطف عليها الثانية بلا فصل بينها ، والثانية عندنا هي الخففة في قوله تعالى : ﴿ وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ ﴾ ^(٧) ثم الثالثة هي التي في قوله : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ ﴾ .

(٢) سورة الجن ١٥

(٤) سورة الجن ١٩

(٦) سورة الجن ١٥

(٧) سورة الجن ١٦

(١) سورة الجن ١٩

(٣) سورة الجن ١٦

(٥) سورة الجن ١ ، ٢

(٧) سورة الجن ١٩

ثم إن فتحت التي في قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ ﴾ ^(١) رابعة تابعة ؛ فإن فتحت التي بعد ﴿ بمعنا ﴾ كانت هي واللواتي بعدها إلى قوله : ﴿ حَطْبًا ﴾ ^(٢) داخلة في القول تحللاً على المعنى ، وقد يجوز أن تكون هي الثانية ثم تعدُّ بعدها على النسق .
ونحو قوله تعالى : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ ^(٣) إلى قوله : ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أُخْضَرَتْ ﴾ ^(٤) وعلى هذا القياس .

الثالث الأنقص ؛ ومثل له بقراءة بعضهم : ﴿ وَإِنْ كَلَّامًا لِّيُؤْفِّيَهُمْ ﴾ ^(٥) ، وقراءة بعضهم : ﴿ لَكِنْ هُوَ اللَّهُ ﴾ ^(٦) والفرق بينهما أن التام قد يجوز أن يقع فيه بين القولين مهلة وتراخ في اللفظ ، والناقص لا يجوز أن يقع فيه بين جزأى القول إلا قليل لبث ، والذي دونهما لا لبث فيه ولا مهلة أصلاً .

ثم إن كلاً من التام والناقص ينقسم في ذاته أقساماً . فالتام أئمة ما لا يتعلق باللاحق فيه من القولين بالسابق معنى ، كما لا يتعلق به لفظاً ؛ وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تُصْنِهُمْ سَيِّئَةً يَمَّا قَدَّمْتْ أَيْدِيَهُمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴾ . لله مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ^(٧) وشأن ما يتعلق فيه أحد القولين بالآخر معنى وإن كان لا يتعلق به لفظاً ، وذلك كقوله : ﴿ يَا حَسْرَةَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ ^(٨) وتعلق الثانى فيه بالأول تعلق الحال بذى الحال معنى .

-
- | | |
|---|---|
| (١) سورة الجن ١٩ | (٢) سورة الجن ١٦ |
| (٣) سورة التكويد ١ | (٤) سورة التكويد ١٤ |
| (٥) سورة هود ١١١ بتخفيف « إن » من الثقيلة ؛ وهى قراءة نافع وابن كثير وأبو بكر (تفسير القرطبي ٩ : ١٠٤) . | (٦) سورة الكهف ٣٨ ؛ وهى قراءة عن الكنائى (تفسير القرطبي ١٠ : ٤٠٥) . |
| (٧) سورة الشورى ٤٨ ، ٤٩ | (٨) سورة يس ٣٠ |

ونحو قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ لِأَيُّهَ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴾ ^(١) إلى قوله : ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ جُذًا إِذَا ﴾ ^(٢) إلى قوله : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ ^(٣) ، فهذه الحال قد عطف بعضها على بعض في المعنى ، وظاهر كل واحد منها الاستئناف في اللفظ .

ونحو قوله تعالى : ﴿ فَهَمَّ بِهِ مُنْتَهِكُونَ . بَلْ قَالُوا ﴾ ^(٤) ، وأنت تعلم أن « بل » لا يُبتدأ بها .

ونحو ﴿ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴾ ^(٥) ؛ فإن ما بعده منقطع عنه لفظاً إذ لا تعلق له من جهة اللفظ لكنه متعلق به معنى ، وتعلقه قريب من تعلق الصفة بالموصوف إلى قوله : ﴿ وَتَصْلِيَةً جَحِيمٍ ﴾ ^(٦) .

ونحو قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ﴾ ^(٧) ؛ فإن الوقف عليه تام ، ولكنه ليس بالأنتم ، لأن ما بعده وهو قوله تعالى : ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ انْسَاءَةٍ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ ^(٧) ، كالعلة لما قبلها ، فهو متعلق به معنى ؛ وإن كان لا تعلق له من جهة اللفظ ، فقس على هذا ما سواه ، فإنه أكثر أنواع الوقوف استعمالاً ، وليس إذا حاولت بيان قصة وجب عليك ألا تقف إلا في آخرها ؛ ليكون الوقف القول على الأنتم ؛ ومن ثم أتى به من جل الوقف على ﴿ عَلَيْكُمْ ﴾ من قوله : ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ ^(٨) غير تام .

(٢) سورة الأنبياء ٥٨
(٤) سورة الزخرف ٢١ ، ٢٢
(٦) سورة الواقعة ٩٤
(٨) سورة النساء ٢٤

(١) سورة الأنبياء ٥٢
(٣) سورة الأنبياء ٦٣
(٥) سورة الواقعة ٧
(٧) سورة الحج ١

فصل

[متى يحسن الوقف الناقص]

يحسنُ الوقف الناقصُ بأمور :

منها أن يكون لضربٍ من البيان ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا . قَيِّمًا ﴾ ^(١) إذ به تبين أن « قَيِّمًا » منفصل عن « عِوَجًا » وأنه حالٌ في نية التقدم .
وكما في قوله تعالى : ﴿ وَعَمَّا تُكْمُ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ ﴾ ^(٢) ليفصل به بين التحريم النسبي والسببي .

قلت : ومنه قوله تعالى : ﴿ يَا وَيْلَتَنَا مَنِ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا ﴾ ^(٣) ؛ ليبين أن « هذا » ليس من مقولهم .

ومنها أن يكون على رءوس الآي ، كقوله تعالى : ﴿ مَا كَثِيرٌ فِيهِ أُبْدَأُ . وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ ^(٤) ، ونحوه : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ . أَنْ تَقُولُوا ﴾ ^(٥) . وكان نافع يقف على رءوس الآي كثيرا ؛ ومنه قوله تعالى : ﴿ أَيْحَسِبُونَ أَنَّ نُمُودَهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ . نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ^(٦) .

ومنها أن تكون صورته في اللفظ صورة الوصل بعينها ، نحو قوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّهَا لَأُظَى . نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى . تَدْعُو مَنْ أَذْبَرَ وَتَوَلَّى . وَجَمَعَ فَأَوْعَى ﴾ ^(٧)

(٢) سورة النساء ٢٣
(٤) سورة الكهف ٣ ، ٤
(٦) سورة المؤمنون ٥٥ ، ٥٦

(١) سورة الكهف ١ ، ٢
(٣) سورة يس ٥٢
(٥) سورة الأنعام ١٥٥ ، ١٥٦
(٧) سورة الماعز ١٥ - ١٨

ومنها أن يكون الكلام مبنيًا على الوقف ، فلا يجوز فيه إلا الوقف صيغة ، كقوله :
﴿ يَا لَيْتَنِي لَمْ أَوتَ كِتَابِيَّةً . وَلَمْ أَذِرْ مَا حِسَابِيَّةً ﴾^(١)

هذا في الناقص ؛ ومثاله في التام : ﴿ وَمَا أَذْرَاكَ مَا هِيَ . نَارٌ حَامِيَّةً ﴾^(٢)

فصل

[خواص الوقف التام]

من خواص التام المراقبة ، وهو أن يكون الكلام له مقطعان على البذل ، كل واحد منهما إذا فرض فيه الوقف به وجب الوصل في الآخر ، وإذا فرض فيه الوصل وجب الوقف في الآخر ، كالحال بين « حياة » وبين « أشركوا » من قوله : ﴿ وَلَتَجِدَنَّهِنَّ أُخْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعْمَرُ ﴾^(٣) ، فإنك إن جعلت القطع على « حياة » وجب أن تبتدى فتقول : ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ ﴾^(٣) ، على الوصل لأن « يود » صفة للفاعل في موضعه ، فلا يجوز الوقف دونه ، وكذلك إن جعل المقطع « أشركوا » وجب أن يصل « عَلَى حَيَاةٍ »^(٣) ، على أن يكون التقدير : وأحرص من الذين أشركوا - والله أعلم بمراده .

ومنه أيضا ما تراه بين « لَا رَيْبَ »^(٤) ، وبين « فِيهِ » من قوله تعالى : ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾^(٤) .

• (٢) سورة الفارعة - ١٠ ، ١١

(٤) سورة البقرة ٢

(١) سورة الحاقة ٢٥ ، ٢٦

(٣) سورة البقرة ٩٦

فصل

[انقسام الناقص بانقسام خاص]

يتقسم الناقص بانقسام ما مر من التعلق اللفظي بين طرفيه ، فكلما كان التعلق أشد وأكثراً كان الوقف أقص ، وكلما كان أضعف وأوهى كان الوقف أقرب إلى التمام ، والتوسط يوجب المتوسط .

فن وكيد التعلق ما يكون بين توابع الاسمية والتعليلية وبين متبوعاتها ؛ إذا لم يمكن أن يتمحل لها في إعرابها وجه غير الإتيان ؛ ومن ثم ضعف الوقف على ﴿ مُنْتَصِرِينَ ﴾ من قوله تعالى : ﴿ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ . فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ . فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ . وَقَوْمِ نُوحٍ ﴾ ^(١) فيمن جر ^(٢) - غاية الضعف .

وضعف على ﴿ أَثِيم ﴾ من قوله : ﴿ وَلَا تَطِغْ كُلَّ حَلَّافٍ مِثْنٍ . هَآؤِ مِثْلُ بَنِيمٍ . مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ . عُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴾ ^(٣) .
وضعف على ﴿ بِهِ ﴾ من قوله تعالى : ﴿ سَوْءًا يُجْزَى بِهِ . وَلَا يُجْدِي لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ ^(٤) .

وضعف على ﴿ أَبَدًا ﴾ ^(٥) من قوله : ﴿ مَا كُنْتُمْ فِيهِ أَبَدًا . وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ ^(٥) .

على أن هذه الطبقة من التعلق قد تنقسم أقساماً ؛ فإنه ليس بين البذل والمبدل منه من التعلق بين الصفة والموصوف على ما ذكرناه .

(٢) أي جر « قوم » ، وهي قراءة أبي عمرو

(١) سورة القارات ٤٣ - ٤٦

(الأنعام ٤٠٠) (٣) سورة ت ١٠ - ١٣ (٤) سورة النساء ١٢٣

(٥) سورة الكهف ٤ ، ٣ .

وأوهمى من هذا التعلّق ما يكون بين الفعل وبين ما ينتصب عنه من الزوائد التي لا يخلّ حذفها بالكلام كبير إخلال ، كالظرف ، والتمييز ، والاستثناء المنقطع ؛ ولذلك كان الوقف على نحو ﴿ عَجَبًا ﴾ من قوله : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَفْجَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾ . إذ أوى الفِئْتَةُ إِلَى الْكَهْفِ ﴿ ^(١) ﴾ أو هي من الوقوف المذكورة . فإن وسّطت بين التعلق بالمذكور من التعلّق الذي للمفعول أو الحال المختصة ، أو الاستثناء الذي يتغير بسقوطه المعنى وانتصب - كان لك في الوقف على نحو ﴿ مَسْغَبَةٍ ﴾ ^(٢) من قوله تعالى : ﴿ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ . يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴾ ^(٣) . وعلى نحو ﴿ قَلِيلًا ﴾ ^(٤) من قوله تعالى : ﴿ يَرَاهُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا . مُذَبِّذِينَ ﴾ ^(٥) . وعلى نحو ﴿ مُصْبِرًا ﴾ من قوله : ﴿ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا . إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ ﴾ ^(٦) . وعلى نحو ﴿ وَاحِدَةً ﴾ و ﴿ زَوْجَهَا ﴾ ، من قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ ^(٧) . وعلى نحو ﴿ نَذِيرًا ﴾ من قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا . وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِآذَنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ ^(٨) مرتبة بين المرتبتين المذكورتين .

فهذه ثلاث مراتب للوقف الناقص كما ترى ؛ ياراء ثلاث طبقات من التعلق المذكور ، فإن قسمت طبقة من الطبقات انقسمت يارائها مرتبة من المراتب ؛ فقد خرج لك بحسب هذه القسمة - وهي القسمة الصناعية - ستة أصناف من الوقف في الكلام : خمسة منها بحسب الكلام نفسه ، وهي الآتم ، والنام ، والذي يشبه النام ، والناقص المطلق ، والأنقص . وواحد من جهة المتكلم أو القارى ، وهو الذي بحسب انقطاع النفس كما سبق عن حمزة .

(٢) سورة البلد ١٤ ، ١٥
(٤) سورة النساء ٩٧ ، ٩٨
(٦) سورة الأحزاب ٤٥ ، ٤٦

(١) سورة الكهف ٩ ، ١٠
(٣) سورة النساء ١٤٢ ، ١٤٣
(٥) سورة النساء ١

واعلم أن الوقف في الكلام قد يمكن أن يكون من غير انقطاع نفس وإن كان لاشئ من انقطاع النفس إلا ومعه الوقف ، والوقوف أمرها على سبيل الجواز إلا الذي بُنى عليه الكلام وما سواه ، فعليك منه أن تختار الأفضل فالأفضل ؛ بشرط أن تطابق به انقطاع نفسك لينجذب عند السكت إلى باطنك من الهواء ما تستعين به ثانيا على الكلام الذي تُنشئه بإخراجه على الوجه المذكور .

ومما يدعو إلى الوقف في موضع الوقف الترتيل ؛ فإنه أعون شئ عليه ، وقد أمر الله تعالى به رسوله صلى الله عليه وسلم في قوله : ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾ ^(١) .

ويدعو إليه اجتناب تكرير اللفظة الواحدة في القرآن تكريرا من غير فصل ؛ كما في قوله تعالى : ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ . خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴾ ^(٢) ، وقوله : ﴿ لَمَسْجِدٍ أُسَسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ، فِيهِ رِجَالٌ يُحْيُونَ أَنْ يَتَظَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ ﴾ ^(٣) .

فصل

[في الكلام على « كلا » في القرآن]

« كلا » في القرآن على ثلاثة أقسام :

إحداها ما يجوز الوقف عليه والابتداء به جميعا باعتبار معنيين .

والثاني ما لا يوقف عليه ولا يبتدأ به .

(٢) حورة الطارق ٦٠٠

(١) سورة المزمل ٣

(٣) سورة التوبة ١٠٨

والثالث ما يبتدأ به ولا يجوز الوقف عليه ، وجملته ثلاثة وثلاثون حرفاً ؛ تضمنها خمس عشرة سورة ؛ كلها في النصف الأخير من القرآن ؛ وليس في النصف الأول منها شيء . وللشيخ عبد العزيز الديريني ^(١) رحمه الله :

وما نزلت « كَلَّا » يثرب فاعلمن ولم تأت في القرآن في نصفه الأعلى وحكمة ذلك أن النصف الآخر نزل أكثره بمكة ، وأكثرها جابرة ، ف تكررت هذه الكلمة على وجه التهديد والتعنيف لهم ، والإنكار عليهم ، بخلاف النصف الأول . وما نزل منه في اليهود لم يحتاج إلى إيرادها فيه لذلهم وضعفهم .

والأول اثنا عشر حرفاً :

منها في سورة مريم : ﴿ أُمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا . كَلَّا ﴾ ^(٢) .

ومنه [فيها] : ﴿ لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا . كَلَّا ﴾ ^(٣)

وفي « المؤمنين » : ﴿ فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا ﴾ ^(٤)

وفي المعارج : ﴿ يَنْجِيهِ . كَلَّا ﴾ ^(٥) . وفيها : ﴿ جَنَّةُ نَعِيمٍ . كَلَّا ﴾ ^(٦) .

وفي المدثر : ﴿ أَنْ أَزِيدَ . كَلَّا ﴾ ^(٧) . وفيها : ﴿ صُحُفًا مُنشَرَّةً . كَلَّا ﴾ ^(٨) .

وفي القيامة : ﴿ أَيْنَ الْمَقَرُّ . كَلَّا ﴾ ^(٩) .

(١) هو أبو محمد عبد العزيز أحمد بن سعيد بن عبد الله الدميري الشهير بالديريني ؛ المصري ؛ أحد فقهاء النشافية ؛ وصاحب الأروجوزة المسماة باليسير في علم التفسير ؛ تزيد على ألف ومائتي بيت ؛ طبعت بمصر سنة ١٣٠٠ . وتوفي سنة ٦٩٤ . (وانظر طبقات البيهقي ٥ : ٧٥)

(٢) سورة مريم ٧٨ ، ٧٩

(٣) سورة مريم ٨١ ، ٨٢

(٤) سورة المعارج ١٤ ، ١٥ ، ٣٨ ، ٣٩

(٥) سورة المدثر ١٥ ، ١٦

(٦) سورة القيامة ١٠ ، ١١

(٧) سورة المدثر ٥٢ ، ٥٣

- وفي عبس : ﴿ تَلَهَّى . كَلَّا ﴾ ^(١) .
 وفي التطفيف : ﴿ قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ . كَلَّا ﴾ ^(٢) .
 وفي الفجر : ﴿ أَهَانَنِي . كَلَّا ﴾ ^(٣) .
 وفي الهمة : ﴿ أَخْلَدَهُ . كَلَّا ﴾ ^(٤) .

والثاني ثلاثة أحرف :

- في الشعراء : ﴿ أَنْ يَقْتُلُونِ . قَالَ كَلَّا ﴾ ^(٥) .
 وفيها : ﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ . قَالَ كَلَّا ﴾ ^(٦) .
 وفي سبأ : ﴿ أَلْحَقْتُمُ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا ﴾ ^(٧) .

والثالث ثمانية عشر حرفاً ^(٨) :

- في المدثر : ﴿ كَلَّا وَالْقَمَرَ ﴾ ^(٩) . ﴿ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ ﴾ ^(١٠) .
 وفي القيامة : ﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴾ ^(١١) . ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴾ ^(١٢) .
 وفي النبأ : ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾ ^(١٣) .
 وفي عبس : ﴿ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ ﴾ ^(١٤) .

- | | |
|--------------------------|--|
| (١) سورة عبس ١٠ ، ١١ | (٢) سورة المطففين ١٣ ، ١٤ |
| (٣) سورة الفجر ١٦ ، ١٧ | (٤) سورة الهمة ٣ ، ٤ |
| (٥) سورة الشعراء ١٤ ، ١٥ | (٦) سورة الشعراء ٦١ ، ٦٢ |
| (٧) سورة سبأ ٢٧ | (٨) كذا ذكر العدد في جميع الأصول ؛ وما أورده أربعة عشر فقط . |
| (٩) سورة المدثر ٣٢ | (١٠) سورة المدثر ٥٤ |
| (١١) سورة القيامة ٢٠ | (١٢) سورة القيامة ٢٦ |
| (١٣) سورة النبأ ٤ | (١٤) سورة عبس ٢٣ |

- وفي الانفطار: ﴿كَلَّا بَلْ تَكَذِّبُونَ﴾^(١) .
 وفي التطهيف: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ﴾^(٢) . ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ﴾^(٣) .
 وفي الفجر: ﴿كَلَّا إِذَا﴾^(٤) .
 وفي العلق: ﴿كَلَّا إِنَّ﴾^(٥) . ﴿كَلَّا لَنْ لَمْ يَنْتَه﴾^(٦) . ﴿كَلَّا لَا تَطَّعُهُ﴾^(٧) .
 وفي التكاثر: ﴿كَلَّا سَوْفَ نَعْلَمُونَ﴾^(٨) .

وقسمها مكي أربعة أقسام :

الأول : ما يحسن الوقف فيه على «كلا» ، على معنى الرد لما قبلها والإنكار له ؛ فتكون بمعنى : ليس الأمر كذلك ، والوقف عليها في هذه المواضع هو الاختيار ؛ ويجوز الابتداء بها على معنى «حقا» ، أو «إلا» ؛ وذلك أحد عشر موضعا :

منها الموضعان في مريم . وفي المؤمنين .

وفي سبأ: ﴿أَلْحَقْمُ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا﴾^(٩) . وموضعان في المعارج . وموضعان في المدثر . وموضع في المطففين ، والفجر ، والحطمة . قال : فهذه أحد عشر موضعا ، الاختيار عندنا وعند أكثر أهل اللغة أن تقف عليها على معنى النفي والإنكار لما تقدمها ، ويجوز أن تبتدى بها على معنى «حقا» ، لجعلها تأكيذا للكلام الذي بعدها ، أو الاستفتاح .

الثاني : ما لا يحسن الوقف عليه فيها ، ولا يكون الابتداء بها على معنى «حقا» ، أو «إلا»

(٢) سورة التطهيف ٧

(٥) سورة العلق ٦

(٧) سورة العلق ١٩

(٩) سورة سبأ ٢٧

(١) سورة الانفطار ٩

(٣) سورة التطهيف ١٥

(٤) سورة الفجر ٢١

(٦) سورة العلق ١٥

(٨) سورة التكاثر ٣

أوتعلّقها بما قبلها وبما بعدها ، ولا يوقف عليها ، ولا يبتدأ بها ، والابتداء بها في هذه المواضع أحسن ، وذلك في ثمانية عشر موضعا : موضعان في المدثر : ﴿ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشْرِ . كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴾ ، ^(١) ﴿ كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴾ ^(٢) . كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرَةٌ ^(٣) .

وثلاثة في القيامة : ﴿ أَيْنَ الْمَفَرِّ . كَلَّا ﴾ ^(٤) ، ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ . كَلَّا ﴾ ^(٥) ﴿ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ . كَلَّا إِذَا ﴾ ^(٦) .

وموضع في عم : ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾ ^(٧) .

وموضعان في عبس : ﴿ إِذَا شَاءَ أَنْشَرُهُ . كَلَّا ﴾ ^(٨) ، ﴿ تَلَمَّى . كَلَّا ﴾ ^(٩) .

وموضع في الانفطار : ﴿ مَا شَاءَ رَبِّكَ . كَلَّا ﴾ ^(١٠) .

وثلاثة مواضع في المطففين : ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ . كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ ﴾ ^(١١) .

﴿ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ . كَلَّا إِنَّهُمْ ﴾ ^(١٢) . ﴿ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ . كَلَّا ﴾ ^(١٣) .

وموضع في الفجر : ﴿ حُبًّا جَمًّا . كَلَّا ﴾ ^(١٤) .

وثلاثة مواضع في العلق : ﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ . كَلَّا ﴾ ^(١٥) . ﴿ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ

اللَّهُ يَرَى . كَلَّا ﴾ ^(١٦) . ﴿ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ . كَلَّا ﴾ ^(١٧) .

(١) سورة المدثر ٣١ ، ٣٢

(٢) سورة المدثر ٥٣

(٣) سورة القيامة ١٠ ، ١١

(٤) سورة القيامة ٢٥ ، ٢٦

(٥) سورة عبس ١٠ ، ١١

(٦) سورة الانفطار ٨ ، ٩

(٧) سورة المطففين ١٤ ، ١٥

(٨) سورة الفجر ٢٠ ، ٢١

(٩) سورة العلق ١٤ ، ١٥

(١٠) سورة المدثر ٥٤

(١١) سورة القيامة ١٩ ، ٢٠

(١٢) سورة عم ٤

(١٣) سورة عبس ٢٢ ، ٢٣

(١٤) سورة المطففين ٦ ، ٧

(١٥) سورة المطففين ١٧ ، ١٨

(١٦) سورة العلق ٥ ، ٦

(١٧) سورة العلق ١٨ ، ١٩

وموضعان في التكاثر: ﴿ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ . كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ ^(١) وقوله :
﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ ﴾ ^(٢) .

فهذه ثمانية عشر موضعا، الاختيار عندنا وعند القراء وعند أهل اللغة أن يبدأ بها ، و« كلاً »
على معنى « حقا » ، أو « إلا » وألا يوقف عليها .

الثالث : ما لا يحسن الوقف فيه عليها ، ولا يحسن الابتداء بها ، ولا تكون موصولة بما
قبلها من الكلام ، ولا بما بعدها ، وذلك موضعان : في ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ : ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ .
ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾ ^(٣) . وكذا في التكاثر : ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ ^(٤) ، فلا
يحسن الوقف عليها ولا الابتداء بها .

الرابع : ما لا يحسن الابتداء بها ويحسن الوقوف عليها ، وهو موضعان في الشعراء :
﴿ أَنْ يَقْتُلُونِ . قَالَ كَلَّا ﴾ ^(٥) ، ﴿ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ . قَالَ كَلَّا ﴾ ^(٦) .
قال : فهذا هو الاختيار ؛ ويجوز في جميعها أن تصلها بما قبلها وبما بعدها ولا تقف عليها
ولا تبدئ بها .

[الكلام على « بلى »]

وأما ﴿ بلى ﴾ فقد وردت في القرآن في اثنين وعشرين موضعا ، في ست عشرة سورة ،
وهي على ثلاثة أقسام :

- | | |
|--------------------------|--------------------------|
| (١) سورة التكاثر ٢ ، ٣ | (٢) سورة التكاثر ٥ |
| (٣) سورة عم ٤ ، ٥ | (٤) سورة التكاثر ٤ |
| (٥) سورة الشعراء ١٤ ، ١٥ | (٦) سورة الشعراء ٦١ ، ٦٢ |

أحدها ما يختار فيه كثير من القراء وأهل اللغة الوقف عليها؛ لأنها جواب لما قبلها غير متعلق بما بعدها؛ وذلك عشرة مواضع: موضعان في البقرة: ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. ﴿يَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾^(١). ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. ﴿يَلَىٰ﴾^(٢) وموضعان في آل عمران: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ يَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ﴾^(٣). ﴿يَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا﴾^(٤). وموضع في الأعراف: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾^(٥)، وفيه اختلاف. وفي النحل: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ يَلَىٰ﴾^(٦). وفي يس: ﴿أَنْ يَخْلُقَ مِنْهُمْ يَلَىٰ﴾^(٧). وفي غافر: ﴿رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا يَلَىٰ﴾^(٨). وفي الأحقاف: ﴿عَلَىٰ أَنْ يُخَيِّمَ الْمَوْتَىٰ يَلَىٰ﴾^(٩). وفي الانشقاق: ﴿أَنْ لَنْ يَحْوَرَ يَلَىٰ﴾^(١٠).

فهذه عشرة مواضع يختار الوقف عليها؛ لأنها جواب لما قبلها، غير متعلقة بما بعدها. وأجاز بعضهم الابتداء بها.

والثاني ما لا يجوز الوقف عليها، لتعلق ما بعدها بها وبما قبلها، وذلك في سبعة مواضع: في الأنعام: ﴿يَلَىٰ وَرَبَّنَا﴾^(١١). وفي النحل: ﴿لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ يَمُوتُ يَلَىٰ﴾^(١٢). وفي سبأ: ﴿قُلْ يَلَىٰ وَرَبَّنَا﴾^(١٣). وفي الزمر: ﴿مِنَ الْمُحْسِنِينَ يَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ﴾^(١٤). وفي الأحقاف: ﴿يَلَىٰ وَرَبَّنَا﴾^(١٥). وفي التغابن: ﴿قُلْ يَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾^(١٦).

- | | |
|---------------------------|----------------------------|
| (١) سورة البقرة ٨٠ ، ٨١ | (٢) سورة البقرة ١١١ ، ١١٢ |
| (٣) سورة آل عمران ٧٥ ، ٧٦ | (٤) سورة آل عمران ١٢٥ |
| (٥) سورة الأعراف ١٧٢ | (٦) سورة النحل ٢٨ |
| (٧) سورة يس ٨١ | (٨) سورة غافر ٥٠ |
| (٩) سورة الأحقاف ٣٣ | (١٠) سورة الانشقاق ١٤ ، ١٥ |
| (١١) سورة الأنعام ٣٠ | (١٢) سورة النحل ٣٨ |
| (١٣) سورة سبأ ١٧ | (١٤) سورة الزمر ١٤ |
| (١٥) سورة الأحقاف ١٧ | (١٦) سورة التغابن ٧ |

وفي القيامة : ﴿ أَنْ لَنْ يَجْمَعَ عِظَامُهُ بَلَى ﴾ ^(١) .
وهذه لاختلاف في امتناع الوقف عليها ، ولا يحسن الابتداء بها ، لأنها وما بعدها جواب .
الثالث : ما اختلفوا في جواز الوقف عليها ؛ والأحسن المنع ؛ لأن ما بعدها متصل بها
وبما قبلها ، وهي خمسة مواضع .

في البقرة : ﴿ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي ﴾ ^(٢) .
وفي الزمر : ﴿ قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ ﴾ ^(٣) .
وفي الزخرف : ﴿ وَنَجَّوْهُمْ بَلَى وَرُسُلْنَا ﴾ ^(٤) .
وفي الحديد : ﴿ قَالُوا بَلَى ﴾ ^(٥) .
وفي الملوك : ﴿ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ ﴾ ^(٦) .

[الكلام على « نعم »]

﴿ وَأَمَّا نَعَمْ ﴾ ففي القرآن في أربعة مواضع :
في الأعراف : ﴿ قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ ﴾ ^(٧) ، والمختار الوقف على « نعم » لأن ما بعدها
ليس متعلقا بها ولا بما قبلها ؛ إذ ليس هو قول أهل النار ، و ﴿ قَالُوا نَعَمْ ﴾ من قولهم .
والثاني والثالث في الأعراف والشعراء : ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ ﴾ ^(٨) .
الرابع في الصافات : ﴿ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴾ ^(٩) .

والمختار ألا يوقف على « نعم » في هذه المواضع لتعلقها بما بعدها وبما قبلها لاتصاله بالقول .
وضابط ما يُختار الوقف عليه أن يقال : إن وقع بعدها « ما » اختير الوقف عليها وإلا فلا .
أو يقال : إن وقع بعدها ولم يجز الوقف عليها وإلا اختير ، وأنت تختار في أيهما شئت .

- | | |
|------------------------|-----------------------------------|
| (١) سورة القيامة ٣ ، ٤ | (٢) سورة البقرة ٢٦٠ |
| (٣) سورة الزمر ٧١ | (٤) سورة الزخرف ٨٠ |
| (٥) سورة الحديد ١٤ | (٦) سورة الملوك ٩ |
| (٧) سورة الأعراف ٤٤ | (٨) سورة الأعراف ١١٤ ، الشعراء ٤٢ |
| (٩) سورة الصافات ١٨ | |

النوع الخامس والعشرون علم مرسوم الخط

ولما كان خطُ المصحف هو الإمام الذي يعتمد القارىء في الوقف والتمام ، ولا يمدو رسومَه ، ولا يتجاوز مرسومه ، قد خالف خطُ الإمام في كثير من الحروف والأعلام ، ولم يكن ذلك منهم كيف اتفق ؛ بل على أمرٍ عندهم قد تحقق ، وجب الاعتناء به والوقوف على سببه .

ولما كتب الصحابة المصحفَ زمنَ عثمان رضى الله عنه اختلفوا في كتابة « التابوت » فقال زيد : « التابوه » ، وقال نفر القرشيون : « التابوت » ، وترافعوا إلى عثمان فقال : اكتبوا : « التابوت » ، فإنما أنزل القرآن على لسان قریش .

قال ابن درستويه : خطان لا يقاس عليهما خط المصحف وخط تقطيع العروض^(١) . وقال أبو البقاء في كتاب اللباب^(٢) : « ذهب جماعة من أهل اللغة إلى كتابة الكلمة على لفظها إلا في خط المصحف ؛ فإنهم اتبعوا في ذلك ما وجدوه في الإمام ، والعمل على الأول » . فحصل أن الخط ثلاثة أقسام : خط يتبع به الاقتداء السلفي ، وهو رسم المصحف ، وخط جرى على ما أثبتته اللفظ وإسقاط ما حذفه ؛ وهو خط العروض ، فيكتبون التنوين ويحذفون همزة الوصل . وخط جرى على العادة المعروفة ؛ وهو الذي يتكلم عليه النحوى .

(١) عبارة ابن درستويه في كتاب الكتاب ص ٧ : « ووجدنا كتاب الله جل ذكره لا يقاس بهجاؤه ، ولا يخالف خطه ؛ ولكنه يتلقى بالقبول على ما أودع المصحف . ورأينا العروض إنما هو إحصاء وما لفظ به من ساكن ومتحرك ليس يلحقه غلط ، ولا فيه اختلاف بين أحد ، قلما نعرض لذكرهما في كتابنا هذا » . (٢) الورقة ٢٠٠ ، مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ٢٣ ؛ نحو .

واعلم أن الشيء في الوجود أربع مراتب : الأولى حقيقته في نفسه . والثانية مثاله في ذهن - وهذان لا يختلفان باختلاف الأمم . والثالثة اللفظ الدالّ على المثال الذهني والخارجي . والرابعة الكتابة الدالة على اللفظ - وهذان قد يختلفان باختلاف الأمم ، كاختلاف اللغة العربية والفارسية ، والخط العربي والهندي ؛ ولهذا صنف الناس في الخط والمجاء ؛ إذ لا يجرى على حقيقة اللفظ من كل وجه .

وقال الفارسي : لما عَمِلَ أبو بكر بن السراج كتاب الخط والمجاء قال لي : اكتب كتابنا هذا ، قلت له : نعم إلا أني آخذ بآخر حرف منه ، قال : وما هو ؟ قلت : قوله : « ومن عرف صواب اللفظ عرف صواب الخط » .

قال أبو الحسين بن فارس في كتاب فقه اللغة : « ^(١) يروى أن أول من كتب الكتاب العربي والسرياني والكتب كلها آدم عليه السلام قبل موته بثلاثمائة سنة ، كتبها في طين وطبخه ؛ فلما أصاب الأرض الفرق وجد كل قوم كتابا فكتبوه ، فأصاب إسماعيل الكتاب العربي .

وكان ابن عباس يقول : أول من وضع الكتاب العربي إسماعيل عليه السلام . قال : والروايات في هذا الباب كثيرة ومختلفة ^(٢) .

والذي نقوله : إن الخط توقيفي لقوله : ﴿ عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ ^(٣) . وقال تعالى : ﴿ نَّ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ ^(٤) . [وإذا كان كذا] ^(٥) ، فليس يبعد أن يوقف آدم وغيره من الأنبياء عليهم السلام على الكتاب ^(٦) .

(١) هو المعروف بالصاحي ، ص ٧ وما بعدها .

(٢) فقه اللغة : « تكثر وتختلف » .

(٣) سورة الطلق ٤ ، ٥ .

(٤) سورة القلم ١

(٥) تكملة من كتاب الصاحي

(٦) في الصاحي بعد هذه الكلمة : « فأما أن يكون مخترع اخترعه من تلقاء نفسه فمفهوم لا نعلم صحته إلا من خبر صحيح » .

وزعم قوم أن العرب العاربة لم تعرف هذه الحروف بأسمائها، وأنهم لم يعرفوا نحواً ولا إعراباً ولا رفعا ولا نصبا ولا همزا^(١).

ومذهبنا [فيه التوقيف، فنقول]^(٢): إن أسماء هذه الحروف داخلة في الأسماء التي علم الله تعالى آدم عليه السلام.

قال: ^(٣) وما اشتهر أن أبا الأسود أول من وضع العريسة وأن الخليل أول من وضع العروض فلا تنكره، وإنما نقول: إن هذين العلمين كانا قديما^(٤)، وأنت عليهما الأيام، وقلنا في أيدي الناس، ثم جددهما هذان الإمامان.

ومن الدليل على عرفان القدماء [من الصحابة وغيرهم]^(٥) ذلك كتابتهم المصحف على الذي يُعلمه النحويون في ذوات الواو والياء، والمهمز والمد والقصر، فكتبوا ذوات الياء بالياء، وذوات الواو بالواو، ولم بصوروا المهمة إذا كان ما قبلها ساكنا، نحو «الخبء» و«الدفء» و«الملء» فصار ذلك [كله]^(٦) حجة، وحتى كره بعض العلماء ترك اتباع المصحف.

(١) بعده في الصحاحي: قالوا: والدليل على ذلك ما حكاه بعضهم عن بعض الأعراب أنه قيل له: أتجهز إسرائيل؟ فقال: إني إذن لرجل سوء، قالوا: وإنما قال ذلك لأنه لم يعرف من المهمز إلا الضفط والعصر. وقيل لآخر: أتجهز فلسطين؟ فقال: إني إذن لقوى. قالوا: وسمع بعض فصحاء العرب ينشد:

* نحن بني علقمة الأخيار *

فقيل له: لم نصبت «بني»، فقال: ما نصبته. وذلك أنه لم يعرف من النصب إلا إسناد الشيء. قالوا: وحكي الأخفش عن أعرابي فصيح أنه سئل أن ينشد قصيدة على الدال، فقال: وما الدال؟ وحكي أن أبا حية النخعي سئل أن ينشد قصيدة على الكاف فقال:

كفى بالنأي من أسماء كافٍ وليس لسقمها إذ طال شافٍ

قلنا: والأمر في هذا يخلاف ما ذهب إليه هؤلاء ...

(٢) تكله من كتاب الصحاحي.

(٣-٣) الصحاحي: «فإن قال قائل: فقد تواترت الروايات أن أبا الأسود أول من وضع العريسة، وأن الخليل أول من تكلم في العروض، قيل له: نحن لا ننكر ذلك؛ بل نقول: إن هذين العلمين قد كانا قديما ...»

وأُسند إلى القراء قال : اتباعُ المصحف إذا وجدتُ له وجها من كلام العرب وقراءة القراء أحبُّ إلى من خلافه .

وقال أشهب : سئل مالك رحمه الله : هل تكتب المصحف على ما أخذته الناس من الهجاء ؟ فقال : لا ؛ إلا على الكتابة الأولى . رواه أبو عمرو الداني في المقنع ^(١) ثم قال : ولا يخالف نه من علماء الأمة .

وقال في موضع آخر ^(٢) : سئل مالك عن الحروف في القرآن مثل الواو والألف : أترى أن تغير من المصحف إذا وجدا فيه كذلك ؟ فقال : لا . قال أبو عمرو : يعنى الواو والألف اللزيتين في الرسم لغتي ، المعدومتين في اللفظ ، نحو [الواو في] ^(٣) : ﴿ أولوا الأبواب ﴾ ، ﴿ وأولات ﴾ و : ﴿ الربوا ﴾ ، ونحوه .

وقال الإمام أحمد رحمه الله : تحرم مخالفةُ خط مصحف عُثمان في ياء أو واو أو ألف أو غير ذلك .

قلت : وكان هذا في الصدر الأول ، والعلم حيّ غض ، وأما الآن فقد يخشى الإلباس ؛ ولهذا قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : لا تجوز كتابة المصحف الآن على الرسوم الأولى باصطلاح الأئمة ؛ لثلا يُوقع في تفسير من الجهال . ولكن لا ينبغي إجرأه هذا على إطلاقه ؛ لثلا يؤدي إلى دروس العلم ، وشيء أحكته القدماء لا يترك مراعاته لجهل الجاهلين ؛ ولن تخلو الأرض من قائم لله بالحجة . وقد قال البيهقي في شعب الإيمان : مَنْ كتب مصحفا فينبغي أن يحافظ على الهجاء التي كتبوا بها تلك المصاحف ، ولا يخالفهم فيها ، ولا يغير مما كتبوه شيئا ؛ فإنهم أكثرُ علما ، وأصدق قلبا ولسانا ، وأعظم أمانة منا ؛ فلا ينبغي أن نظنَّ بأنفسنا استدراكا عليهم . وروى بسنده عن زيد قال : القراءة

(١) س ١٠ (٢) س ٣٠ مع تصرف واختصار ؛ وقد أسقط المؤلف أمثلة زيادة الألف (٣) من المقنع .

سنة . قال سليمان بن داود الهاشمي : يعني ألا تخالف الناس برأيك في الاتباع .
قال : وبمعناه بلغني عن أبي عبيد في تفسير ذلك : وترى القراء لم يلتفتوا إلى مذهب
العربية في القراءة إذا خالف ذلك خط المصحف ، واتباع حروف المصاحف عندنا كالشئ
القائمة التي لا يجوز لأحد أن يتعداها .

مسألة

[في كتابة القرآن بغير الخط العربي]

هل يجوز كتابة القرآن بقلم غير العربي ؟ هذا مما لم أر للعلماء فيه كلاما . ويحتمل
الجواز ؛ لأنه قد يحسنه من يقرأ بالعربية ، والأقرب المنع ، كما تحرم قراءته بغير لسان
العرب ، ولقولهم : القلم أحد اللسانين ، والعرب لا تعرف قلم غير العربي قال تعالى :
{ يَلِسَانٍ عَرَبٍ مُبِينٍ } ^(١) .

[اختلاف رسم الكلمات في المصحف والحكمة فيه]

واعلم أن الخط جري على وجوه : فيها ما زيد عليه على اللفظ ؛ ومنها ما نقص ، ومنها
ما كُتب على لفظه ، وذلك لحكم خفية ، وأسرار بهية ، تصدى لها أبو العباس المراكشي
الشهير بابن ^(٢) البناء ؛ في كتابه : ” عنوان الدليل في مرسوم خط التنزيل “ ، وبين أن هذه
الأحرف إنما اختلف حالها في الخط بحسب اختلاف أحوال معاني كلماتها .

(١) سورة الشعراء ١٩٥

(٢) أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي المراكشي المعروف بابن البناء ؛ توفي سنة ٧٢١ ،
ذكر كتابه صاحب كتب الظنون .

ومنها التنبيه على العوالم الغائب والشاهد ، ومراتب الوجود، والقامات . والخط
إنما يُرسم على الأمر الحقيقي لا الوهمي .

[الزائد وأقسامه]

الأول : ما زيد فيه ، والزائد أقسام :

[القسم الأول : زيادة الألف]

الأول الألف ؛ وهي إما أن تزداد من أول الكلمة أو من آخرها ، أو من وسطها .
فالأول : تكون بمعنى زائد بالنسبة إلى ما قبله في الوجود ، مثل : ﴿ لَا أَذْبَحَنَّهُ ﴾ ^(١) ،
و ﴿ وَلَا أَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ ﴾ ^(٢) زيدت الألف تنبيهاً على أن المؤخر أشد في الوجود من
المقدم عليه لفظاً ؛ فالذبح أشد من العذاب ^(٣) ، والإيضاع أشد إفساداً من زيادة
الخبال ^(٤) ؛ واختلفت المصاحف في حرفين : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ ^(٥) و ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يُخَشَرُونَ ﴾ ^(٦) ؛
فن رأى أن مرجعهم إلى الجحيم أشد من أكل الزقوم وشرب الخمر ^(٧) ، وأن
حشرهم إلى الله أشد عليهم من موتهم أو قتلهم ^(٨) في الدنيا أثبت الألف . ومن

(٢) سورة التوبة ٤٧

(١) سورة النمل ٢١

(٣) يشير إلى أول آية النمل : ﴿ لَا عَذَابَ لَهُ عَذَابًا شَدِيدًا ... ﴾

(٤) يشير إلى أول آية التوبة : ﴿ لَوْ جَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا ... ﴾

(٥) سورة الصافات ٦٨ : ﴿ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ إِلَى الْجَحِيمِ ﴾

(٦) سورة آل عمران ١٥٨ : ﴿ وَلَئِنْ مَثُمْ أَوْ قَتَلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُخَشَرُونَ ﴾

(٧) يشير إلى ماسبق في آية الصافات : ﴿ أَذَلِكَ خَيْرٌ تُزَلَّ أَمْ شَجَرَةُ الزَّقْوَمِ ... ﴾ ﴿ إِنَّ

لَهُمْ عَلَيْهَا شَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ ﴾

(٨) إشارة إلى أول آية عمران : ﴿ وَلَئِنْ مَثُمْ أَوْ قَتَلْتُمْ ... ﴾

لم يرد ذلك لأنه غيبٌ عنا ، فلم يستوِ القسمان في العلم بهما لم يثبت ، وهو أولى .
وكذلك: ﴿لَا تَأْيِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ﴾^(١)، ﴿أَفَلَمْ يَأْيِسْ﴾^(٢) لأن الصبر
وانتظار الفرج أخفُّ من الإياس ، والإياس لا يكون في الوجود إلا بعد الصبر والانتظار .

والثاني^(٣) يكون باعتبار معنى خارج عن الكلمة يحصل في الوجود ؛ لزيادتها بعد الواو
في الأفعال ، نحو « يرجوا » ، و « يدعوا » ، وذلك لأن الفعل أثقل من الاسم ؛ لأنه
يستلزم فاعلاً ، فهو جملة ، والاسم مفرد لا يستلزم غيره ، فالفعل أزيد من الاسم في الوجود ،
والواو أثقل حروف المد واللين ، والضمّة أثقل الحركات ، والمتحرك أثقل من الساكن ،
فزيدت الألف تنبيهاً على ثقل الجملة ، وإذا زيدت مع الواو التي هي لام الفعل ، نفع الواو
التي هي ضمير الفاعلين أولى ، لأن الكلمة جملة ، مثل « قالوا » ، و « عصوا » ، إلا أن
يكون الفعل مضارعاً وفيه النون علامة الرفع ، فتختص الواو بالنون ، التي هي من جهة
تمام الفعل ؛ إذ هي إعرابه فيصير كلمة واحدة وسطها واو ؛ كالعيون والسكون ، فإن
دخل ناصب أو جازم مثل : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا ﴾^(٤) ثبتت الألف .

وقد تسقط في مواضع للتنبيه على اضمحلال الفعل ، نحو : ﴿ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ ﴾^(٥) ،
فإنه سعى في الباطل لا يصح له ثبوت في الوجود .

وكذلك: ﴿ وَجَاءَهُ بِسَخِرٍ عَظِيمٍ ﴾^(٦) ، و ﴿ جَاءَهُ ظُلُمًا وَزُورًا ﴾^(٧) ، ﴿ وَجَاءَهُ أَبَاهُمْ ﴾^(٨) ،
﴿ وَجَاءَهُ عَلَى قَمِيصِهِ ﴾^(٩) ، فإن هذا المجيء ليس على وجهه الصحيح .
وكذلك ﴿ فَإِنْ فَاؤُ ﴾^(٩) ، وهو في القلب والاعتقاد .

(٢) سورة الرعد ٣١

(٤) سورة البقرة ٢٤

(٧) سورة الفرقان ٤

(٩) سورة البقرة ٢٢٦

(١) سورة يوسف ٨٧

(٣) أي زيادة الألف في آخر الكلمة

(٥) سورة سبأ ٥

(٦) سورة الأعراف ١١٦

(٨) سورة يوسف ١٦ ، ١٧

وكذا ﴿تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾^(١) اختاروها سكناً، لكن لا على الجهة المحسوسة؛ لأنه سوى بينهما، وإنما اختاروها سكناً لمرضاة الله؛ بدليل وصفهم بالإيثار مع الخصاصة؛ فهذا دليل زهدهم في محسوسات الدنيا، وكذلك ﴿فَاءَوْ﴾ لأنه رجوع مغنوى.

وكذلك: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَ عَنْهُمْ﴾^(٢)، حذف ألفه لأن كيفية هذا الفعل لا تُدرَك، إذ هو ترك المواخضة؛ إنما هو أمرٌ على.

وكذلك ﴿وَعَتَوْا عَتُوءًا كَبِيرًا﴾^(٣)، هذا عتوٌّ على الله، لذلك وصفه بالكبر فهو باطل في الوجود.

وكذلك سقطت مِن: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾^(٤)، ولم تسقط من: ﴿وَإِذَا مَاغَضِبُواهُمْ يَغْفِرُونَ﴾^(٥)، لأن «غضبوا» جملة بعدها أخرى، والضمير مؤكّد للفاعل في الجملة الأولى، و«كالوهم» جملة واحدة، الضمير جزء منها.

وكذلك زيدت الألف بعد الهمزة في حرفين: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ﴾^(٦) و﴿مَا إِنِّ مَفَاتِحُهُ لَتَنُوءَ﴾^(٧) تنبيهاً على تفصيل المعنى؛ فإنه يُبوء بإيمان من فعل واحد، وتنوء المفاتيح بالعصبة، فهو نوءان للمفاتيح، لأنها بثقلها أثقلتهم فالت وأمالتهم، وفيه تذكير بالمناسبة يُتوجّه به من مفاتيح كنوز مال الدنيا المحسوس، إلى مفاتيح كنوز العلم الذي ينوء بالعصبة أولى القوة في يقينهم، إلى ما عند الله في الدار الآخرة.

وكذلك زيدت بعد الهمزة من قوله: ﴿كَأَمْثَالِ اللَّوْثِ﴾^(٨) تنبيهاً على معنى البياض والصفاء بالنسبة إلى ما ليس بمكنون وعلى تفصيل الأفراد، يدلّ عليه قوله:

(٢) سورة النساء ٩٩

(٤) سورة التطفيف ٣

(٦) سورة المائدة ٢٩

(٨) سورة الواقعة ٢٣

(١) سورة الحشر ٩

(٣) سورة الفرقان ٢١

(٥) سورة الشورى ٣٧

(٧) سورة القصص ٧٦

﴿ كَأَمْثَالِ ﴾ ، وهو على خلاف حال : ﴿ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤًا ﴾ ^(١) فلم تزد الألف للإجمال وخفاء التفصيل .

وقال أبو عمرو : كتبوا ^(٢) ﴿ اللؤلؤا ﴾ في الحج والملائكة ^(٣) بالألف ، واختلف في زيادتها ، فقال أبو عمرو : كما زادوها في « كانوا » ، وقال الكسائي : لمكان الهمزة .
وعن محمد بن عيسى الإصبهاني . كل ما في القرآن من « لؤلؤ » فبغير الألف في مصاحف البصريين إلا في موضعين : في الحج والإنسان ^(٤) .
وقال عاصم الجعدي : كلها في مصحف عثمان بالألف إلا التي في الملائكة .

والثالث ^(٥) تكون لمعنى في نفس الكلمة ظاهر ، مثل : ﴿ وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَمٍّ ﴾ ^(٦) ، زيدت الألف دليلا على أن هذا المجيء هو بصفة من الظهور ينفصل بها عن معهود المجيء ، وقد عبر عنه بالماضي ، ولا يتصور إلا بعلامة من غيره ليس مثله ، فيستوى في علمنا ملكها وملكوتها في ذلك المجيء ؛ ويدل عليه قوله تعالى في موضع آخر : ﴿ وَبُرُزَّتِ الْجَنِّيمُ ﴾ ^(٧) ، وقوله : ﴿ إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا ﴾ ^(٨) ؛ هذا بخلاف حال : ﴿ وَجَاءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشَّهَدَاءِ ﴾ ^(٩) ؛ حيث لم تكتب الألف ، لأنه على المعروف في الدنيا ، وفي تأوله بمعنى البروز في المحشر لتعظيم جناب الحق أثبتت الألف فيه أيضا .

(٢) المقنع ص ٤٢ ...

(١) سورة الطور ٢٤

(٣) سورة الحج ٢٣ ، فاطر ﴿ الملائكة ﴾ ٣٣ : ﴿ يُحَلِّتُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ﴾ .

(٤) آية ١٩ ﴿ إِذَا رَأَوْهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْشُورًا ﴾ .

(٥) سورة التجر ٢٣

(٦) أي زيادة الألف وسط الكلمة

(٨) سورة الفرقان ١٢

(٧) سورة الشعراء ٩١

(٩) سورة الزمر ٦٩ .

وكذلك : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴾ ^(١) ، الشيء هنا معدوم ، وإنما علمناه من تصوّر مثله الذي قد وقع في الوجود فنقل له الاسم فيه ، من حيث إنه يقدر أنه يكون مثله في الوجود ، فزيدت الألف تنبيهاً على اعتبار المعدوم من جهة تقدير الوجود ، إذ هو موجود في الأذهان ، معدوم في الأعيان .

وهذا بخلاف قوله في النحل : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ ﴾ ^(٢) ، فإن الشيء هنا من جهة قول الله ، لا يعلم كيف ذلك ، بل نؤمن به تسليماً لله سبحانه فيه ، فإنه سبحانه يعلم الأشياء بعلمه لا بها ، ونحن نعلمها بوجودها لا بعلمنا ، فلا تشبيه ولا تعطيل .

وكذلك : ﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ﴾ ^(٣) ، زيدت الألف بين اللام والمهمزة ، تنبيهاً على تفصيل مهمّ ظاهر الوجود .

ومثله زيادتها في « مائة » ، لأنه اسم يشتمل على كثرة مفضلة بمرتين : آحاد وعشرات .

قال أبو عمرو في المفتح ^(٤) : لا خلاف في رسم ألف الوصل الناقصة من اللفظ في الدّرج ، نحو : ﴿ عيسى ابن مريم ﴾ ^(٥) و ﴿ المسيح ابن مريم ﴾ ^(٦) وهو نفت ، كما أثبتوها في الخبر نحو : ﴿ عَزَّيْزٌ ابنُ اللَّهِ ﴾ ^(٧) ، و ﴿ المسيحُ ابنُ اللَّهِ ﴾ ^(٧) ، ولم تحذف إلا في خمسة مواضع .

قال : ولا خلاف في زيادة الألف بعد الميم في « مائة » و « مائتين » ، حيث وقعا ،

(١) سورة الكهف ٢٣

(٣) سورة هود ٩٧

(٥) سورة البقرة ٨٧

(٧) سورة التوبة ٣٠

(٢) سورة النحل ٤٠

(٤) س ٣١ ، ٣٢ مع تصرف في العبارة

(٦) سورة المائدة ١٧

ولم تُرد في « فة » ولا « فتين » وزيدت في نحو: ﴿ تَبَوَّأَ يَأْتِي ﴾ ^(١) و ﴿ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ ﴾ ^(٢) . ولا أعلم همزة متطرفة قبلها ساكن رسمت [خطأ] في المصحف إلا في هذين الموضعين. [ولا أعلم همزة متوسطة قبلها ساكن رسمت في المصحف إلا في قوله : ﴿ مَوْثَلًا ﴾ ^(٣) ، في الكهف لا غير .

[القسم الثاني : زيادة الواو]

الزائد الثاني الواو ، زيدت للدلالة على ظهور معنى الكلمة في الوجود ، في أعظم رتبة في العيان ، مثل : ﴿ سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ ^(٤) ، ﴿ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي ﴾ ^(٥) . ويدل على ذلك أن الآيتين جاءتا للتهديد والوعيد .

وكذلك « أولى » و « أولوا » و « أولات » ، زيدت الواو بعد الهمزة حيث وقعت لقوة المعنى على « أصحاب » ، فإن في « أولى » معنى الصحبة وزيادة التملك والولاية عليه ، وكذلك زيدت في « أولئك » و « أولائكم » حيث وقعا بالواو ، لأنه جمع مبهم يظهر فيه معنى الكثرة الحاضرة في الوجود ، وليس للفرق بينه وبين « أولئك » كما قاله قوم لا يتقاضيه « بأولا » .

[القسم الثالث : زيادة الياء]

الزائد الثالث الياء ، زيدت لاختصاص ملكوتي باطن ؛ وذلك في تسعة ^(٦) مواضع كما قاله في المنع :

- | | |
|----------------------|---|
| (١) سورة المائدة ٢٩ | (٣) سورة الكهف ٥٨ والزيادة من المنع |
| (٢) سورة القصص ٧٦ | (٥) سورة الأنبياء ٣٧ |
| (٤) سورة الأعراف ١٤٥ | (٦) في الأصول : « سبعة » وصوابه من المنع ص ٥٠ . |

- ﴿ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ ﴾ ^(١) .
 ﴿ مَنْ نَبَأَی الْمُرْسَلِينَ ﴾ ^(٢) .
 ﴿ مِنْ تِلْقَايَ نَفْسِی ﴾ ^(٣) .
 ﴿ وَإِنِّي ذِی الْقُرْبَى ﴾ ^(٤) .
 ﴿ وَمِنْ آتَايَ اللَّيْلِ ﴾ ^(٥) .
 ﴿ أَفَإِنْ مِتَّ ﴾ ^(٦) .
 ﴿ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ ﴾ ^(٧) .
 ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ ﴾ ^(٨) .
 و ﴿ بِأَيْدِيكُمْ الْمَقْتُونُ ﴾ ^(٩) .

قال أبو العباس المراكشي : إنما كتبت ﴿ بِأَيْدٍ ﴾ بيا من فرقاً بين « الأيد » الذي هو القوة ، وبين « الأيدي » جمع « يد » ، ولا شك أن القوة التي بنى الله بها السماء هي أحق بالثبوت في الوجود من الأيدي ، فزيدت الياء لاختصاص اللفظة بمعنى أظهر في دراك الملكوتي في الوجود .

وكذلك زيدت بعد المهمزة في حرفين :

- ﴿ أَفَإِنْ مَاتَ ﴾ ^(١) ، ﴿ أَفَإِنْ مِتَّ ﴾ ^(٢) .

(٢) سورة الأنعام ٣٤

(٤) سورة النحل ٩٠

(٦) سورة الأنبياء ٣٤

(٨) سورة القاربات ٤٧

(١) سورة آل عمران ١٤٤

(٣) سورة يونس ١٥

(٥) سورة طه ١٣٠

(٧) سورة النوري ٥١

(٩) سورة ن ٦

وذلك لأن موته مقطوع به ، والشرط لا يكون مقطوعاً به ، ولا مارُتَّب على الشرط هو جواب له ، لأن موته لا يلزم منه خلود غيره ولا رجوعه عن الحق ، فتقديره : « أهم الخالدون إن مت » ؟ ! فاللفظ للاستفهام والربط ، والمعنى الإنكار والنفي ، فزيدت الياء لخصوص هذا المعنى ، الظاهر لفهم ، الباطن في اللفظ .

وكذلك زيدت بعد الهمزة في آخر الكلمة في حرف واحد ، في الأنعام : ﴿ مِنْ نَبَأِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ^(١) تنبيها على أنها أنباء باعتبار أخبار ، وهي ملكوتية ظاهرة .

وكذلك ﴿ بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ ﴾ ^(٢) كتبت بياءين ، تخصيصاً لهم بالصفة لحصول ذلك وتحقيقه في الوجود ؛ فإنهم هم المفتونون دونه ، فانفصل حرف « أَيْ » بياءين لصحة هذا الفرق بينه وبينهم قطعاً ، لكنه باطن فهو ملكوتي ، وإنما جاء اللفظ بالإيهام على أسلوب الجمالة في الكلام ، والإيهال لهم ؛ ليقع التدبُّر والتذكُّر ^(٣) ، كما جاء : ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ ^(٤) ، ومعلوم أننا على هدى ، وهم على ضلال .

[الناقص وأقسامه]

الوجه الثاني ما نقص عن اللفظ ، ويأتي فيه أيضاً الأقسام السابقة :

[القسم الأول : حذف الألف]

الأول الألف ، كل ألف تكون في كلمة لمعنى له تفصيل في الوجود ، له اعتباران : اعتبار من جهة ملكوتية ، أو صفات حالية ، أو أمور علوية مما لا يدركه الحس

(٢) سورة القلم ٦

(٤) سورة سبأ ٢٤ .

(١) سورة الأنعام ٣٤

(٣) م : « التذكر »

فإن الألف تحذف في الخط علامة لذلك واعتباراً من جهة ملكية حقيقية في العلم ، أو أمور سُفلية ؛ فإن الألف تثبت .

واعتبر ذلك في لفظتي « القرآن » و « الكتاب » فإن القرآن هو تفصيل الآيات التي أحكت في الكتاب ، فالقرآن أدنى إلينا في الفهم من الكتاب وأظهر في التنزيل ؛ قال الله تعالى في هود : ﴿ اَلرَّكِتَبُ اُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ ^(١) . وقال في فصلت : ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ ^(٢) وقال : ﴿ اِنْ عَلَيْنَا جَمْعُهُ وَقُرْآنُهُ ﴾ ^(٣) . ولذلك ثبت في الخط ألف « القرآن » وحذفت ألف « الكتاب » .

وقد حُذِفَت ألف « القرآن » في حرفين ؛ هو فيهما مرادف للكتاب في الاعتبار ؛ قال تعالى في سورة يوسف : ﴿ اِنَّا اَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ ^(٤) ، وفي الزخرف : ﴿ اِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ ^(٥) ، والضمير في الموضعين ضمير الكتاب ^(٦) المذكور قبله . وقال بعد ذلك في كل واحدة منهما : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ^(٧) ، فقرينته هي من جهة المعقولة . وقال في الزخرف : ﴿ وَاِنَّهُ فِي اُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلًى حَكِيمٌ ﴾ ^(٨) .

وكذلك كل ما في القرآن من « الكتاب » و « كتاب » بغير ألف ؛ إلا في أربعة مواضع هي مقيدة بأوصاف خصصته من الكتاب الكلى :

في الرعد : ﴿ لِكُلِّ اَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ ^(٩) ، فإن هذا « كتاب » الآجال

(٢) سورة فصلت ٣

(٤) سورة يوسف ٢

(٦) في سورة يوسف ١ : ﴿ آيَاتُ الْكِتَابِ

(١) سورة هود ١

(٣) سورة القيامة ١٧

(٥) سورة الزخرف ٣

الْمُبِينِ . وفي الزخرف ٢ : ﴿ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ . (٧) يوسف ٢ ، والزخرف ٣

(٩) سورة الرعد ٣٨

(٨) سورة الزخرف ٤

فهو أخص من الكتاب المطلق ، أو المضاف إلى الله .
وفي الحجر : ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْنَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴾ ^(١) ، فإن هذا
« كتاب » إهلاك القرى ، وهو أخص من كتاب الآجال .

وفي الكهف : ﴿ وَأَنْتَ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ كِتَابٍ ﴾ ^(٢) ، فإن هذا أخص من
« الكتاب » الذى فى قوله : ﴿ أَنْتَ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ الْكِتَابِ ﴾ ^(٣) ، لأنه أطلق
هذا ، وقيد ذلك بالإضافة إلى الاسم المضاف إلى معنى فى الوجود ، والأخص أظهر تنزيلا .
وفي النمل : ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ ^(٤) ، هذا « الكتاب » جاء
تابعا للقرآن ، والقرآن جاء تابعا للكتاب ، كما جاء فى الحجر : ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ
وَقُرْآنٍ مُبِينٍ ﴾ ^(٥) ، فما فى النمل له خصوص تنزيل مع الكتاب الكلى ، فهو تفصيل
للكتاب الكلى بمجوامع كليته .

ومن ذلك حذف الألف فى : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ تنبيها على علوه فى أول رتبة الأسماء
وانفراده ، وأن عنه انتقضت الأسماء ؛ فهو بكلينها ؛ يدل عليه إضافته إلى اسم الله الذى هو جامع
الأسماء كلها ، أوّلها ، ولهذا لم يتسم به غيرُ الله ، بخلاف غيره من أسمائه ، فلها ظهرت الألف
معها ، تنبيها على ظهور التسمية فى الوجود ، وحذفت الألف التى قبل الهاء من أسم الله ،
وأظهرت التى مع اللام من أوله ، دلالة على أنه الظاهر من جهة التعريف والبيان ، الباطن
من جهة الإدراك والعيان .

وكذلك حذفت الألف قبل النون من اسمه : « الرحمن » حيث وقع ، بيانا لأننا
نعم حقائق تفصيل رحمته فى الوجود ، فلا يفرق فى علمنا بين الوصف والصفة ، وإنما الفرقان

(٢) سورة الكهف ٢٧

(٤) سورة النمل ١

(١) سورة الحجر ٤

(٣) سورة النكبات ٤٥

(٥) سورة الحجر ١

في التسمية والاسم ، لا في معاني الأسماء المدلول عليها بالتسمية ، بل نُؤمن بها إيماناً موقوفاً في علم حقيقته إليه .

قلت : وعلماء الظاهر يقولون : للاختصار وكثرة الاستعمال ، وهو من خصائص الجلالة الشريفة ، فإن همزة الوصل الناقصة من اللفظ في الدرّج تثبت خطأ إلا في البسمة ، وفي قوله في هود : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ تَجْرِيهَا ﴾ ^(١) ، ولا تحذف إلا بشرطين : أن تضاف إلى اسم الله - ولهذا أثبتت في ﴿ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ ^(٢) - وأن تكون قبله الباء ، ولم يشترط الكسائي الثاني ، فجوّز ^(٣) حذفها كما تحذف في « بِسْمِ الْمَلِكِ » ؛ والجمهور على الأول .

وكذلك حذف الألف في كثير من أسماء الفاعلين مثل : « قُدر » و « علم » ، وذلك أن هذه الألف في وسط الكلمة .

وكذلك الألف الزائدة في الجموع السالبة والمكسرة ، مثل « القنّتين » ، و « الأبرار » و « الجلل » ، و « الإكرام » ، و « اختلّف » ، و « استكبر » ، فإنها كلها وردت لمعنى مفصل يشتمل ^(٤) عليه معنى تلك اللفظة ، فتحذف حيث يبطن التفصيل ، وتثبت حيث بظهر . وكذلك ألف الأسماء الأعجمية كابراهيم لأنها زائدة لمعنى غير ظاهر في اللسان العربي ؛ لأن المعجمي بالنسبة إلى العربي باطن خفي لا ظهور له ، فحذفت ألفه .

قال أبو عمرو : ^(٥) اتفقوا على حذف الألف من الأعلام الأعجمية [المستعملة] ^(٦) كابراهيم وإسماعيل ، وإسحق ، وهرون ، ولقمن [وشبهها] ^(٧) ، وأما حذفها من : سليمان ، وصلاح ، وملاك - وليست بأعجمية - فلكثرة الاستعمال ^(٨) ؛ فأما ما لم يكثر استعماله من الأعجمية

(١) سورة هود ٤١

(٢) سورة الطلاق ١

(٣) م : « ليشتمل »

(٤) من القنن

(٥) ت : « فيجوز »

(٦) القنن من ٢٢ وفيه : « وانفق كتاب المصاحف » .

(٧) (٧ - ٧) القنن : « وكذا حذفوها من سليمان ،

وصلاح ، وملاك ، وخلد ، وليست بأعجمية لما كثر استعمالها » .

فبالألف^(١)، كطالوت، وجالوت، ويأجوج، وماجوج [وشبهها]^(٢).
واختلفت المصاحف^(٣) في أربعة: هاروت، وماروت، وهامان، وقارون^(٤)؛
فأما «داود» فلا خلاف في رسمه بالألف، لأنهم قد حذفوا منه واوا فلم يحذفوا بحذف
ألف أخرى^(٥)، ومثله «إسرائيل» ترسم بالألف، [في أكثر المصاحف]^(٦)؛ لأنه
حذف منه الياء^(٧).

وكذلك اتفقوا على حذف الألف في جمع^(٨) السلامة، مذكرا كان كالعلمين،
والصبرين، والصدقين، أو مؤنثا كالمسلات، والمؤمنات، والطيبات، والحيثات، فإن جاء
بعد الألف همزة أو حرف مضعف ثبتت^(٩) الألف، نحو: السائلين، والصائمين، والظانين،
والضالين، وحافين، ونحوه.

قال أبو العباس: وقد تكون الصفة ملكوتية روحانية، وتعتبر من جهة مرتبة سفلى
ملكية، هي أظهر في الاسم، فتثبت الألف؛ كالأواب، والخطاب، والعذاب، و﴿أَمْ كُنْتُ
مِنَ الْعَالِينَ﴾^(١٠)، و﴿الْوَسْوَاسَ الْخَنَّاسِ﴾.

وقد تكون ملكية، وتعتبر من جهة مرتبة عليا ملكوتية هي أظهر في الاسم،
فتمحذف الألف، كالحرب، ولأجل هذا التداخل يغمض ذلك، فيحتاج إلى تدبر وفهم.
ومنه ما يكون ظاهر الفرقان، «كالْأَخِيرِ» و«الأَشْرَارِ»، تمحذف من الأول
دوت الثاني.

(١) المقتضب: «فإنهم أثبتوا الألف فيه» (٢) من المقتضب

(٣) المقتضب: «ورأيت المصاحف تختلف في أربعة».

(٤) بعد كلمة «قارون» في المقتضب: «ففي بعضها بالألف، وفي بعضها بغير ألف، والأكثر على

إثبات الألف».

(٥) بضم في المقتضب: «التي هي صورة الهمزة»، وقد وجدت ذلك في بعض المصاحف المدنية والعراقية

المتن القديمة بغير ألف، وإثباتها أكثر».

(٦) المقتضب: «من الجمع السالم الكثير الدور».

(٧) م: «ثبتت».

(٨) سورة ص ٧٥.

ومنه ما يخفى كالفرأش ، ويطعمون الطعام ، فالفرأش محسوس والطعام ثابت ، ووزنهما واحد ؛ وهما جسمان ، لكن يعتبر في الأول مكان التشبيه ، فإن التشبيه محسوس ، وصفة التشبيه^(١) غير محسوس ، فالشبه به غير محسوس في حالة الشبه ، إذا جعل جزءا من صفة المشبه به من حيث هو مستفرش مبثوث ، لا من حيث هو جسم ؛ وأما الطعام فهو المحسوس المعطى للمحتاجين .

وكذلك : ﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعْمُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ ﴾^(٢) ثبتت الألف في الأول ؛ لأنه سفلٌ بالنسبة إلى طعامنا لمكان التشديد عليهم فيه ، وحذفت من الثانى لأنه علوى بالنسبة إلى طعامهم ، لعلو ملتنا على ملتهم .
وكذلك : ﴿ كَانَا يَا كِلَانَ الطَّعْمِ ﴾^(٣) ، فحذف لعلو هذا الطعام .

وكذلك : ﴿ غَلَقَتِ الْأَبْوَابَ ﴾^(٤) « غلقت » فيه التكرير في العمل ، فيدخل به أيضا ما ليس بمحسوس من أبواب الاعتصام فحذفت الألف لذلك ، ويدل عليه : ﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ ﴾ ﴿ وَالْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ ﴾^(٥) ، فأفرد « الباب » المحسوس من أبواب الاعتصام .

وكذلك : ﴿ وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾^(٦) ؛ محذوف لأنها من حيث فتحت ملكوتية علوية ، و : ﴿ مُفْتَحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴾^(٧) ملكية من حيث هي لهم ، فثبتت الألف . و ﴿ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ ﴾^(٨) ، ثابتة لأنها من جهة دخولهم محسوسة سفلية . وكذلك : ﴿ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ﴾^(٩) من حيث حصرها العدد في الوجود ، ملكية فثبتت الألف^(١٠) .

- | | |
|---------------------|---|
| (١) ط : « الشبهة » | (٢) سورة المائدة ٥ |
| (٣) سورة المائدة ٧٥ | (٤) سورة يوسف ٢٣ |
| (٥) سورة يوسف ٢٥ | (٦) سورة الزمر ٧٣ |
| (٧) سورة م ٥٠ | (٨) سورة الزمر ٧٢ |
| (٩) سورة الحجر ٤٤ | (١٠) من كلمة « كذلك » إلى هنا ساقط من ت . |

وكذلك : « الجراد » و « الضفدع » ^(١) ، الأول ثابت ، فهو الذى فى الواحدة المحسوسة ، والثانى محذوف لأنه ليس فى الواحدة المحسوسة ، والجمع هنا ملكوتى من حيث هو آية ^(٢) .

وكذلك : ﴿ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ ﴾ ^(٣) حذفت لأنها أمثال كلية لم يتعين فيها للفهم جهة التماثل ؛ و ﴿ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ ﴾ ^(٤) ثابت الألف لأنه تعين للفهم جهة التماثل وهو البياض والصفاء . ﴿ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ ﴾ ^(٥) حذفت للعموم . و ﴿ انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ ﴾ ^(٦) ثابت فى الفرقان لأنها المذكورة حسية مفصلة ، ومحذوفة فى الإسراء لأنها غير مفصلة باطنة .

وكذلك : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ ^(٧) ، و ﴿ دُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴾ ^(٨) الأولى محذوفة ، لأنها روحانية لاتعلم إلا إيماناً ، والثانية ثابتة جسمانية يتصور أمثالها من الهوى .

وكذلك : [أَلْف] ﴿ كِتَابِيَّة ﴾ ^(٩) محذوفة لأنه ملكوتى و [أَلْف] ﴿ حِسَابِيَّة ﴾ ^(١٠) ثابتة ، لأنها ملكية ؛ وهما معاً فى موطن الآخرة .

وكذلك : ﴿ الْقَضِيَّة ﴾ ^(١١) ملكوتية ، ﴿ وَمَالِيَّة ﴾ ^(١٢) ملكى محسوس ، فحذف الأول وثبت الثانى .

(١) من قوله تعالى فى سورة الأعراف ١٣٣ : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجُرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ ﴾

(٢) ط : « هو آية » (٣) سورة الواقعة ٦١

(٤) سورة الواقعة ٢٣ (٥) سورة محمد ٣

(٦) سورة الفرقان ٩ ، الإسراء ٤٨ (٧) سورة الحاقة ١٣ ، ١٤

(٨) سورة الحاقة ٢٥ (٩) سورة الحاقة ٢٦

(١٠) سورة الحاقة ٢٧ (١١) سورة الحاقة ٢٨

وكذلك : ﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَلُوتَ ﴾ ^(١) ، حذف لأنه الاسم ، ﴿ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ ﴾ ^(٢) ثبت لأنه مجزئ محسوس ، [فحذف الأول وثبت الثاني] .

وكذلك : ﴿ سُبْحَنَ ﴾ حذف لأنه ملكوتي إلا حرفا واحدا ، واختلف فيه : ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي ﴾ ^(٣) ، فمن أثبت الألف قال : هذا تبرئة من مقام الإسلام ، وحضره الأجسام ، صدَّره مجاوبة للكفار في مواطن الرد والإنكار . ومن أسقط فلعنوا حال المصطفى صلى الله عليه وسلم لا يشغله عن الحضور تعلقه في الملكوت الخطاب في الملك ، وهو أولى الوجهين .

وكذلك : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾ ^(٤) ، ثبتت ألف ﴿ ثالث ﴾ لأنهم جعلوه أحدَ ثلاثة مفصلة ، فثبتت ^(٥) الألف علامة لإظهارهم التفصيل في الإله ، تعالى الله عن قولهم ! وحذفت ألف ﴿ ثلاثة ﴾ لأنه اسم العدد الواحد من حيث هو كلمة واحدة .

وكذلك : ﴿ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ ﴾ ^(٦) ، حذف من ﴿ إله ﴾ وثبتت في ﴿ واحد ﴾ ألقه ، لأنه إله في ملكوته ، تعالى عن أن تعرف صفته بإحاطة الإدراك ، واحد في ملكه ، تنزهه بوحدة أسمائه عن الاعتضاد والاشتراك . هذا من جهة إدراكنا ، وأما من جهة ما [هي] ^(٧) عليه الصفة في نفسها فلا يدرك ذلك ، بل يُسَلَّمُ علمه إلى الله تعالى فتحذف .

وكذلك سقطت الألف الزائدة لتطويل « هاء » التنبيه في النداء ، في ثلاثة أحرف :

(٢) سورة البقرة ٢٥١

(٤) سورة المائدة ٧٣

(٦) سورة المائدة ٧٣

(١) سورة البقرة ٢٥٠

(٣) سورة الإسراء ٩٤

(٥) ت : « ثبت »

(٧) تكملة من ت .

﴿يُثَبِّتُ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(١) ، و﴿أَيُّهُ السَّاحِرُ﴾^(٢) ، و﴿أَيُّهُ الثَّقَلَانِ﴾^(٣) ، والباقى^(٤) بإثبات الألف ، والسرفى سقوطها فى هذه الثلاثة الإشارة إلى معنى الانتهاء إلى غاية ليس وراءها فى الفهم رتبة يمتد النداء إليها ، وتنبيه على الاقتصاد والاقتصاد من حالهم والرجوع إلى ماينبغى .

وقوله^(٥) : ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا﴾^(٦) يدل على أنهم كل المؤمنين ، على العموم والاستغراق فيهم . وقوله تعالى حكاية عن فرعون : ﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾^(٧) وقول فرعون : ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرٌ كُفُّ أَلْدَى عَلَمُ السَّحَرِ﴾^(٨) يدل على عظم علمه عندهم ليس فوقه أحد . وقوله : ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ﴾ ، فإقامة الوصف مقام^(٩) الموصوف يدل على عظم الصفة الملكية ، فإنها تقتضى جميع الصفات المللكوتية والجبروتية ، فليس بعدها رتبة أظهر فى الفهم على ماينبغى لهم من الرجوع إلى اعتبار آلاء الله فى بيان النعم ليشكروا ، وبيان النعم ليحذروا .

وكذلك حذفت الألف الآتية لمد الصوت بالنداء ، مثل ﴿يَقُومُ﴾ ، ﴿يُعْبَادُ﴾ لأنها زائدة للتوصل بين المرتبتين ؛ وذلك أمر باطن ليس بصفة محسوسة فى الوجود . قال أبو عمرو : كل ما فى القرآن من ذكر «آيتنا» فبغير الألف ، إلا فى موضعين : فى ﴿بِآيَاتِنَا﴾^(١٠) ، و﴿آيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ﴾^(١١) .

(١) سورة النور ٣١ : وفى ت «آية» فى الآيات الثلاث ، تحريف .

(٢) سورة الزخرف ٤٩

(٣) سورة الرحمن ٣١

(٤) ت : «بقوله» تحريف

(٥) سورة النور ٣١

(٦) سورة الشعراء ٤٩

(٧) سورة الشعراء ٣٤

(٨) سورة البقرة ٣٩

(٩) سورة الرحمن ٣١

(١٠) سورة يونس ١٥

وكل ما فيه من ذكر « أبها » ، فبالألف ، إلا في ثلاثة مواضع محذوفة الألف : في النور : ﴿ آيَةُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ^(١) ، وفي الزخرف : ﴿ يَأْتِيَهُ السَّاحِرُ ﴾ ^(٢) ، وفي الرحمن : ﴿ آيَةُ الثَّقَلَانِ ﴾ ^(٣) .

وكل ما فيه من « ساحر » فبغير الألف إلا في واحد ؛ في الذاريات : ﴿ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ ^(٤) .

[القسم الثاني : حذف الواو]

الثاني حذف الواو اكتفاء بالضممة قصدا للتخفيف ، فإذا اجتمع واوان والضم ، فتحذف الواو التي ليست عمدة ، وتبقى العمدة ، سواء كانت الكلمة فعلا ، مثل : ﴿ لِيَسْؤَدُوا وَجُوهَكُمْ ﴾ ^(٥) ، أو صفة مثل « الموءدة » ، و « كَيُؤْس » ، و « العَاوُن » ؛ أو اسما ، مثل « داود » إلا أن يُنَوَّى كل واحد منهما فتثبتان جميعا ، مثل « تبوهوا » فإن الواو الأولى تنوب عن حرفين لأجل الإدغام ، فنويت في الكلمة ، والواو الثانية ضمير الفاعل ، فتثبتا جميعا .

وقد سقطت من أربعة أفعال ، تنبها على سرعة وقوع الفعل وسهولته على الفاعل ، وشدة قبول المنفعل المتأثر به في الوجود :

أولها : ﴿ سَنَدَعُ الزَّبَانِيَةَ ﴾ ^(٦) ، فيه سرعة الفعل وإجابة الزبانية وقوة البطش ،

(٢) سورة الزخرف ٤٩

(٤) سورة الذاريات ٣٩

(١) سورة النور ٣١

(٣) سورة الرحمن ٣١

(٥) سورة الإسراء ٧

(٦) سورة الملق ٨

وهو وعيد عظيم ذكر مبدؤه وحذف آخره ، ويدل عليه قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴾ ^(١) .

وثانيها : ﴿ وَيَمْنَحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ ﴾ ^(٢) ، حذف منه « الواو » علامة على سرعة الحق وقبول الباطل له بسرعة ، بدليل قوله : ﴿ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ ^(٣) ، وليس ﴿ يَمْنَحُ ﴾ معطوفاً على ﴿ يَخْتِمُ ﴾ ^(٤) الذى قبله ، لأنه ظهر مع ﴿ يَمْحُ ﴾ الفاعل ، وعطف على الفعل ما بعده ، وهو : ﴿ وَيُحِقُّ الْحَقَّ ﴾ ^(٥) .

قلت : إن قيل : لم رُسِم الواو في : ﴿ يَمْنَحُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُذِيبُ ﴾ ^(٦) ، وحذفت في : ﴿ وَيَمْنَحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ ﴾ ^(٧) ؟

قلت : لأن الإثبات الأصل ، وإنما حذف في الثانية لأن قبله مجزوم ، وإن لم يكن معطوفاً عليه ، لأنه قد عطف عليه ﴿ وَيُحِقُّ ﴾ ، وليس مقيدا بشرط ، ولكن قد يحى بصورة العطف على المجزوم ، وهذا أقرب من عطف الجوارى في النحو ، والله أعلم .

وثالثها : ﴿ وَيَذْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ ﴾ ^(٨) ، حذف الواو يدل على أنه سهل عليه ويسارع فيه ، كما يعمل فى الخير ، وإتيان الشر إليه من جهة ذاته أقرب إليه من الخير .
ورابعها : ﴿ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ ﴾ ^(٩) حذف الواو لسرعة الدعاء وسرعة الإجابة .

[القسم الثالث : حذف الياء]

الثالث : حذف الياء اكتفاء بالكسرة ، نحو « قارهبون » ، « فاعبدون » .

(٢) سورة الثورى ٢٤

(٤) سورة الرعد ٣٩

(١) سورة القمر ٥٠

(٣) سورة الإسراء ٨١

(٥) سورة الإسراء ١١

(٦) سورة القمر ٦

قال أبو العباس : الياء الناقصة في الخط ضربان : ضرب محذوف في الخط ثابت في التلاوة ، وضرب محذوف فيهما .

فالأول هو باعتبار ملكوتى باطن ، وينقسم قسمين :

ما هو ضمير التكلم ، وما هو لام الكلمة .

فالأول إذا كانت الياء ضمير التكلم ، مثل : ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴾ ^(١) ، ثبتت [الياء] ^(٢) الأولى ، لأنه فعل ملكوتى . وكذلك ﴿ فَمَا آتَانِ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ ﴾ ^(٣) ، حذفت الياء باعتبار ما آتاه الله من العلم والنبوة ، فهو للمؤتى الملكوتى من قبل الآخرة ، وفي ضمنه الجسماني للدنيا ، لأنه فان ، والأول ثابت .

وكذلك : ﴿ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ ^(٤) ، وعلم هذا المسؤل غيب ملكوتى ، بدليل قوله : ﴿ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ ^(٤) ، فهو بخلاف قوله : ﴿ فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ ^(٥) ، لأن هذا سؤال عن حوادث الملك في مقام الشاهد ، كخرق السفينة ^(٥) ، وقتل الغلام ^(٦) ، وإقامة الجدار ^(٧) .

وكذلك : ﴿ أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ ^(٨) ، فحذف الضمير في الخط .

(١) سورة القمر ١٦

(٢) سورة النمل ٣٦

(٣) من ط

(٤) سورة الكهف ٧٠

(٥) سورة هود ٤٦

(٦) سورة الكهف ٧٢ : ﴿ قَالَ أَخْرِقْنَهَا لِنُفْرِقَ أَهْلَهَا ﴾ .

(٧) سورة الكهف ٧٤ : ﴿ أَقْتَلْتُمْ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ ﴾ .

(٨) سورة الكهف ٧٧ : ﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ ، قَالَ لَوْ شِئْتَ

لَا تَتَّخِذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ .

(٩) سورة البقرة ١٨٦ .

دلالة على الدعاء الذي من جهة الملكوت بإخلاص الباطن .

وكذلك : ﴿ أَسَأَمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ ^(١) هو الاتباع العلمي في دين الله بالجوارح المقصود بها وجهُ الله وطاعته .

وكذلك : ﴿ لَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ ^(٢) ، ثبتت الياء في « المقام » لاعتبار المعنى من جهة الملك ، وحذفت من « الوعيد » لاعتباره ملكوتيا ، فخاف المقام من جهة مآظمر للأبصار ، وخاف الوعيد من جهة إيمانه بالأخبار .

وكذلك : ﴿ لَنْ أُخَرَّتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ ^(٣) ، هو التأخير بالمؤاخذه ، لا التأخير الجسمي ؛ فهو بخلاف قوله : ﴿ لَوْ لَا أُخَرَّتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾ ^(٤) ، لأن هذا تأخير جسمي في الدنيا الظاهرة .

وكذلك : ﴿ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴾ ^(٥) ، سياق الكلام في أمور محسوسة ، والهداية فيه ملكوتية ، وقد هداه الله في قصة الغار ، وهو في العدد ﴿ ثَانِي اثْنَيْنِ ﴾ ^(٦) ، حتى خرج بدينه عن قومه بأقرب من طريق أهل الكهف حين خرجوا بدينهم عن قومهم وعدوهم ، على ما قص الله علينا فيه ، وهذه الهداية بخلاف ما قال موسى : ﴿ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ ^(٧) ، فإنها هداية السبيل المحسوسة إلى مدين في عالم الملك ، بدليل قوله : ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلَقَّاءَ مَدْيَنَ ﴾ ^(٧) .

وكذلك : ﴿ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴾ ^(٨)

وكذلك : ﴿ وَلَا تَدْبِعَانَّ ﴾ ، هو في طريق الهداية لا في مسير موسى إلى ربه ؛ بدليل :

(١) سورة آل عمران ٢٠

(٢) سورة إبراهيم ١٤

(٣) سورة المنافقون ١١

(٤) سورة التوبة ٤٠

(٥) سورة الكهف ٦٣

(٦) سورة الإسراء ٦٢

(٧) سورة الكهف ٢٤

(٨) سورة القصص ٢٢

﴿أَفَصَيْتَ أَمْرِي﴾^(١) ، ولم يأمره بالمسير الحسى ، إنما أمره أن يخلفه في قومه ويصلح ، وهذا بخلاف قول هارون : ﴿فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾^(٢) ، فإنه اتباع محسوس في ترك ما سواه ، بدليل قوله : ﴿وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ ، وهو لا أمر له إلا الحسى .

وكذلك : ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾^(٣) حيث وقع ، لأن النكير معتبر من جهة الملكوت ، لا من جهة أثره المحسوس ، فإن أثره قد انقضى وأخير عنه بالفعل الماضى ، والنكير اسم ثابت فى الأزمان كلها ، فيه التنبيه على أنه كما أخذ أولئك يأخذ غيرهم .

وكذلك : ﴿إِنِّى أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾^(٤) خاف موسى عليه السلام أن يكذبوه فيما جاءهم به ، وأن يكون سببه من قبله ، من جهة إفهامه لهم بالوحى ، فإنه كان على البيان ، لأنه كلم الرحمن ، فبلاغته لا تصل إليها أفهامهم ، فيصير إفصاحه العالى عند فهمهم النازل عقدة عليهم فى اللسان ، محتاج إلى ترجمان ؛ فإن يقع بعده تكذيب فيكون من قبل أنفسهم ، وبه تم الحجة عليهم .

وكذلك : ﴿إِنْ كِدْتَ لِتَزِدَّيْنِ﴾^(٥) ، هو الإرداء الأخرى الملكوتى .
وكذلك : ﴿أَنْ تَرْجُمُونِ﴾^(٦) ، ليس هو الرجم بالحجارة ، إنما هو ما يرمونه من بهتانهم .

وكذلك : ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾^(٧) ، ﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ﴾^(٨) ، هو الأخرى الملكوتى .

(٢) سورة غه ٩٠
(٤) سورة الشعراء ١٢٠
(٦) سورة الدخان ٢٠
(٨) سورة إبراهيم ١٤

(١) سورة غه ٩٣
(٣) سورة الملك ١٨
(٥) سورة الصافات ٥٦
(٧) سورة ق ١٤

وكذلك: ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَ﴾^(١)، ﴿رَبِّي أَهَانَنِي﴾^(٢)، هذا الإنسان يعتبر منزلته عند الله في الملكوت بما يبتليه في الدنيا، وهذا من الإنسان خطأ، لأن الله تعالى يبتلي الصالح والطالح، لقيام حجته على خلقه.

والقسم الثاني من الضرب^(٣) الأول؛ إذا كانت الياء لام الكلمة، سواء كانت في الاسم أو الفعل، نحو: ﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾^(٤)، حذفت تنبيها على المحلص لله، الذي قلبه ونهايته في دعائه في الملكوت والآخرة، لا في الدنيا.

وكذلك: ﴿الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكَرٍ﴾^(٥)، هو داعٍ ملكوتي من عالم الآخرة. وكذلك: ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾^(٦) هو إتيان ملكوتي أخروي آخره متصل بما وراءه من الغيب.

وكذلك ﴿المهتد﴾^(٧).

وكذلك: ﴿وَالْبَادِ﴾^(٨)، حذف لأنه على غير حال الحاضر الشاهد، وقد جعل الله لها سراً.

وكذلك: ﴿كَالْجَوَابِ﴾^(٩)، من حيث التشبيه، فإنه ملكوتي؛ إذ هو صفة تشبيه لا ظهور لها في الإدراك الملقى.

وكذلك: ﴿يَوْمَ التَّلَاقِ﴾^(١٠)، و﴿التَّنَادِ﴾^(١١) كلاهما ملكوتي أخروي.

- | | |
|----------------------|---------------------|
| (١) سورة الفجر ١٥ | (٢) سورة الفجر ١٦ |
| (٣) ت: «الصور» تحريف | (٤) سورة البقرة ١٨٦ |
| (٥) سورة القمر ٦ | (٦) سورة هود ١٠٥ |
| (٧) سورة كهف ١٧ | (٨) سورة الحج ٢٥ |
| (٩) سورة سبأ ١٣ | (١٠) سورة غافر ١٥ |
| (١١) سورة غافر ٣٢ | |

وكذلك : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾ ^(١) ، هو السرى الملكوتى الذى يستدل عليه بآخره من جهة الانقضاء أو بمسير النجوم .

وكذلك : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ ﴾ ^(٢) تُعتبر من حيث هى آية يدل ملكها على ملكوتها ، فآخرها بالاعتبار يتصل بالملكوت بدليل قوله : ﴿ إِنَّ يَشَأْ يُسْكِنَ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ ﴾ ^(٣) .

وكذلك حذف ياء الفعل من « يُحْيِي » إذا انفردت ، وثبتت مع الضمير ، مثل : ﴿ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ ﴾ ^(٤) ، ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ﴾ ^(٥) ، لأن حياة الباطن أظهرُ في العلم من حياة الظاهر ، وأقوى في الإدراك .

الضرب الثانى الذى تسقط فيه الياء في الخط والتلاوة ، فهو اعتبار غيبة عن باب الإدراك جملة ، واتصاله بالإسلام لله في مقام الإحسان ، وهو قسمان : منه ضمير المتكلم ، ومنه لام الفعل .

فالأول إذا كانت الياء ضمير المتكلم فإنها إن كانت للعبد فهو الغائب ، وإن كانت للرب فالغيبية للمذكور معها ، فإن العبد هو الغائب عن الإدراك في ذلك كله ، فهو في هذا المقام مُسلم مؤمن بالغيب ، مكتم بالأدلة ، فيقتصر في الخط لذلك على نون الوقاية والكسرة . ومنه من جهة الخطاب به الحوالة على الاستدلال بالآيات دون تعرض لصفة الذات ؛ ولما كان الغرض من القرآن جهة الاستدلال واعتبار الآيات وضرب المثال دون التعرض لصفة الذات - كما قال : ﴿ وَيَحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ ^(٦) ، وقال : ﴿ فَلَا تَصْرِبُوا

(٢) سورة الشورى ٣٢

(٤) سورة يس ٧٨

(٦) سورة آل عمران ٢٨

(١) سورة الفجر ٤

(٣) سورة الشورى ٣٣

(٥) سورة يس ٧٩

لِلَّهِ الْأَمْثَالُ ﴿١﴾ - كان الحذف في خواتم الآي كثيرا؛ مثل : ﴿ فَاتَّقُونَ ﴾ (٢) ،
﴿ فَارْهَبُونَ ﴾ (٣) ، ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٣) ﴿ وَمَا أَرِيدُ أَنْ
يُطْعِمُونِ ﴾ (٣) ، وهو كثير جدا .

وكذلك ضمير العبد ، مثل : ﴿ إِنْ يُرِذِنِ الرَّحْمَنُ ﴾ (٤) غائب عن علم إرادته
الرحمن ، إنما علمه بها تسليما وإيمانا برهانيا .

وكذلك قوله في العقود (٥) : ﴿ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي ﴾ الناس كَلَّى لا يدل على
ناس بأعيانهم ولا موصوفين بصفة فهم كَلَّى ، ولا يعلم الكَلَّى (٦) من حيث هو كَلَّى ؛
بل من حيث أثر البعض في الإدراك ، ولا يعلم الكَلَّى (٦) إلا من حيث هو أثر الجزئي في
الإدراك ، فالخشية هنا كلية لشيء غير معلوم الحقيقة ؛ فوجب أن يكون الله أحق بذلك ،
فإنه حق ، وإن لم يُحِط به علما ، كما أمر الله سبحانه بذلك ، ولا يُخشى غيره ، وهذا الحذف
بخلاف ما جاء في البقرة : ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي ﴾ (٧) ، ضمير الجمع يعود على ﴿ الَّذِينَ
ظَلَمُوا ﴾ (٧) من الناس ، فهم بعض لا كل ، ظهروا في الملك بالظلم ، فالخشية هنا جزئية ،
فأمر سبحانه أن يُخشى من جهة ما ظهر ، كما يجب ذلك من جهة ماستر .

وكذلك حذفت الياء من : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴾ (٨) و ﴿ قُلْ يَا عِبَادِ ﴾ (٩) فإنه
خطاب لرسوله عليه السلام على الخصوص ، فقد توجه الخطاب إليه في فهمنا ، وغاب العباد
كلهم عن علم ذلك ، فهم غائبون عن شهود هذا الخطاب ؛ لا يعلمونه إلا بوساطة الرسول .

(٢) سورة البقرة ٤١ ، ٤٠

(٤) سورة يس ٢٣

(٦ - ٦) ساقط من ت

(٩) سورة الزمر ١٠

(١) سورة النحل ٧٤

(٣) سورة الذاريات ٥٦ ، ٥٧

(٥) الآية ٤٤ وهي سورة المائدة

(٧) سورة البقرة ١٥٠

(٨) سورة الزمر ١٧

وهذا بخلاف قوله : ﴿يَا عِبَادِيَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ﴾^(١) ، فإنها ثبتت ، لأنه خطاب لهم في الآخرة غير محجوبين عنه - جعلنا الله منهم - أنه منعم كريم ، وثبت حرف النداء ، فإنه أفهمهم نداءه الأخرى في موطن الدنيا ، في يوم ظهورهم بعد موتهم ، وفي محل أعمالهم ، إلى حضورهم يوم ظهورهم الأخرى ، بعد موتهم وفي محل جزائهم .

وكذلك : ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ﴾^(٢) ثبت الضير وحرف النداء في الخط ، فإنه دعاء من مقام إسلامهم ، وحضرة امتثالهم إلى مقام إحسانهم ، ومثله : ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾^(٣) في العنكبوت ، فإنه دعاء من حضرتهم في مقام إيمانهم ، إلى حضرتهم ومقام إحسانهم ، إلى ما لا نعلمه من الزيادة بعد الحسن .

وكذلك سقطنا في موطن الدعاء مثل : ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾^(٤) حذفت الياء لعدم الإحاطة به عند التوجه إلى الله تعالى لغيتنا نحن عن الإدراك ، وحذف حرف النداء لأنه أقرب إلينا من أنفسنا . وأما قوله : ﴿وَقِيلَ يَا رَبِّ﴾^(٥) فثبت حرف النداء ؛ لأنه دعا ربه من مرتبة حضوره معهم في مقام الملك لقوله : ﴿إِنَّ هُوَ لَآءٍ﴾^(٥) ، وأسقط حرف ضميره لخصيه عن ذاته في توجهه في مقام الملكوت ورتبة إحسانه في إسلامه .

وكذلك في مثل : ﴿يَا قَوْمُ﴾^(٦) دلالة على أنه خارج عنهم في خطابه ، كما هو ظاهر في الإدراك ؛ وإن كان متصلاً بهم في النسبة الرابطة بينهم في الوجود ، العلوية من الدلائل .

والقسم الثاني :^(٧) إذا كانت الياء لام الكلمة في الفعل أو الاسم ؛ فإنها تسقط

(١) سورة الزخرف ٦٨ وهو غير ماقى المصحف . (٢) سورة الزمر ٥٣ .

(٣) سورة العنكبوت ٥٦ . (٤) سورة نوح ٢٨ .

(٥) سورة الزخرف ٨٨ . (٦) سورة هود ٦٣ .

(٧) مما تسقط فيه الياء في الخط والتلاوة .

من حيث يكون معنى الكلمة يعتبر من مبدئه الظاهر شيئاً بعد شيء إلى ملكوتية الباطن ، إلى ما لا يدرك منه إلا إيماناً وتسليماً ، فيكون حذفُ الياءِ منها على ذلك ، وإن لم يكمل اعتباره في الظاهر من ذلك الخطاب بحسب عرض الخطاب ، مثل : ﴿ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ^(١) ، هو ﴿ مَا نَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ﴾ ^(٢) وقد ابتدأ ذلك لهم في الدنيا متصلاً بالآخرة .

وكذلك : ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُادِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ ^(٣) ؛ حذف لأنه يهديهم بما نصب لهم في الدنيا من الدلائل والعبر إلى الصراط المستقيم ، برفع درجاتهم في هدايتهم إلى حيث لا غاية ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ ^(٤) . وكذلك : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِهَادِ الْعَمَى ﴾ ^(٥) في الروم ، هذه الهداية هي الكلية على التفصيل بالتوالي التي تترقى العبد في هدايته من الأرباب ^(٦) إلى ما يدركه العيان ؛ ليس ذلك للرسول عليه السلام بالنسبة إلى العيان . ويدل على ذلك قوله قبلها : ﴿ فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُخَيِّ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا . . . ﴾ ^(٧) الآية ، فهذا النظر من عالم الملك ^(٨) ذاهباً في النظر إلى عالم الملكوت ^(٩) إلى ما لا يدرك إلا إيماناً وتسليماً . وهذا بخلاف الحرف الذي في النمل : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِهَادِ الْعَمَى ﴾ ^(١٠) ؛ فثبت الياء ؛ لأن هذه الهداية كلية كاملة ، بدليل قوله : ﴿ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴾ ^(١١) .

وكذلك : ﴿ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ ﴾ ^(١٢) ، و ﴿ الْوَادِ الْأَيْمَنِ ﴾ ^(١٣) هما مبدأ التقديس واليمين

(٢) سورة الزخرف ٧١

(٤) سورة ق ٣٥

(٦) ط : « الأوثان »

(٨ - ٨) ساقط من ث

(١٠) سورة النمل ٧٩

(١٢) سورة القصص ٣٠

(١) سورة النساء ١٤٦

(٣) سورة الحج ٥٤

(٥) سورة الروم ٥٣

(٧) سورة النمل ٥٠

(٩) سورة النمل ٨١

(١١) سورة طه ١٢

الذى وصفاه، فانتقل التقديس واليمين منهما إلى الجمال، ذاهبا بهما إلى مالا يحيط بعلمه إلا الله .
وكذلك : ﴿وَإِذِ النَّدَى﴾ ^(١) هو موضع لا ابتداء سماع الخطاب من أخفض الخلق ،
- وهى النملة - إلى أعلام - وهو الهدهد والطير ، ومن ظاهر الناس وباطن الجن إلى قول
العفريت ، إلى قول الذى عنده علم من الكتاب ، إلى ما وراء ذلك من هداية الكتاب ،
إلى مقام الإسلام لله رب العالمين .

وكذلك ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ﴾ ^(٢) سقطت الياء تنبيها على أنها لله
من حق إنشائها بعد أن لم تكن ، إلى ما وراء ذلك مما لا نهاية له من صفاتها .
وكذلك ﴿الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ ^(٣) حذفت الياء تنبيها على أنها تجرى من محل اتصافها
بالحناس ، إلى محل اتصافها بالكُناس ، وذلك يُفهم أنه اتصف بالحناس عن حركة
تقدمت بالوصف بالجوار الظاهر ، يفهم منه وصف بالجوار فى الباطن ؛ وهذا الظاهر مبدأ
لفهمه ؛ كالنجوم الجارية داخل تحت معنى الكلمة .

فصل

[فى حذف النون]

ويلحق بهذا القسم حذف النون الذى هو لام فعل ، فيحذف تنبيها على صغر مبدأ
الشيء وحقارته ، وأن منه ينشأ ويزيد ، إلى مالا يحيط بعلمه غير الله ، مثل ﴿أَلَمْ يَكُنْ
نُفْثَةً﴾ ^(٤) ، حذفت النون تنبيها على مهانة مبتدأ الإنسان وصغر قدره بحسب ما يدرك هو

(٢) سورة الرحمن ٢٤

(٤) سورة القيامة ٣٧ .

(١) سورة النمل ١٨

(٣) سورة التكوير ١٦

من نفسه ، ثم يترقى في أطوار التكوين ، ﴿ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ ^(١) ، فهو حين كان نقطة كان ناقص الكون ؛ كذلك كل مرتبة ينتهى إليها كونه هي ناقصة الكون بالنسبة لما بعدها ، فالوجود الدنيوى كله ناقص الكون عن كون الآخرة ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَوَانُ ﴾ ^(٢) .

وكذلك : ﴿ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا ﴾ ^(٣) ، حذفت النون تنبيهاً على أنها وإن كانت صغيرة المقدار ، حقيرة فى الاعتبار ، فإن إليه ترتيبها وتضاعفها . ومثله : ﴿ إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ ﴾ ^(٤) .

وكذلك : ﴿ أَوْ لَمْ تَكُ تَأْتِيَكُمْ رَسُولُكُمْ ﴾ ^(٥) جاءتهم الرسل من أقرب شئ فى البيان ، الذى أقل من مبدأ فيه وهو الحس ، إلى العقل ، إلى الذكر . ورقوم من أخفض رتبة - وهى الجهل - إلى أرفع درجة فى العلم - وهى اليقين - وهذا بخلاف قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ ^(٦) ؛ فإن كون تلاوة الآيات قد اكمل كونه وتم . وكذلك : ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَهَاجَرُوا فِيهَا ﴾ ^(٧) هذا قد تم كونه . وكذلك ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ ^(٨) ، هذا قد تم كونهم غير منفكين إلى تلك الغاية الجمولة لهم ، وهى محى البينة .

وكذلك : ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ ﴾ ^(٩) ، انتفى عن إيمانهم مبدأ الانتفاع وأقله ، فاتنق أصله .

(٢) سورة المكبوت ٦٤
(٤) سورة لقمان ١٦
(٦) سورة « المؤمنون » ١٠٥
(٨) سورة البينة ١

(١) سورة يس ٧٧
(٣) سورة النساء ٤٠
(٥) سورة غافر ٥٠
(٧) سورة النساء ٩٧
(٩) سورة المؤمن ٨٥

فصل

فما كتبت الألف فيه واوا على لفظ التفخيم

وذلك في أربعة أصول مطردة ، وأربعة أحرف متفرعة .

فالأربعة الأصول هي ﴿ الصَّلَاة ﴾ ، و ﴿ الزَّكَاة ﴾ ، و ﴿ الْحَيَاة ﴾ ، و ﴿ الرِّبَا ﴾
والأربعة الأحرف قوله في الأنعام والكهف : ﴿ بِالْفُدُوءِ ﴾ ^(١) ، والنور
﴿ كَيْسَكُوءِ ﴾ ^(٢) ، وفي المؤمن ﴿ النَّجْوَاءِ ﴾ ^(٣) ، وفي النجم ﴿ وَمَنُوءِ ﴾ ^(٤) .
فأما قوله : ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ ﴾ ^(٥) ، ﴿ إِنَّ صَلَاتِي ﴾ ^(٦) ، ﴿ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا ﴾ ^(٧) ،
﴿ وَمَا أَوْتَيْنَاهُ مِنْ رَبٍّ ﴾ ^(٨) ، فالرسم بالألف في الكل .

والقصد بذلك تعظيم شأن هذه الأحرف فإن الصلاة والزكاة عمودا الإسلام ،
والحياة قاعدة النفس ، ومفتاح البقاء ، وترك الربا قاعدة الأمان ، ومفتاح التقوى ، ولهذا
قال : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا ﴾ ^(٩) ، إلى قوله : ﴿ قَابِ لِمَ
تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِمَحَرَبٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ ^(١٠) ويشتمل على أنواع الحرام ، وأنواع الخبائث ،
وضروب المفسد ؛ وهو تقيض الزكاة ؛ ولهذا قيل بينهما في قوله : ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا
وَيُزِيدُ الصَّدَاقَاتِ ﴾ ^(١١) ، واجتنابه أصل في التصرفات المالية ؛ وإنما كتبت بالألف

(٢) سورة النور ٣٥
(٤) سورة النجم ٢٠
(٦) سورة الأنعام ١٦٢
(٨) سورة الروم ٣٩
(١٠) سورة البقرة ٢٢٩

(١) سورة الأنعام ٥٢ ، الكهف ٢٨
(٣) سورة المؤمن ٤١
(٥) سورة الأنازل ٣٥
(٧) سورة الأنعام ٢٩
(٩) سورة البقرة ٢٧٨
(١١) سورة البقرة ٢٧٦

في سورة الروم لأنه ليس العام الكلي ؛ لأن الكلي منفي في حكم الله عليه بالتحريم ، وفي نفي الكلي نفي جميع جزئياته .

فإن قلت : فلم كتب ﴿ الزكوة ﴾ هنا بالواو ؟ وهلا جرت على نظم ما قبلها من قوله : ﴿ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّاً ﴾ ^(١) ؟

قلت : لأن المراد بها الكلية في حكم الله ، ولذلك قال : ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْمِعُونَ ﴾ ^(١) .

وأما كتاب ﴿ النجوة ﴾ بالواو فلائها قاعدة الطاعات ومفتاح السعادات ، قال الله تعالى : ﴿ وَيَأْقُومُ مَالِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النِّجْوَةِ ﴾ ^(٢) .

وأما ﴿ الغدوة ﴾ قاعدة الأزمان ، ومبدأ تصرف الإنسان ؛ مشتقة من الغدو .

وأما ﴿ الشكوة ﴾ قاعدة الهداية ، ومفتاح الولاية ، قال الله تعالى : ﴿ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ ^(٣) .

وأما ﴿ منوة ﴾ قاعدة الضلال ، ومفتاح الشرك والإضلال وقد وصفها الله بوصفين :

أحدهما يدل على تكثيرهم الإله من متنى ^(٤) ومنث ، والثاني يدل على الاختلاف والتغاير ، فمن معطل ومشبه ، تعالى الإله عما يقولون !

فصل

في مدة التاء وقبضها

وذلك أن هذه الأسماء لما لازمت الفعل ، صار لها اعتباران : أحدهما من حيث هي

(٢) سورة المؤمن ٤١

(١) سورة الروم ٣٩

(٣) سورة النور ٣٥

(٤) وذلك قوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْمَرْيَ . وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخَرَى ﴾ [سورة النجم

أسماء وصفات ، وهذا^(١) تقبض منه التاء. والثاني من حيث أن يكون مقتضاها فعلا وأثرا ظاهرا في الوجود ، فهذا تمدد فيه ؛ كما تمدد في « قالت » و « حقت » . وجهة الفعل والأمر ملكية ظاهرة ، وجهة الاسم والصفة ملكوتية باطنة .

فمن ذلك « الرحمة » مدت في سبعة مواضع للعلّة المذكورة :
بدليل قوله في أحدها : ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾^(٢) فوضعها على التذكير ، فهو الفعل .

وكذلك : ﴿ فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ ﴾^(٣) والأثر هو الفعل ضرورة .

والثالث : ﴿ أَوَلَيْكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ﴾^(٤) .

والرابع في هود : ﴿ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ﴾^(٥) .

والخامس : ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ ﴾^(٦) .

والسادس : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾^(٧) .

والسابع : ﴿ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾^(٧) .

ومنه « النعمة » بالهاء إلا في أحد عشر موضعا مدت بها :

في البقرة : ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾^(٨) ، في آل عمران^(٨) ،

(٢) سورة الأعراف ٥٦

(٤) سورة البقرة ٢١٨

(٦) سورة مريم ٢

(١) ط ، م : « وهنا »

(٣) سورة الروم ٥٠

(٥) سورة هود ٧٣

(٧) سورة الزخرف ٢٢

(٨) سورة البقرة ٢٣١ وآل عمران ١٠٣

والمائدة ^(١) . وفي إبراهيم ^(٢) موعضان . والنحل ^(٣) ثلاثة مواضع . وفي لقمان ^(٤) ، وقاطر ^(٥) ، والطور ^(٦) .

والحكمة فيها ما ذكرنا أن الحاصلة بالفعل في الوجود تُمَدُّ ، نحو قوله في إبراهيم : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ﴾ ^(٧) بدليل قوله : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ ^(٨) ، فهذه نعمة متصلة بالظلم الكفار في تنزيلها . وهذا بخلاف التي في سورة النحل : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ﴾ ^(٩) ، كتبت مقبوضة لأنها بمعنى الاسم ، بدليل قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ^(١٠) ، فهذه نعمة وصلت من الرب ، فهي ملكوتية ، ختمها باسمه عز وجل ، وختم الأولى باسم الإنسان .

ومن ذلك « الكلمة » مقبوضة إلا في موضع في الأعراف : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى ﴾ ^(١١) هو ماتم لهم في الوجود الأخرى بالفعل الظاهر دليله في الملك ، وهو

(١) آية ١١ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ كُورَا نِعْمَتِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ .

(٢) آية ٢٨ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كَفْرًا ... ﴾ وآية ٣٥ : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ﴾ .

(٣) آية ٧٢ : ﴿ وَبَنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ ، وآية ٨٣ : ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا ﴾ ، وآية ١١٤ : ﴿ وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ .

(٤) آية ٣١ : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ ﴾ .

(٥) آية ٣ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِذْ كُورَا نِعْمَتِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ .. ﴾ .

(٦) آية ٢٩ : ﴿ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾ .

(٨) سورة النحل ١٨ .

(٧) سورة إبراهيم ٣٤ .

(٩) سورة الأعراف ١٣٧ .

الاختلاف^(١) وتامها أن لها نهاية تظهر في الوجود بالفعل فدت التاء .
ومنها « السُّنَّةُ » مقبوضة ؛ إلا في خمسة مواضع حيث تكون بمعنى الإهلاك والانتقام
الذى في الوجود :

أحدها في الأنفال : ﴿ قَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴾^(٢) ويدل عليها أنها في الانتقام
قوله قبلها : ﴿ إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾^(٣) ، وقوله بعدها : ﴿ وَفَاتَوْهُمْ حَتَّى
لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾^(٤) .

وفي فاطر : ﴿ فَبَلَّ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ
تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾^(٥) ، ويدل على أنها بمعنى الانتقام قوله تعالى قبلها : ﴿ وَلَا
يَحْيِي الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾^(٦) ، وسياق ما بعدها .

وفي المؤمن : ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ ﴾^(٧) .
أما إذا كانت السنة بمعنى الشريعة والطريقة فهي ملكوتية بمعنى الاسم تقبض تاؤها ،
كما في الأحزاب ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي خَلَتْ مِنْ قَبْلُ ﴾ أي حكم الله وشرعه .
[وفي الإسراء : ﴿ سُنَّتَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا ﴾^(٨)] .

ومنه ﴿ بَقِيَّتُ اللَّهِ ﴾^(٩) فرد ، مدت تاؤه ؛ لأنه بمعنى ما يبقى في أموالهم من الزبح
المحسوس ؛ لأن الخطاب إنما هو فيها من جهة الملك .

(١) في المقنع ٨٤ : « وكل ما في كتاب الله عز وجل من ذكر « الكلمة » على لفظ الواحد
فهو بالهاء إلا حرفاً واحداً في الأعراف : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى ﴾ فإن مصاحف أهل
العراق انفتحت على رسمه بالتاء » .

(٢) سورة الأنفال ٣٨ .

(٣) سورة الأنفال ٣٩ .

(٥) سورة المؤمن ٨٥ .

(٧) سورة هود ٨٦ .

(٤) سورة فاطر ٤٣ .

(٦) سورة الإسراء ٧٧ .

ومنه : ﴿ فِطَرَتَ اللَّهِ ﴾ ^(١) فَرَدَ ، وصفها بأنها فطر الناس عليها ، فهي فصل خطاب في الوجود كما جاء : « كل مولود يولد على الفطرة » الحديث ^(٢) .

ومنه : ﴿ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ ﴾ ^(٣) ، فَرَدَ ، مدت تاؤه لأنه بمعنى الفعل إذ هو خبر عن موسى ، وهو موجود حاضر في الملك ، وهذا بخلاف : ﴿ قُرَّةَ أَعْيُنِي ﴾ ^(٤) ، فإنه هنا بمعنى الاسم ، وهو ملكوتي إذ هو غير حاضر .

ومنه : ﴿ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ ﴾ ^(٥) مدت في موضعين في سورة المجادلة ؛ لأن معناها الفعل ، والتقدير : ولا تتناجوا بأن تعصوا الرسول ، ونفس هذا النجوى الواقع منهم في الوجود هو فعل معصية لوقوع النهي عنه .

ومنه « اللعنة » مدت في موضعين : في آية المباهلة ^(٦) ، وفي آية اللعان ^(٧) . وكوئها بمعنى الفعل ظاهر .

ومنه « الشجرة » في موضع : ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴾ ^(٨) ، لأنها بمعنى الفعل اللازم وهو تَزَقَّمَهَا بِالْأَكْلِ ؛ بدليل قوله تعالى : ﴿ فِي الْبُطُونِ ﴾ ^(٨) ، فهذه صفة فعل كما في الواقعة : ﴿ لَا تَكُلُونِ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ ﴾ ^(٩) ، وهذا بخلاف قوله : ﴿ أَذْكَاءَ خَيْرٌ نَزُّلًا ﴾

(١) سورة الروم ٣٠

(٢) تمامه : « ... حتى يعرب عنه لسانه فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه » ، نقله السيوطي في الجامع الصغير ٢ : ١٥٨ ، ورواه أبو يعلى في مسنده ، والطبراني في الكبير والبيهقي في شعب الإيمان .

(٤) سورة الفرقان ٧٤

(٣) سورة القصص ٩

(٥) سورة المجادلة ٨ ، ٩

(٦) في سورة آل عمران ٦١ : ﴿ ثُمَّ نَبْهَلْ فَجَعَلَ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ .

(٧) في سورة النور ٧ : ﴿ وَأَخْلَاصَةٌ أَنْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ .

(٩) سورة الواقعة ٥٢ .

(٨) سورة الدخان ٤٣

أَمْ شَجَرَةُ الرَّقُومِ ﴿١﴾ ، فإن هذه وصفتها بأنها : ﴿ فِتْنَةٌ لِلظَّالِمِينَ ﴾ ﴿٢﴾ ، وأنها شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٣﴾ فهو حلية للاسم ، فلذلك قبضت تاؤها .

ومنه « الجنة » مدت في موضع واحد ، في الواقعة : ﴿ وَجَنَّتْ نَعِيمٍ ﴾ ﴿٤﴾ لكونها بمعنى فعل التنعم بالنعيم ، بدليل اقترانها بالروح والريحان وتأخرها عنهما وهما من الجنة ، فهذه جنة خاصة بالمنعم بها . وأما ﴿ مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴾ ﴿٥﴾ و﴿ أَنْ يَدْخُلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴾ ﴿٦﴾ ؛ فإن هذا بمعنى الاسم الكلى .

ولم تمد ﴿ تَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴾ ﴿٧﴾ لأنها اسم ما يفعل بالكذب في الآخرة ، أخبرنا الله بذلك ؛ فالؤمن بعله تصديقا ، ولا يحذف لفعل أبدا ، والضابط لذلك : أن ما كان بمعنى الاسم تمد تاؤه ، مثل : ﴿ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ ﴿٨﴾ و ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ ﴾ ﴿٩﴾ و ﴿ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ ﴾ ﴿١٠﴾ ، و ﴿ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ ﴾ ﴿١١﴾ ، و ﴿ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴾ ﴿١٢﴾ ، و ﴿ حَالَةَ الْحَطَبِ ﴾ ﴿١٣﴾

ومنه : ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتْ عِمْرَانَ ﴾ ﴿١٤﴾ مدت التاء تنبيها على معنى الولادة والحدوث من النطفة المهيئة ، ولم يُضَفْ في القرآن ولدٌ إلى والد ووصف به اسم الولد إلا عيسى وأمه عليهما السلام ، لما اعتقد النصارى فيهما أنهما إلهان ، فنبه سبحانه بإضافتهما الولادية على جهة حدوثهما بعد عدمهما ؛ حتى أخبر تعالى في موطن بصفة

(٢) سورة الصافات ٦٣ ، ٦٤ .

(٤) سورة الشعراء ٨٥

(٦) سورة الواقعة ٩٤

(٨) سورة البقرة ١٣٨

(١٠) سورة التحريم ٢

(١٢) سورة المد ٤

(١) سورة الصافات ٦٢

(٣) سورة الواقعة ٨٩

(٥) سورة الماعج ٣٨

(٧) سورة طه ٣١

(٩) سورة الحج ١

(١١) سورة قريش ١

(١٣) سورة التحريم ١٢ .

الإضافة دون الموصوف وقال : ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً ﴾ ^(١) لَمَّا غَلَا فِي إِلهِيَّتِهِ أَكْثَرَ مِنْ أُمِّهِ ، كَمَا نَبَّهَ تَعَالَى عَلَى حَاجَتِهِمَا وَتَغَيَّرِ أَحْوَالُهُمَا فِي الْوُجُودِ ، يَلْحَقُهُمَا مَا يَلْحَقُ الْبَشَرَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ﴾ ^(٢) .

ومنه « امرأة » هي في سبعة مواضع ؛ وهي خمس من النساء : « امرأت عمران » ^(٣) ، و « امرأت ^(٤) فرعون » ، و « امرأت نوح » ^(٥) ، و « امرأت لوط » ^(٥) ، و « امرأت العزيز » ^(٣) ، كلها ممدودة تنبيها على فعل التبطل والصحة وشدة المواصلة والمخالطة والائتلاف في الوجود والمحسوس . وأربع منهن منفصلات في بواطن أمرهن عن بعوتهن بأعمالهن . وواحدة خاصة واصلت بعلمها باطنا وظاهرا ، وهي امرأت عمران ، فجعل الله لها ذرية طيبة ، وأكرمها بذلك وفضلها على العالمين . وواحدة من الأربع انفصلت بباطنها عن بعلمها طاعة لله ، وتوكلأ عليه وخوفا منه ، فنجأها وأكرمها ، وهي امرأت فرعون . واثنان منهن انفصلتا عن أزواجهما كفراً بالله فأهلكهما الله ودمرهما ، ولم ينتفعا بالوصلة الظاهرة ؛ مع أنها أقرب صلة بأفضل أحباب الله . كما لم تضر امرأت فرعون وصلتها الظاهرة بأخبث عبيد الله . وواحدة انفصلت عن بعلمها بالباطن اتباعا للهوى وشهوة نفسها ، فلم تبلغ من ذلك مرادها ، مع تمسكها من الدنيا واستيلائها على من مالت إليه بحبها وهو في بيتها وقبضتها ، فلم يغن ذلك عنها شيئا . وقوتها وعزتها إنما كانا لها من بعلمها « العزيز » ، ولم ينفعها ذلك في الوصول إلى إرادتها مع عظيم كيدها . كما لم يضر يوسف ما امتنع به منها ، ونجأه الله من السجن ، ومكن له في الأرض ، وذلك بطاعته لربه . ولا سعادة إلا بطاعة الله ، ولا شقاوة إلا بمعصيته ؛ فهذه كلها عبر وقعت بالفعل في الوجود ، في شأن كل امرأة منهن ، فلذلك مدت تاءاتهن .

(٢) سورة النازعة ٧٥

(٤) سورة القصص ٩ والتحرير ١١

(١) سورة المؤمنون ٥٠

(٣) سورة آل عمران ٣٥

(٥) سورة التحريم ١٠

فصل

في الفصل والوصل

اعلم أن الموصول في الوجود توصل كلمته ^(١) في الخط ؛ كما توصل حروف الكلمة الواحدة ، والمفصول معني في الوجود يفصل في الخط ؛ كما تفصل كلمة عن كلمة .
فنه « إنما » بالكسر ، كله موصول إلا واحدا ﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ ﴾ ^(٢) ، لأن حرف « ما » هنا وقع على مفصل ^(٣) ، فنه خير موعود به لأهل الخير ، ومنه شر موعود به لأهل الشر ؛ فعني « ما » مفصول في الوجود والعلم .

ومنه « أنما » بالفتح كله موصول إلا حرفان : ﴿ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ ﴾ ^(٤) ، ﴿ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ ﴾ ^(٥) ، وقع الفصل عن حرف التوكيد ؛ إذ ليس لدعوى غير الله وصل في الوجود ؛ إنما وصلها في العدم والنفي ؛ بدليل قوله تعالى عن المؤمن : ﴿ أَنْمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ ﴾ ^(٦) ، فوصل « أنما » في النفي ، وفصل في الإثبات ، لانفصاله عن دعوة الحق .

ومنه : « كلما » موصول كله إلا ثلاثة :

(١) ت ، ط : « كلمته » (٢) سورة الأنعام ١٣٤

(٣) كذا في ط ، ت ، وفي م : « مفصل » . (٤) سورة الحج ٦٢

(٥) سورة لقمان ٣٠ (٦) سورة غافر ٤٣ .

في النساء : ﴿ كُلِّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا ﴾ ^(١) فما رُدُّوا إليه ليس شيئاً واحداً في الوجود ؛ بل أنواع مختلفة في الوجود ، وصفة مردم ليست ^(٢) واحدة بل متنوعة ، فانفصل « ما » لأنه لعموم شيء مفصل في الوجود .

وفي سورة إبراهيم : ﴿ وَأَنَا كُنتُ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾ ^(٣) ، بحرف « ما » واقع ^(٤) على أنواع مفصلة في الوجود .

وفي قد أفلح : ﴿ كُلِّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ ﴾ ^(٥) ، والأمم مختلفة في الوجود ، بحرف « ما » وقع على تفاصيل موجودة لتفصل .

وهذا بخلاف قوله : ﴿ كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾ ^(٦) ؛ فإن هؤلاء هم بنو إسرائيل أمة واحدة ؛ بدليل قوله : ﴿ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ ﴾ ^(٧) والمحاطبون على عهد النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتلوا الأنبياء ، إنما باشره آباؤهم ؛ لكن مذهبهم في ذلك واحد ، بحرف « ما » إنما يشمل تفاصيل الزمان ، وهو تفصيل لا مفصل له في الوجود إلا بالفرض والتوهم ، لا بالحس ، فوصلت « كل » لاتصال الأزمنة في الوجود ، وتلازم أفرادها المتوهم .

وكذلك : ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا ﴾ ^(٨) ، هذا موصول ؛ لأن حرف « ما » جاء لتعميم الأزمنة ، فلا تفصيل فيها في الوجود ، وما رزقوا هو غير مختلف ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَأَتُوا بِهِ مِنْهَا بِمُتَشَابِهٍ ﴾ .

(٢) ت : « ليس »

(٤) ت : « واقع »

(٦) سورة المائدة ٧٠

(٨) سورة البقرة ٢٥

(١) آية ٩١

(٣) المؤمنون آية ٣٤

(٥) آية ٤٤

(٧) سورة البقرة ٩١

ومنه «أينما» موصول إذا كانت «ما» غير مختلفة الأقسام في الفعل الذي بعدها؛ مثل :
 ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّهْ﴾^(١) . ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوا﴾^(٢) . ﴿أَيْنَمَا تَقِفُوا أَخَذُوا﴾^(٣) . ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا
 يُدْرِكْكُمْ الْمَوْتُ﴾^(٤) ؛ فهذه كلها لم تخرج عن «الأيْن» المسمى ، وهو متصل حتماً ،
 ولم يختلف فيه الفعل الذي مع «ما» . وتفصل «أين» حيث تكون «ما» مختلفة الأقسام في
 الوصف الذي بعدها ، مثل : ﴿أَيْنَمَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾^(٥) . ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ﴾^(٦) .
 ﴿أَيْنَمَا تَقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ﴾^(٧) .

ومنه «بشما» موصول ، إلا ثلاثة أحرف : اثنان في البقرة : ﴿بِشِّ مَا اشْتَرَوْا بِهِ
 أَنْفُسَهُمْ﴾^(٨) . ﴿بِشِّ مَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيْمَانُكُمْ﴾^(٩) ، وفي الأعراف : ﴿بِشِّ
 مَا خَلَقْتُمُونِي﴾^(١٠) .

فحرف «ما» ليس فيه تفصيل ، لأنه بمعنى واحد في الوجود من جهة كونه باطلاً
 مذموماً ؛ على خلاف حال «ما» في المائدة : ﴿تَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي
 الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ الشَّحْتَ لِبَشِّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١١) ، فحرف «ما» يشتمل
 على الأقسام الثلاثة التي ذكرت قبل . وكذلك : ﴿لِبَشِّ مَا قَدِمْتَ لَهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾^(١٢)
 حرف «ما» مفصول ؛ لأنه يشمل ما بعده من الأقسام .

(٢) سورة البقرة ١١٥

(١) سورة النحل ٧٦

(٤) سورة النساء ٧٨ .

(٣) سورة الأحزاب ٦١

(٦) سورة الحديد ٤ .

(٥) سورة الشعراء ٩٢

(٨) سورة البقرة ٩٠ ، ٩٣

(٧) سورة آل عمران ، ١٠

(٩) سورة الأعراف ١٥٠ ، وفي المصحف الذي بين أيدينا منصلة .

(١١) سورة المائدة ٨٠ .

(١٠) سورة المائدة ٦٢

ومنه ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ ^(١) . ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ﴾ ^(٢) ، حرفان ، فصل الضمير منهما لأنه مبتدأ ، وأضيف « اليوم » إلى الجملة المنفصلة عنه .

و ﴿يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ ^(٣) و ﴿يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ ^(٤) ، وصل الضمير لأنه مفرد ؛ فهو جزء الكلمة المركبة من « اليوم » المضاف والضمير المضاف إليه .

ومنه « في ما » مفصول أحد عشر حرفا :

في البقرة : ﴿فِي مَا فَعَلْنَا فِي أَنْفُسِنَا مِنْ مَعْرُوفٍ﴾ ^(٥) ، وذلك لأن « ما » يقع على فرد واحد [من] ^(٦) أنواع ينفصل بها المعروف في الوجود [و] ^(٧) على البدلية أو الجمع ؛ يدل على ذلك تنكيره « المعروف » ودخول حرف التبعية عليه ؛ فهو حسي يُقَسَّم ، وحرف « ما » وقع على كل واحد منهما على البدلية أو الجمع ؛ وأما قوله : ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَا فِي أَنْفُسِنَا بِالْمَعْرُوفِ﴾ ^(٨) فهذا موصول لأن « ما » واقعة على شيء واحد غير مفصل ، يدل ذلك عليه وصفه بالمعروف .

وكذلك : ﴿فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ ^(٩) ، وهو مفصول ؛ لأن شهوات الأنفس مختلفة أو مفصلة في الوجود . وكذلك فتديره في سائرهما .

ومنه : ﴿لِكَيْلَا﴾ موصول في ثلاثة مواضع ؛ وباقيها منفصل ؛ وإنما يوصل حيث يكون حرف النفي دخل على معنى كلى فيوصل ؛ لأن نفي الكلى نفي لجميع جزئياته ، فعمله نفيه هي علة نفي أجزائه ؛ وليس للكلى المنفى أفراد في الوجود ، وإنما

(٢) سورة غافر ١٦ .
(٤) سورة الزخرف ٨٣ .
(٦) من ث ، ط .
(٨) سورة الأنبياء ١٠٢ .

(١) سورة الداريات ١٣
(٣) سورة الطور ٤٥
(٥) سورة البقرة ٢٤٠
(٧) سورة البقرة ٢٣٤

ذلك فيه بالتوهم ، ويفصل حيث يكون حرف النفي دخل على جزئى ؛ فإن نفى الجزئى لا يلزم منه نفى الكلى ؛ فلا تكون علته علة نفى الجمع :

﴿ اِكْتِيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾ ^(١) فى الحج . وفى الأحزاب : ﴿ اِكْتِيْلَا يَكُوْنُ عَلَيْكَ حَرَجٌ ﴾ ^(٢) . وفى الحديد : ﴿ اِكْتِيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ ﴾ ^(٣) .

فهذه هى الموصولة ، وهى بخلاف : ﴿ لِكِنِّ لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾ ^(٤) فى النحل ؛ لأن الظرف فى هذا خاص الاعتبار ؛ وهو فى الأول عام الاعتبار لدخول « من » عليه ؛ وهذا كقوله تعالى عن أهل الجنة : ﴿ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴾ ^(٥) ، اختص المظروف بقبل فى الدنيا ، ففيها كانوا مشفقين خاصة . وقال تعالى : ﴿ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾ ^(٦) ، فهذا الظرف عام لدعائهم بذلك فى الدنيا والآخرة فلم يختص المظروف بقبل بالدنيا .

وكذلك : ﴿ لِكِنِّ لَا يَكُوْنُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ﴾ ^(٧) فهذا النفى هو حرج مقيد بظرفين .

وكذلك : ﴿ كِنِّ لَا يَكُوْنُ دَوْلَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ﴾ ^(٨) ، فهذا النفى هو كون : ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى ﴾ ^(٨) دولة بين الأغنياء من المؤمنين ، وهذه قيود كثيرة .

ومن ذلك « هم » ونحوه من الضمائر تدل على جملة المسمى من غير تفصيل ، والإضمار حال لصفة وجود ، فلا يلزمها التقسيم الوجودى إلا الوهمى الشعرى والخطأ بما يرسم على العلم الحق .

ومن ذلك « مأل » أربعة أحرف مفصولة ؛ وذلك أن اللام وصلة إضافية ، فقطعت حيث تقطع الإضافة فى الوجود :

(٢) سورة الأحزاب ٥٠

(٤) سورة النحل ٧٠

(٦) سورة الطور ٢٨

(٨) سورة الحشر ٧٧

(١) سورة الحج ٥

(٣) سورة الحديد ٢٣

(٥) سورة الطور ٢٦

(٧) سورة الأحزاب ٣٧

فأولها في سورة النساء : ﴿ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ ﴾ ^(١) ، هذه الإشارة للفريق الذين ناقوا من القوم الذين قيل لهم : ﴿ كَفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ ^(٢) فقطعوا وصل السيئة بالحسنة في الإضافة إلى الله ففرقوا بينهما ، كما أخبر سبحانه والله قد وصل ذلك وأمر به في قوله : ﴿ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ ^(٣) فقطعوا في الوجود ما أمر الله به أن يوصل ؛ فقطع لأم وصلهم في الخط علامة لذلك . وفيه تنبيه على أن الله يقطع وصلهم بالمؤمنين ؛ وذلك في يوم الفصل : ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ ﴾ ^(٤) .

والثاني في سورة الكهف : ﴿ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَفِيرَةً ﴾ ^(٥) ؛ وهؤلاء قطعوا بزعمهم وصل جنل الموعد لم يوصل إحصاء الكتاب ، وعدم مغادرته لشيء من أعمالهم في إضافتها إلى الله ، فلذلك ينكرون على الكتاب في الآخرة ؛ ودليل ذلك ظاهر من سياق خبرهم في تلك الآيات من الكهف .

والثالث في سورة الفرقان : ﴿ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ ﴾ ^(٦) فقطعوا وصل الرسالة لأكل الطعام فأنكروا قطعوا قولهم هذا ليزول عن اعتقادهم أنه رسول ، قطع اللام علامة لذلك .

والرابع في المعارج : ﴿ فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴾ ^(٧) ، هؤلاء الكفار تفرقوا جماعات مختلفات ، كما يدل عليه ﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ عِزِينَ ﴾ ^(٧) ، قطعوا وصلهم في قلوبهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ، فقطع الله طمعهم في دخول الجنة ؛ ولذلك قطعت اللام علامة ^(٨) عليه .

(٢) سورة النساء ٧٧ .

(٤) سورة الحديد ١٣ .

(٦) آية ٧

(٨) هذه الكلمة ساقطة من ت .

(١) سورة النساء ٧٨

(٣) سورة النساء ٧٨

(٥) آية ٤٩

(٧) آية ٣٦ ، ٣٧

ومن ذلك: ﴿ابن أم﴾ في الأعراف^(١) مفصول ، على الأصل ، وفي طه^(٢) ﴿ابنوم﴾ موصول لسرّ لطيف ؛ وهو أنه لما أخذ موسى برأس أخيه اعتذر إليه فناداه من قرب^(٣) على الأصل الظاهر في الوجود ، ولما تمالى ناداه بحرف النداء ، ينتبه لبعده عنه في الحال ، لا في المكان ، مؤكداً لوصلة الرحم بينهما بالربط ؛ فلذلك وصل في الخط ، وبدل عليه نصب « الميم » ليجمعهما الاسم بالتعميم .

ومن ذلك ستة أحرف لا توصل بما بعدها ، وهي : الألف ، والواو ، والدال ، والذال ، والراء ، والزاي ؛ لأنها علامات لانفصالاتٍ ونهايات ، وسائر الحروف توصل في الكلمة الواحدة .

فصل

في بعض حروف الإدغام

فنه : ﴿عَنْ مَأْمُوهَا عَنْهُ﴾^(٤) ، فرد ظهر فيه النون وقطع عن الوصل ، لأن معنى « ما » عموم كلى تحته أنواع مفصلة في الوجود غير متساوية في حكم النهى عنها ، ومعنى « عن » المجاوزة ، والمجاوزة للكلى مجاوزة لكل واحد من جزئياته ، ففصل علامة لذلك .

(١) سورة الأعراف ١٥٠ : ﴿قال ابن أمّ إنّ القوم استضعفوني﴾ .

(٢) سورة طه ٩٤ : ﴿قال يا بنوم لا تأخذ بيحيتي ولا برأسي﴾ .

(٣) كذا في ط ، م . وفي ت : « قريب » .

(٤) سورة الأعراف ١٦٦ .

وكذلك : ﴿ مِنْ مَّا ﴾ ثلاثة أحرف مفصولة لا غير :

في النساء : ﴿ مِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ ^(١) . وفي الروم : ﴿ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ ^(٢) . وفي المنافقين : ﴿ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ ^(٣) .

وحرف « ما » في هذه كلها مقسم في الوجود بأقسام ^(٤) منفصلة غير متساوية في الأحكام ، وهي بخلاف قوله : ﴿ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ ^(٥) ؛ فإنها وإن كان تحتها أقسام كثيرة فهي غير مختلفة في وصفها بكتب أيديهم ؛ فهو نوع واحد يقال على معنى واحد من تلك الجهة هو في إفراده بالسوية .

وكذلك : « أَمْ مَنْ » بالفصل ، أربعة أحرف لا غير :

في النساء : ﴿ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ ^(٦) . وفي التوبة : ﴿ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ ﴾ ^(٧) . وفي الصافات : ﴿ أَمْ مَنْ خَلَقْنَا ﴾ ^(٨) . وفي السجدة : ﴿ أَمْ مَنْ يَأْتِيَنِي ﴾ ^(٩) .

فهذه الأربعة الأحرف « مَنْ » فيها تقسم في الوجود بأنواع مختلفة في الأحكام بخلاف غيرها ، مثل : ﴿ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي ﴾ ^(١٠) ، فهذا موصول ؛ لأنه من نوع واحد حيث يَمْشِي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . وكذا : ﴿ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا ﴾ ^(١١) ؛ لا تفاصيل تحتها في الوجود .

(٢) سورة الروم ٢٨

(٤) ت : « بأنواع »

(٦) سورة النساء ١٠٩

(٨) سورة الصافات ٣

(١٠) سورة الملك ٢٢

(١) سورة النساء ٢٥

(٣) سورة المنافقون ١٠

(٥) سورة البقرة ٧٩

(٧) سورة التوبة ١٠٩

(٩) سورة فصلت ٤٠

(١١) سورة النمل ٦١

وكذلك : ﴿ عَنْ مَنْ ﴾ مفصول :

حرفان في النور : ﴿ عَنْ مَنْ يَشَاءُ ﴾ ^(١) ، وفي النجم : ﴿ عَنْ مَنْ تَوَلَّى ﴾ ^(٢) ، حرف « مَنْ » فيهما كلّي وحرف « عَنْ » للمجاوزة ، والمجاوزة عن الكلّي بمجاوزة لجميع جزئياته دون العكس ؛ فلا وصلة بين الجزأين ^(٣) في الوجود فلا يوصلان في الخط .

وكذلك « مَنْ » موصول ^(٤) كله لأن « مَنْ » بفتح الميم جزئى بالنسبة إلى « ما » ، فمعناه « أَزِيدُ » من جهة المفهوم ، ومعنى « ما » أزيد من جهة العموم ، والزائد من جهة المفهوم منفصل وجودا بالخصص ، والخصّة منه لا تنفصل ، والزائد من جهة المفهوم لا ينفصل وجودا .

وكذلك : ﴿ وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ ﴾ ^(٥) في سورة الرعد ، فردة مفصولة ، ظهر فيها حرف الشرط في الخط لوجهين : أحدهما أَنَّ الجواب المرتب عليه بالفاء ظاهر في موطن الدنيا ، وهو البلاغ ^(٦) ؛ بخلاف قوله : ﴿ فَإِنَّمَا نُرِيَنَّكَ ﴾ ^(٧) فإنه أخفى فيه حرف الشرط في الخط لأنَّ الجواب المرتب عليه بالفاء خفي عَنَّا ، وهو الرجوع ^(٨) إلى الله . والثاني أَنَّ القصة الأولى منفصلة من الشرط وجوابه ، وانقسم ^(٩) الجواب إلى جزأين : أحدهما الترتيب بالفاء وهو البلاغ ، والثاني المعطوف عليه وهو الحساب . وأحدهما في الدنيا ، والآخر في الآخرة . والأول ظاهر لنا ، والثاني خفي عَنَّا .

وهذا الانقسام صحيح في الوجود ، فقد انقسمت هذه الشرطية إلى شرطين ، لانفصال

(٢) سورة النجم ٢٩ .

(٤) م : « متصل »

(٦) من بقية الآية : ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ﴾ .

(٩) ت : « والقسم » تحريف .

(١) سورة النور ٤٣

(٣) ت : « الحرفين » .

(٥) سورة الرعد ٤٠

(٧) سورة غافر ٧٧

(٨) من بقية الآية : ﴿ فَإِنَّمَا يُرْجَعُونَ ﴾ .

جوابها إلى قسمين متغايرين ، ففصل حرف الشرط علامة لذلك ، وإذا انفصلت لزم كُتبه على الوقف ، والشرطية الأخرى لا تنفصل ، بل هي واحدة لا يجاد جوابها ، فانفصال^(١) حرف الشرط علامة لذلك .

وكذلك : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ ﴾^(٢) فرد في القصص ثابت النون ، وفي هود : ﴿ فَإِلَّا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ ﴾^(٣) فرد بغير نون ؛ أظهر حرف الشرط في الأول لأن جوابه المترتب عليه بالفاء هو ﴿ فَأَعْلَمَ ﴾^(٤) متعلق بشيء ملكوتي ظاهر ، سفل ؛ وهو اتباعهم أهواءهم^(٥) ، وأخفى في الثاني لأن جوابه المترتب عليه بالفاء هو علم متعلق بشيء ملكوتي خفي ، علوي وهو إنزال القرآن بالعلم والتوحيد^(٥) .

ومن ذلك : « أن لن » كله مفصول إلا حرفان : ﴿ أَلَنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴾^(٦) في الكهف : ﴿ أَلَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ ﴾^(٧) في القيامة سقطت النون منهما في الخط تنبيها على أن مازعموا وحسبوا هو باطل في الوجود وحكم باليس بمعلوم نسبوه إلى الحى القيوم ، فأدغم حرف توكيدهم الكاذب في حرف النفي السالب هو ، بخلاف قوله : ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا ﴾^(٨) ، فهؤلاء لم ينسبوا ذلك لفاعل ؛ إذ ركب الفعل لما لم يسم فاعله ، وأقيموا فيه مقام الفاعل ، فمدّم بعنهم تصوّروه من أنفسهم ، وحكموا به عليها توها ، فهو كاذب من حيث حكموا به على مستقبل الآخرة ، ولكونه حقا بالنسبة إلى دار الدنيا الظاهرة ثبت التوكيد ظاهرا وأدغم في حرف النفي من حيث الفعل المستقبل الذى هو فيه كاذب .

(١) ت : « فصل » .

(٢) سورة القصص ٥٠

(٣) سورة هود ١٤

(٤) يشير إلى بقية الآية : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّمَا يُتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ .

(٥) يشير إلى بقية الآية : ﴿ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ .

(٦) سورة القيامة ٣

(٧) سورة الكهف ٤٨

(٨) سورة النباين ٧

ومن ذلك كل ما في القرآن « أن لا » فهو موصول إلا عشرة مواضع فهي مفصولة ، تكتب النون فيها بانفصال ، وذلك حيث ظهر في الوجود صحة تأكيد القضية ولزومها :

أولها في الأعراف : ﴿ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ ﴾ ^(١) ، و ﴿ وَأَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ ﴾ ^(٢) .

و ﴿ أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ ﴾ ^(٣) في التوبة .

﴿ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ ^(٤) ، و ﴿ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّي أَخَافُ ﴾ ^(٥) في هود .

و ﴿ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا ﴾ ^(٦) في الحج .

و ﴿ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ﴾ ^(٧) في يس .

و ﴿ أَنْ لَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ ﴾ في الدخان ^(٨) .

و ﴿ أَنْ لَا بُشْرَ لَكُمْ بِاللَّهِ شَيْئًا ﴾ ^(٩) في المتحنة .

و ﴿ أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا ﴾ ^(١٠) في القلم .

وواحد فيه خلاف ﴿ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ﴾ ^(١١) في الأنبياء .

فتأمل كيف صح في الوجود هذا التوكيد الأخير ، فلم يدخلها عليهم مسكين على غير ما قصدوا وتخيلوا فيه .

(٢) سورة التوبة ١١٨ .

(٤) سورة الحج ٢٦ .

(٦) سورة الدخان ١٩ .

(١) سورة الأعراف ١٠٥ ، ١٦٩ .

(٣) سورة هود ١٤ ، ٢٦ .

(٥) سورة يس ٦٠ .

(٧) سورة المتحنة ١٢ .

(٨) سورة القلم ٢٤ والآية بتمامها : ﴿ أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴾ .

(٩) سورة الأنبياء ٨٧ .

وكذلك لام التعريف المدغمة في اللفظ في مثلها أو غيرها ، لما كانت للتعريف -
 وشأنُ المَعْرِفِ أن يكونَ أبينَ وأظهرَ ، لا أخفى وأسترَ - ظهرت ^(١) في الخط ، ووصلت
 بالكلمة ؛ لأنها صارت جزءاً منها من حيث هي معرفة بها ، هذا هو الأصل ، وقد حذف
 حيث يخفى معنى الكلمة مثل « اليل » فإنه بمعنى مظلم لا يوضح الأشياء بل يسترها
 ويخفيها ، وكونه واحداً إما للجزئي أو للجنس فأخفى حرف تعريفه في مثله ، فإن تعين
 للجزئي بالتأنيث رُجِعَ إلى الأصل . ومثل « الذي » و « التي » وتثنيتهما وجمعهما ؛ فإنه
 مُبْهِمٌ في المعنى والسكْم ؛ لأن أول حذو للجزئي وللجنس وكثيره للثلاث أو غيرها ؛ ففيه ظلمة
 الجهل كالليل . ومثل « التي » ^(٢) في الإيجاب ، فإن لام التعريف دخلت على « لا » النافية
 وفيها ظلمة العدم كالليل ، ففي هذه الظلمات الثلاث يُخْفَى حرف التعريف .

وكذلك « الأيكة » نقلت حركة همزتها على لام التعريف وسقطت همزة الوصل
 لتحريك اللام ، وحذفت ألف عضد الهمزة ووصل اللام ، فاجتمعت الكلمتان ، فصارت
 « لَيْكَة » علامة على اختصار وتلخيص وجمع في المعنى ؛ وذلك في حرفين : أحدهما في
 الشعراء ^(٣) جمع فيه قصتهم مختصرة وموجزة في غاية البيان ، وجعلها جملة ؛ فهي آخر قصة
 في السورة بدليل قوله : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ﴾ ^(٤) فأفردوا ، والثاني في ص ^(٥) ، جمع الأمم
 فيها بألقابهم وجعلهم جهة واحدة ، هم آخر أمة فيها ، ووصف الجملة ، قال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ
 الْأَحْزَابُ ﴾ ، وليس الأحزاب وصفاً لكل منهم ؛ بل هو وصفٌ لجميعهم .

(١) ط : « أظهرت » ، بالبناء للمجهول .

(٢) في الأصول : « إلا » ؛ واظن المقصود ٧٢ .

(٣) سورة الشعراء ١٧٦ : ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ .

(٤) سورة الشعراء ١٩٠ .

(٥) سورة ص ١٣ : ﴿ وَنُمُودَ وَقَوْمَ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ﴾ .

وجاء بالانفصال على الأصل حرفان نظير هذين الحرفين : أحدهما في الحجر : ﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لظَّالِمِينَ﴾^(١) أفردهم بالذكر والوصف . والثاني في ق : ﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾^(٢) ، جُمعوا فيه مع غيرهم ، ثم حكم على كلٍّ منهم لاعلى الجملة ، قال تعالى : ﴿كُلُّ كَذِبٍ رِشْلٌ﴾^(٣) ، فحيث يعتبر فيهم التفضيل فصل لام التعريف ، وحيث يعتبر فيهم التوصيل وصل للتخفيف .

وكذلك : ﴿لَتَتَّخِذَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾^(٤) ، حذفت الألف ووصلت ، لأن العمل في الجدار قد حصل في الوجود ، فلزم عليه الأجر ، واتصل به حكماً ، بخلاف : ﴿لَا تَتَّخِذُوا خَلِيلًا﴾^(٥) ليس فيه صلة الزوم .

فصل

في حروف متقاربة تختلف في اللفظ

لاختلاف المعنى

مثل : ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾^(٦) ، ﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً﴾^(٧) .
﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(٨) ، ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ﴾^(٩) ، فبالسين السعة^(١٠) الجزئية كذلك علة التقييد ، وبالصاد السعة^(١١) الكلية ؛ بدليل علو معنى

- | | |
|-------------------------------------|---------------------|
| (١) سورة الحجر ٧٨ | (٢) سورة ق ١٤ |
| (٣) سورة الكهف ٧٧ | (٤) سورة الإسراء ٧٣ |
| (٥) سورة البقرة ٢٤٧ | (٦) سورة الأعراف ٦٩ |
| (٧) سورة الرعد ٢٦ | (٨) سورة البقرة ٢٤٥ |
| (٩) في الأصول : « السعة » ، تحريف . | |

الإطلاق ، وعلو الصاد مع الجهازة والإطباق .

وكذلك : ﴿ قَاتُوا بِسُورَةٍ ﴾ ^(١) ، ﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ ﴾ ^(٢) .

﴿ فَضْرَبَ بَيْنَهُمُ يَسُورٍ ﴾ ^(٣) ، ﴿ وَتُفْخِخَ فِي الصُّورِ ﴾ ^(٤) ، فبالسين ما يحصر الشيء خارجا عنه ، وبالصاد ما تضمنه منه .

وكذلك : ﴿ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ ﴾ ^(٥) ، ﴿ وَكَانُوا يُصِرُّونَ ﴾ ^(٦) ، فبالسين من السر ، وبالصاد من التمدى .

وكذلك : ﴿ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ ﴾ ^(٧) و ﴿ مِنَّا يُضْحَبُونَ ﴾ ^(٨) ، فبالسين من الجر ، وبالصاد من الصلبة .

وكذلك : ﴿ نَخْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمُ ﴾ ^(٩) و ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا ﴾ ^(١٠) ، بالسين تفريق الأرزاق والإنعام ، وبالصاد تفريق الإهلاك والإعدام .

وكذلك : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ . إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ ^(١١) ، بالصاد منعمة بما تشبهه الأنفس ، وبالطاء منعمة بما تلذ الأعين . وهذا الباب كثير ، يكفي فيه اليسير .

فصل

[في كتابة فواتح السور]

كتبوا « الم » و « المآر » و « المآر » موصولا .

(١) سورة البقرة ٢٣	(٢) سورة الانطار ٨
(٣) سورة الحديد ١٣	(٤) سورة يس ٥١
(٥) سورة هود ٥ ، ٢٠	(٦) سورة الواقعة ٤٦
(٧) سورة القمر ٣٨	(٨) سورة الأنبياء ٤٣
(٩) سورة الزخرف ٣٢	(١٠) سورة الأنبياء ١١
(١١) سورة القيامة ٢٢ ، ٢٣ .	

إن قيل : لم وصلوه والمجاء مقطع لا ينبغي وصله ؛ لأنه لو قيل لك : ما هجاء «زید» ؟
قلت : زای ، یاء ، دال ، وتكتبه مقطعا ، لتفرق بين هجاء الحروف وقراءته ؟
قيل : إنما وصلوه لأنه ليس هجاء لاسم معروف ؛ وإنما هي حروف اجتمعت ، يراد
بكل حرف فيها معنى .

فإن قيل : لم قطعوا «حم عسق» ولم يقطعوا «الأم» ، و «كهيعص» ؟
قيل : «حم» قد جرت في أوائل سبع سور ، فصارت اسما للسور ، فقطعت
مما قبلها .

وجوزوا في : ﴿قَ وَالْقُرْآنِ﴾ و ﴿صَ وَالْقُرْآنِ﴾ وجهين : من جزمهما فهما حرفان ،
ومن كسر آخرهما فعلى أنه أمر كتب على لفظهما .

النوع السادس والعشرون معرفته فضائله

وقد صنف فيه أبو بكر بن أبي شيبة ، وأبو عبيد القاسم بن سلام ، والنسائي وغيرهم . وقد صح فيه أحاديث باعتبار الجملة ، وفي بعض السور بالتعيين . وأما حديث أبي بن كعب رضي الله عنه في فضيلة سورة سورة ، فحديث موضوع .

قال ابن الصلاح : ولقد أخطأ الواحدى المفسرون من ذكره من المفسرين في إيداعه تفاسيرهم .

قلت : وكذلك الثعلبي ، لكنهم ذكروه بإسناد ، فاللوم عليهم يقل بخلاف من ذكره بلا إسناد وجزم به كالزنجشري فإن خطاه أشد .

وعن نوح بن أبي مريم أنه قيل له : من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة ؟ فقال : إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقاه أبي حنيفة ومغازي محمد بن اسحاق ، فوضعت هذه الأحاديث حسبة .

ثم قد جرت عادة المفسرين من ذكر الفضائل أن يذكروها في أول كل سورة لما فيها من الترغيب والحث على حفظها إلا الزنجشري فإنه يذكروها في أواخرها .

قال مجد الأئمة عبد الرحيم بن عمر الكرماني : سألت الزنجشري عن العلة في ذلك فقال : لأنها صفات لها ، والصفة تستدعي تقديم الموصوف .

وقد روى البخاري رحمه الله حديث « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » . وروى أصحاب السنن في حديث إلهي : « من شغله القرآن عن ذكرى ومسألتي أعطيته أفضل » .

ما أعطى السائلين . و « فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه » . وقال عليه السلام : « ما تقرّب العباد إلى الله بمثل ما خرج منه » قال أبو النضر : يعنى القرآن . وروى أحمد من حديث أنس رضى الله عنه : « أهل القرآن هم أهل الله وخاصته » . وروى مسلم^(١) من حديث عمر رضى الله عنه : « إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين » . وقدّم صلى الله عليه وسلم فى قتلى أحد فى القبرأكثرهم قرآنا .

(١) فى كتاب صلاة المسافرين وقصرها ١ : ٥٥٩ .

النوع السابع والعشرون معرفته خواصه

وقد صنّف فيه جماعة منهم التيميّ، وأبو حامد الغزاليّ . قال بعضهم : وهذه الحروف التي في أوائل السور جعلها الله تعالى حفظاً للقرآن من الزيادة والنقصان ؛ قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ^(١) .

وذكر بعضهم أنه وقف على أنّ عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه كان يكتبها على ما يريد حفظه من الأموال والمتاع ، فيحفظ .

وأخبر رجل من أهل الموصل قال : كان الكيّ المهراسيّ ^(٢) الإمام رحمه الله إذا ركب في رحلة يقول هذه الحروف التي في أوائل السور ، فمثل عن ذلك فقال : ما جعل ذلك في موضع أو كتب في شيء إلا حفظت أليها وماله ، وأمين في نفسه من التلف والفرق . وحكى عن الشافعيّ رحمه الله أنه شكّا إليه رجل رمداً ، فكتب إليه في رقعة : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ . ﴿ فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ ^(٣) . ﴿ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ﴾ ^(٤) ؛ فعلق الرجل ذلك عليه فبرأ .

وكان سفيان الثوريّ يكتب للمطلقة رقعة تعلق على قلبها : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾ ^(٥) .

(١) سورة الحجر ٩ .

(٢) هو أبو الحسن علي بن محمد الطبري أحد فقهاء الشافعية ، وصاحب كتاب أحكام القرآن . توفي

سنة ٥٠٤ (ابن خلكان ١ : ٣٢٧) .

(٤) سورة فصلت ٤٤ .

(٣) سورة ق ٢٢

(٥) سورة الانشقاق ١ - ٤

وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ . وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ . وَأَلْقَتْ . ﴿فَأَخْرُجْ مِنْهَا﴾ ^(١) . ﴿فَفَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ ^(٢) .

وروى ابن قتيبة قال : كان رجل من الصالحين يحب الصلاة بالليل وتنفل عليه ، فشكا ذلك لبعض الصالحين فقال : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي﴾ ^(٣) إلى قوله ﴿مَدَدًا﴾ ^(٤) ، ثم أضمر . في أى وقت أضمرت فإنك تقوم فيه ، قال : ففعلت ففعلت في الوقت المعين .

قال الغزالي : وكان بعض الصالحين في أصبهان أصابه عسر البول ، فكتب في صحيفة : البسمة ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا . فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا﴾ ^(٥) . ﴿وَحِلَّتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ ^(٦) . ﴿دَكَا دَكَا﴾ ^(٧) ، وألقى عليه الماعوش به فيستر عليه البول ، وألقى الحمى .

وحكى الثعلبي في تفسيره أن قوله تعالى : ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ^(٨) يُكْتَبُ على كاغد ، ويوضع على شِقِّ الضرس الوجع ، يبرأ بإذن الله تعالى .

ويحكى أن الشيخ أبا القاسم القشيري رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : مالي أراك محزوناً ؟ فقال : ولدي قد مرض ، واشتد عليه الحال ، فقال له : أين أنت عن آيات الشفاء : ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ ^(٩) . ﴿وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ ^(١٠) . ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ

(٢) سورة القصص ٧٩ .

(٥) سورة الحاقة ١٤

(٧) سورة الأنعام ٦٧

(٩) سورة يونس ٥٧

(١) سورة الحجر ٣٤

(٣) سورة الكهف ١٠٩

(٤) سورة الواقعة ٥ ، ٦

(٦) سورة الفجر ٢١

(٨) سورة التوبة ١٤

يَتَفَكَّرُونَ ﴿١﴾ . ﴿وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ . ﴿٢﴾ . وَإِذَا
مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٣﴾ . ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً﴾ ﴿٤﴾ . اقرأ هذه الآيات
عليه ثلاث مرات فبرأ .

وحكى ابن الجوزى عن ابن ناصر عن شيوخه عن ميمونة بنت شاقولة البغدادية (٥)
رضى الله عنها قالت : آذانا جار لنا ، فصليت ركعتين ، وقرأت من فاتحة كل سورة آية
حتى ختمت القرآن ، وقلت : اللهم اكفنا أمره ، ثم نمت وفتحت عيني ؛ وإذا به قد نزل
وقت السحر فزلت قدمه ، فسقط ومات .

وحكى عن ابنها أنه كان في دارها حائط له جوف ، فقالت : هات رقعة ودواة ،
فناولتها ، فكتبت في الرقعة شيئاً ، وقالت : دعه في ثقب منه ، ففعلت ، فبقي نحو من
عشرين سنة ، فلما ماتت ذكرت ذلك القرطاس ، فقلت فأخذته فوقع الحائط ، فإذا
في الرقعة : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُنْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ (٦) ، ياممسك السموات
والأرض ، أمسكه .

تنبيه

هذا النوع والذي قبله لن ينتفع به إلا من أخلص لله قلبه ونيتته ، وتدبر الكتاب
في عقله وسمعه ، وعمر به قلبه ، وأعمل به جوارحه ، وجعله سميماً في ليله ونهاره ، وتمسك
به وتدبره . هنالك تأتيه الحقائق من كل جانب ؛ وإن لم يكن بهذه الصفة كان فعله

(٢) سورة الإسراء ٨٢

(٤) سورة فصلت ٤٤

(١) سورة النحل ٦٩

(٣) سورة الشعراء ٨٠

(٥) من التعبدات (وانظر التاج) .

(٦) سورة فاطر ٤١

مكذِّباً لقوله ؛ كما رُوي أن عارفا وقعت له واقعة ، فقال له صديق له : نستعين بفلان فقال : أخشى أن تبطل صلاتي التي تقدمت هذا الأمر ، وقد صليتها . قال صديقه : وأين هذا من هذا ؟ قال : لأنني قلت في الصلاة : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ^(١) فإن استعنتُ بغيره كذبت ، والكذب في الصلاة يبطلها ، وكذلك الاستعاذة من الشيطان الرجيم لا تكون إلا مع تحقق العداوة ، فإذا قبل إشارة الشيطان واستنصحه فقد كذب قوله ، فبطل ذكره .

النوع الثامن والعشرون هل في القرآن شيء أفضل من شيء

وقد اختلف الناس في ذلك ، فذهب الشيخ أبو الحسن الأشعري ، والقاضي أبو بكر ، وأبو حاتم بن حبان وغيرهم إلى أنه لا فضل لبعض على بعض ؛ لأن الكل ^(١) كلام الله ، وكذلك أسماءه تعالى لا تفاضل بينها . وروى معناه عن مالك ؛ قال يحيى بن يحيى تفضيل بعض القرآن على بعض خطأ ، وكذلك كره مالك أن تعاد سورة أو تردّد دون غيرها ، واحتجوا بأنّ الأفضل يشعر بنقص المفضول ، وكلام الله حقيقة واحدة لا نقص فيه .

قال ابن حبان في حديث أبي بن كعب رضى الله عنه : « ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل مثل أم القرآن ، إن الله لا يعطى لقارئ التوراة والإنجيل من الثواب مثل ما يعطى لقارئ أم القرآن إذ الله بفضله فضل هذه الأمة على غيرها من الأمم ، وأعطاه من الفضل على قراءة كلامه أكثر مما أعطى غيرها من الفضل على قراءة كلامه » . قال : وقوله : أعظم سورة ، أراد به في الأجر ، لا أن بعض القرآن أفضل من بعض .

وقال قوم بالتفضيل لظواهر الأحاديث ، ثم اختلفوا فقال بعضهم : الفضل راجع إلى عظم الأجر ومضاعفة الثواب بحسب انفعالات النفس وخشيتها وتدبرها وتفكرها عند ورود أوصاف العلا ، وقيل بل يرجع لذات اللفظ ، وأن ما تضمنه قوله تعالى : ﴿ وَالْهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ ^(٢) وآية الكرسي وآخر سورة الحشر ، وسورة الإخلاص من الدلالات على وحدانيته وصفاته ، ليس موجودا منلا في ﴿ تَبَّتْ يَدَا

(١) ت : « الكلام » .

(٢) سورة البقرة ١٦٣

أَبِي لَهَبٍ ^(١) وما كان مثلها فالتفضيل إنما هو بالمعاني العجيبة وكثرتها؛ لامن حيث الصفة، وهذا هو الحق.

وتمن قال بالتفضيل إسحاق بن راهويه وغيره من العلماء.

وتوسط الشيخ عز الدين فقال: كلامُ الله في الله أفضلُ من كلام الله في غيره، ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ أفضل من ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾، وعلى ذلك بنى الغزالي كتابه المسمى بجواهر القرآن، واختاره القاضي أبو بكر بن العربي لحديث أبي سعيد بن المعلّى في صحيح البخاري: «إني لأعظم سورة هي أعظم السور في القرآن، قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾». ولحديث أبي بن كعب في الصحيحين قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم: أى آية في كتاب الله أعظم؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: يا أبى، أتدرى أى آية في كتاب الله أعظم؟ قال: قلت: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ ^(٢)، قال: فضرب في صدرى وقال: ليهنك العلم أبا المنذر.

وأخرج الحاكم في مستدركه بسند صحيح عن أبي هريرة: «سيّدة آى القرآن آية الكرسي».

وفى الترمذى غريبا عنه مرفوعا: «لكل شىء سنام، وإن سنام القرآن سورة البقرة فيها آية الكرسي».

وروى ابن عيينة فى جامعہ عن أبى صالح عنه: «فہا آية الكرسيّ وهى سنام آى القرآن ولا تقرأ فى دار فيها شيطان إلا خرج منها»؛ وهذا لا يعارض ما قبله بأفضلية الفاتحة، لأن تلك باعتبار السور وهذه باعتبار الآيات.

وقال القاضي شمس الدين الخوئى: كلام الله أبلغ من كلام الخلقين، وهل يجوز

أن يقال بعض كلامه أبلغ من بعض ؟ جوزه بعضهم لتقصور نظرهم . وينبغي أن يعلم أن معنى قول القائل : هذا الكلام أبلغ من هذا الكلام أن هذا في موضعه له حُسْن و لطف ، وذلك في موضعه له حسن و لطف ، وهذا الحسنُ في موضعه أكلُ من ذاك في موضعه . فإن من قال : **إِنَّ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾** ^(١) أبلغُ من **﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾** ^(٢) يجعل المقابلة بين ذكر الله وذكر أبي لهب ، وبين التوحيد والدعاء على الكافرين ، وذلك غير صحيح ، بل ينبغي أن يقال : **﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾** دعاء عليه بالخسران ، فهل توجد عبارة للدعاء بالخسران أحسن من هذه ! وكذلك في **﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾** ^(١) لا توجدُ عبارة تدلُّ على الوجدانية أبلغ منها ، فالعالم إذا نظر إلى **﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾** ^(٢) في باب الدعاء بالخسران ، ونظر إلى **﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾** ^(١) في باب التوحيد لا يمكنه أن يقول : أحدهما أبلغ من الآخر ، وهذا القيد يَفُكُلُ عنه بعضُ من لا يكون عنده علم البيان .

قلت : ولعل الخلافَ في هذه المسألة يُلَفَّتُ عن الخلاف المشهور إن كلام الله شيء واحد أولاً ؛ عند الأشعرى أنه لا يتنوع في ذاته ، إنما هو بحسب متعلقاته .

فإن قيل : فقد قال تعالى : **﴿ فِيهِ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾** ^(٣) ، فجعله شيئين ، وأنتم تقولون بعلمه ، وأنه صفة واحدة ؟

قلنا : من حيث أنه كلامُ الله لا مزيةَ لشيء منه على شيء . ثم قولنا : « شيء منه » يوم التبويض ، وليس لكلام الله الذي هو صفته بعض ، ولكن بالتأويل والتفسير وفهم السامعين اشتمل على جميع أنواع الخطابات ، ولولا تنزله في هذه المواقع لما وصلنا إلى فهم شيء منه .

(٢) سورة اللهب ١ .

(١) سورة الإخلاص ١

(٣) سورة آل عمران ٧

وقال الحلبي^(١) : قد ذكرنا أخبارا تدلُّ على جواز المفاضلة بين السُّور والآيات .
وقال الله تعالى : ﴿ نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ﴾^(٢) ؛ ومعنى ذلك يرجع إلى أشياء :
أحدها أن تكون آيتا عمل ثابتتان في التلاوة ؛ إلا أن إحداها منسوخة والأخرى
ناسخة ، فنقول : إن الناسخ خيرٌ ، أى أن العملَ بها أولى بالناس وأعوذُ عليهم ، وعلى هذا
فيقال : آياتُ الأمر والنهى والوعد والوعيد خيرٌ من آيات القصص لأن القصص إنما أريد
بها تأكيد الأمر والنهى والتبشير ، ولا يغنى بالناس عن هذه الأمور ، وقد يستغنون
عن القصص ، فكل ما هو أعوذُ عليهم وأنفعُ لهم مما يجرى مجرى الأصول خيرٌ لهم مما
يحصل تبعاً لما لا بدَّ منه .

والثاني أن يقال : إن الآيات التي تشتمل على تعديد أسماء الله تعالى وبيان صفاته
والدلالة على عظمته وقديسيته أفضلُ أو خيرٌ ؛ بمعنى أن مخبراتها أسنى وأجلُّ قدراً .
والثالث أن يقال : سورةٌ خيرٌ من سورة ، أو آيةٌ خيرٌ من آية ؛ بمعنى أن القارىء
يتعجلُ بقراءتها فائدةً سوى الثواب الآجل ، ويتأذى منه بتلاوتها عبادةً ، كقراءة آية
الكرسى ، وسورة الإخلاص ، والمعوذتين ؛ فإن قارئها يتعجلُ بقراءتها الاحتراز مما
يُخشى ، والاعتصام بالله جل ثناؤه ، ويتأذى بتلاوتها منه لله تعالى عبادةً ، لما فيها من
ذكر اسم الله تعالى جده بالصفات العُلا على سبيل الاعتقاد لها وسكون النفس إلى
فضل الذكر وبركته ؛ فأما آياتُ الحكم فلا يقع بنفس تلاوتها إقامة حكم ، وإنما
يقع بها علم .

قال : ثم لو قيل في الجملة : إن القرآن خيرٌ من التوراة والإنجيل والزمور ، بمعنى أن
التعبد بالتلاوة والعمل واقع به دونها ، والثواب يحسب بقراءته لا بقراءتها ، أو أنه من

(١) الحلبي ، بفتح الحاء ؛ وهو أبو عبد الله حسن بن الحسن الحلبي الشافعي صاحب التهاج على شغب
الإيمان التوفي سنة ٤٠٣ . وانظر كشف الظنون (٢) سورة البقرة ١٠٦

حيث الإعجاز حجة النبي المبعوث ، وتلك الكتب لم تكن معجزة ، ولا كانت حجج أولئك الأنبياء بل كانت دعوتهم والحجج غيرها ؛ وكان ذلك أيضا نظير ما مضى .

وقد يقال : إن سورة أفضل من سورة ؛ لأن الله تعالى اعتد قراءتها كقراءة أضعافها مما سواها ، وأوجب بها من الثواب ما لم يوجب بغيرها ، وإن كان المعنى الذى لأجله بلغ بها هذا المقدار لا يظهر لنا ، كما يقال : إن قوماً أفضل من قوم ، وشهراً أفضل من شهر ؛ بمعنى أن العبادة فيه تفضل على العبادة فى غيره ، والذنب يكون أعظم من الذنب منه فى غيره . وكما يقال : إن الحرم أفضل من الحِلّ ، لأنه يُتأذى فيه من المناسك ما لا يتأذى فى غيره ، والصلاة فيه تكون كصلاة مضاعفة مما تقام فى غيره . والله أعلم .

فصل

[فى أعظمية آية الكرسي]

قال ابن العربى : إنما صارت آية الكرسي أعظم لعظم مقتضاها ، فإن الشئ إنما يشرف بشرف ذاته ومقتضاه ومتعلقاته ، وهى فى آى القرآن كقل هو الله أحد فى سورة ، إلا أن سورة الإخلاص تفضلها بوجهين : أحدهما أنها سورة وهذه آية ، فالسورة أعظم من الآية ، لأنه وقع التحدى بها ، فهى أفضل من الآية التى لم يتحد بها . والثانى أن سورة الإخلاص اقتضت التوحيد فى خمسة عشر حرفاً وآية الكرسي اقتضت التوحيد فى خمسين حرفاً ، فظهرت القدرة فى الإعجاز بوضع معنى معبر عنه ، مكتوب مددّه السبعة الأبحر ، لا ينفد ، عدد حروفه خمسون كلمة ، ثم يعبر عن معنى الخمسين كلمة خمسة عشر كلمة وذلك كله بيان لعظم القدرة والانفراد بالوحدانية .

وقال أبو العباس أحمد بن النير المالكى : كان جدى رحمه الله يقول : اشتملت آية الكرسي على ما لم يشتمل عليه أسم من أسماء الله تعالى ؛ وذلك أنها مشتملة على سبعة عشر

موضعا فيها أسم الله ظاهرا في بعضها ، ومستكنّا في بعض ؛ ويظهر للكثير من العادين فيها ستة عشر إلّا على حاد البصيرة لدقة استخراجها : ١ - الله ، ٢ - هو ، ٣ - الحى ، ٤ - القيوم ، ٥ - ضمير « لا تأخذه » ، ٦ - ضمير « له » ، ٧ - ضمير « عنده » ، ٨ - ضمير « إلّا بإذنه » ، ٩ - ضمير « يعلم » ، ١٠ - ضمير « علمه » ، ١١ - ضمير « شاء » ، ١٢ - ضمير « كرسية » ، ١٣ - ضمير « يؤوده » ، ١٤ - وهو ، ١٥ - العلى ، ١٦ - العظيم . فهذه عدّة الأسماء .

وأما الخفى في الضمير الذى اشتمل عليه المصدر في قوله : « حفظهما » فإنه مصدر مضاف إلى المفعول ، وهو الضمير البارز ، ولا بدّ له من فاعل وهو والله ، ويظهر عند فكّ المصدر ، فتقول : ولا يؤوده أن يحفظهما هو .

قال : وكان الشيخ أبو عبد الله محمد بن أبى الفضل المرسى قد رام الزيادة على هذا العدد لما أخبرته عن الجّد ، فقال : يمكن أن تعدّ مافى الآية من الأسماء المشتقة كلّ واحد منها باثنين ، لأن كلّ واحد منها يحمل ضميرا ضرورة كونه مشتقا ، وذلك الضمير إنما يعود إلى الله وهو باعتبار ظهورها اسم ، وقد اشتملت على آخر مضمّر ، فتكون جملة العدد على هذا أحدا وعشرين اسما ، فأجريت معه وجها لطيفا ، وهو أن الاسم المشتق لا يحتل الضمير بعد صيرورته بالتسمية علما على الأصح ، وهذه الصفات كلّها أسماء الله تعالى . ثم ولو فرضناها محتملة للضماير بعد التسمية على سبيل التنزل ، فالمشتق إنما يقع على موصوفه باعتبار تحمّله ضميره ، ألا تراك إذا قلت : زيد كريم وجدت « كريما » إنما يقع على « زيد » لأن فيه ضميره ؛ حتى لو جردت النظر إليه لم تجده مختصا بزيد ، بل لك أن توقعه على كلّ موصوف بالكرم من الناس ، ولا تجده مختصا بزيد إلا باعتبار اشتماله على ضميره ، فليس المشتق إذا مستقلا بوقوعه على موصوفه إلا بضميمة الضمير إليه ، فلا يمكن أن تجعل له حكم الانفراد عن الضمير مع الحكم برجوعه إلى معين البتة . قال : فرضى عن هذا البحث وصوّبه .

وقال الغزالي في قوله صلى الله عليه وسلم : « إن لكل شيء قلبا ، وقلب القرآن يس » :
إن ذلك لأن الإيمان صحته بالاعتراف بالحشر والنشر ، وهو مقرر في هذه السورة بأبلغ وجه ،
فجعلت قلب القرآن لذلك . واستحسنه فخر الدين الرازي .

قال الجويني : سمعته يترحم عليه بسبب هذا الكلام .
وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : آل حم ديباج القرآن .
وقال ابن عباس : لكل شيء لباب ولباب القرآن آل حم - أو قال : الحواميم .
وقال مسعر بن كدام : كان يقال لهنّ العرائس .
وروى ذلك كله أبو عبيد في كتاب فضائل القرآن ^(١) .

وقال حميد بن زنجويه : حدثنا عبيد الله بن موسى حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق
عن أبي الأحوص عن عبد الله قال : إن مثل القرآن كمثل رجل انطلق يرتاد لأهله منزلا ،
فمرّ بأثر غيث ، فبينما هو يسير فيه ويتعجب منه إذ هبط على روضات دُمِثات ، فقال : عجبت
من الغيث الأول فهذا أعجب وأعجب ، فقليل له : إن مثل الغيث الأول مثل عظم القرآن ،
وإن مثل هذه الروضات الدُمِثات مثل آل حم في القرآن . أورده البغوى .

وروى أبو عبيد عن بعض السلف - منهم محمد بن سيرين - كراهة أن يقال : الحواميم ،
وإنما يقال : آل حم .

وفي الترمذي عن ابن عباس قال : قال أبو بكر رضى الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم :
يا رسول الله ، قد شبت ، قال : « شبتنى هود ، والواقعة ، والمرسلات ، وعم يتساءلون ،
وإذا الشمس كورت » . خصّ هذه السور بالشيب لأنهنّ أجمعُ لكيفية القيامة وأهوالها من

(١) كتاب فضائل القرآن لأبي عبيد ، باب فضل آل حم لوحة ٣١

غيرهن . ولهذا قال في حديث آخر : « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَرَى الْقِيَامَةَ رَأَى الْعَيْنَ فَلْيَقْرَأْ : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ » (١) .

وروى الترمذی من حديث ابن عباس ومن حديث أنس : « إِذَا زَلَزَلَتْ تَعْدِلُ نَصْفَ الْقُرْآنِ ، وَقُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ تَعْدِلُ رُبْعَهُ » . وقال : في كل منهما غريب .
• وقد تكلم ابن عبد البر على حديث : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ (٢) تعدل ثلث القرآن ، وحكى خلاف الناس فيه ، فقيل : لأنه سمع شخصا يكررها تكراراً من يقرأ ثلث القرآن . فخرج الجواب على هذا .

وفيه بعد عن ظاهر الحديث .

وقيل : لأن القرآن يشتمل على قصص وشرائع وصفات ، وقل هو الله أحد كلها صفات ، فكانت ثلثاً بهذا الاعتبار . واعترض على ذلك باستلزام كون آية الكرسي وآخر الحشر ثلث القرآن ولم يرد فيه .

وقيل : تعدل في الثواب ، وهو الذي يشهد لظاهر الحديث .

قلت : ضعف ابن عقيل هذا وقال : لا يجوز أن يكون المعنى فله أجر ثلث القرآن ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرَ حَسَنَاتٍ » .

ثم قال ابن عبد البر : على أني أقول : السكوت في هذه المسألة أفضل من الكلام فيها وأسلم ، ثم أسند إلى إسحاق بن منصور ، قلت لأحمد بن حنبل : قوله صلى الله عليه وسلم : « قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن » ما وجهه ؟ فلم يقم لي فيها على أمر . وقال لي إسحاق بن راهويه : معناه أن الله لما فضل كلامه على سائر الكلام جعل لبعضه أيضاً فضلاً

(١) سورة التكويد ١

(٢) سورة الإخلاص ١

في الثواب لمن قرأه تحريضا على تعلمه ؛ لا أن من قرأ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ^(١) ثلاث مرات كان كمن قرأ القرآن جميعه ، هذا لا يستقيم ولو قرأها مائتي مرة .

قال أبو عمرو : وهذان إمامان بالسنة ما قاما ولا قعدا في هذه المسألة .

قلت : وأحسن ما قيل فيه أن القرآن قسمان : خبر وإنشاء ، والخبر قسمان : خبر عن الخالق وخبر عن المخلوق ، فهذه ثلاثة أثلاث ، وسورة الإخلاص أخلصت الخبر عن الخالق ، فهي بهذا الاعتبار ثلث القرآن .

فائدة

[في أى آية في القرآن أرجى]

اختلف في أرجى آية في القرآن على بضعة عشر قولاً :

الأول : آية « الدين » ^(٢) وما أخذ به أن الله تعالى أرشد عباده إلى مصالحهم الدنيوية حتى انتهت العناية بمصالحهم إلى أن أمرهم بكتابة الدين الكبير والحقير ، فبمقتضى ذلك يُرجى عفو الله تعالى عنهم لظهور أمر العناية العظيمة بهم ، حتى في مصالحتهم الحقيرة .

الثاني : ﴿ وَلَا يَأْتِلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ ﴾ ^(٣) إلى قوله ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ ^(٣) ، وهذا رواه مسلم في الصحيح أثر حديث الإفك ، عن الإمام الجليل عبد الله بن المبارك .

الثالث : قال الشبلي في قوله تعالى : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ

(٢) سورة البقرة ٢٨٢ .

(١) سورة الاخلاص ١

(٣) سورة النور ٢٢ .

سَلَفَ ﴿^(١)﴾ ، فَاللهُ تَعَالَى لِمَا أَذِنَ الْكَافِرِينَ بِدُخُولِ الْبَابِ إِذَا أَتَوْا بِالتَّوْحِيدِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَرَاهُ يَخْرُجُ الدَّاحِلُ فِيهَا وَالْمَقِيمُ عَلَيْهَا !

الرابع : قوله تعالى : ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ ^(٢) .

الخامس : قوله : ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ ^(٣) .

السادس : قوله تعالى : ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَتَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ ^(٤) .

السابع قوله تعالى : ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَأْنِهِ﴾ ^(٥) .

الثامن قوله تعالى : ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ ^(٦) .

حكى هذه الأقوال الجليلة الأخيرة الشيخ محيى الدين فى رموس المسائل .

التاسع : رأيت فى مناقب الشافعى للإمام أبى محمد اسماعيل المروى صاحب الحاكم بإسناده عن ابن عبد الحكم ، قال : سألت الشافعى : أى آية أرجى ؟ قال : قوله تعالى : ﴿يَنْبِئُكُمْ دَا مَقْرَبَةٍ . أَوْ مَسْكِينًا دَا مَتْرَبَةٍ﴾ ^(٧) . قال : وسألته عن أرجى حديث للمؤمن ؟ قال : حديث : « إذا كان يوم القيامة يُدفع إلى كل مسلم رجلٌ من الكفار فيذهب به إلى النار » .

العاشر والحادى عشر : روى الحاكم فى مستدركه عن محمد بن المنكدر قال : التقى ابن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص ، فقال ابن عباس : أى آية فى كتاب الله أرجى عندك ؟ فقال عبد الله بن عمرو : ﴿يَا عِبَادِى الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ ^(٨) ، قال :

(٢) سورة سبأ ١٧ .

(٤) سورة الثورى ٣٠ .

(٦) سورة الضحى .

(٨) سورة الزمر ٥٣ .

(١) سورة الأنفال ٣٨ .

(٣) سورة طه ٤٨ .

(٥) سورة الإسراء ٨٤ .

(٧) سورة البلد ١٥ ، ١٦ .

لكن قول إبراهيم : ﴿ قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِيْطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ ^(١) هذا لما في الصدور من وسوسة الشيطان ، فرضى الله تعالى من إبراهيم بقوله : ﴿ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ ﴾ وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

وقال النحاس في سورة الأحقاف : ﴿ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ ^(٢) فقال : إن هذه الآية من أرجى آية في القرآن إلا أن ابن عباس قال : أرجى آية في القرآن : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ ﴾ ^(٣) .

وأما أخوف آية فعن الإمام أبي حنيفة أنه قال : هي قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ ^(٤) ولو قيل إنها ﴿ سَتَفْرُغُ أَلْكُمْ أَيْةَ النَّفْلِانِ ﴾ ^(٥) لكان له وجه ؛ ولهذا قال بعضهم : لو سمعت هذه الكلمة من خفير الحارة لم أنم .

(١) سورة البقرة ٢٦٠

(٢) سورة الرعد ٦

(٣) سورة الأحقاف ٣٥

(٤) سورة الرحمن ٣١

(٥) سورة آل عمران ١٣١

النوع التاسع والعشرون في آداب تلاوته وكيفيتها

^(١) اعلم أنه ينبغي لمخ موقع النعم على مَنْ عَلَّمَهُ اللهُ تعالى القرآن العظيم أو بمضه ، بكونه أعظم المعجزات ، لبقائه ببقاء دعوة الإسلام ، ولكونه صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين ، فالحجة بالقرآن العظيم قائمة على كلِّ عصر وزمان ، لأنه كلام رب العالمين ، وأشرف كتبه جلَّ وعلا ، فَلَيْسَ مَنْ عِنْدَهُ الْقُرْآنُ أَنَّ اللَّهَ أَنْعَمَ عَلَيْهِ نعمة عظيمة ، وليستحضر من أفعاله أن يكون القرآن حجة له لا عليه ؛ لأن القرآن مشتمل على طلب أمور ، والكف عن أمور ، وذكر أخبار قوم قامت عليهم الحجة فصاروا عبرة للمتبرين حين زاغوا فزأغ الله قلوبهم ، وأهلكوا لما عصوا ، وليحذر مَنْ علم حالهم أن يعصى ، فيصير مآله ما لم ؛ فإذا استحضر صاحب القرآن علو شأنه بكونه طريقا لكتاب الله تعالى ، وصدره مصحفا له انكففت نفسه عند التوفيق عن الرذائل ، وأقبلت على العمل الصالح المائل . وأكبر معين على ذلك حُسن ترتيله وتلاوته ^(٢) ، قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾ ^(٣) وقال تعالى : ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴾ ^(٤) ، لحق على كل أمرى مسلم قرأ القرآن أن يرتله ، وكال ترتيله تفخيم ألفاظه والإبانة عن حروفه ، والإفصاح لجميعه بالتدبر حتى يصل بكل ما بعده ،

(١ - ١) ساقط من ت .

(٢) سورة الإسراء ١٠٦ .

(٣) سورة الزمل ٣

وأن يسكت بين النَّفس والنَّفْس حتى يرجع إليه نَفْسُهُ ، وألّا يُدغم حرفاً في حرف ؛ لأن أقلّ ما في ذلك أن يُسقط من حسناته بعضها ، وينبغي للناس أن يرغبوا في تكثير حسناتهم ؛ فهذا الذي وصفت أقل ما يجب من الترتيل .

وقيل : أقلّ الترتيل أن يأتي بما يُبين ما يقرأ به ، وإن كان مستعجلاً في قراءته ، وأكمله أن يتوقف فيها ، ما لم يخرجها إلى التمديد والتعطيط ؛ فمن أراد أن يقرأ القرآن بكمال الترتيل فليقرأه على منازله ، فإن كان يقرأ تهديداً لفظاً^(١) به لفظ التهديد ، وإن كان يقرأ لفظ تعظيم لفظ به على التعظيم .

وينبغي أن يشغل قلبه في التفكير في معنى ما يلفظ بلسانه ، فيعرف من كل آية معناها ، ولا يجاوزها إلى غيرها حتى يعرف معناها ، فإذا مرّ به آية رحمة وقف عندها وفرح بما وعده الله تعالى منها ، واستبشر إلى ذلك ، وسأل الله برحمته الجنة . وإن قرأ آية عذاب وقف عندها ، وتأمل معناها ؛ فإن كانت في الكافرين^(٢) اعترف بالإيمان ، فقال : آمنا بالله وحده ، وعرف موضع التخويف ، ثم سأل الله تعالى أن يعيذه من النار .

وإن هو مرّ بآية فيها نداء للذين آمنوا فقال : « يا أيها الذين آمنوا » وقف عندها - وقد كان بعضهم : يقول لبيك ربّي وسعديك - ويتأمل ما بعدها ممّا^(٣) أمر به ونهى عنه ؛ فيعتقد قبول ذلك . فإن كان من الأمر الذي قد قصّر عنه فيما مضى اعتذر عن فعله في ذلك الوقت ، واستغفر ربه في تقصيره ، وذلك مثل قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾^(٤) .

وعلى كل أحد أن ينظر في أمر أهله في صلاتهم وصيامهم وأداء ما يلزمهم في طهاراتهم

(٢) م : « الكافرين » .

(٤) سورة التحريم ٦ .

(١) م : « يلفظ » .

(٣) م : « فيها » .

وجناباتهم ، وحيض النساء ونفاسهن . وعلى كلٍّ أحدٍ أن يتفقد ذلك في أهله ، ويراعيهم بمسألتهن عن ذلك ^(١) ، فمن كان منهم يحسن ذلك كانت مسألته تذكيرا له وتأكيدا لما في قلبه ، وإن كان لا يحسن كان ذلك تعالما له ، ثم هكذا يراعى صغار ولده ويعلمهم إذا بلغوا سبعا أو ثمان سنين ، ويضربهم إذا بلغوا العشر على ترك ذلك ؛ فمن كان من الناس قد قصر فيما مضى اعتقد قبوله والأخذ به فيما يستقبل ، وإن كان يفعل ذلك وقد عرفه فإنه ^(٢) إذا مر به تأمله وتفهمه .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا ﴾ ^(٣) ، فإذا قرأ هذه الآية تذكر أفعاله في نفسه وذنوبه فيما بينه وبين غيره من الظلمات والغيبية وغيرها ، ورد ظلامته ، وأستغفر من كل ذنب قصر في عمله ، ونوى أن يقوم بذلك ويستحل كل من بينه وبينه شيء من هذه الظلمات ، من كان منهم حاضرا ، وأن يكتب إلى من كان غائبا ، وأن يرد ما كان يأخذه على من أخذه منه ، فيعتقد هذا في وقت قراءة القرآن حتى يعلم الله تعالى منه أنه قد سمع وأطاع ؛ فإذا فعل الإنسان هذا كان قد قام بكامل ترتيل القرآن ؛ فإذا وقف على آية لم يعرف معناها يحفظها حتى يسأل عنها من يعرف معناها ؛ ليكون متعلما لذلك طالبا للعمل به ، وإن كانت الآية قد اختلف فيها اعتقد من قولهم أقل ما يكون ، وإن احتاط على نفسه بأن يعتقد أوكد ما في ذلك كان أفضل له وأحوط لأمر دينه .

وإن كان ما يقرؤه من الآي فيما قص الله على الناس من خبر من مضى من الأمم فلينظر في ذلك ، وإلى ما صرف الله عن هذه الأمة منه ، فيجدد الله على ذلك شكرا .

(١) ت : « عنه » .

(٢) ساقطة من ت

(٣) سورة التحريم ٨ .

وإن كان ما يقرؤه من الآي مما أمر الله به أو نهى عنه أضمر قبول الأمر والالتزام، والانهاء عن المنهى والاجتناب له . فإن كان ما يقرؤه من ذلك وعيدا وعد الله به المؤمنين فليُنظر إلى قلبه ، فإن جنح إلى الرجاء فزّعه بالخوف ، وإن جنح إلى الخوف فسح له في الرجاء ؛ حتى يكون خوفه ورجاؤه معتدلين ، فإن ذلك كمال الإيمان .

وإن كان ما يقرؤه من الآي من التشابه الذي تفرّد الله بتأويله ، فليعتقد الإيمان به كما أمر الله تعالى فقال : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ ^(١) يعني عاقبة الأمر منه ، ثم قال تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ ^(٢) .

وإن كان موعظةً اتّعت بها ، فإنه إذا فعل هذا فقد نال كمال الترتيل .

وقال بعضهم : الناس في تلاوة القرآن على ثلاثة مقامات :

الأول : من يشهد أوصاف المتكلم في كلامه ومعرفة معاني خطابه ، فيُنظر إليه من كلامه ، وتكلّمه بخطابه ، وتَمَلّيه بمناجاته ، وتعرّفه من صفاته ، فإن كل كلمة تنبئ ^(٣) عن معنى اسم ، أو وصف ، أو حكم ، أو إرادة ، أو فعل ؛ لأن الكلام ينبئ عن معاني الأوصاف ، ويدل على الموصوف ، وهذا مقام العارفين من المؤمنين ، لأنه لا ينظر إلى نفسه ولا إلى قراءته ، ولا إلى تعلق الإنعام به من حيث أنه منعم عليه ، بل هو مقصور الفهم عن المتكلم ، موقوف الفكر عليه ، مُستغرق بمشاهدة المتكلم ؛ ولهذا قال جعفر بن محمد الصادق : لقد تجلّى الله لخلقه بكلامه ، ولكن لا يبصرون .

ومن كلام الشيخ أبي عبد الله القرشي : لو طهرت القلوب لم تشبع من التلاوة للقرآن .

الثاني : من يشهد بقلبه كأنه تعالى يخاطبه ويناجيه بالطافه ، ويتملقه بإنعامه

وإحسانه ، فمقام هذا الحياء والتعظيم ، وحالُه الإصغاء والفهم ، وهذا لعموم المقربين .
 الثالث : مَنْ يرى أنه يناجى ربه سبحانه ، فمقام هذا السؤال والتمكّن^(١) ، وحالُه الطلب ؛
 وهذا المقام لخصوص أصحاب اليمين ؛ فإذا كان العبد يلقى السمع من بين يدي سميحه ، مصفيا
 إلى سر كلامه ، شهيد القلب لمعانى صفاته ، ناظرا إلى قدرته ، تاركا لمقوله ومعهود
 علمه ، متبرئا من حوله وقوته ، معظما للمتكلم ، متفرغا إلى الفهم ، بحال مستقيم ، وقلب
 سليم ، وصفاء ، يقين ، وقوة علم ، وتمكين سمع - فصل الخطاب وشهد غيب الجواب ؛ لأن
 الترتيل في القرآن ، والتدبّر لمعانى الكلام ، وحسن الاقتصاد إلى التكلم في الإفهام ،
 والإيقاف على المراد ، وصدق الرغبة في الطلب - سبب للاطلاع على المطلع من السر المكنون
 المستودع . وكل كلمة من الخطاب تتوجه عشر جهات ، للعارف من كل جهة مقام ومشاهدات :
 أولها الإيمان بها ، والتسليم لها ، والتوبة إليها ، والصبر عليها ، والرضا بها ، والخوف منها ،
 والرجاء إليها ، والشكر عليها ، والمحبة لها ، والتوكل فيها . فهذه المقامات العشر هي
 مقامات^(٢) المتقين ، وهي منطوية في كل كلمة يشهد بها أهل التمكن والمناجاة ، ويعرفها
 أهل العلم والحياة ، لأن كلام المحبوب حياة للقلوب ، لا يُنذَر به إلّا حى ، ولا يحيا به إلّا
 مُستجيب ، كما قال تعالى : ﴿ لِيُنذَرَ مَنْ كَانَ حَيًّا ﴾^(٣) . وقال تعالى : ﴿ إِذَا دَعَاكُمْ
 لِمَا يُخَيِّبُكُمْ ﴾^(٤) . ولا يشهد هذه العشر مشاهدات إلّا من يتنقل في العشر المقامات
 المذكورة في سورة الأحزاب ، أولها مقام المسلمين ، وآخرها مقام الذّاكرين^(٥) ، وبعد مقام

(١) ت : « التملق »

(٢) ط ، م : « نهايات » .

(٣) سورة يس ٣٦ .

(٤) سورة الأنفال ٢٤ .

(٥) يشير إلى ماورد في سورة الأحزاب ٣٥ من قوله تعالى : ﴿ إِنَّ السَّامِعِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ
 وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ
 وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ
 وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ ... ﴾ .

الذكر هذه المشاهدات العشر ، فعندها لا تملّ المناجاة ، لوجود المصافاة ، وعلم كيف تجلّى له تلك الصفات الإلهية في طيّ هذه الأدوات ، ولولا استتار كنه جمال كلامه بكسوة الحروف ، لما ثبت لسماع الكلام عرش ولا ثرى ، ولا تمكّن لفهم عظيم الكلام إلا على حدّ فهم الخلق ، فكلّ أحدٍ يفهم عنه بفهمه الذى قُسم له ، حكمةً منه .

قال بعض العلماء : فى القرآن ميادين وبساتين ، ومقاصير وعرائس ، وديابيج ورياض ، فالميمات ميادين القرآن ، والراءات بساتين القرآن ، والحاءات مقاصير القرآن ، والمسبّحات عرائس القرآن ، والحواميم دياييج القرآن ، والمفصل رياضه ، وما سوى ذلك . فإذا دخل المريد فى الميادين ، وقطف من البساتين ، ودخل المقاصير ، وشهد العرائس ، ولبس الديابيج ، وتنزّه فى الرياض ، وسكن غرفات المقامات اقتطعه عما سواه ، وأوقفه ما يراه ، وشغله المشاهد له عما عداه ؛ ولذلك قال النّبى صلى الله عليه وسلم : « اعرفوا القرآن والتمسوا غرائبه ، وغرائبه فروضه وحدوده ؛ فإن القرآن أنزل على خمسة : حلال ، وحرام ، ومحكم ، وأمّثال ، ومتشابه ، فخذوا الحلال ، ودعوا الحرام ، واعملوا بالمحكم ، وآمنوا بالمتشابه ، واعتبروا بالأمّثال » .

وقال أبو الدرداء رضى الله عنه : لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوها . وقال ابن مسعود رضى الله عنه : من أراد علم الأولين والآخرين فليثور^(١) القرآن .

قال ابن سبع^(٢) فى كتاب " شفاء الصدور " : هذا الذى قال أبو الدرداء وابن مسعود لا يحصل بمجرد تفسيره الظاهر ؛ وقد قال بعض العلماء : لكل آية ستون ألف فهم ، وما بقى من فهمه أكثر . وقال آخرون : القرآن يحتوى على سبعة وسبعين ألف علم ، إذ لكل كلمة علم ، ثم يتضاعف ذلك أربعاً ، إذ لكل كلمة ظاهر وباطن ، وحدّ ومطلع .

وبالجملة فالعلوم كلّها داخلّة فى أفعال الله وصفاته ، وفى القرآن شرح ذاته وصفاته وأفعاله .

(١) فليثور : أى لينقر عنه ويفكر فى معانيه . (النهاية لابن الأثير) .

(٢) هو الإمام الخطيب أبو الربيع سليمان البستي (ذكره فى كشف الظنون) .

فصل

[في كراهة قراءة القرآن بلا تدبر]

تكره قراءة القرآن بلا تدبر ، وعليه حمل حديث عبد الله بن عمرو : لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث ، وقول ابن مسعود لمن أخبره أنه يقوم بالقرآن في ليله : أهذا كهذا الشعر ^(١) ! وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم في صفة الخوارج : « يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ولا حناجرهم » ^(٢) ذمهم بإحكام ألفاظه ، وترك التفهم لمعانيه .

فصل

في تعلم القرآن

ثبت في صحيح البخاري ^(٣) من حديث عثمان : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » ، وفي رواية « أفضلكم » ^(٤) . وعن عبد الله يرفعه : « إن القرآن مأدبة الله فتعلموا مأدبته ما استطعتم » ، رواه البيهقي .

(١) الهذ والهذذ : سرعة القراءة ؛ والخبر في اللسان منسوب إلى ابن عباس : « قال له رجل : قرأت الفصل الليلة ؟ فقال : أهذا كهذا الشعر ! » . قال : أراد أنهذا القرآن هذا فتسرع فيه كما تسرع في قراءة الشعر ؛ ونصبه على المصدر . (وانظر صحيح البخاري ٣ : ٢٣٤) .

(٢) رواه ابن ماجه في المقدمة ١ : ٦٢ عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يخرج قوم في آخر الزمان - أوفى هذه الأمة - يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم - أو حلقهم - إذا رأيتهم - أو إذا لقيتهم - فاقولهم » .

(٣) في كتاب فضائل القرآن ٣ : ٢٣٢

(٤) نقله : « إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه » .

وروى أيضا عن أبي العالية قال : « تعلموا القرآن خمس آيات ، خمس آيات ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأخذه من جبريل عليه السلام خمسا خمسا » ، وفي رواية : « مَنْ تعلمه خمسا خمسا لم ينسه » .

قال أصحابنا : تعليم القرآن فرض كفاية ، وكذلك حفظه واجب على الأمة ، صرح به الجرجاني في " الشافي " ^(١) والعبادي وغيرهما . والمعنى فيه كما قاله الجويني ألا ينقطع عدد التواتر فيه ، ولا يتطرق إليه التبديل والتحريف ؛ فإن قام بذلك قوم سقط عن الباقيين ، وإلا فالكل آثم . فإذا لم يكن في البلد أو القرية مَنْ يتلو القرآن أئمنوا بأسرهم ، ولو كان هناك جماعة يصلحون للتعليم وطُلب من بعضهم وامتنع لم يأثم في الأصح ؛ كما قاله النووي في " التبيان " ^(٢) ؛ وهو نظير ما صححه في كتاب السير أن المفتي والمدرس لا يأتمان بالامتناع إذا كان هناك من يصلح غيره . وصورة المسألة فيما إذا كانت المصلحة لا تفوت بالتأخير ؛ فإن كانت تفوت لم يحز الامتناع ، كالمصلي يريد تعلم الفاتحة ولو رده لخرج الوقت بسبب ذهابه إلى الآخر ، ولضييق الوقت عن التعليم .

وينبغي تعليمه على التأليف المعهود ؛ فإنه توقيفي ؛ وقد ورد عن ابن مسعود : سئل عن الذي يقرأ القرآن منكوسا قال : ذاك منكوس القلب .

قال أبو عبيد : وجهه عندي أن يبتدىء من آخر القرآن من آخر المعوذتين ؛ ثم يرتفع إلى البقرة ؛ كنحو ما تفعل الصبيان في الكتاب ، لأن السنة خلاف هذا ؛ وإنما وردت الرخصة في تعليم الصبي والمجمل من المفصل لصعوبة السور الطوال عليهما .

(١) كتاب الشافي في فروع الشافعي ، لأبي العباس أحمد بن محمد الجرجاني المتوفى سنة ٤٨٢ ، كتاب كبير في أربع مجلدات (كشف الظنون ١٠٢٣) .
(٢) كتاب التبيان في آداب حملة القرآن ؛ للإمام محي الدين يحيى بن شرف النووي الشافعي المتوفى سنة ٦٧٦ هـ ؛ ذكره كشف الظنون ٣٤٠ .

مسألة

[في جواز أخذ الأجر على تعليم القرآن]

ويموز أخذ الأجرة على التعليم ، ففي صحيح البخاري ^(١) : « إن أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله » . وقيل : إن تعين عليه لم يجز ، واختاره الحلبي ، وقال : استقصر الناس المعلمين لقصرهم زمانهم على معاشر الصبيان ثم النساء حتى أثر ذلك في عقولهم ، ثم لا يتغاثم عليه الأجمال ^(٢) وطمعهم في أطعمة الصبيان ، فأما نفس التعليم فإنه يوجب التشريف والتفضيل .

^(٣) وقال أبو الليث في كتاب " البستان " ، ^(٤) : التعليم على ثلاثة أوجه : أحدها للحسبة ولا يأخذ به عوضا . والثاني أن يعلم بالأجرة . والثالث أن يعلم بغير شرط ، فإذا أهدى إليه قبل .

قال الأول : مأجور عليه ، وهو عمل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

والثاني : مختلف فيه ، قال أصحابنا المتقدمون : لا يجوز ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم : « بلغوا عني ولو آية » . وقال جماعة من المتأخرين : يجوز ، مثل عصام بن يوسف ونصر بن يحيى وأبي نصر بن سلام . وغيرهم قالوا : والأفضل للمعلم أن يشارط الأجرة للحفاظ

(١) في كتاب الطب ٤ : ١٦ من حديث ابن عباس .

(٢) الأجمال : جم جعل ؛ ما يجعل على العمل من أجر ؛ ومثله الجعالة والجمعية .

(٣) من هنا إلى آخر هذا الفصل ساقط من ت

(٤) هو بستان العارفين لأبي الليث نصر بن محمد المرقندي التوفي سنة ٣٧٥ ؛ في الأحاديث

الواردة في الآداب الشرعية والحاصل والأخلاق وبعض الأحكام القرعية . (كشف الظنون ٢٤٣) .

وتعليم الكتابة ، فإن شرط لتعليم القرآن أرجو أنه لا بأس به ؛ لأن المسلمين قد توارثوا ذلك واحتاجوا إليه .

وأما الثالث فيجوز في قولهم جميعا ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان معلما للخلق وكان يقبل الهدية . ولحديث اللديغ لما رققوه بالفاتحة ، وجعلوا له جملا^(١) وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « واضربوا لي معكم فيها بسهم » .

فصل

[في دوام تلاوة القرآن بعد تعلمه]

وليدمن على تلاوته بعد تعلمه ، قال الله تعالى مُثْنِيَا عَلَى مَنْ كَانَ دَابَّةً تِلَاوَةَ آيَاتِ اللَّهِ : ﴿ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ ﴾^(٢) وسماء ذِكْرًا ، وتوعد المعرض عنه ومن تعلمه ثم نسيه . وفي الصحيحين : « تعاهدوا القرآن »^(٣) ؛ فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتا من الإبل في عقالها^(٤) . « وقال : « بئسما لأخدم أن يقول : نسيت آية كيت وكيت بل هو نُسى »^(٥) [و] استذكروا القرآن فلهو أشد تفصيا في صدور الرجال من النعم في عقالها »^(٦) .

(١) صحيح البخارى ٣ : ١٦ ، كتاب الطب ، من حديث ابن عباس .

(٢) سورة آل عمران ١١٣ .

(٣) تعاهدوا القرآن : أى جددوا عهدا بإلازمة تلاوته ثلاثا تنسوه .

(٤) صحيح مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ٥٤٥ ، من حديث أبي موسى .

(٥) صحيح البخارى : « بل نسي » بحذف كلمة « هو » .

(٦) نكلمة من صحيح البخارى .

(٧) صحيح البخارى ، كتاب فضائل القرآن ٣ : ٢٣٣ ، من حديث عبد الله .

مسألة

[في استحباب الاستياك والتطهر للقراءة]

يستحب الاستياك وتطهيره ، والطهارة للقراءة باستياكه ، وتطهير بدنه بالطيب المستحب تكريماً لحال التلاوة ، لباساً من الثياب ما يتجمل به بين الناس ؛ لكونه بالتلاوة بين يدي النعم المتفضل بهذا الإيناس ، فإن التالى للكلام ، بمنزلة الكلام لدى الكلام ، وهذا غاية التشريف من فضل الكريم العلام . ويستحب أن يكون جالساً مستقبل القبلة ؛ سئل سعيد بن المسيب عن حديث وهو متكى ؛ فاستوى جالساً وقال : أكره أن أحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا متكى ، وكلام الله تعالى أولى . ويستحب أن يكون متوضئاً ؛ ويجوز للمحدث ، قال إمام الحرمين وغيره : لا يقال إنها مكروهة ، فقد صح أنه صلى الله عليه وسلم كان يقرأ مع الحدث وعلى كل حال سوى الجنابة . وفي معناها الحيض والنفاس . وللشافعي قول قديم في الحائض ، تقرأ خوف النسيان .

وقال أبو الليث : لا بأس أن يقرأ الجنب والحائض أقل من آية واحدة . قال : وإذا أرادت الحائض التعلم فينبغي لها أن تلقن نصف آية ، ثم تسكت ولا تقرأ آية واحدة بدفعة واحدة . وتكره القراءة حال خروج الريح ؛ وأما غيره من النواقض كاللمس والمس ونحوه فيحتمل عدم الكراهة ؛ لأنه غير مستقذر عادة ، ولأنه في حال خروج الريح يبعده بخلاف هذه .

مسألة

[في التعوذ وقراءة البسملة عند التلاوة]

يستحب التعوذ قبل القراءة ، فإن قطعها قطع ترك وأراد العوذ جدّد ، وإن قطعها لعذر عازما على العوذ كفاء التعوذ الأول ما لم يطُل الفصل . ولا بدّ من قراءة البسملة أول كل سورة تحرّزا من مذهب الشافعي^(١) ؛ وإلا كان قارئاً لبعض السور لا جميعها ؛ فإن قرأ من^(٢) أثناؤها استحب له البسملة أيضا ، نص عليه الشافعي رحمه الله فيما نقله العبادي .

وقال الفاسي^(٣) في شرح القصيدة : كان بعضُ شيوخنا يأخذ علينا في الأجزاء القرآنية بترك البسملة ، ويأمرنا بها في حزب : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾^(٤) ؛ وفي حزب : ﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾^(٥) لما فيهما بعد الاستعاذة من قبح اللفظ . وينبغي لمن أراد ذلك أن يفعله ؛ إذا ابتدأ مثل ذلك ، نحو : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ﴾^(٦) ، ﴿ وَهُوَ الَّذِي

(١) اختلف العلماء في البسملة على ثلاثة أقوال : الأول ليست بآية ؛ لا من الفاتحة ولا من غيرها ؛ وهو قول مالك . والثاني أنها آية من كل سورة وهو قول عبد الله بن المبارك . والثالث قول الشافعي : قال : إنها آية في الفاتحة ، وتردد قوله في سائر السور ، فرة قال : إنها آية من كل سورة ، ومرة قال : ليست بآية إلا في الفاتحة وحدها . (وانظر الجامع لأحكام القرآن ١ : ٩٣)

(٢) م : « في »

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن الحسن بن محمد الفاسي المتوفى سنة ٦٧٢ ؛ شرح القصيدة الشاطبية ؛ سماه اللآلئ الفريدة ، في شرح القصيدة ، منها نسخة بدار الكتب رقم ٥٠ قراءات ، وانظر طبقات القراء ٢ : ١٢٢ وكشف الظنون ٦٤٦ .

(٤) سورة البقرة ٢٥٥

(٦) سورة الروم ٤٤

(٥) سورة فصلت ٤٧

أَنْشَأَ جَنَّاتٍ^(١) ؛ لوجود العلة المذكورة . وقد كان مكي^(٢) يختار إعادة الآية قبل كل حزب من الحزبين المذكورين للعلة المذكورة .

مسألة

^(٣) ولتسكن تلاوته بعد أخذه القرآن من أهل الإتيان لهذا الشأن ، الجامعين بين الدراية والرواية ، والصدق والأمانة ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يجتمع به جبريل في رمضان فيدارسه القرآن .

مسألة

[في قراءة القرآن في المصحف أفضل أم على ظهر قلب]

وهل القراءة في المصحف أفضل ، أم على ظهر القلب ، أم يختلف الحال ؟
ثلاثة أقوال :

أحدها : أنها من المصحف أفضل ؛ لأن النظر فيه عبادة ، فتجتمع القراءة والنظر ، وهذا قاله القاضي الحسين والغزالي ، قال : وعلة ذلك أنه لا يزيد على^(٤) ... وتأمل المصحف وجمله^(٥) ، ويزيد في الأجر بسبب ذلك . وقد قيل : الختم في المصحف يسبغ ؛ وذكر أن الأكثرين من الصحابة كانوا يقرءون في المصحف ، ويكرهون أن يخرج يوم لم ينظروا في المصحف .

(١) سورة الأنعام ١٤١
(٢) مكي بن أبي طالب بن حيوس المقرئ أبو محمد القيواني ، صاحب التبصرة والكشف والموجز وغيرها من كتب القراءات . توفي سنة ٤٣٧ (طبقات القراء ٢ : ٣١٠) .
(٣) هذا الفصل ساقط من ت
(٤) يانص في جميع الأصول بمقدار كلمتين .
(٥) م : « ونحوه »

ودخل بعض فقهاء مصر على الشافعي رحمه الله تعالى المسجد وبين يديه المصحف فقال : شغلکم الفقه عن القرآن ؛ إني لأُصَلِّي العَتَمَةَ ، وأضع المصحف في يدي فما أطيِّقه حتى الصبح .

وقال عبد الله بن أحمد ^(١) : كان أبي يقرأ في كل يوم سُبْعاً من القرآن لا يتركه نظراً .

وروى الطَّبْرَانِيُّ من حديث أبي سعيد بن عون المكيّ عن عثمان بن عبيد الله بن أوس الثقفي عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قراءة الرجل في غير المصحف ألف درجة ، وقراءته في المصحف تضاعف على ذلك إلى ألفي درجة . وأبو سعيد قال فيه ابن معين : لا بأس به .

وروى البيهقيّ في شُعب الإيمان من طريقين إلى عثمان بن عبد الله بن أوس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ قرأ القرآن في المصحف كانت له ألفا حسنة ، ومَنْ قرأه في غير المصحف - فأظنّه - قال - كألف حسنة » . وفي الطريق الأخرى قال : « درجة » ، وجزم بألف إذا لم يقرأ في المصحف .

وروى ابن أبي داود بسنده عن أبي الدرداء مرفوعاً : « من قرأ مائتي آية كلَّ يوم نظراً شُفِعَ في سبعة قبور حول قبره ، وخُفِّفَ العذاب عن والديه وإن كانا مشركين » .

وروى أبو عبيد في فضائل القرآن ^(٢) بسنده عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : « فضل القرآن نظراً على من قرأ ظاهراً كفضل القريضة على النافلة » . وبسنده عن ابن عباس قال : كان عمر إذا دخل البيت نشر المصحف يقرأ فيه .

(١) عبد الله بن أحمد بن حنبل .

(٢) فضائل القرآن لوحة ٨ .

وروى أبو داود بسنده عن عائشة مرفوعاً : « النظر إلى السكبة عبادة ، والنظر في وجه
الوالدين عبادة ، والنظر في المصحف عبادة » .

وعن الأوزاعي كان يعجبهم النظر في المصحف بعد القراءة هنية . قال بعضهم :
وينبغي لمن كان عنده مصحف أن يقرأ فيه كل يوم آيات بسيرة ولا يتركه مهجوراً .

والقول الثاني : أن القراءة على ظهر القلب أفضل ، واختاره أبو محمد بن عبد السلام^(١) ،
فقال في أماليه : قيل القراءة في المصحف أفضل ؛ لأنه يجمع فعل الجارحتين ؛ وهما اللسان
والعين ، والأجر على قدر المشقة . وهذا باطل ؛ لأن المقصود من القراءة التدبر لقوله تعالى :
﴿ لِيَتَذَكَّرُوا آيَاتِهِ ﴾^(٢) ؛ والعادة تشهد أن النظر في المصحف يخل بهذا المقصود ،
فكان مرجوحاً .

والثالث : واختاره النووي في الأذكار^(٣) : إن كان القارئ من حفظه يحصل له من
التدبر والتفكير وجمع القلب أكثر مما يحصل له من المصحف فالقراءة من الحفظ أفضل ،
وإن استويا فمن المصحف أفضل ، قال : وهو مراد السلف .

مسألة

[في استحباب الجهر بالقراءة]

يستحب الجهر بالقراءة ؛ صح ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم ، واستحب به

(١) هو الإمام أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الشافعي ، شيخ الإسلام ، توفي سنة ٦٦٠
(شذرات الذهب ٥ : ٣١٠) .

(٢) سورة م ٢٩

(٣) هو كتاب حلية الأبرار وشمس الأخبار في تلخيص الدعوات والأذكار ، المشتهر بأذكار النووي .
(كشف الظنون ٦٨٨ - ٦٨٩) .

الجهر ببعض القراءة والإسرار ببعضها ؛ لأن المسرّ قد يملّ ، فيأنس بالجهر ، والجاهر قد يكلّ فيستريح بالإسرار ؛ إلا أن مَنْ قرأ بالليل جهر بالأكثر ؛ وإن قرأ بالنهار أسرّ بالأكثر^(١) ؛ إلا أن يكون بالنهار في موضع لا لغوّ فيه ولا صخب ، ولم يكن في صلاة فيرفع صوته بالقرآن ، ثم روى بسنده عن معاذ بن جبل يرفعه : « الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسرّ بالقرآن كالمسرّ بالصدقة » . نعم من قرأ والناس يصلّون فليس له أن يجهر جهرًا يشغلهم به ؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه وهم يصلون في المسجد ، فقال : « يأيتها الناس كلّم يناجي ربه ، فلا يجهر بعضهم على بعض في القراءة » .

مسألة

[في كراهة القرآن لمكالمة الناس]

ويكره قطع القرآن لمكالمة الناس ؛ وذلك أنه إذا انتهى في القراءة إلى آية وحضره كلام فقد استقبله التي بلغها والكلام ، فلا ينبغي أن يؤثر كلامه على قراءة القرآن ، قاله الحلبي ، وأيده البيهقي بما رواه البخاري : كان ابن عمر إذا قرأ القرآن لم يتكلم حتى يفرغ منه .

مسألة

[في حكم قراءة القرآن بالعجمية]

لا تجوز قراءته بالعجمية سواء أحسن العربية أم لا ، في الصلاة وخارجها ، لقوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾^(٢) ، وقوله : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا ﴾^(٣) .

(٢) سورة يوسف ٢

(١) ت : « الأكثر »

(٣) سورة فصلت ٤٤

وقيل عن أبي حنيفة: تجوز قراءته بالفارسية مطلقا ، وعن أبي يوسف : إن لم يحسن العربية ؛ لكن صحَّ عن أبي حنيفة الرجوعُ عن ذلك ، حكاه عبد العزيز^(١) في " شرح البرزوى " ،^(٢).

واستقرَّ الإجماع على أنه يجب قراءته على هيئته التي يتعلّق بها الإعجاز لنقص الترجمة عنه ، ولنقص غيره من الألسن عن البيان الذي اختص به دون سائر الألسنة . وإذا لم تجز قراءته بالتفسير العربي لمكان التحدى بنظمه ، فأحرى أن لا تجوز الترجمة بلسان غيره ؛ ومن ها هنا قال القفال^(٣) من أصحابنا : عندي أنه لا يقدر أحد أن يأتي بالقرآن بالفارسية ، قيل له : فإذا لا يقدر أحد أن يفسّر القرآن ، قال : ليس كذلك ؛ لأن هناك يجوز أن يأتي ببعض مراد الله ويعجز عن البعض ؛ أما إذا أراد أن يقرأه بالفارسية فلا يمكن أن يأتي بجميع مراد الله ، أي فإن الترجمة إبدال لفظة بلفظة تقوم مقامها ، وذلك غير ممكن بخلاف التفسير . وما أحاله القفال من ترجمة القرآن ذكره أبو الحسين بن فارس في فقه العربية^(٤) أيضا فقال : « لا يقدر أحد من التراجم على أن ينقل القرآن إلى شيء من الألسن ؛ كما نقل الإنجيل عن السريانية إلى الحبشية والرومية ، وترجمت التوراة والزبور وسائر كتب الله تعالى بالعربية ؛ لأن العجم لم تتسع في الكلام اتساع العرب ؛ ألا ترى أنك لو أردت أن تنقل قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّمَا تَخَافْنَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٌ فَانْصِرْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ﴾^(٥) لم تستطع أن

(١) هو عبد العزيز بن أحمد بن محمد علاء الدين البخاري ؛ له تصانيف مقبولة ؛ أشهرها شرح أصول البرزوى ، سماه كشف الأسرار ؛ طبع بإستانبول سنة ١٣٠٧ ، وتوفي عبد العزيز سنة ٧٣٠ . الفوائد البهية ٩٤ .

(٢) هو علي بن محمد بن الحسين البرزوى الفقيه بماوراء النهر ؛ وكتابه كنز الوصول إلى معرفة الأصول ؛ طبع مع شرحه في إستانبول سنة ١٣٠٧ . وتوفي البرزوى سنة ٤٨٢ . الفوائد البهية ١٢٤ .

(٣) هو أبو بكر محمد بن إسماعيل الفقيه الشافعي الشافعي المعروف بالفتال الكبير ؛ صاحب المصنفات في الفقه والأصول والتفسير والحديث والكلام ، توفي سنة ٣٦٥ . شذرات الذهب ٣ : ٥٢ .

(٤) سورة الأنفال ٥٨ .

(٥) سورة الأنفال ٥٨ .

(٥) سورة الأنفال ٥٨ .

تأتى بهذه الألفاظ مؤدية ^(١) عن المعنى الذى أودعته حتى تبسط مجموعها ، وتصل مقطوعها ، وتظهر مستورها ، فتقول : إن كان بينك وبين قوم هدنة وعهد ، فحقت منهم خيانة ونقصاً فأعلمهم أنك قد نقضت ما شرطته لهم ، وأذنهم بالحرب ؛ لتسكون أنت وهم فى العلم بالنقض على سواء ^(٢) ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ ^(٣) انتهى .

فظهر من هذا أن الخلاف فى جواز قراءته بالفارسية لا يتحقق لعدم إمكان تصوّره . ورأيت فى كلام بعض الأئمة المتأخرين أن المنع من الترجمة مخصوص بالتلاوة ؛ فأما ترجمته للعمل به فإن ذلك جائز للضرورة ، وينبغى أن يقتصر من ذلك على بيان الحكم منه ، والغريب المعنى بمقدار الضرورة ؛ من التوحيد وأركان العبادات ؛ ولا يتعرض لما سوى ذلك ، ويؤمر من أراد الزيادة على ذلك بتعلم اللسان العربى ؛ وهذا هو الذى يقتضيه الدليل ، ولذلك لم يكتب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، إلى قيصر إلا بآية واحدة محكمة لمعنى واحد ؛ وهو توحيد الله والتبرى من الإشراك ؛ لأن النقل من لسان إلى لسان قد تنقص الترجمة عنه كما سبق ، فإذا كان معنى المترجم عنده واحداً قل وقوع التقصير فيه ؛ بخلاف المعانى إذا كثرت ؛ وإنما فعل النبي صلى الله عليه وسلم لضرورة التبليغ ؛ أو لأن معنى تلك الآية كان عندهم مُقرّراً فى كتبهم ؛ وإن خالفوه .

وقال الكواشى ^(٤) فى تفسير سورة الدخان : أجاز أبو حنيفة القراءة بالفارسية بشرطة ؛ وهى أن يؤدى القارى المعانى كلها من غير أن ينقص منها شيئاً أصلاً . قالوا : وهذه الشريطة تشهد أنها إجازة كلا إجازة ؛ لأن كلام العرب - خصوصاً القرآن الذى هو

(١) فقه اللغة : « المؤدية » .

(٣) سورة الكهف ١١

(٢) فقه اللغة : « على استواء »

(٤) هو موفق الدين أحمد بن يوسف الموصلى الشيبانى الشافعى ، التوفى سنة ٦٨٠ (كشف الظنون ٥٧) .

معجز - فيه من لطائف المعاني والإعراب مالا يستقل به لسان من فارسية وغيرها .
وقال الزنخسرى : ما كان أبو حنيفة يحسن الفارسية ؛ فلم يكن ذلك منه عن تحقيق وتبصر . وروى على بن الجعد عن أبي يوسف عن أبي حنيفة مثل صاحبيه في القراءة بالفارسية .

مسألة

[في عدم جواز القراءة بالشواذ]

ولا تجوز قراءته بالشواذ ، وقد نقل ابن عبد البر الإجماع على منعه ^(١) ؛ فقد سبق في الحديث : كان يمدّ مدّاً ؛ يعنى أنه يمكن الحروف ولا يحذفها ، وهو الذى تسميه القراء بالتجويد فى القرآن ، والترتيل أفضل من الإسراع ، فقراءة حزب مرتل مثلاً فى مقدار من الزمان ، أفضل من قراءة حزبين فى مثله بالإسراع .

مسألة

[فى استحباب قراءة القرآن بالتفخيم]

يستحب قراءته بالتفخيم والإعراب لما يروى : « نزل القرآن بالتفخيم » ، قال الحليى : معناه أن يقرأ على قراءة الرجال ، ولا يُخضع الصوت فيه ككلام النساء ، قال : ولا يدخل فى كراهة الإمامة التى هى اختيار بعض القراء . وقد يجوز أن يكون القرآن نزل بالتفخيم ؛ فرخص مع ذلك فى إمالة ما يحسن إمالاته على لسان جبريل عليه السلام .

وروى البيهقي من حديث ابن عمر : « من قرأ القرآن فأعرب فى قراءته كان له بكل حرف عشرون حسنة ، ومن قرأه بغير إعراب كان له بكل حرف عشر حسنة » .

(١) نقل السيوطى عن موهوب الجزرى جوازها فى غير الصلاة قياساً على رواية الحديث بالمعنى ؛ وانظر الإقنان : ١ ، ١٠٩ .

مسألة

[في فصل السور بعضها عن بعض]

وأن يفصل كل سورة عما قبلها ، إما بالوقف أو التسمية ، ولا يقرأ من أخرى قبل الفراغ من الأولى ؛ ومنه الوقف على رموس الآي ، وإن لم يتم المعنى . قال أبو موسى المديني : وفيه خلاف بينهم ؛ لوقفه صلى الله عليه وسلم في قراءة الفاتحة على كل آية وإن لم يتم الكلام . قال أبو موسى : ولأن الوقف على آخر السور لا شك في استحبابه ؛ وقد يتعلق بعضها ببعض ؛ كما في سورة الفيل مع قریش .

وقال البيهقي رحمه الله وقد ذكر حديث « كان النبي صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته آية آية » : ومتابعة السنة أولى فيما ذهب إليه أهل العلم بالقراءات من تتبع الأغراض والمقاصد .

ومنها أن يعتقد جزيل ما أنعم الله عليه إذ أهله لحفظ كتابه ويستصغر عرض الدنيا أجمع [في جنب ما] ^(١) ما خوله الله تعالى ، ويجتهد في شكره . ومنها ترك المباهاة فلا يطلب به الدنيا ؛ بل ما عند الله ؛ وألا يقرأ في المواضع القذرة ، وأن يكون ذا سكينه ووقار ، مجانباً للذنب ، محاسباً نفسه ، يعرف القرآن في سمته وخلقه ؛ لأنه صاحب كتاب الملك والمطلع على وعده ووعيده ، [وليتجنب القراءة في الأسواق ، قاله الحلبي ، وألحق به الحمام . وقال النووي : لا بأس به في الطريق سرّاً حيث لا لغو فيها] ^(٢) .

مسألة

[في ترك خلط سورة بسورة]

عدّ الحلبي من الآداب ترك خلط سورة بسورة ؛ وذكر الحديث الآتي . قال البيهقي : وأحسن ما يحتاج به أن يقال : إن هذا التأليف لكتاب الله مأخوذ من جهة

(٢) تكملة من ط ، م .

(١) تكملة من ت

النبي صلى الله عليه وسلم وأخذه عن جبريل ، فالأولى بالقارى أن يقرأ على التأليف المنقول المجتمع عليه ؛ وقد قال ابن سيرين : تأليف الله خير من تأليفكم . ونقل القاضي أبو بكر الإجماع على عدم جواز قراءة آية آية من كل سورة . « وقد روى أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ بأبي بكر وهو يقرأ يخفّض صوته ، وبِعمرٍ يجهر بصوته وذكر الحديث ، وفيه فقال : وقد سمعتك يا بلال وأنت تقرأ من هذه السورة ، ومن هذه السورة » فقال : كلام طيب يجمعه الله بعضه إلى بعض ؛ فقال : « كلّم قد أصاب » .

وفي رواية لأبي عبيد في " فضائل القرآن " ، ^(١) : قال بلال : أخطط الطيب بالطيب ، فقال : « اقرأ السورة على وجهها » - أو قال على نحوها - وهذه زيادة مليحة . وفي رواية : « إذا قرأت السورة فأنفذها » .

وروى عن خالد بن الوليد أنه أمّ الناس فقرأ من سور شتى ، ثم التفت إلى الناس حين انصرف ، فقال : شغلني الجهاد عن تعلّم القرآن .

وروى المنع عن ابن سيرين . ثم قال أبو عبيد : الأمر عندنا على الكراهة في قراءة القراء هذه الآيات المختلفة ؛ كما أنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على بلال ، وكما اعتذر خالد عن فعله ، وللكراهة ابن سيرين له . ثم قال : إن بعضهم روى حديث بلال ، وفيه : فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « كل ذلك حسن » ، وهو أثبت وأشبه بنقل العلماء . انتهى . ورواه الحكيّم الترمذى في " نواذر الأصول " ، وزاد : « مثل بلال كمثل نخلة غدت تأكل من الحلو والمر ، ثم يصير حلوا كله » .

قال : وإنما شبهه بالنخلة في ذلك ؛ لأنها تأكل من الثمرات : حلوها وحامضها ، ورطبها ويابسها ، وحارها وباردها ؛ فتخرج هذا الشفاء ؛ وليست كغيرها من الطير تقتصر على الحلو فقط لحظ شهوته فلا جرّم أعاضها الله الشفاء فيما تلقّيه ؛ وهذا كقوله : « عليكم

بألبن البقر فإنها ترم من كل الشجر فتأكل . فبلال رضى الله عنه كان يقصد آيات الرحمة وصفات الجنة ؛ فأمره أن يقرأ السورة على نحوها كما جاءت ممتزجة ؛ كما أنزل الله تعالى ؛ فإنه أعلم بدواء العباد وحاجتهم ، ولو شاء لصنّفها أصنافا ، كل صنّف على حدة ؛ ولكنه مزجها لتصل القلوب بنظام لا يمل ، قال : ولقد أذهلنى يوما قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَتُزَلِّ الْمَلَائِكَةُ تَزِيلًا . الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْخَلْقُ لِلرَّحْمَنِ ﴾ ^(١) فقلت : يا لطيف ؛ علمت أن قلوب أوليائك الذين يعقلون هذه الأوصاف عنك وتترأى لهم تلك الأهوال لا تمالك ؛ فلطفت بهم فنسبت ﴿ الْمَلِكُ ﴾ إلى أعم اسم فى الرحمة ، فقلت : ﴿ الرَّحْمَنُ ﴾ ليلاقى هذا الاسم تلك القلوب التى يحل بها الهول ، فيمازج تلك الأهوال ، ولو كان بدله اسماً آخر ، من « عزيز وجبار » لفطرت القلوب ، فكان بلال يقصد لما تطيب به النفوس ، فأمره أن يقرأ على نظام رب العالمين ؛ فهو أعلم بالشفاء .

مسألة

[فى استحباب استيفاء الحروف عند القراءة]

يستحب استيفاء كل حرف أثبتته قارى . قال الحليمي : هذا ليكون القارى قد أتى على جميع ما هو قرآن ؛ فتكون ختمة أصح من ختمة إذا ترخص بحذف حرف أو كلمة قرئ بهما . ألا ترى أن صلاة كل من استوفى كل فعل امتنع عنه كانت صلاته أجمع من صلاة من ترخص فحذف منها ما لا يضر حذفه .

فصل

[فى ختم القرآن]

ويستحب ختم القرآن فى كل أسبوع ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : « اقرأ القرآن فى

كل سبع ولا تزد». رواه أبو داود . وروى الطبراني بسند جيد : سئل أصحاب رسول الله صلى الله عليه : كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمجّز القرآن ، قال : كان يمجّزته ثلاثاً وخمسة ، وكره قوم قراءته في أقل من ثلاث ، وحملوا عليه حديث : « لا يفتقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث » رواه الأربعة ، وصحّحه الترمذى ، والبخارى . وعليه أكثر المحققين . أن ذلك يختلف بحال الشخص في النشاط والضعف والتدبر والنفلة ؛ لأنه روى عن عثمان رضي الله عنه ؛ كان يمجّز في ليلة واحدة . ويكره تأخير ختمه أكثر من أربعين يوماً . رواه أبو داود .

وقال أبو الليث في كتاب " البستان " : ينبغي أن يمجّز القرآن في السنة مرتين إن لم يقدر على الزيادة . وقد روى الحسن بن زياد عن أبي حنيفة أنه قال : من قرأ القرآن في كل سنة مرتين فقد أدى للقرآن حقه ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم عرّضه على جبريل في السنة التي قبض فيها مرتين . انتهى .

وقال أبو الوليد الباجي^(١) : أمر النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمرو أن يمجّز في سبع أو ثلاث يمحتمل أنه الأفضل في الجملة أو أنه الأفضل في حق ابن عمرو لما علم من ترتيبه في قراءته ، وعلم من ضعفه عن استدামته أكثر مما حدّله . وأما من استطاع أكثر من ذلك فلا تمنع الزيادة عليه . وسئل مالك عن الرجل يمجّز القرآن في كل ليلة فقال : ما أحسن ذلك ! إن القرآن إمام كل خير .

وقال بشر بن السري : إنما الآية مثل التمرة كلما مضغتها استخرجت حلاوتها . فحدث به أبو سليمان ، فقال : صدق ؛ إنما يؤتى أحدكم من أنه إذا ابتدأ السورة أراد آخرها .

(١) هو أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب التيجي المالكي الأندلسي الباجي ، ولد سنة ٤٠٣ بمدينة طليوس ، ورحل إلى المشرق سنة ٤٢٦ أو نحوها . فأقام في مكة وبغداد ودمشق وغيرها ، وتوفي بالمرية سنة ٤٧٤ . ابن خلكان : ١ ، ٢١٥ .

مسألة

[في ختم القرآن في الشتاء وفي الصيف]

يُسَنُّ خَتْمُهُ فِي الشِّتَاءِ أَوَّلَ اللَّيْلِ ، وَفِي الصَّيْفِ أَوَّلَ النَّهَارِ ؛ قَالَ ذَلِكَ ابْنُ الْمُبَارَكِ ، وَذَكَرَهُ أَبُو دَاوُدَ لِأَحَدٍ ؛ فَكَأَنَّهُ أَعْجَبَهُ . وَيَجْمَعُ أَهْلَهُ عِنْدَ خَتْمِهِ وَيَدْعُو .
وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ : إِذَا خَتَمَ أَوَّلَ النَّهَارِ صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ حَتَّى يُمَسِيَ ، وَإِذَا خَتَمَ فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ حَتَّى يُصْبِحَ . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ .

مسألة

[في التكبير بين السور ابتداء من سورة الضحى]

يَسْتَحَبُّ التَّكْبِيرُ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الضُّحَى ؛ إِلَى أَنْ يَخْتَمَ ؛ وَهِيَ قِرَاءَةُ أَهْلِ مَكَّةَ ؛ أَخَذَهَا ابْنُ كَثِيرٍ عَنْ مُجَاهِدٍ ، وَمُجَاهِدٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَابْنُ عَبَّاسٍ عَنْ أَبِي ، وَأَبِي عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ رَوَاهُ ابْنُ خُزَيْمَةَ ، وَالبَيْهَقِيُّ فِي شُعْبِ الْإِيمَانِ وَقَوَّاهُ وَرَوَاهُ مِنْ طَرِيقٍ مُوقُوفًا عَلَى أَبِي بَسْنَدٍ مَعْرُوفٍ ^(١) ؛ وَهُوَ حَدِيثٌ غَرِيبٌ ، وَقَدْ أَنْكَرَهُ أَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ عَلَى عَادَتِهِ [فِي] ^(٢) التَّشْدِيدِ ؛ وَاسْتَأْنَسَ لَهُ الْحَلِيمِيُّ بِأَنَّ الْقِرَاءَةَ تَنْقَسِمُ إِلَى أَبْعَاضٍ

(١) نقله ابن كثير في التفسير ٤ : ٥٢١ ؛ قَالَ : « رَوَيْنَا مِنْ طَرِيقِ أَبِي الْحَسَنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَزَّةٍ الْمَقْرِيَّ قَالَ : قَرَأْتُ عَلَى عِكْرَمَةَ بْنِ سُلَيْمَانَ وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ قَرَأَ عَلَى إِسْمَاعِيلَ بْنِ قُسْطَنْطِينٍ وَشَبْلَ بْنِ عَبَادٍ فَلَمَّا بَلَغَتْ « وَالضُّحَى » قَالَ لِي : كَبِّرْ حَتَّى تَخْتَمَ مَعَ خَاتَمَةِ كُلِّ سُورَةٍ ، فَإِنَا قَرَأْنَا عَلَى ابْنِ كَثِيرٍ فَأَمَرْنَا بِذَلِكَ ؛ وَأَخْبَرَنَا أَنَّهُ قَرَأَ عَلَى مُجَاهِدٍ فَأَمَرَهُ بِذَلِكَ ، وَأَخْبَرَهُ مُجَاهِدٌ أَنَّهُ قَرَأَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَأَمَرَهُ بِذَلِكَ ، وَأَخْبَرَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَرَأَ عَلَى أَبِي بَنٍ كَعْبٍ فَأَمَرَهُ بِذَلِكَ ، وَأَخْبَرَهُ أَبِي أَنَّهُ قَرَأَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَرَهُ بِذَلِكَ »

(٢) تكملة من ط .

متفرقة ؛ فكانه ^(١) كصيام الشهر ؛ وقد أمر الناس أنه إذا اكملوا العدة أن يكبروا الله على ما هدام . فالقياس أن يكبر القاري إذا أكمل عدة السور .

وذکر غیره أن التکبیر [کان] لا استشعار انقطاع الوحي ؛ قال : وصفته في آخر هذه السور أنه كلما ختم سورة وقف وقفة ، ثم قال : الله أكبر ، ثم وقف وقفة ثم ابتداء السورة التي تليها إلى آخر القرآن . ثم كبر كما كبر من قبل ، ثم أتبع التکبیر الحمد ، والتصديق ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، والدعاء .

وقال ^(٢) سليم الرازي ^(٣) في تفسيره : يكبر ^(٤) القاري بقراءة ابن كثير إذا بلغ « والضحي » بين كل سورتين تكبيرة ؛ إلى أن يختم القرآن ولا يصل آخر السورة بالتكبير ؛ بل يفصل بينهما بسكتة ؛ وكأن المعنى في ذلك ما روي أن الوحي كان تأخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أياما فقال ناس : إن محمدا قد ودعه صاحبه وقلاه ، فزات هذه السورة ، فقال : الله أكبر ، قال : ولا يكبر في قراءة الباقي ؛ ومن حجتهم أن في ذلك ذريعة إلى الزيادة في القرآن ؛ بأن زيد عليه فيتوهم أنه من القرآن فيثبتوه فيه ^(٥) .

مسألة

[في تكرير سورة الإخلاص]

مما جرت به العادة من تكرير سورة الإخلاص عند الختم ؛ نص الإمام أحمد على

(١) م : « فكانت » . (٢) من هنا إلى آخر الفصل ساقط من ت . (٣) هو أبو الفتح سليم بن أيوب الرازي المتوفى سنة ٤٧٠ هـ ؛ صاحب التفسير المسمى ضياء القلوب في التفسير ؛ ذكره صاحب كشف الظنون ١٠٩١ . (٤) نقله القرطبي في التفسير ٢٠ : ١٠٣ . (٥) ذكر ابن الجزري اختلاف القراء في ابتداء التکبیر : هل هو من أول الضحي أو من آخرها ؛ وفي انتهائه هل هو من أول السورة أو آخرها . وانظر النشر ٢ : ٤٠٠ .

المنع ؛ ولكن عمل الناس على خلافه ؛ قال بعضهم : والحكمة في التكرير ما ورد أنها تعدل ثلث القرآن ؛ فيحصل بذلك ختمة .

فإن قيل : فعلى هذا كان ينبغي أن يقرأ ثلاثا بعد الواحدة التي تضمنتها الختمة ؛ فيحصل ختمتان .

قلنا : مقصود الناس ختمة واحدة ؛ فإن القارىء إذا قرأها ثم أعادها مرتين كان على يقين من حصول ختمة ؛ إما التي قرأها من الفاتحة إلى آخر القرآن ، وإما [التي حصل]^(١) ثوابها بقراءة سورة الإخلاص ثلاثا ، وليس المقصود ختمة أخرى .

مسألة

[فيما يفعله القارئ عند ختم القرآن]

ثم إذا ختم وقرأ المودتين قرأ الفاتحة وقرأ خمس آيات من البقرة إلى قوله : ﴿ ثُمَّ الْمُفْلِحُونَ ﴾^(٢) لأن « آلم » آية عند الكوفيين ، وعند غيرهم بعض آية . وقد روى الترمذى : أى العمل أحب إلى الله ؟ قال : الحال^(٣) المرتحل ، قيل المراد به الحث على تكرار الختم ختمة بعد ختمة ؛ وليس فيه ما يدل على أن الدعاء لا يتعقب الختم .

(١) تسكعة من ت

(٢) سورة البقرة ٥٥ .

(٣) نقله ابن الأثير في النهاية ١ : ٢٥٣ : سئل أى الأعمال أفضل ؟ فقال : الحال المرتحل ، قيل : وما ذاك ؟ قال : الخاتم المفتوح ؛ وهو الذى يختم القرآن بتلاوته ؛ ثم يفتح التلاوة من أوله ، شبهه بالمسافر يبلغ المنزل فيحل فيه ثم يفتح سيره ؛ أى يبتدئه ؛ وكذلك قراء مكة إذا ختموا القرآن بالتلاوة ابتداء وقرءوا الفاتحة وخمس آيات من أول سورة البقرة إلى : « وأولئك هم المفلحون » . ثم يقطعون القراءة ، ويسمون فاعل ذلك الحال المرتحل ، أى ختم القرآن وابتدأ بأوله ولم يفصل بينهما بزمان . وقيل : أراد بالحال المرتحل الغازى الذى لا يقفل عن غزو إلا عقبه بآخر .

فائدة

روى ^(١) البيهقي في دلائل النبوة وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو عند ختم القرآن : اللهم ارحمني بالقرآن ، واجعله لي أماناً ونوراً وهدى ورحمة ، اللهم ذكّرني منه ما نسيت ، وعلمني منه ما جهلت ، وارزقني تلاوته آتاء الليل ، واجعله لي حُجَّةً يارب العالمين . رواه في شعب الإيمان بأطول من ذلك ، فليُنظر فيه .

مسألة

[في آداب الاستماع]

استماعُ القرآن والتفهّم لمعانيه من الآداب المَحَنُوث عليها ، ويكره التحدّث بحضور القراءة ، قال الشيخُ أبو محمد بن عبد السلام : والاشتغالُ عن السماع بالتحدّث بما لا يكون أفضلَ من الاستماعِ سوءُ أدبٍ على الشرع ، وهو يقتضي أنه لا بأس بالتحدّث للمصلحة .

مسألة

[في حكم من يشرب شيئاً كتب من القرآن]

وأفتى الشيخ أيضاً بالمنع من أن يشرب شيئاً كُتِبَ من القرآن ، لأنه تلاقيه النجاسة الباطنة .

وفيما قاله نظر ؛ لأنها في معدنها لا حكم لها .

(١) هذا الفصل ساقط من ت ؛ وهو في م وحواشي ط ؛ نقله عن خط المؤلف .

ومن صرح بالجواز من أصحابنا العباد النّهية^(١) تلميذ البغوي^(٢) فيما رأيتُه بخط

ابن الصلاح .

قال : لا يجوز ابتلاع رُقعة فيها آية من القرآن ، فلو غَسَلَهَا وشرب ماءها جاز . وجزم
القاضي الحسين ،^(٣) والرافعي^(٤) بجواز أكل الأطعمة التي كتب عليها شيء من القرآن .

وقال البيهقي : أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي في ذكر منصور بن عمار^(٥) : أنه أوتي
الحكمة : وقيل إن سبب ذلك أنه وجد رُقعة في الطريق مكتوبا عليها : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ ، فأخذها فلم يجد لها موضعا ، فأكلها ، فأرى فيما يرى النائم كأن
قائلا [قد] قال له : قد فتَحَ اللهُ عليك باحترامك لتلك الرُقعة فكان بعد ذلك يتكلم بالحكمة .

مسألة

[القيام للمصاحف بدعة]

وقال الشيخ أيضا في " القواعد " ،^(٦) : القيام للمصاحف بدعة لم تعهد في الصدر الأول ،

(١) هو أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن الحسين بن محمد النيهي الفقيه ؛ أحد فقهاء الشافعية ؛ تفقه
على القاضي حسين بن محمد ؛ وسمع الحديث من أستاذه عبد الله بن محمد البغوي ؛ توفي في حد سنة ٤٨٠ .
الابواب ٣ : ٢٥٣ ، ومعجم البلدان ٨ : ٣٦٩ .

(٢) هو عبد الله محمد البغوي .

(٣) هو القاضي الحسين بن محمد بن أحمد أبو علي الروزي ؛ شيخ الشافعية في زمانه ؛ وصاحب الفتاوى
المشهورة توفي سنة ٤٦٢ هـ شذرات الذهب ٣ : ٣١٠ .

(٤) هو الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن محمد القزويني الرافعي الشافعي التوفي سنة ٦٢٣ ، صاحب
الشرح على الوجيز في فقه الشافعية (كشف الظنون) .

(٥) هو أبو السري منصور بن عمار ؛ البصري ؛ الزاهد الواعظ ؛ قال ابن حجر : كان إليه المنتهى
في بلاغة الوعظ وترقيق القلوب وتحريك الهمم . لسان الميزان ٥ : ٩٨ .

(٦) هو المعروف بالقواعد الكبرى في فروع الشافعية للشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام التوفي
سنة ٦٦٠ . كشف الظنون ١٣٥٩ .

والصواب ما قاله النووي في " التبيان " ، ^(١) : من استحباب ذلك والأمر به لما فيه من التعظيم وعدم التهاون به . وسئل العباد بن يونس الموصلي عن ذلك : هل يستحب للتعظيم أو يكره خوف الفتنة ؟ فأجاب : لم يرد في ذلك نقل مسموع ، والكل جائز ، ولكل نيت وقصد .

مسألة

[في حكم الأوراق البالية من المصحف]

وإذا احتيج لتعطيل بعض أوراق المصحف لبلاء ونحوه فلا يجوز وضعه في شق أو غيره ليحفظ لأنه قد يسقط ويوطأ ، ولا يجوز تمزيقها لما فيه من تقطيع الحروف وتفرقة الكلم ؛ وفي ذلك إضرار بالمكتوب - كذا قاله الحلبي ؛ قال : وله غسلها بالماء ، وإن أحرقتها بالنار فلا بأس ، أحرقت عثمان مصاحف فيها آيات وقراءات منسوخة ، ولم ينكر عليه .

وذكر غيره أن الإحراق أولى من الغسل ؛ لأن الغسالة قد تقع على الأرض ، وجزم القاضي الحسين في " تعليقه " بامتناع الإحراق ؛ وأنه خلاف الاحترام ، والنووي بالكرهه ، فحصل ثلاثة أوجه .

وفي " الوقعات " ، ^(٢) من كتب الحنفية أن المصحف إذا كمل لا يحرق بل تحفر له في الأرض ، ويدفن .

ونقل عن الإمام أحمد أيضا . وقد يتوقف فيه لتعرضه للوطء بالأقدام .

(١) التبيان في آداب حملة القرآن ؛ للإمام محي الدين يحيى بن شرف النووي الشافعي المتوفى سنة ٦٧٦ هـ ، (كشف الظنون) .

(٢) الوقعات في الفروع ، لشمس الأئمة عبد العزيز بن أحمد الحلواني الحنفي المتوفى سنة ٤٥٦ هـ ، وللجصاص أيضا ، ولطاهر بن أحمد البخاري صاحب الخلاصة المتوفى سنة ٥٤٢ هـ ، ولأبي اليسر ولالإمام فخر الدين حسين ابن منصور المعروف بقاضيخان المتوفى سنة ٥٩٢ هـ (كشف الظنون) .

مسألة

[في أحكام تتعلق باحترام المصحف وتبجيله]

ويستحب تطيبُ المصحف وجعله على كرسى ، ويجوز تحليته بالفضة إكراماً له على الصحيح ، روى البيهقي بسنده إلى الوليد بن مسلم قال : سألت مالكا عن تفضيض المصاحف ، فأخرج إلينا مصحفاً فقال : حدثني أبي عن جدّي أنهم جمعوا القرآن في عهد عثمان رضى الله عنه ، وأنهم فضّضوا المصاحف على هذا ونحوه : وأما بالذهب فالأصحّ يباح للمرأة دون الرجل ، وخصّ بعضهم الجواز بنفس المصحف دون علاقته المنفصلة عنه ؛ والأظهر التسوية .

ويحرّم تؤسّد المصحف وغيره من كتب العلم ؛ لأن فيه إذلالاً وامتهاناً ، وكذلك مدّ الرجلين إلى شيء من القرآن أو كتب العلم .

ويستحب تقبيلُ المصحف ؛ لأنّ عكرمة بن أبي جهل كان يقبّله ، وبالقياس على تقبيل الحجر الأسود ؛ ولأنه هدية لعباده ، فشرع تقبيله كما يستحب تقبيلُ الولد الصغير .

وعن أحمد ثلاث روايات : الجواز ، والاستحباب ، والتوقف .

وإن كان فيه رفعة وإكرام ؛ لأنه لا يدخله قياس ؛ ولهذا قال عمر في الحجر : لولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك .

ويحرم السفر بالقرآن إلى أرض العدو للحديث فيه : خوف أن تناله أيديهم . وقيل : إن كثّر الغزاة وأمن استيلاؤهم عليه لم يمنع ؛ لقوله : « مخافة أن تناله أيديهم » .

ويحرم كتابة القرآن بشيء نجس؛ وكذلك ذكر الله تعالى؛ وتكره كتابته في القطع الصغير؛ رواه البيهقي عن علي وغيره. وعنه تنوق رجل في ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ففقر له.

وقال الضحاك بن مزاحم: ليتنى قد رأيت الأيدي تقطع فيمن كتب ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. يعني لا يجعل له سنات. قال: وكان ابن سيرين يكره ذلك كراهة شديدة. ويستحب تجريد المصحف عما سواه. وكرهوا الأعشار والأخماس معه، وأسماء الشور وعدد الآيات. وكانوا يقولون: جردوا المصحف. وقال الحلبي: يجوز، لأن النقط ليس له قرار فيتوهم لأجلها ما ليس بقرآن قرآنا؛ وإنما هي دلالات على هيئة القروء فلا يضر إثباتها لمن يحتاج إليها.

وروى ابن أبي شيبة في مصنفه في الصلاة وفي فضائل القرآن: حدثنا وكيع، عن سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم، قال: قال عبد الله بن مسعود: جردوا القرآن. وفي رواية: لا تلحقوا به ما ليس منه. ورواه عبد الرزاق في مصنفه في أواخر الصوم. ومن طريقه رواه الطبراني في معجمه، ومن طريق ابن أبي شيبة رواه إبراهيم الحربي في كتابه "غريب الحديث". وقال: قوله: «جردوا»، يحتمل فيه أمران: أحدهما أي جردوه في التلاوة ولا تخلطوا به غيره، والثاني أي جردوه في الخط من النقط والتعشير.

قلت: الثاني أولى لأن الطبراني أخرج في معجمه عن مسروق عن ابن مسعود أنه كان يكره التعشير في المصحف. وأخرجه البيهقي في كتاب "المدخل"، وقال: قال أبو عبيد: كان إبراهيم يذهب به إلى نقط المصاحف. ويروى عن عبد الله أنه كره التعشير في المصحف. قال البيهقي: وفيه وجه آخر أبين منه، وهو أنه أراد: لا تخلطوا به غيره من الكتب؛ لأن ما خلا القرآن من كتب الله تعالى إنما يؤخذ عن اليهود والنصارى؛

وليسوا بمؤمنين عليها . وقوى هذا الوجه بما أخرجه عن الشعبي عن قرظة بن كعب قال :
لما خرجنا إلى العراق خرج معنا عمر بن الخطاب يشيعنا فقال : إنكم تأتون أهل قرية لهم
دوى بالقرآن كدوى النحل فلا تشغلهم بالأحاديث فتصدوهم ، وجرّدوا القرآن .
قال : فهذا معناه أى لا تخلطوا معه غيره .

خاتمة

روى البخارى فى تاريخه الكبير بسند صالح حديث : « من قرأ القرآن عند ظالم ليرفع
منه ، لعن بكل حرف عشر لعنات » .

النوع الثلاثون
في أنه هل يجوز في النصائف والرسائل والخطب
استعمال بعض آيات القرآن

وهل يقتبس منه في شعر ويغير نظمه بتقديم وتأخير

وحركة إعراب

جوزَ ذلك بعضهم للمتمكّن من العربية؛ وسئل الشيخ عز الدين فقال : ورد عنه
صلى الله عليه وسلم : « وجهت وجهي » ، والتلاوة ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ ﴾ ^(١) .

وما روى البخاري في كتاب ^(٢) إلى هرقل : « سلام على من اتبع الهدى » ﴿ يَا أَهْلَ
الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ ﴾ ^(٣) .

ومن دعائه صلى الله عليه وسلم : « اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً » .

وفي حديث آخر لابن عمر : « قَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ » ^(٤) .

وقال عليه السلام : « اللَّهُمَّ فَاتِنِ الْإِصْبَاحَ ، وَجَاعِلِ اللَّيْلِ مَسْكِنًا ، وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
حَسْبَانَا ، أَقِضْ عَنِّي الدِّينَ ، وَأَغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ » .

(٢) في باب كيف بدأ الوحي .

(١) سورة الأنعام ٧٩

(٣) سورة آل عمران ٦٤ ، وقد ورد الحديث في الأصول مقتضيا ؛ والذي في البخاري : « سلام على
من اتبع الهدى » ؛ أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ؛ فإن توليت
فإن عليك إثم الأريسين ؛ وبأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ... »

(٤) كلمة « حَسَنَةٌ » ساطعة من ث .

وفي سياق كلام^(١) لأبي بكر : ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾^(٢) ،
قصد الكلام ولم يقصد التلاوة .

وقول على رضي الله عنه : إني مبايع صاحبكم ﴿لَيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾^(٣) .

وقول^(٤) الخطيب ابن نباتة : ^(٥) هُنَاكَ يَرْفَعُ الْحِجَابَ ، وَيُوضِعُ الْكِتَابَ ، وَيُجْمَعُ
مِنْ لَهُ الثَّوَابُ ، وَحَقٌّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ، فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ^(٦) .

وقال النووي رحمه الله : إِذَا قَالَ : ﴿خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾^(٧) وَهُوَ جُنُبٌ ، وَقَصَدَ
غَيْرَ الْقُرْآنِ جَازِلَهُ ، وَلَهُ أَنْ يَقُولَ : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾^(٨) .

قال إمام الحرمين : إِذَا قَصَدَ الْقُرْآنَ بِهَذِهِ الْآيَاتِ عَمَى ، وَإِنْ قَصَدَ الذِّكْرَ وَلَمْ يَقْصِدْ

شَيْئًا لَمْ يَعْصِ .

وَالطَّرَطُوشِيُّ^(٩) :

رَحَلَ الظَّاعِنُونَ عَنْكَ وَأَبْقَوْا فِي حَوَاشِي الْأَحْشَاءِ وَجَدًا مَقِيمًا

قَدْ وَجَدْنَا السَّلَامَ بَرْدًا سَلَامًا إِذْ وَجَدْنَا النَّوَى عَذَابًا أَلِيمًا

وَبُتِيَ عَنِ الشَّافِعِيِّ :

(١) مِنْ كَلِمَتِهِ حِينَمَا عَهْدَ لِمَعْرِ بِالْخِلَافَةِ ، وَانْتَظَرَ الْكَامِلَ لِلْمَبْرَدِ - بِشَرْحِ الرَّصَنِ ١ : ٦٢ .

(٢) سُورَةُ الشُّعَرَاءِ ٢٢٧ (٣) سُورَةُ الْأَقْهَالِ ٤٢ .

(٤) هُوَ أَبُو يَمِينٍ عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ نَبَاتَةَ الْحَنَاقِيُّ الْفَارَقِيُّ صَاحِبُ الْحَطَبِ الْمَشْهُورَةِ فِي
الْمَوَاطِئِ ؛ وَكَانَ خَطِيبَ حَلَبَ ؛ وَفِيهَا اجْتَمَعَ بَسِيفُ الدَّوْلَةِ ؛ وَأَغْلَبَ خُطْبُهُ تَدْوِيرٌ حَوْلَ الْجِهَادِ وَالْحَضِّ عَلَيْهِ .
تَوَفَّى سَنَةَ ٣٧٤ . ابْنُ خَلِّكَانَ ١ : ٢٨٣ .

(٥) قَلَّهَا صَاحِبُ الْمَثَلِ السَّائِرُ فِي بَابِ التَّضْمِينِ ٢ : ٣٤٧ .

(٦) تَضْمِينُ لَايَةِ الْحَدِيدِ ٣

(٧) سُورَةُ مَرْيَمَ ١٢ (٨) سُورَةُ الزَّخْرَفِ ١٣ .

(٩) هُوَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَلْفِ الطَّرَطُوشِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ ، الزَّاهِدُ الْعَابِدُ ، صَاحِبُ كِتَابِ
سِرَاجِ الْمُلُوكِ . تَوَفَّى سَنَةَ ٥٢٠ . ابْنُ خَلِّكَانَ ١ : ٤٧٩ .

أُنلني بالذي استقرضت خطاً وأشهد معشراً قد شاهدوه ^(١)
 فإن الله خلاق البرايا عنت لجلال هيته الوجوه
 يقول « إذا تداینتم بدین إلى أجلٍ مُسمًى فاكتبوه » ^(٢)
 ذكر القاضي أبو بكر الباقلانی أن تفسیر القرآن فی الشعر مکروه ، وأئمة البیان
 جوزوه وجملوه من أنواع البدیع ، وسماء القدماء تفسیرنا والمتأخرون اقتباسا ، وسموا
 ما كان من شعر تفسیرنا .

مسألة

[يكره ضرب الأمثال بالقرآن]

يكره ضرب الأمثال بالقرآن، نص عليه من أصحابنا الإمام النجاشي صاحب البغوي ، كما
 وجدته في " رحلة ابن الصلاح " ^(٣) بخطه .
 وفي كتاب " فضائل القرآن " لأبي عبيد عن النخعي قال : كانوا يكرهون أن يتلوا
 الآية عند شيء يعرض من أمور الدنيا .
 قال أبو عبيد: وكذلك الرجل يريد لقاء صاحبه أو يهيم بمجافته ، فيأتيه من غير طلب ،
 فيقول كاللمازح : ﴿ جِئْتُ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى ﴾ ^(٤) ؛ فهذا من الاستخفاف بالقرآن ؛ ومنه
 قول ابن شهاب : ^(٥) لا تتناظر بكتاب الله ولا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .
 قال أبو عبيد : يقول : لا تجعل لهما نظيرا من القول ولا الفعل .

(١) ط « عاينوه » .

(٢) تفسیر قوله تعالى في سورة البقرة ٢٨٢ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى
 أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ﴾ .

(٣) رحلة ابن الصلاح فوائدهما الشيخ تقي الدين أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن المعروف بالصلاح ؛
 المتوفى سنة ٨٤٣ هـ ؛ في رحلة إلى الشرق ، ضمنها فوائده في سائر العلوم . كشف الظنون ٨٣٦ .

(٤) سورة طه ٤٠ .

(٥) هو الإمام محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري ؛ أحد الأئمة من التابعين .

تنبيه

[لا يجوز تعدى أمثلة القرآن]

لا يجوز تعدى أمثلة القرآن؛ ولذلك أنكر على الحريري في قوله في مقامه الخامسة عشرة^(١) « فادخلني بيتا أخرج^(٢) من التابوت ، وأوهى من بيت العنكبوت » ، فأى معنى أبلغ من معنى أكنده الله من ستة أوجه ؛ حيث قال : ﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ ﴾^(٣) فادخل إن ، وبنى أفضل التفضيل ، وبناء من الوهن ، وأضافه إلى الجمع ، وعرف الجمع باللام ، وأتى في خبر إن باللام ! وقد قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا ﴾^(٤) ؛ وكان اللائق بالحريري ألا يتجاوز هذه المبالغة وما بعد تمثيل الله تمثيل ؛ وقول الله أقوم قيل ، وأوضح سبيل ؛ ولكن قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً ﴾^(٥) ، وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم مثالا لما دون ذلك فقال : « لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ... »^(٦) وكذلك قول بعضهم :

وَلَوْ أَنَّ مَا بِي مِنْ جَوْى وَصَبَابَةٍ عَلَى جَلَلٍ لَمْ يَبْقَ فِي النَّارِ خَالِدٌ

غفر الله له ؛ والله تعالى يقول : ﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَلَلُ فِي سَمِّ الْخِلَاطِ ﴾^(٧) فقد جعل ولوج الجمل في السم غاية لنفي دخولهم الجنة ، وتلك غاية لا توجد ، فلا يزال دخولهم الجنة منفيًا ، وهذا الشاعر وصف جسمه بالنحول ، بما يناقض الآية . ومن هذا جرت

(١) هي المقامة الفرضية ١ : ٢٣٠ - بشرح الشريشي .

(٢) أخرج : أصيب (٣) سورة العنكبوت ٤١ .

(٤) سورة الأنعام ١٥٢ (٥) سورة البقرة ٢٦ .

(٦) قوله السيوطي في الجامع الصغير ٢ : ٢٢١ عن الترمذي وقطبه فيه : « لو كانت الدنيا تعدل عند

الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء » .

(٧) سورة الأعراف ٤٠ .

مناظرة بين أبي العباس أحمد بن سريج^(١)، ومحمد بن داود الظاهري^(٢)؛ قال أبو العباس له :
أنت تقول بالظاهر وتكر القياس ، فما تقول في قول الله تعالى : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا
يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾^(٣) فمن يعمل مثقال نصف ذرة ما حكمه ؟ فسكت
محمد طويلا وقال : أبلغني ربي ؛ قال له أبو العباس : قد أبلغتك دجلة ، قال : أنظرني
ساعة ، قال : أنظرتك إلى قيام الساعة ، وافترقا ، ولم يكن بينهما غير ذلك .

وقال بعضهم : وهذا من مغالطات ابن سريج وعدم تصور ابن داود ؛ لأن الذرة ليس
لها أبعاد فتمثل بالنصف والرابع وغير ذلك من الأجزاء ؛ ولهذا قال سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ
لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾^(٤) فذكر سبحانه ما لا يتخيل في الوهم أجزاءه ، ولا يدرك تفرقه .

(١) هو القاضي أحمد بن عمر بن سريج أبو العباس البغدادى الشافعى ، شيخ المذهب ؛ وحامل لوائه ؛
ذكره البكي وأورد المناظرة التى قامت بينه وبين داود الظاهري في طبقات الشافعية ٢ : ٨٧ .

(٢) هو أبو بكر محمد بن داود بن علي بن خلف الأصبهاني المعروف بالظاهري ؛ الفقيه الأديب الشاعر ؛
توفي سنة ٢٩٧ ، ابن خلكان ١ : ٤٧٨ .

(٣) سورة الزلزلة ٧ ، ٨ .

(٤) سورة النساء ٤٠ .

النوع الحادى والثلاثون معرفة الأمثال

الكاتبة فيه

وقد روى البيهقي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنَّ القرآن نزل على خمسة أوجه : حلال ، وحرام ، ومحكم ، ومتشابه ، وأمثال ، فاعملوا بالحلال ، واجتنبوا الحرام ، واتَّبِعُوا المحكم ، وآمنوا بالمتشابه ، وأعتبروا بالأمثال .

وقد عدّه الشافعى مما يجب على المجتهد معرفته من علوم القرآن ، فقال : ثم معرفة ما ضرب فيه من الأمثال الدوال على طاعته ، المثبتة لا جتناب معصيته ، وترك الغفلة عن الحفظ ، والازدياد من نوافل الفضل . انتهى .

وقد صنف فيه من المتقدمين الحسن بن الفضل وغيره . ؛ وحقيقته إخراج الأغص إلى الأظهر ؛ وهو قسمان : ظاهر وهو المصرح به ، وكامن وهو الذى لا ذكر للمثل فيه ، وحكمه حكم الأمثال .

وقسمه أبو عبد الله البكراباذى إلى أربعة أوجه : أحدها إخراج ما لا يقع عليه الحسن إلى ما يقع عليه ، وثانيها إخراج ما لا يُعَلَّم ببديهة العقل إلى ما يعلم بالبديهة ، وثالثها إخراج ما لم تجر به العادة إلى ما جرت به العادة ، ورابعها إخراج ما لا قوة له من الصفة إلى ما له قوة . انتهى .

وضرب الأمثال فى القرآن يُستفاد منه أمور كثيرة : التذكير ، والوعظ ، والحث ،

والزجر، والاعتبار، والتقرير وترتيب المراد للعقل، وتصويره في صورة المحسوس؛ بحيث يكون نسبته للفعل كنسبة المحسوس إلى الحس. وتأتي أمثال القرآن مشتقة على بيان تفاوت الأجر، وعلى المدح والذم، وعلى الثواب والعقاب، وعلى تفخيم الأمر أو تخفيفه، وعلى تحقيق أمر وإبطال أمر، قال تعالى: ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾ ^(١)، فامتّن علينا بذلك لما تضمنت هذه القوائد، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ ^(٢)، وقال: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ ^(٣).

والأمثال مقادير الأفعال، والمتمثل كالصانع الذي يقدر صناعته، كالخياط يُقدّر الثوب على قامة المحيط، ثم يفرّيه، ثم يقطع. وكل شيء له قالب ومقدار، وقالب الكلام ومقداره الأمثال.

وقال الخفاجي: سمي مثلاً لأنه مائل ^(٤) بخاطر الإنسان أبداً، أي شاخص، فيتأسي به ويتعظ، ويخشى ويرجو، والشاخص المنتصب. وقد جاء بمعنى الصفة، كقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ ^(٥) أي الصفة العليا، وهو قول «لا إله إلا الله»، وقوله: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ﴾ ^(٦) أي صفها.

ومن حكمته تعليم البيان؛ وهو من خصائص هذه الشريعة، والمثل أعون شيء على البيان.

فإن قلت: لماذا كان المثل عوناً على البيان، وحاصله قياس معنى بشيء، من عرف ذلك المقيس فقه الاستغناء عن شبيهه، ومن لم يعرفه لم يحدث التشبيه عنده معرفة!

(٢) سورة الروم ٥٨.
(٤) ت: «يمثل» تحريف.
(٦) سورة الرعد ٣٥.

(١) سورة إبراهيم ٤٥.
(٣) سورة الفكيوت ٤٣.
(٥) سورة النحل ٦٠.

والجواب أن الحكم والأمثال تصوّر المعاني تصوّر الأشخاص ؛ فإن الأشخاص والأعيان أثبت في الأذهان ، لاستعانة الذهن فيها بالحواس بخلاف المعاني المقولة ؛ فإنها مجرّدة عن الحسّ ولذلك دقت ؛ ولا ينتظم مقصود التشبيه والتمثيل إلا بأن يكون المثل للضروب مجرّبا مسلّما عند السامع .

وفي ضرب الأمثال من تقرير المقصود ما لا يخفى ؛ إذ الغرض من المثل تشبيه الخفيّ بالجليّ ، والشاهد بالغائب ، فالمرغّب في الإيمان مثلا إذا مثل له بالنور تأكّد في قلبه المقصود ، والمزهد في الكفر إذا مثل له بالظلمة تأكّد قبحه في نفسه .

وفيه أيضا تبكيت الخصم ، وقد أكثر تعالى في القرآن وفي سائر كتبه من الأمثال وفي سور الإنجيل سورة الأمثال ^(١) .

قال الزمخشريّ : التمثيل إنما يُصار إليه لكشف المعاني ، وإدناء التوهّم من المشاهد ؛ فإن كان التمثيل له عظيما كان التمثيل به مثله ، وإن كان حقيرا كان التمثيل به كذلك ؛ فليس العظم والحقارة في المضروب به المثل إلا بأمر استدعته حال الممثل له ، ألا ترى أن الحقّ لما كان واضحا جليا تمثل له بالضياء والنور ، وأنّ الباطل لما كان بضده تمثل له بالظلمة ، وكذلك جعل بيت العنكبوت مثلا في الوهن والضعف .

والمثل هو المستغرب ، قال الله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ﴾ ^(٢) ، وقال تعالى : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ ﴾ ^(٣) ؛ ولما كان المثل السائر فيه غرابية استعير لفظ المثل للحال ، أو الصفة ، أو القصة ، إذا كان لها شأن وفيها غرابية .

(٢) سورة النحل ٦٠

(١) لعله أراد أمثال سليمان من كتب العهد القديم .

(٣) سورة الرعد ٣٥

أما استعارته للحال فكقوله : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ ^(١) ؛ أى حالهم العجيب الشأن كحال الذى استوقد ناراً .

وأما استعارته للوصف فكقوله تعالى : ﴿ وَثَلِ الثَّمَلُ الْأَعْلَى ﴾ ^(٢) أى الوصف الذى له شأن ، وكقوله : ﴿ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ ﴾ ^(٣) ، وكقوله : ﴿ كَمَثَلِ صَفْوَانَ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ﴾ ^(٤) وقوله : ﴿ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ﴾ ^(٥) ، وقوله سبحانه : ﴿ كَمَثَلِ الْخِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ ^(٦) .

وأما استعارته للقصة فكقوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ﴾ ^(٧) أى فيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة ؛ ثم أخذ فى بيان عجائبها .

لا يقال : إن فى هذه الأقسام الثلاثة تداخلا ؛ فإن حال الشيء هو وصفه ، ووصفه هو حاله ؛ لأننا نقول : الوصف يُشعر ذكره بالأمور الثابتة الذاتية أو ما قاربها من جهة اللزوم للشيء وعدم الانفكاك عنه ، وأما الحال فيطلق على ما يتلبس به الشخص مما هو غير ذاتي له ولا لازم ، فتغايرا . وإن أطلق أحدهما على الآخر فليس ذلك إطلاقا حقيقيا . وقد يكون الشيء مثلاً له فى الجرم ، وقد يكون ما تعلقه النفس ويتوهم من الشيء مثلاً ، كقوله تعالى : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ ^(٨) ؛ معناه أن الذى يتحصل فى النفس الناظر فى أمرهم ، كالذى يُتَحَصَّلُ فى نفس الناظر من أمر المستوقد ؛ قاله ابن عطية ، وبهذا يزول الإشكال الذى فى تفسير قوله : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ ﴾ ^(٧) وقوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ ^(٩) ؛ لأن ما يحصل للعقل من وحدانيته وأزليته ونفى ما لا يجوز عليه ليس بمثاله فيه شيء ؛

(٢) سورة الحل ٦٠

(٤) سورة البقرة ٢٦٤

(٦) سورة الجمعة ٥

(٨) سورة البقرة ١٧

(١) سورة البقرة ١٧

(٣) سورة الفتح ٢٩

(٥) سورة العنكبوت ٤١

(٧) سورة الرعد ٣٥

(٩) سورة الشورى ١١

وذلك التحصل هو المثل الأعلى ؛ في قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ﴾ ^(١) ، وقد جاء : ﴿ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ ^(٢) ففسر بجملة الوجدانية .

وقال مجاهد في قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ ﴾ ^(٣) : هي الأمثال ، وقيل : العقوبات .

وقال الزمخشري : المثل في الأصل بمعنى المثل ، أى النظير ؛ يقال : مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه . ثم قال : ويستعار للحال ، أو الصفة ، أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة . انتهى .

وظاهر كلام أهل اللغة أن « المثل » ، بفتحين : الصفة كقوله : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ ^(٤) ، وكذا ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ ﴾ ^(٥) . وما اقتضاه كلامه من اشتراط الغرابة يخالف أيضاً لكلام اللغويين . وما قاله من أن المثل والمثل بمعنى ينبغي أن يكون مراده باعتبار الأصل وهو الشبه ؛ وإلا فالحققون - كما قاله ابن العربى - على أن المثل (بالكسر) عبارة عن شبه المحسوس ، وبفتحها عبارة عن شبه المعانى المقولة ؛ فالإنسان يخالف للأسد في صورته مشبه له ^(٦) في جراته وحدته ، فيقال للشجاع أسد ، أى يشبه الأسد في الجرأة ، ولذلك يخالف الإنسان الميت في صورته ^(٧) ، والكريم من الإنسان يشابهه في عموم منفعة .

وقال غيره : لو كان المثل والمثل سيان للزم التناقى بين قوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ ^(٨) ، وبين قوله : ﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ﴾ ^(٩) فإن الأولى نافية له والثانية مثبتة له .

(٢) سورة نمل ١٩

(٥) سورة الرعد ٣٥

(٧) سورة الشورى ١١

(١) سورة النحل ٦٠

(٣) سورة الرعد ٦

(٤) سورة البقرة ١٧

(٦ - ٦) ساقط من ت

(٨) سورة النحل ٦٠

وفرق الإمام فخر الدين بينهما بأن المثل هو الذى يكون مساويا للشيء فى تمام الماهية ، والمثل هو الذى يكون مساويا له فى بعض الصفات الخارجة عن الماهية .

وقال حازم فى كتاب " منهاج البلغاء " : وأما الحكم والأمثال ؛ فإما أن يكون الاختيار فيها مجرى الأمور على المعتاد فيها ، وإما بزوالها فى وقتٍ عن المعتاد ؛ عن جهة الغرابة أو الندور فقط ، لتوطن النفس بذلك على ما لا يمكنها التحرز منه ؛ إذ لا يحسن منها التحرز من ذلك ، ولتحذر ما يمكنها التحرز منه ويحسن بها ذلك ، ولترغب فيما يجب أن يرغب فيه ، وترهب فيما يجب أن ترهبه ، وليقرب عندها ما تستبعده ، ويبعد لديها تستقر به ؛ وليبين لها أسباب الأمور ، وجهات الاتفاقات البعيدة الاتفاق بها ؛ فهذه قوانين الأحكام والأمثال ؛ قلما يشد عنها من جزئياتها شيء .

فنه قوله : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ ^(١) .

وقوله : ﴿ أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَرَقٌّ ﴾ ^(٢) .

وقوله : ﴿ إِنْ أَلَّهِ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا ﴾ ^(٣) .

وقوله : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنَكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بِعَبَابًا ﴾ ^(٤) .

وقوله : ﴿ كَمَثَلِ الْخِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ ^(٥) .

وقوله : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ إلى قوله : ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَةَ

عِمْرَانَ ... ﴾ ^(٦) الآيات .

(١) سورة البقرة ١٧

(٢) سورة البقرة ٢٦

(٣) سورة الجمعة ٥

(٤) سورة البقرة ١٩

(٥) سورة العنكبوت ٤٩

(٦) سورة التحريم ١٠ ، ١٢ .

وقوله : ﴿ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ ... ﴾ ^(١) الآية .

وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّنُّ أَنْ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ﴾ ^(٢) ، ثم قال : ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ ... ﴾ ^(٣) الآية .
وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَظَتْ غَزْلُهُمْ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا ﴾ ^(٤) .

فهذه أمثال قصار وطوال مقتضبة من كلام الكشاف .

فإن قلت : في بعض هذه الأمثلة تشبيهُ أشياء بأشياء لم يذكر فيها المشتبهات ، وهلا صرح بها ؛ كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمَسِيءُ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾ ^(٥) ؟

قلت : كما جاء ذلك تصرُّحاً فقد جاء مطوياً ، ذكره على طريق الاستعارة ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾ ^(٦) ، وكقوله : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ ﴾ ^(٧) .

والصحيح الذي عليه علماء البيان أن التمثيلين من جملة التمثيلات المركبة المقرَّبة لا يتكلف لكل واحد شيء بقدر شبهه به ؛ بناء على أن العرب تأخذ أشياءً فرادى معزولة بعضها من بعض ، تشبهها بنظائرهما ، كما جاء في بعض الآيات ^(٨) من القرآن . وقد تشبَّه أشياء قد تضامنت وتلاحقت حتى عادت شيئاً واحداً بأخرى مثلها ، وذلك كقوله

(٢) سورة النور ٣٩ .

(٤) سورة النحل ٩٢ .

(٦) سورة فاطر ١٢ .

(٨) ط : « في القرآن » .

(١) سورة البقرة ٢٦٤

(٣) سورة النور ٤٠

(٥) سورة غافر ٥٨

(٧) سورة الزمر ٢٩

تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ مُخَلَّوْا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ ^(١) ، فإن الغرض تشبيه حال اليهود في جهلها بما معها من التوراة وآياتها الباهرة بحال الحمار الذي يحمل أسفار الحكمة ، وليس له من حملها إلا الثقل ^(٢) والتعب من غير فائدة . وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ ^(٣) ، المراد قلة ثبات زهرة الدنيا كقلة بقاء الخضره .

وقد ضرب الله تعالى لما أنزله من الإيمان والقرآن مثليتين ، مثله بالماء ، ومثله بالنار ، فمثله بالماء لما فيه من الحياة ، وبالنار لما فيه من النور والبيان ؛ ولهذا سماه الله روحا لما فيه من الحياة ، وسماه نورا لما فيه من الإنارة ؛ ففي سورة الرعد قدم مثله بالماء فقال : ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا . . . ﴾ ^(٤) الآية ، فضرب الله الماء الذي نزل من السماء فتسيل الأودية بقدرها ، كذلك ما ينزله من العلم والإيمان فتأخذ القلوب كل قلب بقدره ، والسيل يمتلئ زبدا رايا ، كذلك مافي القلوب يمتلئ شبهات وشبهوات . ثم قال : ﴿ وَثُمَّ يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ ﴾ ^(٥) ؛ وهذا المثل بالنار التي توقد على الذهب والفضة والرصاص والنحاس ، فيختلط بذلك زبد أيضا كالزبد الذي يعلو السيل ، قال الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ﴾ ^(٦) ، كذلك العلم النافع يمتكث في القلوب بالتوحيد وعبادة الله وحده .

روى ابن أبي حاتم عن قتادة قال : هذه ثلاثة أمثال ضربها الله في مثل واحد ؛

(٢) ت : « الثقل » .

(١) سورة الجمعة .

(٣) سورة الكهف . ٤٥ .

(٤) سورة الرعد ١٧ .

يقول. كما اضمحل هذا الزبد فصار جُفاء لا يُنتفع به ولا تُرْجى برّ كته، كذلك يضمحل الباطل عن أهله ^(١).

وفي الحديث الصحيح : « إنَّ مثلَ ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً فكان منها طائفة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها طائفة أمسكت الماء فشرب الناس واستقوا وزرعوا، وكانت منها طائفة إنما هي قيعان لا تمسك ماء، ولا تُنبت كلأً، وذلك مثلُ مَنْ قَه في دين الله فنفعه ما بعثني الله به من الهدى والعلم، ومثلُ مَنْ لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به » .

وقد ضرب الله للمناققين مثلين: مثلاً بالنار، ومثلاً بالمطر، قال : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً ﴾ ^(٢) الآية ، يقال : أضاء الشيء وأضاءه غيره فيستعمل لازماً ومتعدياً ، فقوله : ﴿ أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ﴾ هو متعدٍ ؛ لأن المقصود أن تضيء النار ما حول مَنْ يريد بها حتى يراها ، وفي قوله في البرق : ﴿ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ ﴾ ^(٣) ، ذكر اللّازم ؛ لأن البرق بنفسه يضيء بغير اختيار الإنسان ؛ فإذا أضاء البرق سار ، وقد لا يضيء ما حول الإنسان ، إذ يكون البرق وصل إلى مكان دون مكان ، فجعل سبحانه المناققين كالذي أوقد ناراً فأضاءت ثم ذهب ضوءها ، ولم يقل « انطفأت » ، بل قال : ﴿ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ ^(٤) ؛ وقد يبقى مع ذهاب النور حرارتها فتضمر . وهذا المثل يقتضى أن المناقق حصل له نور ثم

(١) قوله ابن جرير الطبري في التفسير ١٣ : ٩١ (طبعة بولاق) .

(٢) سورة البقرة ١٧

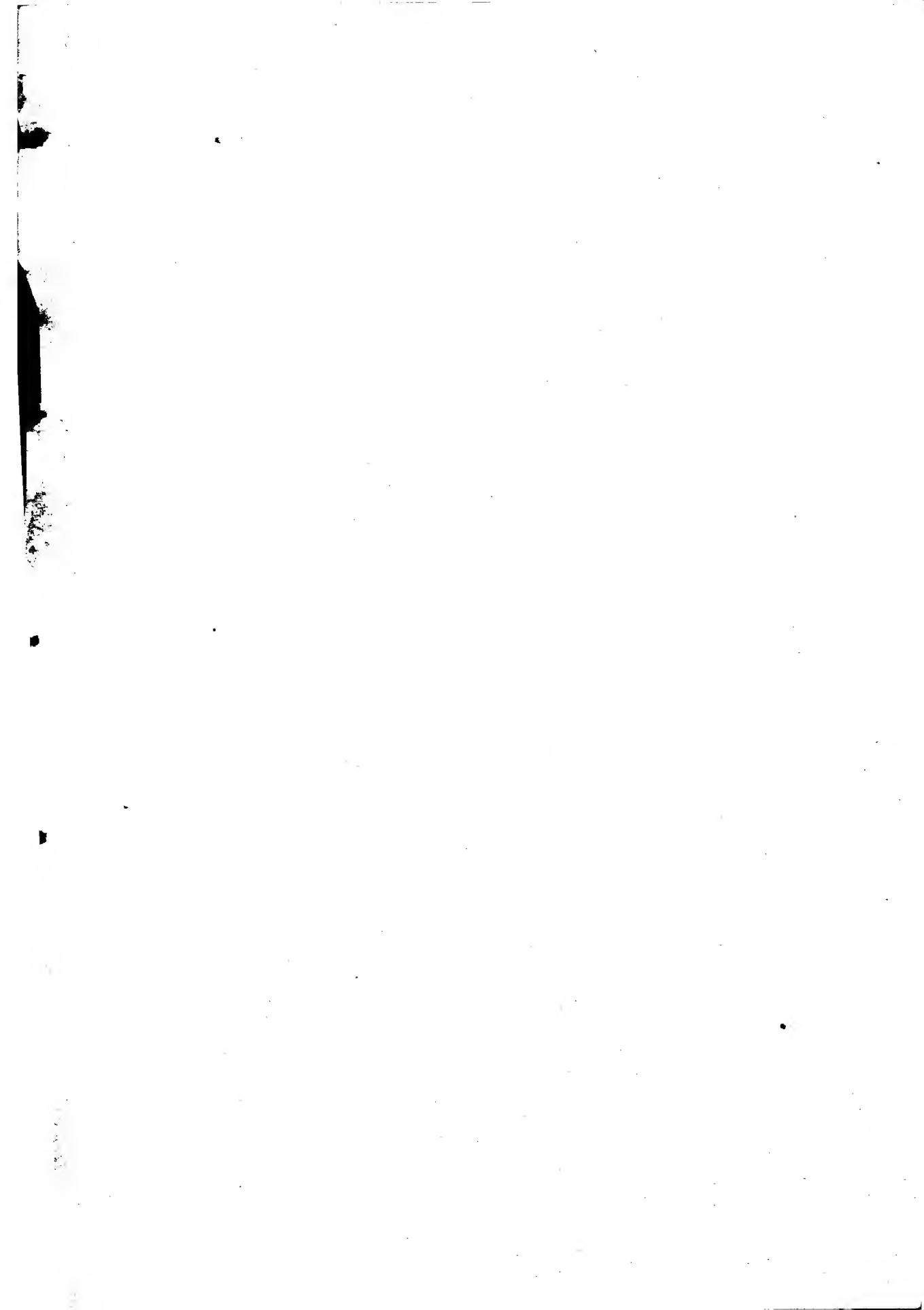
(٤) سورة البقرة ١٧

(٣) سورة البقرة ٢٠

ذهب ، كما قال الله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ ^(١) .

[تم بعون التوجيه توفيقه الجزء الأول من كتاب البرهان في علوم القرآن للامام بدر الدين الزركشى .
وبله الجزء الثانى ، وأوله : النوع الثانى والثلاثون - معرفة أحكامه] .





فَهْرَسْتُ الْمَوْضُوعَاتِ

صفحة

٣

مقدمة المؤلف

١٣

فصل في علم التفسير

١٦

فصل في علوم القرآن

النوع الأول

٢٢

معرفة أسباب النزول

٢٩

فصل فيما نزل مكررا

٣٢

فصل في خصوص السبب وعموم الصيغة

٣٢

تقدم نزول الآية على الحكم

٣٣

قائدة من كتاب الأدب المفرد في بر الوالدين

النوع الثاني

٣٥

معرفة المناسبات بين الآيات

٤٠

أنواع ارتباط الآي بعضها ببعض

٥٠

فصل في اتصال اللفظ، والمعنى على خلافه

النوع الثالث

٥٣

معرفة القواصل وروس الآي

٦٠

إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل

٦٨

تقرينات

٦٨	ختم مقاطع الفواصل بحروف المد واللين
٦٩	مبنى الفواصل على الوقف
٧٢	المحافظة على الفواصل لحسن النظم والتثامه
٧٢	تقسيم الفواصل باعتبار التماثل والمتقارب في الحروف
٧٥	» » المتوازي والمتوازن والمتطرف
٧٨	اكتلاف الفواصل مع ما يدل عليه الكلام
٨٤	فصل : قد تجتمع فواصل في موضع واحد ويخالف بينها ؛ وذلك في مواضع
٨٦	تنبيه : اختلاف الفاصلتين في موضعين والحديث عنه واحد
٨٨	تنبيه : اتفاق الفاصلتين والحديث عنه مختلف
٨٨	تنبيه : تمكين المعنى الذي سبقت له الفاصلة
٩٣	تنبيه : قد تكون الفاصلة لا نظير لها في القرآن
٩٨	فصل في ضابط الفواصل

النوع الرابع

١٠٢ في جمع الوجوه والنظائر

النوع الخامس

١١١ علم التشابه

	الفصل الأول	:	التشابه باعتبار الأفراد
١٣٣	» الثاني	:	ما جاء على حرفين
١٣٧	» الثالث	:	ما جاء على ثلاثة أحرف
١٤٠	» الرابع	:	ما جاء على أربعة حروف

صفحة

١٤٤	الفصل الخامس	: ما جاء على خمسة حروف
١٤٥	» السادس	: ما جاء على ستة حروف
١٤٦	» السابع	: ما جاء على سبعة حروف
١٤٧	» الثامن	: ما جاء على ثمانية حروف
١٤٨	» التاسع	: ما جاء على تسعة حروف
١٤٨	» العاشر	: ما جاء على عشرة حروف
١٤٩	» الحادى عشر	: ما جاء على أحد عشر حرفا
١٥١	» الثانى عشر	: ما جاء على خمسة عشر حرفا
١٥١	» الثالث عشر	: ما جاء على ثمانية عشر وجها
١٥٢	» الرابع عشر	: ما جاء على عشرين وجها
١٥٣	» الخامس عشر	: ما جاء على ثلاثة وعشرين حرفا

النوع السادس

١٥٥ علم البهيمات

١٦٠ تنبيهات

النوع السابع

١٦٤ فى أسرار القوائم والسور

١٦٤ ١ - الاستفتاح بالثناء

١٦٥ ٢ - الاستفتاح بحروف التهجى

١٧٠ تنبيهات

١٧٧ فصل

١٨٧ ٣ - الاستفتاح بالنداء

صفحة

١٧٩

٤ - الاستفتاح بالجل الخيرية

١٧٩

٥ - الاستفتاح بالقسم

١٨٠

٦ - الاستفتاح بالشرط

١٨٠

٧ - الاستفتاح بالأمر

١٨٠

٨ - الاستفتاح بالاستفهام

١٨٠

٩ - الاستفتاح بالدعاء

١٨٠

١٠ - الاستفتاح بالتعليل

النوع الثامن

١٨٢

في خواتم السور

١٨٥

فصل في مناسبة فواتح السور وخواتمها

١٨٦

فصل في مناسبة فاتحة السورة بخاتمة التي قبلها

النوع التاسع

معرفة المكي والمدني ، وما نزل بمكة وما نزل

١٨٧

بالمدينة وترتيب ذلك

١٩١

فصل

١٩٢

فصل

١٩٣

ما نزل من القرآن بمكة ثم ترتيبه

١٩٤

ذكر ترتيب ما نزل بالمدينة

١٩٥

ذكر ما نزل بمكة وحكمه مدني

١٩٥

ذكر ما نزل بالمدينة وحكمه مكي

١٩٦

ما يشبه تنزيل المدينة في السور المكية

صفحة

١٩٦

ما يشبه تنزيل مكة في السور المدنية

١٩٧

ما نزل بالجحفة

١٩٧

ما نزل ببيت المقدس

١٩٧

ما نزل بالطائف

١٩٧

ما نزل بالحديبية

١٩٨

ما نزل ليلا

١٩٩

ما نزل مشعا

١٩٩

الآيات المدنية في السور المكية

٢٠٢

الآيات المكية في السور المدنية

٢٠٣

ما حل من مكة إلى المدينة

٢٠٣

ما حل من المدينة إلى مكة

٢٠٥

ما حل من المدينة إلى الحبشة

النوع العاشر

٢٠٦

معرفة أول ما نزل من القرآن وآخر ما نزل

النوع الحادي عشر

٢١١

معرفة على كم لغة نزل

٢١٣

القول في القراءات السبع

النوع الثاني عشر

٢٢٩

في كيفية إنزاله

منفعة

النوع الثالث عشر

في بيان جمعه ومن حفظه من الصحابة

٢٣٣	جمع القرآن على عهد أبي بكر
٢٣٥	نسخ القرآن في المصاحف
٢٤٠	فائدة في عدد مصاحف عثمان
٢٤١	فصل : في بيان من جمع القرآن حفظاً من الصحابة على عهد الرسول

النوع الرابع عشر

معرفة تقسيمه بحسب سوره وترتيب السور والآيات وعددها

٢٤٤	تقسيم القرآن بحسب سوره
٢٤٩	فصل في عدد سور القرآن وآياته وكتابه وحروفه
٢٩٣	فصل : أنصاف القرآن ثمانية
٢٩٣	فائدة
٢٦٠	تنبيه : أسباب ترتيب وضع السور في المصحف
٢٦٢	فائدة : سبب سقوط البسملة أول براءة
٢٦٣	فائدة في بيان لفظ السورة لفة واصطلاحاً
٢٦٦	فائدة في بيان معنى الآية لفة واصطلاحاً
٢٦٩	خاتمة في تعدد أسماء السور
٢٧٠	خاتمة أخرى في اختصاص كل سورة بما سميت به

النوع الخامس عشر

معرفة أسمائه واشتقاقها

صفحة

٢٧٦

تفسير هذه الأسماء

٢٨١

فائدة

٢٨٢

فائدة أخرى

النوع السادس عشر

٢٨٣

معرفة ما وقع فيه من غير لغة أهل الحجاز من قبائل العرب

النوع السابع عشر

٢٨٧

معرفة ما فيه من غير لغة العرب

النوع الثامن عشر

٢٩١

معرفة غريبه

النوع التاسع عشر

٢٩٧

معرفة التصريف

النوع العشرون

٣٠١

معرفة الأحكام من جهة أفرادها وتركيبها

٣٠٩

تنبيه في تجاذب الإعراب والمعنى الشيء الواحد

٣٠٠

تنبيه آخر في بيان مراتب الكلام

النوع الحادي والعشرون

٣١١

معرفة كون اللفظ والتركيب أحسن وأصح

٣١٧

تنبيه فيما يجب على المفسر من مراعاة نظم الكلام

صفحة

النوع الثاني والعشرون

معرفة اختلاف الألفاظ بزيادة أو نقص أو تغيير حركة أو إثبات لفظ بدل آخر ٣١٨

٣٣٨ فائدة في مراجع القراءات السبع

٣٣٨ فائدة فيما يفعل القارىء حينما يشك في حرف من الحروف

النوع الثالث والعشرون

٣٣٩ معرفة توجيه القراءات وتبيين وجه ماذهب إليه كل قارىء

٣٤١ فصل في توجيه القراءة الشاذة

النوع الرابع والعشرون

٣٤٢ معرفة الوقف والابتداء

٣٤٣ حاجة هذا الفن إلى مختلف العلوم

٣٥٠ أقسام الوقف

٣٥٦ مسألة في أحوال الصفة

٣٥٦ مسألة في الوقف على المستثنى منه دون المستثنى

٣٥٧ مسألة في الوقف على الجملة الندائية

٣٥٧ قاعدة في الذى والذين في القرآن

٣٥٩ فصل في تقسيمات الوقف

٣٦٤ فصل متى ، يحسن الوقف الناقص ؟

٣٦٥ فصل : خواص الوقف التام

٣٦٦ فصل : انقسام الناقص بانقسام خاص

٣٦٨ فصل في الكلام على « كلا » في القرآن

منحة

٣٧٣

الكلام على « بلى »

٣٧٥

الكلام على « نعم »

النوع الخامس والعشرون

٣٧٦

علم مرسوم الخط

٣٨٠

مسألة في كتابة القرآن بغير الخط العربي

٣٨٠

اختلاف رسم الكلمات في المصحف والحكمة فيه

٣٨١

الزائد وأقسامه :

٣٨١

القسم الأول : زيادة الألف

٣٨٦

القسم الثاني : زيادة الواو

٣٨٦

القسم الثالث : زيادة الياء

٣٨٨

الناقص وأقسامه :

٣٨٨

القسم الأول : حذف الألف

٣٩٧

القسم الثاني : حذف الواو

٣٩٨

القسم الثالث : حذف الياء

٤٠٧

فصل في حذف النون

٤٠٩

فصل فيما كتبت الألف فيه ولوا على لفظ التفعيم

٤١٠

فصل في مد التاء وقبضها

٤١٧

فصل في الفصل والوصل

٤٢٣

فصل في بعض حروف الإدغام

٤٢٩

فصل في حروف متقاربة تختلف في اللفظ لاختلاف المعنى

٤٣٠

فصل في كتابة فوائج السور

صفحة

النوع السادس والعشرون

٤٣٢

معرفة فضائله

النوع السابع والعشرون

٤٣٤

معرفة خواصه

٤٣٦

تنبيه

النوع الثامن والعشرون

٤٣٨

هل في القرآن شيء أفضل من شيء؟

٤٤٢

فصل في أعظمية آية الكرسي

٤٤٦

قائمة في أي آية في القرآن أرجى؟

النوع التاسع والعشرون

٤٤٩

في آداب تلاوته وكيفيةها

٤٥٥

فصل في كراهة قراءة القرآن بلا تدبر

٤٥٥

فصل في تعلم القرآن

٤٥٧

مسألة في جواز أخذ الأجر على تعليم القرآن

٤٥٨

فصل في دوام تلاوة القرآن بعد تعلمه

٤٥٩

مسألة في استحباب الاستيلاء والتطهر للقراءة

٤٦٠

مسألة في التعوذ وقراءة البسملة عند التلاوة

٤٦١

مسألة

٤٦١

مسألة في قراءة القرآن في المصحف أفضل أم على ظهر قلب

٤٦٣

مسألة في استحباب الجهر بالقراءة

٤٦٤

مسألة في كراهة قطع القرآن لمكاملة الناس

منحة

٤٦٤

مسألة في حكم قراءة القرآن بالعجمية

٤٦٧

مسألة في عدم جواز القراءة بالشواذ

٤٦٧

مسألة في استحباب قراءة القرآن بالتفخيم

٤٦٨

مسألة في فصل السور بعضها عن بعض

٤٦٨

مسألة في ترك خلط سورة بسورة

٤٧٠

مسألة في استحباب استيفاء الحروف عند القراءة

٤٧٠

فصل في ختم القرآن

٤٧٢

مسألة في ختم القرآن في الشتاء وفي الصيف

٤٧٢

مسألة في التكبير بين السور ابتداء من سورة الفتح

٤٧٣

مسألة في تكرير سورة الإخلاص

٤٧٤

مسألة فيما يفعله القارئ عند ختم القرآن

٤٧٥

فائدة

٤٧٥

مسألة في آداب الاستماع

٤٧٥

مسألة في حكم من يشرب شيئاً كتب من القرآن

٤٧٦

مسألة : القيام للمصاحف بدعة

٤٧٧

مسألة في حكم الأوراق البالية من المصحف

٤٧٨

مسألة في أحكام تتعلق باحترام المصحف وتبجيله

٤٨٠

خاتمة

النوع الثلثون .

٤٨١

في أنه هل يجوز في التصانيف والرسائل والخطب

استعمال بعض آيات القرآن؟

صفحة

٤٨٣

مسألة : يكره ضرب الأمثال بالقرآن

٤٨٤

تنبيه : لا يجوز تعدى أمثلة القرآن

النوع الحادى والثلاثون

٤٨٦

معرفة الأمثال الكائنة فيه



نصريات واستدراكت

الصواب	س	س
وأحكامه	١٥	١٤
سورة البقرة ٩٧	٦	٢١
﴿لَكَارِهُونَ. يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾	١	٥١
﴿كَأَنَّمَا يَسَاقُونَ﴾		
﴿سَأُورِيكُمْ آيَاتِي﴾	٧	٩٤
سورة الفيل ٥	١٢	١٨٦
المعروف بالحاكم	١٣	١٩٠
أسند الزبيدي	١٦	٢٥٠
كما اقترحوا	١١	٢٥٩
﴿وَلْيُنْذَرُوا﴾	٥	٢٨٢
أبو عبيدة	٣	٢٩١
طارىء	٧	٢٩٧
يحتاج إليها	١١	٢٩٧
ما أحسن زيدا	٨	٢٩٩
ملاحظة	٢	٣٠٤
بم انتصب ؟	١١	٣٠٦
لحذف الواو	١٢	٣١٢
وابنه عبد الباقي	٨	٣٢٣

المصواب	س	س
أبو عمر الطلمنكي	٣	٣٢٤
ابن مامويه	٣	٣٢٥
الكسائي على	١	٣٢٩
{ لا تيشسوا }	٢	٣٨٢
{ أظن مات }	١	٣٨٧
سورة الكهف	١٩	٤٠٢
{ فاعلموا ... }	٢١	٤٢٦
في كراهة قطع القرآن	٨	٤٦٤